منشورات
دار الثقافة العلمية
سلسلة المكتبات والمعلومات
٢٠

نظم تصنيف المعرفة عند المسلمين

دراسة تحليلية

إعداد
ناهد محمد سالم
كلية الآداب - جامعة الأسكندرية

تقديم

الأستاذ الدكتور
شعبان عبد العزيز خليفة
المكتبات والمعلومات
- جامعة القاهرة

الأستاذ الدكتور
ماهر عبد القادر محمد
أستاذ ورئيس قسم الفلسفة
كلية الآداب - جامعة الأسكندرية

الإسكندرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نظم تصنيف المعرفة عندالمسلمين

دراسة تحليلية

إعداد

ناهد محمد سالم

كلية الآداب ـ جامعة الأسكندرية

تقديم

الأستاذ الدكتور

شعبان عبد العزيز خليفة

أستاذ ورئيس قسم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب – جامعة القاهرة

الأستاذ الدكتور

ماهر عبد القادر محمد

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة الأسكندرية

دار الثقافة العلمية

٢٠٠٠

الناشر
دار الثقافة العلمية
دار نشر متخصصة فى المكتبات والمعلومات
الأسكندرية : ٤٧ شارع مرتضى باشا - جناكليس
ت : ٥٧٤٧٠٣٤ فاكس : ٥٧٢٨١٧٦

إهـــداء

إلى زوجى

وأولادى

شـــرين ، أحـمد

أهدى هذا الكتاب وفاءً أو عرفاناً وتقديراً.

ناهد

قائمة المحتويات

تقديم

بقلم أ.د شعبان عبد العزيز خليفة

يعرف العاملون فى حقل الفلسفة وعلم المكتبات والمعلومات أن التصنيف هو سيد فروع المعرفة البشرية وأنه أبو العلوم كلها.

والتصنيف من حيث هو التقسيم المنطقى لجزئيات المعرفة البشرية وتحليل وتركيب العلاقات بينها ويتداعى من الأعم إلى العام إلى الخاص فالأخص فالأكثر خصوصية؛ ينتج لنا فى النهاية شجرة أو خريطة هرمية للمعرفة يستطيع الناظر إليها والمتعامل معها أن يحدد موقع كل موضوع وارتباطه مع الموضوعات الأخرى.

والتصنيف من هذا المنطلق يعودنا على التفكير المنطقى السليم من جهة ويحملنا على تأدية أعمالنا اليومية التطبيقية بطريقة تلقائية بما يوفر الوقت والجهد والمال، ولا نغالى إذا قلنا أن التصنيف يملأ حياتنا اليومية العامة والخاصة على السواء وهو ما يمسك على الحياة نظامها وفاعليتها وبدونه سوف تتحول الحياة إلى فوضى مطبقة.

والتصنيف من حيث هو عمل تطبيقى يستند إلى أسس نظرية فإنه بالضرورة ينطوى على شقين أحدهما فلسفى نظرى والآخر تطبيقى عملى؛ وهو ككل المهن يظهر فيه الشق العملى التطبيقى أولاً وبعد فترة طويلة من التطبيق والممارسة يظهر التنظير والتأطير والتعقيد. لقد مورس التصنيف عملاً وتطبيقاً منذ أقدم العصور سواء على مستوى وضع أنظمة التصنيف أو تطبيقها فى مؤسسات المعلومات. أما وضع أسس علم التصنيف ونظرياته وفلسفاته وقواعده وأطره فقد تأخر قروناً عديدة عن الممارسة والتطبيق.

ويحلو لعلماء المعلومات أن يقسموا التصنيف إلى ثلاث فئات هى : التصنيف الفلسفى (أو تصنيف المعرفة) والتصنيف الببليوجرافى (أو تصنيف الكتب) و التصنيف المكتبى (أو التصنيف العملى).

والتصنيف الفلسفى يتعامل مع جزئيات المعرفة البشرية المجردة دون أن تعالج كموضوع فى عمل فكرى ودون أن تصبحها مادة علمية تجسدها. هنا تعالج

الجزئيات كخطوط عريضة للمعرفة ويقصد بالمعالجة تنظيمها على خريطة وتشبيك العلاقات والروابط فيما بينها وتكمن أسس التشبيك والتربيط فى عقل واضع التصنيف قد يبديها وقد يخفيها ولكنه فى الأعم الأغلب يخفيها ولا يبديها.

والتصنيف الببليوجرافى أو تصنيف الكتب يتعامل مع جزئيات المعرفة البشرية وقد عولجت كمادة علمية فى أوعية تحملها ومن ثم تكون قد استحالت إلى أرواح فى أجساد وللأجساد متطلباتها وانعكاساتها على كيفية التصنيف. والتصنيف الببليوجرافى يتعامل مع أوعية المعلومات على إطلاقها كما نشرت فى سوق المعلومات دون أن تنتظم أو تقتنى فى مكان معين يتطلب الأمر معه اختزانها فيه واسترجاعها منه.

أما التصنيف المكتبى - وقد يختلط مع التصنيف الببليوجرافى - فإنه يتعامل مع جزئيات المعرفة وقد عولجت فى أوعية ويتعامل مع الأوعية وقد سكنت مكاناً معيناً ويتطلب الأمر استرجاعها بأقل جهد وفى أقصر وقت ممكن. ولهذا التصنيف المكتبى هو الآخر متطلباته وانعكاساته ولعل أبرز متطلباته ضرورة وجود الرمز الذى يختزن به الوعاء على الرفوف ويسترجع به منها وغير ذلك من انعكاسات ومتطلبات أخرى.

والكتاب الذى أقدمه يستند فى حقيقة الأمر على رسالة الدكتوراة التى تقدمت بها الدكتورة ناهد سالم إلى قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية. وتناولت فيها حلقة واحدة من حلقات التصنيف الفلسفى أى تصنيف المعرفة؛ ونقصد بهذه الحلقة "تصنيف العلوم عند المسلمين" فى القرون العشرة الهجرية الأولى. وهذه الحلقة هى فى الواقع درة حلقات التصنيف الفلسفى أو تصنيف المعرفة، وحيث لم تصلنا تصنيفات كثيرة للمعرفة من العصور القديمة، كما لم يدل المسيحيون فى العصور الوسطى المسيحية بدلو كبير فى هذا الصدد؛ وكان اختيار هذه الحلقة بالذات اختياراً موفقاً إلى أبعد حد، وإن كانت الفترة التى تغطيها الدراسة فترة واسعة من الناحية الزمنية، غزيرة التصانيف من الناحية العددية إلا أن الباحثة قد تعمقت الدراسة فى الزمان والمكان والكم بكفاءة واقتدار. وأنا لن أثنى على كفاءة

الباحثة وقدرتها وصلابتها وعمق تفكيرها وصبرها وجلدها في أداء عملها، فهذا أمر أشارت إليه لجنة الحكم على الرسالة وأشادت به.

لقد عكست لنا الدراسة التي قامت بها الباحثة الحضارة العربية والإسلامية والحياة الفكرية والثقافية التي نبتت فيها تلك التصانيف.

فالتصنيف ابن بيئته وهو كما يقول نابليون بونابرت عمل سياسي. وقد نجحت الباحثة في رسم لوحة زيتية زاهية الألوان لواقع العلوم عند المسلمين في حقبة الدراسة. وبعد تلك الخلفية التي عملت فيها التصانيف المدروسة تتبعت الباحثة نشأة التصانيف العربية الإسلامية على فتراتها المختلفة: في العصر العباسي الأول فالعصر العباسي الثاني ثم في العصرين العباسيين الثالث والرابع ثم في العصر العثماني وكأني بالباحثة وهي تقسم دراستها إلى هذه الفترات تتمثل مقولة نابليون بونابرت في أن التصنيف عمل سياسي، لأن الفترات التي قسمت إليها الدراسة هي فعلاً فترات سياسية انعكست على الحياة الفكرية وكان من الضروري أن تنعكس على بنيات التصانيف ومكوناتها.

ولقد كان من الطبيعي أن تقدم الباحثة لدراستها بمقدمة تعرف فيها بالتصنيف وتبسط أنواعه ونشأة التصنيف عند العرب ومواضع العلوم في التصانيف العربية وأسس تقسيم العلوم فيها ثم توزع التصانيف على أنواعها.

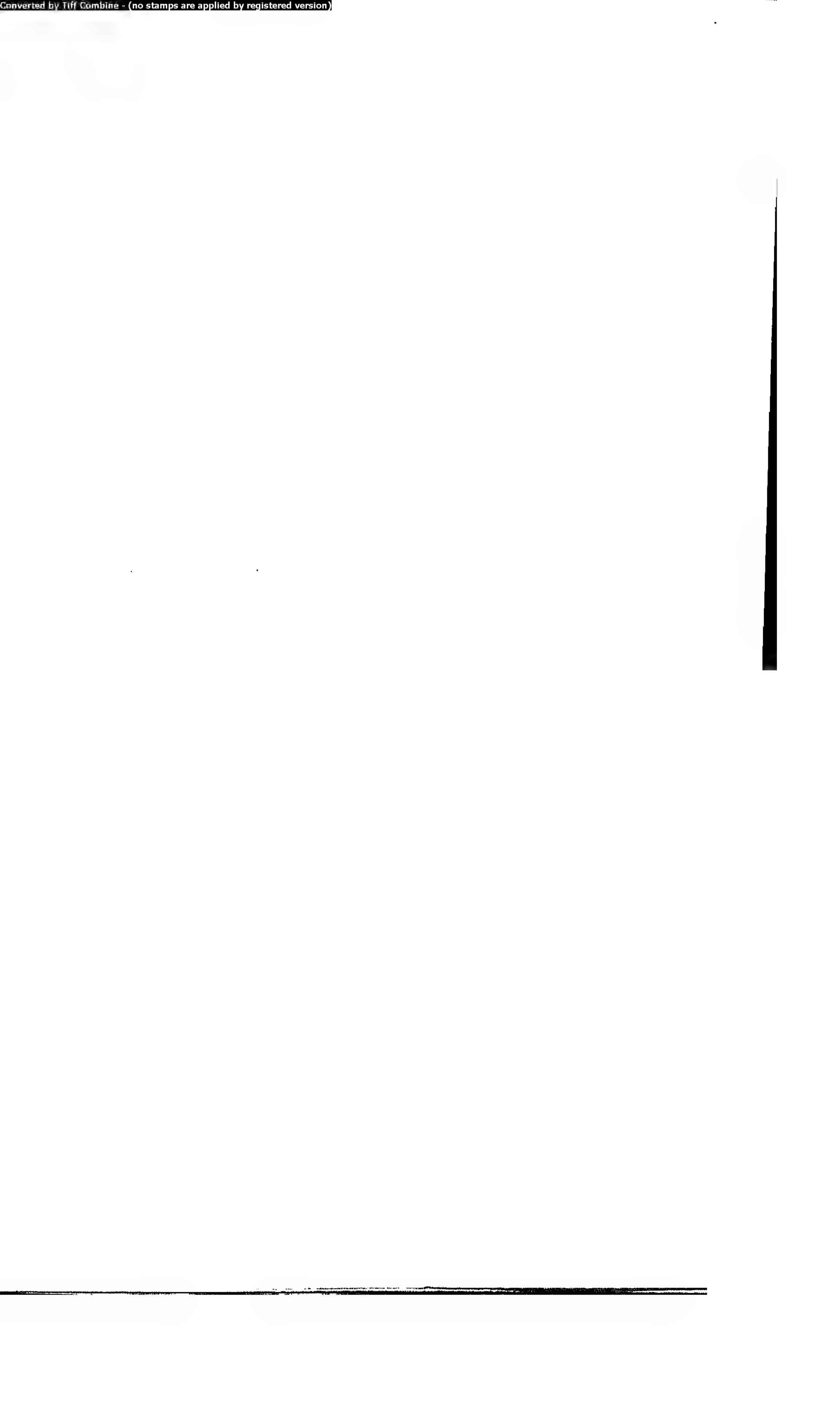
واعترافاً بالفضل لأهله وليس من قبيل التساهل في التعبير، يجيء هذا البحث إضافة إلى التخصص وإضافة إلى المعرفة البشرية العامة والعربية، نجحت فيه الباحثة نجاحاً كبيراً منهجاً وعرضاً ومادة ولغة.

وفق الله الباحثة وسدد على طريق العلم خطاها.

أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

أستاذ ورئيس قسم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب - جامعة القاهرة



تقديم

بقلم أ.د ماهر عبد القادر محمد على

تشكل منظومة المعرفة عند المسلمين اطاراً مهماً فى سياق المعرفة الإنسانية، وهو ما يتضح فى أكثر من جانب من الحياة العقلية العربية الإسلامية التى ازدهرت منذ القرن الثانى الهجرى، ومن بين الجوانب المهمة للعقلية الإسلامية النظر فى تصانيف العلوم، بما يكشف عن العلاقة بينها.

اهتم العلماء العرب بعلم التصنيف بصورة كبيرة، وانعكس هذا بشكل واضح على اهتماماتهم العلمية، وتناولهم للعلوم على نحو معين، وبيانهم للعلاقة بين العلوم وبعضها، ومدى استفادة علم ما من علم آخر بالصورة التى تحقق التكامل المعرفى.

والدراسة التى تقدمها الباحثة الدكتورة ناهد محمد بسيونى سالم، المدرس بقسم المكتبات بكلية الآداب جامعة الأسكندرية، تعتبر من الدراسات المهمة فى مجال الكشف عن أهمية علم التصنيف عند العلماء العرب.

وتكشف الدراسة عن العلاقة الوثيقة بين تصنيف العلوم عند المسلمين وطريقة التعليم، وأن التصانيف العربية استندت فى حالات كثيرة إلى المنهج الاستنباطى فى تقسيم المعرفة، واعتمدت فى حالات أخرى على المزاوجة بين المنهج الاستنباطى والمنهج الاستقرائى.

ومن جانب آخر فإن دراسة الباحثة تؤصل منظور الدراسات البينية إذ أن دراسة تصنيف العلوم يدخل مباشرة فى مجال دراسات تاريخ العلوم، كما يدخل بالضرورة في إطار دراسات علوم المكتبات والتوثيق. وانتباه الباحثة إلى هذا الجانب يحسب لها، إذ إنها بتفعيل هذا الاتجاه تكون قد عملت على ترسيخ المفهوم العربى الإسلامى لدراسة العلوم من منطلق تكاملى تعتمد فيه العلوم على بعضها.

والذى لا شك فيه أن هذه الدراسة تكشف عن حقيقة أخرى مهمة وهى أن النظر فى منظومة المعرفة عند المسلمين لم يكن مبنياً على تصور نظرى وإنما التحمت التجربة والعلم التطبيقى بهذا التصور، وهو ما نجده عند جابر بن حيان وابن سينا وابن خلدون.

أضف إلى هذا ما امتازت به بعض فترات الحضارة العربية الإسلامية من ازدهار، وبصفة خاصة القرن الرابع الهجرى الذى ظهرت فيه تصانيف عديدة تنطوى على أفكار جديدة اشتملت على الجذور الحقيقية للتصانيف الحديثة والببليوجرافيا. مما يعكس عبقرية العقلية العربية فى هذا المجال.

وبعد، فإن هذه الدراسة التى تقدمها الدكتورة ناهد بسيونى أصابت كبد الحقيقة حين بينت أصالة علم التصنيف وأهميته عند العلماء العرب والمسلمين، وأن هذا العلم شكل مبحثاً مهماً فى سياق منظومة الأبحاث العقلية عندهم بالصورة التى جعلتهم يتفوقون على أقرانهم من علماء الغرب فى الفترة ذاتها.

وأعتقد أن دراسة الدكتورة ناهد تفتح الطريق أمام الباحثين لاستجلاء ودراسة هذا المجال الخصب الذى يحتاج إلى عشرات الدراسات لإثراء المكتبة العربية فى هذا الجانب.

الأسكندرية	دكتور
٣٠ ديسمبر ١٩٩٩	ماهر عبد القادر محمد على
	أستاذ تاريخ وفلسفة العلوم

مقدمة

الحضارة العربية الإسلامية حضارة أصيلة لها إسهاماتها الفعلية فى مختلف العلوم والفنون والآداب، ويعد التصنيف أحد المجالات التى كان للعرب والمسلمين إسهاماتهم القوية فيها، بما وضعوه من خطط تصنيفية تنطوى على كثير من المفاهيم والقواعد التى تطبقها خطط التصانيف الحديثة، وكان لهم إسهام كبير فى وضع قواعد ساروا عليها فى تقسيم العلوم، وتحديد العلاقات بينها، وجعلوا للتصنيف مكاناً على خريطة المعرفة البشرية. وتعد هذه التصانيف العربية الإسلامية حلقة رئيسية من حلقات التقدم العلمى الحضارى، حيث أصبحت الحضارة العربية الإسلامية- بما أسهمت به من فكر فى مختلف فروع العلم- حلقة قوية فى سلسلة حلقات الحضارة الإنسانية تصل حضارات أمم سابقة عليها بالحضارة الأوربية التى أخذت عنها، وعلى الرغم من أهمية الدور العربى المسلم فى مجال التصنيف إلا أنه لم يوف حقه من البحث والتعريف من قبل مؤرخى علم التصنيف الغربيين، فنجد الكتابات الغربية كلها تغفل دور العرب فى العصور الوسطى وتقفز بدراسة التصنيف من الحضارة اليونانية إلى بدايات الحضارة الغربية.

وعلى المستوى العربى لم يحظ موضوع تصنيف المعرفة عند المسلمين بكتاب يوف هذا الموضوع حقه أو دراسة متخصصة سوى بضعة مقالات أو مقدمات كتب أو أجزاء من كتب، إلا أنها لم تخرج فى معظمها عن مجرد عرض لتلك التصانيف، أو حصرها أو التعريف بها، ولم تنفذ بعمق إلى أسس ترتيب العلوم فيها، أو القواعد والمفاهيم التصنيفية التى اتبعتها فى عرض العلوم على الخريطة التصنيفية، ومن ثم يهدف هذا الكتاب إلى دراسة شاملة وافية للتصانيف العربية الإسلامية عبر عشرة قرون منذ القرن الثانى الهجرى- على اعتبار أن ظهور أول التصانيف العربية الإسلامية يرجع إلى منتصف هذا القرن - إلى القرن الثانى عشر الهجرى، لأن ما جاء بعد هذا القرن يعد نقلاً عن غيره من التصانيف السابقة، أو دراسات قامت على التصانيف العربية الإسلامية، مثل التصانيف التى وضعها علماء الأزهر.

وقد عرض الكتاب لأربعة عشر تصنيفاً تمثل أهم التصانيف التى عبرت عن الاتجاهات التصنيفية العربية بما انطوت عليه من مفاهيم وقواعد جديدة فى مجال التصنيف.

وقد اشتمل الكتاب على ستة فصول. حيث تناول الفصل الأول علم التصنيف عند العرب والقواعد والأسس التى وضعها المصنفون العرب والمسلمون لتقسيم العلوم وترتيبها، ثم طرف التقسيم المتبعة فى التصانيف العربية الإسلامية، ثم أنواع التصانيف العربية الإسلامية.

أما الفصل الثانى فقد خصص للتعريف بإسهامات العرب والمسلمين فى كافة فروع المعرفة البشرية.

هذا وتتناول الفصول الربعة من الثالث إلى السادس أبرز التصانيف العربية الإسلامية التى كان لها إسهاماتها فى الفكر التصنيفى عبر عشرة قرون من عمر الحضارة العربية الإسلامية موزعة حسب العصور الإسلامية، فاختص الفصل الثالث بالعصر العباسى الأول، والفصل الرابع بالعصر العباسى الثانى، والفصل الخامس بالفترة التى تلت سقوط الدولة العباسية فى بغداد حتى انتقال زعامة العالم الإسلامى إلى العثمانيين، والفصل السادس بفترة الحكم العثمانى للعالم الإسلامى، وبلغ عدد التصانيف أربعة عشر تصنيفاً، موزعة حسب تاريخ كل تصنيف على الفصول الأربعة.

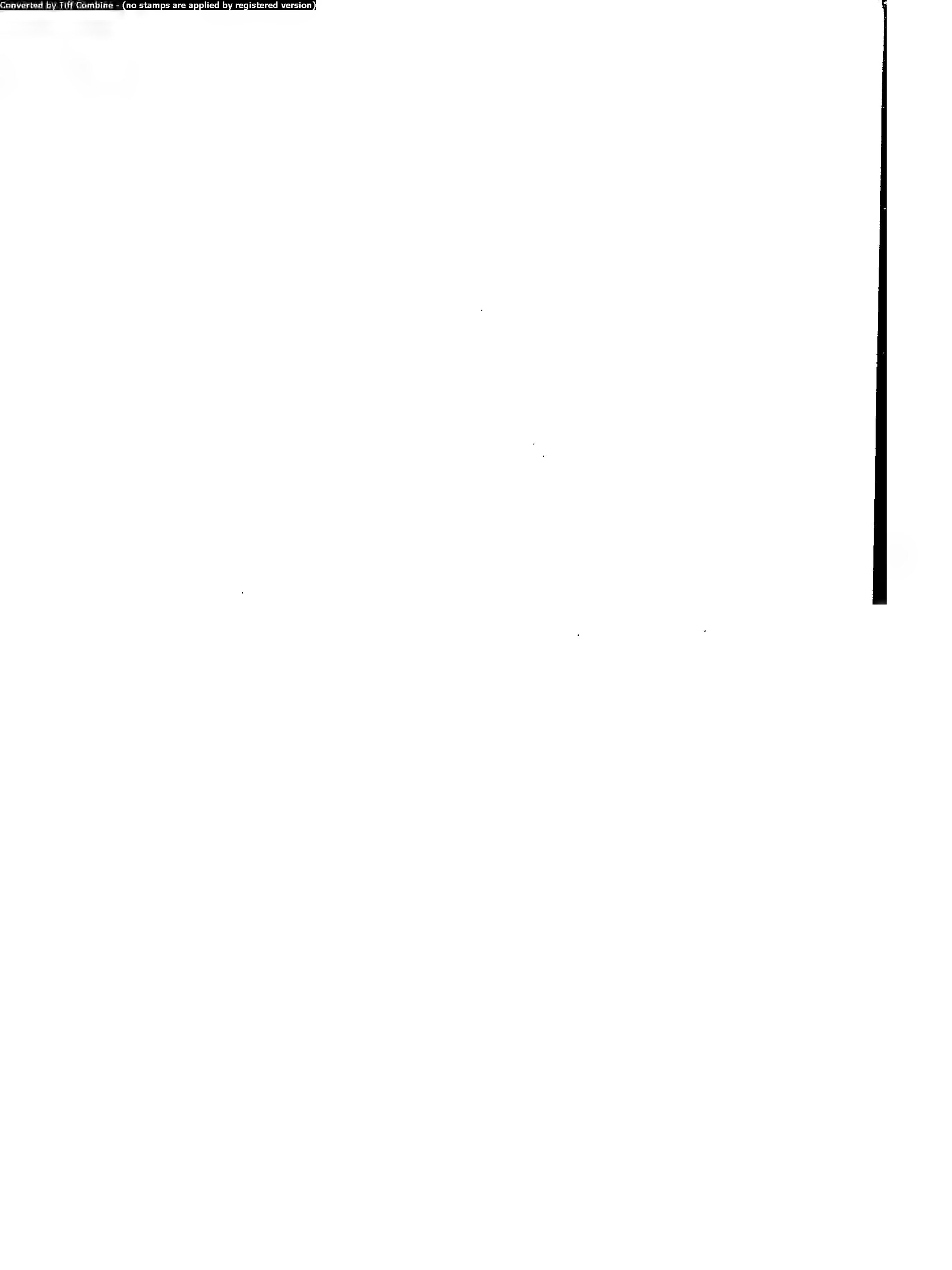
وقد درس كل تصنيف من حيث : نوعه، والهدف من وضعه وإعداد خريطة للعمل التصنيفى، والمنطق والفلسفة الكامنة وراء ترتيب العلوم داخل كل تصنيف، وأهم الملاحظات على العمل التصنيفى، وقواعد التصنيف ومفاهيمه التى برزت فى الخطة التصنيفية، وأهم مميزات التصنيف وعيوبه، وتأثير البيئة الثقافية والفكرية على العمل التصنيفى، والاتجاه الفلسفى لصاحبه، والتصنيف بين التأثير والتأثر، وتأثير الفكر الأرسطى على التصنيف؛ ومستوى المعالجة فى التصنيف، ومدى التناسق والتماسك فى العمل التصنيفى.

وختاماً لا يسعنى – بعد حمد الله وشكره على إتمام كتابة هذا الكتاب- إلا أن أتوجه بعظيم شكرى إلى الأستاذ الدكتور شعبان عبد العزيز خليفة أستاذ ورئيس قسم

المكتبات والمعلومات بكلية الآداب جامعة القاهرة، حيث كـــان لتوجيهاتـــه الســـديدة وملاحظاته الدقيقة أبلغ الأثر فى إنجاز هذا العمل، كما يطيب لى أن أتقـــدم بخـــالص شكرى إلى الأستاذ الدكتور ماهر عبد القادر محمد أستاذ ورئيس قسم الفلســـفة بكليـــة الآداب جامعة الأسكندرية الذى لم يبخل بوقته وجهده فى شرح العديد مـــن المفـــاهيم والمصطلحات الفلسفية، وإمدادي بالعديد من المصادر من مكتبته الخاصة، واهتمامـــه بتوجيهى وإسداء النصائح.

كما لا يفوتنى أن أتوجه بالشكر إلى كل من قدم لى عونـــاً ســـواء إمـــدادى بالكتب أو سعة صدره بمناقشة فى هذا الموضوع، وأخص بالذكر كل مـــن الأســـتاذ الدكتور عبد الحليم عطية أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور أحمد أنور بدر أستاذ علم المكتبات بكلية الآداب جامعـــة الريـــاض، وأخى وزميلى الدكتور السيد النشار على تشجيعه لى وما قدمه لى من بعض المصادر فى بداية إعداد هذا الكتاب.

المؤلفة



الفصل الأول
التصنيف
تعريفه و مكانته فى تنظيم المعرفة

تعريف التصنيف :

التصنيف في اللغة : صنف الشيء ، أي جعله أصنافاً ، و ميز بعضه عن بعض . و الصنف ــ بكسر الصاد و فتحها ــ النوع أو الضرب ، و الجمع أصناف وصنوف . (١)

أما كلمة '' *Classification* '' في اللغة الإنجليزية فهي مشتقة من الكلمة اللاتينية '' *Class* '' التى يراد بها الطبقات التى ينتمى إليها أفراد المجتمع ، حيث قسم المجتمع الرومانى إلى ست طبقات حسب خصائص معينة ، مثل : الثروة ، و النسب، وغيرها . (٢)

والتصنيف فى علم المكتبات هو عملية عقلية تتعلق بالتعرف على الخاصية الجوهرية التى على أساسها يتم تجميع المواد المتشابهة ، و فصل المواد غير المتشابهة ، بهدف ترتيب هذه المواد بطريقة منهجية . و فى عرف المكتبيين تعنى الخاصية الجوهرية الموضوع أو المحتوى الفكرى للكتاب ، و وسيلة التعبير عن هذا المحتوى الفكرى ترجمته إلى لغة صناعية تسمى الرمز الذى يتكون من الحروف أو الأرقام أو الاثنين معاً .

أنواع التصانيف

إن خطط التصنيف الحديثة فى مجال المكتبات و المعلومات قد استفادت فى مراحل تطورها من خطط التصنيف الفلسفية أو العملية التى سبقتها عبر تاريخ الحضارة البشرية . و قد أصبحنا فى العصر الحديث نستخدم مسميات متعددة

للتصنيف ، مثل : التصنيف في المنطق ، و التصنيف الفلسفى ، و التصنيف البيبليوجرافى ، والتصنيف العلمي ، و سوف تعرض الباحثة هذه الأنواع المختلفة و مدى العلاقة بينها .

التصنيف فى المنطق

التصنيف فى المنطق ترتيب نسقى ، و هو غاية العلم و سر تقدمه . و تصنيف أية مجموعة من الأشياء معناه وضعها فى أصناف مرتبة على أساس خاص بحيث يسهل معرفتها ، و يميز أفرادها و أصنافها ، و يسهل الانتفاع بها . و ينقسم التصنيف إلى قسمين :

١ـ تصنيف صناعى *Artifical Classification* **:**

هو ترتيب مؤقت يحاول رد الكثرة إلى أصل واحد ، و يقوم أساس التصنيف فيه طبقاً لغرض معين ، و كمثال على ذلك : ترتيب الحروف من الألف إلى الياء الذى نستخدمه و نستفيد منه عملياً فى المعاجم و الكتالوجات المكتبية و فهارس الكتب . و يلاحظ أن هذا التصنيف اتفاق لا يهتم بالمعرفة الدقيقة و الجوهرية لطبيعة الأشياء

٢ـ تصنيف طبيعى أو علمى *National or Scientific Classification* **:**

يحاول هذا النوع من التصنيف إبراز النظام الطبيعى للموجودات طبقاً لصفاتها الذاتية أو الجوهرية ، و هو أهم التصنيفات لأنه يتبع غرضاً نظرياً لا عملياً ، و يحقق الوحدة أو النسقية . (٣)

التصنيف الفلسفى :

يطلق عليه ــ أيضاً ــ تصنيف المعرفة ، و هو من وجهة نظر علماء المكتبات عبارة عن تصور الفلاسفة لترتيب المعرفة و تقسيمها و ربط أجزائها ، وهو مجرد رياضة عقلية لم يقصد بها أصحابها الاستفادة بها فى تنظيم المعلومات فى المكتبات و مراكز المعلومات . و ينتج عن التصنيف الفلسفى ما يعرف بالخطط النظرية التى تعرض للعلوم و العلاقات بينها بناء على تصور الفيلسوف لها . (٤)

و ترجع بدايات التصانيف الفلسفية إلى بداية تكون مجموعة من المعارف لدى الإنسان ، ثم حاول أن يضع لها إطاراً ينظمها ، و من ثم نجد اهتمام كل حضارة

عبر التاريخ البشرى بوضع تصانيف تمثل كمية المعرفة التى توصلت إليها ، و تعكس الفلسفة السائدة و الأفكار المسيطرة على عصرها .

و التصانيف الفلسفية أسبق فى الظهور من التصـــانيف الخاصـــة بـــالكتب ، ويرجع ذلك إلى أن واضع هذه التصانيف هم الفلاسفة و العلماء الذين كانوا يحـــاولون تسجيل وجهات نظرهم فى تقسيم المعرفة ، كما أن الإنتاج الفكرى لم يكن بالكثرة التى تجعل الإنسان يفكر فى تقسيم هذه الكتب حسب الموضوع ، و إنما كانت ترتب حسـب صفات أخرى كالحجم أو اللون أو الشكل .

و يبنى التصنيف الفلسفى على الطريقة المنطقية التى تعمل على تجميع الأقسام المتجانسة ذات الصفات المشتركة ، و فصلها عن الأقسام التى تختلف عنها ، فمثـــلاً عند إعداد تصنيف فى قطاع معرفى ، كقطاع البترول ، يتم تجميع كل الموضوعات ذات الخصائص المشتركة إلى جوار موضوع البترول .

علاقة التصنيف الفلسفى بالعملية التعليمية :

يشير بول هرست " *Paul Hirst* " و هو أحد فلاسفة التعليـــم ، إلـــى أن مضمون العلم العام يهتم بموضوعات المعرفة ، و علاقة الموضوعات ببعضها ، ومن ثم فإن علاقة التصنيف الفلسفى بالمتطلبات التعليمية علاقة وثيقة . (٥)

و يستخدم التصنيف فى تعريف الطبيعة الأساسية للموضوع ، و ذلك عند تحليل الوثائق الفردية ، كما أن هذه العلاقة تكمن فـــى أن المعلـــم عنـــد تدريســـه لإحـــدى الموضوعات فإنه يحاول إعطاء مبررات فلسفية للتدرج فى تدريـــس الموضوعـــات حسب الأولوية فى تقديم موضوعات على غيرها ، و هذا ما نجـــده فـــى التصنيـــف الفلسفى ، حيث إن ترتيب العلوم و تقديم بعضها على بعض يرجع إلى فلسفة معينـــة تقف وراء هذا الترتيب ، و هذا الارتباط عكسته التصانيف الإسلامية ، فقـــد كـــان ترتيب العلوم فيها مرتبطاً بالفلسفة التعليمية فى طريقـــة تدريـــس المـــواد و ترتيـــب أولويات دراستها ، و لذلك يعتبر التصنيف الفلسفى انعكاساً لطريقة التعليم فى عصره، و نظرة العلماء للموضوعات ، و مدى أهمية كل منها .

التصنيف العلمى :

التصنيف العلمى هو تصنيف الكائنات الحية ، و هو ما يعرف عند العلماء بتصانيف الأحياء ، و هو نوع من التصنيف لم يقصد به واضعوه أنه سوف يستعمل لأغراض تنظيم المعلومات فى المكتبات و مراكز المعلومات ، و لكن قيمته كانت علمية محضة . و هذا النوع من التصنيف يقوم على تقسيم الكائنات الحية إلى رتب وأقسام وفقاً للصفات التشريحية ، و قد كان لكل رتبة أو طبقة عدد من الصفات الجوهرية المعروفة التى سجلت عنها بناء على تشريحها .

التصنيف المكتبى :

هو ما يعرف بالتصنيف العملى الذى يعتمد على الأشياء أو الوحدات المادية ، و منها الكتب بخصائصها و صفاتها . و يقوم تصنيف الكتب على ترتيب المضمون الفكرى (الموضوع) للكتب ، بحيث يبرز العلاقات بين الموضوعات التى نجدها فى الإنتاج الفكرى .

و يشمل تصنيف الكتب عملين أساسيين هما : الأول : عمل واضع نظام التصنيف الذى يعرف باسم '' *Classificationist* '' ، و يتطلب فى هذا الشخص مقدرة خاصة فى بناء خطوات التصنيف و رسم العلاقات بين الموضوعات التى وضعها العلماء ، و التى من خلالها يقوم بعمل و إبداع خطة تصنيفية تعكس كل الآراء الجماعية ــ بقدر الإمكان ــ عن حدود العلوم و العلاقات بينها .

و العمل الثانى : عمل المكتبى ، و يعرف باسم المصنف '' *Classifier* ''، و يقوم عمله على تحديد موضوع الوثيقة و مكانها فى خطة التصنيف ، مع الالتزام بالتوحيد فى عملية التصنيف . و يشترط فى هذا الشخص معرفة واسعة بمجالات المعرفة البشرية و نظم التصنيف المختلفة . (٦)

و ينطوى التصنيف المكتبى على نوعين ، هما : التصنيف الصناعى ، والتصنيف الطبيعى .

أولاً : التصنيف الصناعى :

يقوم التصنيف الصناعى على الصفات الظاهرة و الخارجية لجمع الأشياء أو فصلها عن بعضها ، و النظام الناتج عن التصنيف الصناعى هو آلة مؤقتة لسير العمل . و كانت المكتبات قديماً تستخدم هذا النوع من التصنيف لترتيب مجموعات الكتب بها معتمدة على الصفات و الخصائص الظاهرة لمصادر المعلومات من الحجم أو اللون ، و مازالت بعض المكتبات فى العصر الحديث تستخدم هذا النوع من التصانيف ، كما فى حالة فصل مصادر المعلومات تبعاً لشكلها ، مثل فصل المخطوطات عن المطبوعات عن المصغرات الفيلمية عن الخرائط ، الخ .

ثانياً : التصنيف الطبيعى :

تعتمد التصانيف الطبيعية على صفات جوهرية أساسية ، و الصفة الجوهرية فى مصادر المعلومات هى المحتوى الفكرى (الموضوع) الذى تدور حوله المادة العلمية . و يعرف التصنيف الطبيعى بأنه التصنيف المنطقى للمعرفة البشرية ، حيث تقسم إلى قطاعات معرفية عريضة ، ثم تقسم إلى موضوعات أخص ، و هكذا يسير التقسيم متدرجاً من الموضوع العام إلى الخاص إلى الأكثر خصوصية . (٧) و من التصانيف الببليوجرافية الطبيعية فى العصر الحديث : تصنيف ديوى العشرى ، والتصنيف العشرى العالمى ، و تصنيف بليس ، و تصنيف براون ، و غيرها .

علاقة التصنيف المكتبى بالتصنيف الفلسفى و العلمى :

لا يهتم المكتبى فى عملية تصنيف الكتب بالطريقة التى يستخدمها العلماء والفلاسفة لتشكيل فئات الموضوعات أو ترتيب الفئات المكونة للعلم ، و لا الاهتمام بالفلسفة الكامنة وراء ذلك ، و إنما يأخذ ما استقر عليه العالم أو الفيلسوف بشكل مسلم به ، مدركاً تماماً عدم وجود تصنيف منطقى يعكس الواقع ، و يحدد بصورة قاطعة الحدود بين المجالات الموضوعية المختلفة . و ما يهم المكتبى هو تحديد القطاع المعرفى الذى ينتمى إليه موضوع الكتاب ، فإذا كان تصنيف كتاب فى التراجيديا أو الكوميديا فإنه لا يبحث عن تعريف التراجيديا أو الكوميديا و وضعها على الخريطة التصنيفية ، و إنما يتساءل : إلى أى قطاع من قطاعات الأدب ينتمى هذا العلم .

كما أن عملية تصنيف الكتب حسب الموضوع هى عملية أكثر تعقيداً من تصنيف العلوم ، و إيجاد العلاقة بينها ، لأن الكتاب يتناول أدب الموضوع من وجهات نظر مختلفة ، و عند تناول موضوع المياه فى كتاب فإن ذلك قد يكون من حيث التجميد و التكثيف ، أو المعالجة الكيميائية للمياه ، و هذا ما لانجده فى خطة التصنيف الفلسفية أو العلمية ، و لهذا فإن التصنيف المكتبى ، و هو ما يعرف بالتصنيف الببليوجرافى قد طور ما وضعه الفلاسفة و العلماء من خطط تتناسب مع تصنيف المعرفة من خلال الإنتاج الفكرى ، واضعين فى الاعتبار التعقيد و التشابك فى موضوعات الكتب و طبيعة الوسائل الحاملة للمعلومات ، و من ثم ظهرت التصانيف التى قامت على التحليل و التركيب لعناصر المعلومات ، و هذا ما وجد فى تصنيف الكولون و التصنيف العشرى العالمى ، كما نجد هذا الاتجاه التحليلى التركيبى فى الطبعات الحديثة لتصنيف ديوى العشرى .

علم التصنيف عند العرب

أنتجت الحضارة العربية الإسلامية كثيراً من الأعمال التصنيفية ، و يعد العرب المسلمون أول من وضع تأليفاً مستقلاً فى علم التصنيف . و يشير محققا كتاب: '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' لطاشكبرى زادة إلى أن الفارابى أول من كان له السبق فى ذلك . و لكن الباحثة ترى أن جابر بن حيان قد سبق الفارابى إلى ذلك فى كتابيه : '' الحدود '' و '' السباعية '' .

و يرجع إلى المسلمين الفضل فى جعل التصنيف علماً من العلوم ، و تحديد مكان له على سلم المعرفة البشرية ، و هذا ما وجدناه عند طاشكبرى زادة فى القرن السادس عشر الميلادى ، بينما لم تعترف أوروبا بالتصنيف كعلم إلا فى القرن التاسع عشر الميلادى . (٨)

و حدد العرب طرق التصنيف التى تتبعها التصانيف الحديثة ، كما حددوا العلاقات بين العلوم ، و أسس ترتيب العلوم ، و المفاضلة بينها ، و هذا ما ستحاول الباحثة توضيحه .

تعريف التصنيف عند العرب

يرجع الفضل إلى طاشكبرى زادة في وضع تعريف محدد لعلم التصنيف ، حيث عرفه بأنه " علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ، ليحصل بذلك العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم ، و لما كانت أعم العلوم موضوعاً العلم الإلهى جعل تقسيم العلوم من فروعه ، و يمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم على عكس ما ذكر ، لكن الأول أسهل و أيسر " . (٩) و هو في هذا التعريف لا يعني التصنيف بصفة عامة ، و لكنه يعني تصنيف العلوم ، و هو ما يصدق على تعريفه في العصر الحديث ، كما حدد تبعية هذا العلم للعلم الإلهى على أساس أن من أصول العلم الإلهى علم مباديء العلوم ، و من ثم فباعتبار علم التصنيف أو تقاسيم العلوم من العلوم المبتدئة التي تحتاج إلى تحديد قواعدها و مبادئها ، و من هنا اعتبر من فروع العلم الإلهى .

طرق التصنيف :

أوضح طاشكبرى زادة أن هنالك طريقتين في تقسيم العلوم ، هما :

الطريقة الأولى : التقسيم ، و هو التكثير من فوق إلى أسفل ، أى من أعم العلوم إلى ما هو أخص ، كتقسيم الجنس إلى الأنواع ، و النوع إلى الأصناف ، و الصنف إلى الأشخاص .

الطريقة الثانية : التحليل ، أى التكثير من أسفل إلى فوق أو أعلى ، أى من الأخص إلى ما هو أعم ، أى تجميع جزئيات الموضوع للوصول إلى الموضوع الكلى الذى يشمل هذه الجزئيات . (١٠)

و لا تخرج طرق التصنيف الحديثة عن هاتين الطريقتين اللتين تعرفان بالمنهج الاستنباطي، و المنهج الاستقرائي. و قد حدد طاشكبرى زادة هاتين الطريقتين في تعريفه للتصنيف ، و أشار إلى سهولة الطريقة الأولى .

قواعد التصنيف عند العرب

عند العرب للتصنيف قواعد و أسساً توضح ترتيب الأقسام و الفروع ، و انتساء الفروع إلى العلم الكلى الذى تندرج تحته ، كما توضح العلاقات بين العلوم ، فقد

وضع ابن سينا فى كتابه : '' البرهان '' دراسة توضح القواعد التى تقوم عليها العلاقات بين الفنون . (١١)، كما قدم حاجى خليفة فى كتابه : '' كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون '' قواعد لتصنيف الكتب . (١٢) و باستقراء قواعد التصنيف و أسسه التى يذكرها كل منهما يتضح أن العلاقات بين الموضوعات تقوم على الآتى:

- **علاقة اشتمال و تبعية** ؛ أى أن العلم الخاص يتفرع من علم عام ، فموضوع العلمين واحد ، و لكن معالجة كل موضوع تأتى من جهة مخالفة للآخر ، فينظر إلى العلم المشترك مع علم آخر فى موضوع واحد نظرة مطلقة عامة ، بينما ينظر إلى العلم الآخر فى هذا الموضوع من إحدى جهاته ، فمثلاً العلم الرياضى هو العلم العام لعلم الحساب ، و العلم الطبيعى هو العلم العام لعلم الطب ، حيث يشتركان فى موضوع واحد هو الجسم الطبيعى ، و لكن علم الطب يعالج البدن من جهة ما يصح ويمرض . و هذه العلاقة من القواعد التى أقرها '' بليس '' ، و أسماها '' التفريع''، و قصد بها تداعى الموضوعات الأصغر من الموضوعات الأكبر بنفس القدر من المنطقية و التسلسل الموجود فى الروابط بين الموضوعات الكبيرة . و قد استقى '' بليس '' هذه الفكرة أساساً من الفيلسوف الفرنسى '' أوجست كونت '' .
- **علاقة تجاور** ؛ أى تشابه الموضوعات مما يجعلها تقترب من بعضها البعض فى الخطة التصنيفية فتتجاور علوم اللغة العربية مع علوم الأدب ، إلى جانب علوم الدين الإسلامى ، أو تجاور علوم التاريخ مع العلوم الاجتماعية ، و هذه العلاقة أيضاً من القواعد التى أقرها '' بليس '' ، و أسماها '' علاقة ترابط '' و عنى بها جمع المجموعات المتجانسة معاً ، حيث توجد بينها علاقات قوية . (١٣)
- **علاقة تساو** ؛ أى وجود علمين على صف واحد متفرعين من موضوع واحد، مثل الهندسة والحساب اللذين يقفان على صف واحد متفرعين عن علم أكبر ثالث هو العلم الرياضى .
- **علاقة تداخل** ؛ أى أن العلم يمكنه أن يستفيد من أكثر من علم ، مما يؤدى إلى تفريعه عن أكثر من علم ، مثل علم الفرائض الذى يستفيد من علم الحساب ، فيعدوه من فروعه ، و من علم الفقه ، فيصبح من فروعه أيضاً .
- **تبادل الاعتماد بين العلوم** ؛ أى أن بعض العلوم تستفيد من بعضها ، و هذا

واضح بين علوم اللغة و علوم الدين ، فالقرآن الكريم المصدر الأصلى لعلماء اللغة العربية ، و ألفاظه الكريمة و تراكيبه اللغوية هى المصدر الأساسى فى الدراسات النحوية و اللغوية ، كما أن المباحث اللغوية و النحوية هى الأساس الدراسات القرآنية، كما أن علوم الحديث الشريف و علوم أصول الفقه تضم مباحث لغوية . (١٤) و هذا المبدأ استخدمه ابن النديم فى ترتيب مقالاته عن علوم الدين و اللغة ، و هو ما ستوضحه الباحثة عند دراسة تصنيف ابن النديم .

و هذه القواعد التى حددها المصنفون العرب المسلمون هى نفسها القواعد التى تستخدمها الخطط التصنيفية فى العصر الحديث ، فباستقراء خطة تصنيف ديوى التى تعد من أشهر خطط التصنيف فى العصر الحديث يلاحظ استخدامها لمبدأ التبعية و الشمول ، و يتمثل هذا فى تدرج الموضوعات من العام إلى الخاص ، فالعلوم الطبية كعلم عام يتفرع منها عدد من الموضوعات الخاصة التى تتبع موضوع علم الطب ، و هو الموضوع العام . كما أن وقوف هذه الفروع ، مثل التشريح و الفسيولوجيا و الصحة الشخصية و الصيدلة ، و غيرها ، على صف واحد يعكس علاقة التساوى بينها .

و تعكس بعض الأقسام الرئيسية فى تصنيف ديوى علاقة التجاور ، فتأتى العلوم التطبيقية تالية للعلوم البحتة ، و إن لم تتحقق هذه القاعدة فى عرض بقية الأقسام فابتعدت علوم كان من المفروض اقترابها من بعضها ، مثل ابتعاد علوم اللغة عن علوم الأدب ، و ابتعاد علم التاريخ عن العلوم الاجتماعية .

ترتيب العلوم فى التصانيف العربية الإسلامية

يعكس ترتيب العلوم فى التصانيف العربية الإسلامية المنهج التعليمى الإسلامى الذى يقدم الأهم فالأهم فى العملية التعليمية ، كما ينطلق من البيئة الثقافية الإسلامية ، و من ثم فهم يفاضلون بين العلوم و يقدمون بعضها على بعض على أسس مختلفة ، منها شرف العلم . و يكون شرف العلم بشرف موضوعه ، مثل : علم التفسير ، لبحثه فى القرآن الكريم ، و هو الكلام المنزل من عند الله . و علم أصول الدين (علم الكلام) عند بعض آخر لبحثه فى ذات الله ، و من ثم فهما مقدمان فى الترتيب عن علم الفقه . و مثل علم الطب ، الذى يقدم على سائر فروع العلم

الطبيعى لشرف موضوعه ، حيث يبحث فى بدن الإنسان . (١٥)

قد يرجع شرف العلم إلى شرف الغاية ، مثل علم الأخلاق ، لأن الغاية منه معرفة الفضائل الإنسانية ، و لذلك يقدم على بقية علوم الحكمة العملية . و قد يعود شرف العلم إلى شرف الحاجة إليه ، مثل علم الفقه ، لحاجة الإنسان إلى تنظيم أمور عبادته . و قد يعود شرف العلم إلى قوة أدلته ، و تعتمد عليه بعض العلوم التابعة له ، مثل العلوم الرياضية ، لكونها علوماً برهانية تستخدمها بعض العلوم الأخرى ، ومن ثم تقدمها بعض التصانيف على بقية العلوم العقلية . و قد يعود شرف العلم إلى اجتماع أكثر من اعتبار من الاعتبارات السابقة ، مثل العلم الإلهى ، فشرفه يعود إلى شرف موضوعه ، لأنه العلم بالله تعالى ، و إلى شرف غايته لحصول السعادة الأبدية ، و إلى شرف الحاجة إليه ، و من ثم يقدم على بقية العلوم الأخرى . (١٦) و قد يقدم علم على آخر لشرف ثمرته ، مثل علم الدين و علم الطب ، فالأول يقدم لأن ثمرته الحياة الأخروية ، و يؤخر الثانى لأن ثمرته الحياة الدنيا . و قد يقدم شرف الثمرة على شرف الدليل ، فيقدم علم الطب على علم الحساب ، فإن الأول يقدم لاعتبار ثمرته ، و هى الصحة التى تساعد الإنسان على القيام بالعبادات ، و الثانى يؤخر باعتبار أدلته ، فهو من العلوم البرهانية . (١٧)

و يحدد حاجى خليفة مجموعة من القواعد التى يتم على أساسها تقديم علم على آخر ، و هى :

القاعدة الأولى :

تقدم العلم على علم آخر يرجع إلى أهمية هذا العلم على غيره ، مثل تقديم فرض العين على فرض الكفاية . (١٨) و يقصد بفرض العين كل ما أوجبه الشرع على الشخص بشكل خاص . و يحدد الغزالى العلوم التى هى فرض عين فى ثلاثة أقسام : اعتقاد ، و فعل ، و ترك . و الاعتقاد هو توحيد الله تعالى ، و تعلم كلمتى الشهادة ، و فهم معنى قوله : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " . و الفعل ما كلف به الإنسان من الطهارة و الصلاة و الصوم و الحج . و الترك ترك المعاصى واجتناب المحرمات التى نهى الله عنها ، و من ثم فالحذر منها يوجب معرفتها ومعرفة حدودها و أسبابها و طرق علاجها . (١٩) و ما هو فرض كفاية ما وجب على

المجموع ليعملوا به ، و لو قام به واحد لسقط عن الباقين ، و هو العلوم التى لا يستغنى عنها الإنسان فى أمور حياته الدنيوية . (٢٠) و منها علم الطب الذى يحتاج إليه لحفظ الأبدان و علاج المرضى ، و علم الحساب الذى يحتاج إليه فى قسمة المواريث و الوصايا ، و علم المساحة الذى يحتاج إليه فى قسمة الأراضى، و يتعدى ذلك إلى صناعة الحياكة و الزراعة و الخبز و الطحن .

القاعدة الثانية :

يُقدم العلم لكونه وسيلة لعلم آخر ؛ فالمباحث اللفظية وسيلة للمباحث المعنوية ، و من ثم يقدم علم الأدب على علم المنطق . كما تتقدم العلوم العربية على العلوم الدينية لكونها وسيلة و آلة لفهمها . (٢١) كما يقدم علم المنطق على سائر العلوم العقلية لكونه وسيلة .

وحددت المقاصد من العلوم فى العلوم التى هى فرض عين من العلوم الدينية و علمي الأخلاق و السياسة ، و كل ما يتوصل إليها من علوم اللغة و التصريف والنحو و الطب و المعانى و البيان و المنطق و تسيير الكواكب و معرفة الأنساب والحساب، وغيرها من العلوم ، بمثابة الوسائل إلى هذه المقاصد ، و تتفاوت درجات ترتيبها حسب الحاجة إليها . (٢٢)

و تقدم المقاصد على الوسائل لشرف الأولى عن الثانية . (٢٣) و من ثم نجد بعض التصانيف تقدم العلوم الدينية التى هى المقاصد على العلوم العربية التى هى وسائل .

القاعدة الثالثة : يقدم علم على آخر لكون موضوعه جزءاً من موضوع علم آخر ، والجزء يقدم على الكل ، فيقدم التصريف على النحو . (٢٤) ، و أحياناً يقدم النحو على التصريف لأن الحاجة إلى النحو أقوى من التصريف .

القاعدة الرابعة : يقدم علم على آخر بغرض التمرين على إدراك المعقولات ، مثل تقديم علم الحساب على غيره من العلوم . (٢٥)

و يعد هذا الترتيب انعكاساً للنظام التعليمى عند العرب المسلمين ، حيث يبدأ الطلاب بدراسة العلوم الأهم ، ثم العلوم التى توصلهم إلى فهم العلوم الأخرى . و العلم الأهم حدده العرب المسلمون فى العلوم التى تعد فرض عين ، و التى يجب على

المسلم تعلمها أولاً ، و التى تمثلت فى العلوم الدينيه و أحيانا يبدأ الطالب تعلم العلوم التى تعد وسيلة لفهم غيرها من العلوم ، مثل العلوم الأدبيه التى توصله إلى فهم العلوم الدينية أو العلوم الرياضية التي توصله إلى فهم العلوم العقلية ، و من ثم أطلق عليها علم التعاليم . و يتولى الشيخ القائم على التدريس تحديد و ترتيب العلوم التى يبدأ بها طلابه .

و هذا الارتباط الذى نجده فى التصانيف العربيةبين ترتيبها للعلوم و ترتيب تدريس هذه العلوم هو ما نادى به مصنفو العصر الحديث من ضرورة ارتباط التصنيف بالنظام التربوى التعليمى .

طرق التقسيم التى تتبعها التصانيف العربية :

تتبع التصانيف العربية الإسلامية تقسيمات تختلف باختلاف فلسفة أصحابها و نظرتهم إلى العلوم ، كما تتأثر بالهدف الذى وضعت من أجله ، سواء أكان هدفاً تعليمياً ، أم هدفاً دينياً ، أم فلسفياً ، و من ثم تنحصر التقاسيم فيما يلى :

التقسيم الأول :

هو التقسيم المشهور ، حيث تقسم العلوم فيه إلى علوم نظرية ، غير متعلقة بكيفية العمل ، وعملية ، وهى المتعلقة بالعمل . والعلوم النظرية التى أطلق عليها تسمية علوم الحكمة النظرية هى العلوم التى تطلب المعرفة فيها لذاتها ، و البحث فيها عن الموجودات ، و لذلك تقسم إلى ثلاثة أقسام حسب حال الموجود و تعلقه بالمادة ، فالعلم الإلهى للبحث فى أمور مجردة عن المادة ، و من ثم يطلق عليه علم أعلى ، والعلم الرياضى يبحث فى أمور مجردة عن المادة فى الذهن فقط ، و من ثم أطلق عليه العلم الأوسط ، و العلم الطبيعى يبحث فى أمور متعلقة بالمادة فى الذهن و فى الخارج ، و من ثم أطلق عليه العلم الأدنى . و العلوم العملية هى العلوم المتعلقة بكيفية العمل للوصول إلى منفعة . (٢٦) و يطلق عليها علوم الحكمة العملية لأنها متعلقة بالسلوك ، سواء السلوك الشخص أو الجماعى ، للحصول على السعادة الدنيوية أو الأخروية ، و من ثم تقسم إلى ثلاثة أقسام ، هى

- علم الأخلاق ، المتعلق بمصالح شخص معين

* علم تدبير المنزل . المتعلق بمصالح اسره
* علم السياسه . المتعلق بمصالح جماعه مشتركه في المدينه او في مجتمع

و هذا التقسيم تتبعه التصانيف المتأثرة بالفلسفة اليونانيه . و خاصه تصنيف ارسطو و هو يطبق على العلوم العقلية

التقسيم الثاني :

هو تقسيم العلوم إلى علوم آلية و علوم غير آلية و العلوم غير الآلية هي العلوم التي تقصد فيها المعرفة لذاتها ، و تعرف بالمقاصد ، و تمثلها مجموعة العلوم الشرعية و علوم الحكمة النظرية . و العلوم الآلية هي العلوم التي لا تقصد فيها المعرفة لذاتها ، و إنما لغاية منها تحصيل غيرها من العلوم .

و ليس معنى كون العلم آلة أنه آلة في نفسه ، و إنما هو آلة بالقياس إلى علم آخر ، لكون الآخر يحتاج إليه . (٢٧) مثل العلوم العربية ، فهي آلة للعلوم الشرعية لتوقف فهم الثانية على الأولى ، كما أن علم المنطق آلة لغيره من العلوم حيث إنه يحتوى على القوانين المنظمة للفكر ، و من ثم تساعد الإنسان على تحصيل العلوم الأخرى .

التقسيم الثالث :

هو تقسيم العلوم إلى علوم عربية و علوم غير عربية ، أو أجنبية ، و العلوم العربية هي نتاج الفكر الحضارى العربى الإسلامى ، و بذلك تمثله العلوم الدينية و العلوم اللغوية و الأدبية العربية ، بما فيها علم التاريخ . و العلوم غير العربية أو العلوم الأجنبية ، هي كل العلوم المنقولة عن الأمم الأخرى . و هذا التقسيم اتبعه الخوارزمى فى كتابه : '' مفاتيح العلوم '' .

التقسيم الرابع :

هو تقسيم العلوم إلى علوم شرعية و علوم غير شرعية ، و يعنى بالعلوم الشرعية ما يستفاد من الأنبياء ، و تنقسم إلى أربعة ، و هى : الأصول ، و الفروع ، و المتقدمات ، و المتممات . و الأصول هى كتاب الله و سنة رسوله ، و ما أثر عن الصحابة لأنهم شاهدوا الوحى و التنزيل ، و من ثم رأى بعض العلماء الاقتداء بهم ، و إجماع الأمة ؛ أى ما أجمع عليه علماء الأمة . و الفروع هى الفقه و التصوف . والمقدمات هى الآلات التى تعين على فهم كتاب الله و سنة رسوله ، و يعنى بها اللغة و النحو و مجموعة العلوم العربية . و المتممات ما يتعلق باللفظ ، و هى علم القراءة و علم مخارج الحروف ، و ما يتعلق بالمعنى، و هو علم التفسير، وما يتعلق بالأحكام، و هو علم الناسخ و المنسوخ، و علم أصول الفقه، و علم الأخبار و الآثار. (٢٨) والعلوم غير الشرعية منها ما يرشد إلى العقل ، و هى علم الحساب. ومنها ما يكون باستخدام التجربة ، مثل علم الطب ، و منها ما يكون بالسماع ، مثل علم اللغة ، و من هنا اختصت العلوم الشرعية بالعلوم الدينية و العلوم العربية وعلم التاريخ ، و العلوم غير الشرعية هى مجموعة العلوم العقلية بما فيها المنطق ، لأنه من وضع الفلاسفة قبل ظهور الإسلام ، و من ثم يطلق على العلوم غير الشرعية العلوم العقلية، فى مقابل العلوم الشرعية . (٢٩)

التقسيم الخامس :

هو تقسيم العلوم إلى علوم حقيقية و علوم غير حقيقية . والعلوم الحقيقية هى العلوم الثابتة على مر الدهور و الأعوام ، و هى العلوم الحكمية ؛ أى العلوم العقلية التى لا تتغير بتغير الأزمنة و الأمكنة ، و لا تتبدل بتبدل الدول و الأديان ، مثل : علم الهيئة . و العلوم غير الحقيقية هى العلوم المنتمية إلى الوحى ، و مستفادة من الأنبياء – عليهم السلام – من غير أن يتوقف على تجربة أو سماع . (٣٠) و هذا التقسيم تعكسه التصانيف الحديثة ، فنجد أن تصنيف العلوم العقلية متشابه بينها ، و لكن ما يجعل كل تصنيف يختلف عن الآخر هو إبراز العلوم القومية التى تتمثل فى العلوم الدينية التى يدين بها أصحاب هذا التصنيف أو العلوم التى تمثل فكر الأمة ، سواء علم أدبى أو علم لغوى ، أو علوم اجتماعية أو تاريخية ترتبط بثقافة الأمة التى يتبعها

واضعو التصنيف ، و هذا ما وجدناه في تصنيف ديوى العشرى الذى أبرز دين أمريكا و لغتها و أدبها و تاريخها ، أو تصنيف الكولون لرانجاناثان .

التقسيم السادس :

هو تقسم العلوم إلى علوم عقلية و علوم نقلية وضعية ، و العلوم العقلية هى علوم الحكمة التى يهتدى إليها الإنسان بفكره ، و العلوم النقلية هى العلوم المستندة إلى الخبر عن الوضع الشرعى و لا مجال فيها للعقل إلا فى إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول . (٣١).

التقسيم السابع :

هو تقسيم العلوم إلى علوم جزئية و علوم غير جزئية ، و العلوم التى موضوعاتها أخص من موضوع علم آخر تسمى علوماً جزئية ، كعلم الطب ، فإن موضوعه ــ و هو الإنسان ــ أخص من موضوع العلم الطبيعى . و التى موضوعاتها أعم تسمى بالعلم الأقدم ، لأن الأعم أقدم للعقل من الأخص ، فإن إدراك الأعم قبل إدراك الأخص . (٣٢)

و تتبع التصانيف العربية الإسلامية واحداً من هذه التقاسيم ، و أحياناً تتبع التصانيف التقسيم الأول لمجموعة العلوم العقلية إلى جانب أحد التقاسيم السابقة ، وهذا ما سوف تعالجه الباحثة فى الفصول القادمة .

أنواع التصانيف العربية الإسلامية

تميزت التصانيف العربيةالإسلامية بثلاثة اتجاهات فى التصنيف ، هى :

الاتجاه الأول : التصنيف الفلسفى :

تمثل هذا الاتجاه فى الخطط التصنيفية التى وضعها الفلاسفة و العلماء العرب المسلمون لعرض تصورهم للمعرفة و أقسامها ، و مثّل هذا الاتجاه الفارابى فى كتابه: '' إحصاء العلوم '' ، و ابن سينا فى رسالته : '' أقسام العلوم العقلية '' . و يمثّل هذا الاتجاه فى العصر الحديث أصحاب المدرسة العلمية الذين يرون أن تصنيف الكتب ما هو إلا تصنيف للمعرفة ، و يركز أصحاب هذه المدرسة اهتمامهم على الترتيب العلمى لأقسام الخطة التصنيفية و علاقة الموضوعات بعضها ببعض ، و قد

نادى بآراء المدرسة العلمية كل من ريتشاردسون ، و سايرز ، و بليس . (٣٣)

الاتجاه الثاني : تصنيف الكتب :

يقوم هذا الاتجاه على تقسيم المعرفة من خلال الإنتاج الفكرى الفعلى ، فيحصر الكتب المؤلفة ، و يقوم على تقسيمها من واقع ما تشمله من معرفة ، و تحديد العلاقات بين الموضوعات بناء على الإنتاج الفكرى الفعلى ، و يمثل هذا الاتجاه أحسن تمثيل تصنيف ابن النديم فى كتابه :'' الفهرست '' . و يمثل هذا الاتجاه فى العصر الحديث المدرسة العملية التى يتزعمها عالم التصنيف البريطانى '' وندهام هلم'' الذى ينادى بتصنيف الكتب اعتماداً على الإنتاج الفكرى الفعلى و ليس على تصنيف مجرد للمعرفة و هو ما عرف بنظرية السند الأدبى '' *Literary Warrant*'' ، و يمثل هذا الاتجاه حديثاً تصنيف مكتبة الكونجرس .

الاتجاه الثالث : التصنيف الببليوجرافى :

يجمع هذا الاتجاه بين الاتجاهين السابقين ، فهو يقسم المعرفة بناء على تصور فلسفى لصاحب الخطة التصنيفية مع الإشارة إلى الإنتاج الفكرى فى كل علم ، والتعريف بهذه الكتب و مؤلفيها ، و هو ما يعرف فى العصر الحديث باسم التصنيف الببليوجرافى ، و يمثل هذا الاتجاه تصنيف ابن الأكفانى فى كتابه : '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' ، و تصنيف طاشكبرى زادة : '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' . و حديثاً يتمثل هذا الاتجاه فى تصنيف ديوى العشرى الذى قسم صاحبه المعرفة على أساس تصور فلسفى مستنداً إلى الإنتاج الفكرى الفعلى ، فلا يتم تسجيل رءوس موضوعات إلا إذا كان لها إنتاج فكرى فعلى لا يقل عن عشرين كتاباً.(٣٤)

هوامش الفصل الأول

(١) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب . ــ طبعة بيروت . ــ دار صادر (د.ت) . ــ مج٩ ص ١٩٨ . و الجوهرى ، إسماعيل بن حماد . الصحاح . ــ ط٢ . ــ القاهرة ، ١٤٠٢هـ . ــ ج٤ ص ١٣٨٨ .

2- Kumar , Krishan . Theory of classification .-2nd ed . -New Delhi : Vikas publishing House , 1981.-p.

3- Latta and Mackbeeth , the elemants of logic.-London: the Engbst universities press , 1986 .- P154 .

4- Langridge , Derek .Eges of classification in Knowledge and communication .- edited by A.J.Meadews .- London : L.A, 1991 .- P5 .

5- Hirst, Paul. Knowledge and the curiculum.-London : Rootledge , 1974 .- P 6 .

6- Sayers , W.C. Berwick . op cit .- P47 .

٧ــ شعبان عبد العزيز خليفة و محمد عوض العايدى . التصنيف العشرى القياسى للمكتبات المدرسية و العامة . ــ القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩١. ــ ص ٨.

٨- عبد الوهاب أبو النور و كامل بكرى . مقدمة تحقيق كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاشكبرى زادة . ــ القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨ . ــ ج١ ، ص٦٥.

٩ــ طاشكبرى زادة . مفتاح السعادة و مصباح السيادة / تحقيق عبد الوهاب أبو النور و كامل بكرى . ــ القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨ . ــ ج١ ص ٣٢٤ .

١٠ــ التهانوى . كشاف اصطلاحات الفنون / تحقيق لطفى عبد البديع . ــ القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر ، ١٩٦٣ . ــ ج١ ص ١٦ .

١١ــ ابن سينا . البرهان / تصدير و مراجعة إبراهيم مدكور / تحقيق أبو العلا عفيفى . ــ القاهرة : وزارة التربية و التعليم ، ١٩٥٦ . ــ ص ١٦٥ .

١٢ــ حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله . كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون.ــ اسطانبول : وكالة المعارف ، ١٩٤١م . ــ

١٣ــ شعبان عبد العزيز خليفة و محمد عوض العايدى . مرجع سابق . ــ ص ٩٣ .

١٤ــ عبد الوهاب أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة . ــ ط١ . ــ القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٦٦ . ــ ص ٩٨ .

١٥ــ محمد أبو عليان الشافعي . اللؤلؤ المنظوم في مبادىء العلـــوم . ــ القـــاهرة : مطبعة الحسينية ، (د . ت) . ــ ص ٨٢ .
١٦ــ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج ١ ع ٢٣ .
١٧ــ محمد أبو عليان الشافعي . مصدر سابق . ــ ص ٨٣ .
١٨ــ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٢٣ .
١٩ــ الغزالي ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـــ) . كتـــاب فاتحـــة العلـــوم . ــ ط١ . ــ القاهرة: المطبعة الحسينية ، ١٣٢٢هـــ . ــ ص ٣٨ .
٢٠ــ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٢٤ .
٢١ــ الغزالي . مصدر سابق . ــ ص ص ٣٨ــ٣٩ .
٢٢ــ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٢٤ .
٢٣ــ محمد أبو عليان الشافعي . مصدر سابق . ــ ص ٨٢٨ .
٢٤ــ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٢٣ .
٢٥ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ع ٢٣ .
٢٦ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ع ٦٧٦ .
٢٧ــ التهانوي . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٦ .
٢٨ــ الغزالي . الرســـالة اللدنيـــة . ــ القـــاهرة : مطبعـــة كردســـتان العلميـــة ، ١٣٢٨هـــ . ــ ص ٢٠ .
٢٩ــ محمد أبو عليان الشافعي . مصدر سابق . ــ ص ٨٣ .
٣٠ــ الشرواني (ت ١٠٣٦هـ) . الفوائد الخاقانيـــة . ــ دار الكتـــب الظاهريـــة بدمشق، مخطوط رقم ٥٧١٨ . تصوير ميكروفيلمي رقم ١١٩٩ . ــ ص ٩ .
٣١ــ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٣٩ .
٣٢ــ التهانوي . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٧ .
٣٣ــ عبد الوهاب أبو النور . نظم التصنيـــف فـــي الوطـــن العربـــي . ــ ط١ . ــ القاهرة: عالم الكتب ، ١٩٦٦ . ــ ص ٤٩ .
٣٤ ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ٥١ .

الفصل الثانى
الحياة الفكرية و الثقافية
فى الحضارة العربية الإسلامية

مقدمة

يعد هذا الفصل تمهيداً لدراسة التصانيف العربية العربية الإسلامية ، و فى هـــذا الإطار تتناول الدراسة إسهامات العلماء العرب المسلمين فى فروع المعرفة المختلفة.

لم يكن للعرب فى الجاهلية إلا نصيب محدود من الثقافة و الحضارة ، فكانت معارفهم بسيطة تتناسب مع حياتهم البدوية المتنقلة فكانوا يعنون بأنسابهم عناية كبرى، و يهتمون بأيامهم و وقائعهم و حروبهم ، كما كان لديهم بعض مبادىء الطب العملــى القائم على التجربة ، و وجدت بعض الملاحظات الفلكية الممزوجة بكثير من الخرافــة و التنجيم ، و لم يكن عندهم سجلات مدونة أو مكتبات أو كتب ، و عندما أشرف نور الإسلام بمكة لم يكن في قريش من يحسن القراءة و الكتابة سوى بضع عشر نفـــراً ، وهذا يدل على تفشى الأمية بينهم ، و لم تمض سوى سنوات قليلة حتى تبـــدل حـــال العرب فأصبحوا أمة قوية موحدة ، و اهتم المسلمون الأوائل بالعلم و التعليم ، و حثوا عليه ، و راح المسلمون يسعون إلى تكوين حضارة جديدة قوية تضيف إلى الـــتراث العلمى الكثير فى مختلف فروع العلم .

إسهامات العرب المسلمين فى كافة فروع المعرفة

تنقسم العلوم الإسلامية إلى علوم نقلية متصلة بالقرآن الكريم ، أهمـــها علـــم التفسير و القراءات و الحديث و الفقه و علم الكلام و النحو و اللغة و البيان و الأدب، و أخرى عقلية أهمها الفلسفة والهندسة والنجوم والموسيقى والجغرافيا. وقـــد اشـــتغل الناس فى البداية بالعلوم الدينية ، و ظهر المتكلمون ، و تكلم الناس فى مســألة خلـــق القرآن ، و ظهر العديد من الفرق الإسلامية . و فى العصـــر العباســـى الأول ظـــهر

نوعان من العلماء : الأول يغلب على ثقافتهم النقل و الاستيعاب ، و يسمون أهل علم. والثانى يغلب على ثقافتهم الابداع و الاستنباط ، و يسمون أهل عقل .

أولاً : العلوم النقلية

١. التفسير

هو من العلوم النقلية التى اشتغل بها المسلمون لفهم معانى القرآن الكريم ، وقد دعت الحاجة إليه مع اتساع الدولة العربية ، و دخول العجم فى الإسلام . و قد فسر بعض الصحابة : على بن أبى طالب ، و عبد الله بن عباس ، و عبد الله بن مسعود ، اعتماداً على ما سمعوه من الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ أو بحسب ما وصل إليه فهمهم . و يعتبر هؤلاء الصحابة مؤسسى مدرسة التفسير فى الإسلام ، و لكن نظر بعض الاتقياء من المسلمين إلى القرآن الكريم نظرة إجلال و تقديس حتى عدوا البحث فى تفسيره ضرباً من الخرق فى الدين . و قد استمرت هذه النظرة حتى العصر الأموى . و على الرغم من ذلك فقد حاول بعض المسلمين تفسير القرآن متخذين اتجاهين ، عرف الأول باسم التفسير بالمأثور ، و هو ما أثر عن الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ و كبار الصحابة ، و الثانى باسم التفسير بالرأى ، و هو ما كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل . و لم يتخذ التفسير الطريقة المنظمة إلا فى العصر العباسى الثانى . (١) و من أشهر المفسرين بالمأثور ابن جرير الطبرى ، و ابن عطية الأندلسى ، و القرطبى . و قد امتاز ابن جرير الطبرى فى تفسيره الذى يقع فى ثلاثين مجلداً بتحرى الدقة فى النقل عن الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ و الصحابة و التابعين ، و معارضته أصحاب الرأى لأنهم كثيراً ما يتبعون هواهم . وقد شغف المعتزلة بالتفسير بالرأى ، و كذلك الباطنية، ومن أشهر مفسرى المعتزلة أبو بكر الأصم (ت٢٤٠هـ) ، و أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهانى (ت ٣٢٢هـ) .

٢. القراءات

يعتبر هذا العلم المرحلة الأولى لتفسير القرآن الكريم ، و يرجع السبب فى ظهوره إلى خاصية الخط العربى ، إذ إن الرسم الواحد للكلمة الواحدة يقرأ بأشكال مختلفة تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها . و قد وجدت على مر الزمن سبع طرق فى

القراءات تمثل كل طريقة منها مدرسة معترف بها ترجع قراءتها إلى إمام ترتبط باسمه ، و تستند إلى أحاديث موثوق بها ، و عليها يقتصر فى قراءة المصحف .
وأول من حاول نقد القراءات المختلفة و بحث وجوه النظر التي تقوم عليها ، و نقد الأسانيد التى تستند إليها هو هارون بن موسى البصرى اليهودى (ت بين سنتى ١٧٠ـ١٨٠هـ) . (٢) و يرجع أغلب الاختلافات فى القراءات إلى رجال موثوق بهم ممن عاشوا فى القرن الأول : ابن عباس و السيدة عائشة و عثمان صاحب القراءة ، و من أشهر أصحاب القراءات فى العصر العباسى الأول يحيى بن الحارث الزمارى (ت ١٤٥هـ) ، و حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) .

٣.الحديث

هو ما أثر عن النبى ــ صلى الله عليه و سلم ــ من قول أو فعل أو تقرير لشىء رآه ، و يأتى فى الأهمية بعد القرآن . و عند وفاة الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ لم يكن السواد الأعظم من المسلمين يستطيعون القراءة و الكتابة ، و قد روى بعضهم الأحاديث عن بعض فتأثرت بشىء غير قليل من التبديل و التحريف ، فشوهت معانيها و الظروف التى أحاطت بوقوعها و قولها ، حتى إذا جاء القرن الثانى الهجرى أخذ العرب يدونون الأحاديث النبوية ، و ذلك فى حدود عام (١٤٣هـ) ، وتبع ذلك ظهور طائفة من أئمة الحديث الذين اشتهر منهم الإمام مالك ، و الإمامان محمد بن إسماعيل البخارى ، و مسلم بن الحجاج القشيرى ، صاحبا الصحيحين فى الشام ، ثم ظهر بعدهما أبو داود السجستانى (٢٧٥هـ) صاحب السنن ، و ابو عيسى محمد الترمذى (٢٨٧هـ) صاحب الجامع ، والنسائى و ابن ماجه صاحبا السنن ، و كلهم ممن ألف فى السنن كتاباً نسب إليه . (٣) و تعد هذه الكتب أشهر كتب السنن ، كما تحتل مكانة سامية بين مصادر التشريع الإسلامى .

٤.الفقه

نشأ الفقه عن دراسة القرآن الكريم و الحديث ، و يرجع اختلاف أئمة الفقه فى فهم بعض النصوص الفقهية ، و استنباط الأحكام منها إلى تعدد المذاهب . و اشتهر من تلك المذاهب أربعة : مذهب الإمام مالك إمام أهل الحجاز ، و زعيم الفقهاء الذين يأخذون بطريقة أهل الحديث . و مذهب أبى حنيفة إمام أهل العراق ، و زعيم الفقهاء

الذين يأخذون بطريقة الرأى و القياس . و مذهب الإمام الشافعى الذى كان يسير على طريقة أهل الحجاز ، ثم جعل مذهبه وسطاً بين الطريقتين . و مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، و كان من كبار المحدثين . و من ثم ظهرت فى ميدان الفقه مدرستان : مدرسة أهل الحديث فى المدينة ، و على رأسها الإمام مالك . و مدرسة أهل الرأى فى العراق ، و على رأسها الإمام أبو حنيفة . (٤) و قد ظهر فى العصر العباسى الثانى بعض أعلام الفقه الذين كونوا مذاهب فى الفقه لم يقدر لها الاستقرار و الذيوع أمام المذاهب الفقهية الأربعة ، و من هؤلاء أبو سليمان داود بن على بن خلف القاشانى ، المنسوب إلى قاشان القريبة من أصبهان (ت٢٧٠هـ) . و من أصحاب المذاهب الفقهية المجتهدين أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . كما ظهرت مذاهب أخرى ثم انقرضت ، كمذهب سفيان الأوزعى (ت١٦١هـ) و مذهب إسحاق بن راهويه (ت٢٤٠هـ) . ومع مر الزمن أصبحت السيادة للمذاهب الفقهية الأربعة المعروفة ، و وقف الاجتهاد عندها .

٥-علم الكلام

هو علم يتضمن الدفاع عن العقيدة الإسلامية بالأدلة و البراهين العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين الخارجين على مذاهب أهل السنة فى الاعتقاد . و يقول دى بور '' إن ظهور الكلام فى الإسلام كان بدعة من أكبر البدع ، و قد أنكر هذا العلم أهلُ الحديث الذين كانوا يرون أن البحث فى الأحكام الفقهية ابتداع ، لأن الإيمان عندهم هو الطاعة لا كما يذهب إليه المرجئة و المعتزلة من أنه هو العلم '' . (٦) كما أن بعض أهل الحديث كانوا يعيبون على المتكلمين ردهم على أهل البدع بحجة أن فى ذلك الرد ترويجاً لعقائد هؤلاء المبتدعين ، و قد نجح المتكلمون فى استخدام أسلحة خصومهم فى الرد عليهم . و كان للمعتزلة أثر كبير فى تطور علم الكلام ، فقد تم على ايديهم القول بخلق القرآن ، و نادوا بنفى الصفات ، مخالفين فى ذلك جمهور أهل السنة . واستمر الصراع و الجدل بين أهل السنة والمعتزلة حتى ظهر أبو الحسن الأشعرى فتوسط بين الفريقين . ومن أشهر متكلمى المعتزلة : أبو الهذيل العلاف (ت ٣٢٥هـ)، و أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط ، الذى تنسب إليه طائفة الخياطية ، و قد عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، ومات

فى أوائل القرن الرابع الهجرى . و أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى المعتزلى (ت ٣٠٣هـ) . (٧) و كان أبو الهذيل العلاف متكلماً مشهوراً قوى الحجة واسع الاطلاع ، اشتغل بالفلسفة اليونانية، و أفاد منها. ويعد من أوائل المفكرين الذين فسحوا للفلسفة المجال لتؤثر فى مذاهبهم الكلامية . (٨)

٦ـ النحو

نشأ النحو العربى فى الكوفة و البصرة اللتين صارتا من أهم مراكز الثقافة فى القرن الأول الهجرى . و قد وضعت فى هاتين المدينتين العقائد و الفقه ، و نشأ مدارس النحويين و اللغويين . وكان يقيم فى الكوفة و البصرة جالية تنسب إلى قبائل عربية مختلفة ذات لهجات متعددة ، و آلاف من الصناع و الموالى الذين كانوا يتكلمون الفارسية ، و من ثم تعرضت اللغة العربية إلى شيء غير قليل من اللحن ، فدعت الضرورة إلى تقويم اللسان حتى لا يتعرض القرآن الكريم لشيء من اللحن والتحريف . (٩) و يعد ابو الأسود الدؤلى أول من اشتغل بالنحو فى عهد الأمويين ، و قيل إنه تلقى أصول هذا العلم عن على بن أبى طالب . و كان أبو الأسود أول من وضع أساس مدرسة البصرة التى تعتبر أقد م من مدرسة الكوفة و أشهر منها . و قد تأثرت هذه المدرسة بالمنطق أكثر من غيرها ، و يرجع ذلك إلى أن تأثير المذاهب الفلسفية قد ظهر فى البصرة قبل ظهوره فى غيرها ، و من أهم علمائها : الخليل بن أحمد واضع علم العروض ، و صاحب معجم العين . و سيبويه صاحب كتاب النحو المشهور '' الكتاب '' ، أو '' كتاب سيبويه '' . (١٠) و من أشهر علماء الكوفة : الكسائى ، وتلميذه الفراء ، و المفضل الضبى . (١١)

و يعتبر القرن الثالث الهجرى عصر انتقال فى اللغة ، فقد استكمل لغويو القرن الثالث ما فات الخليل فى كتاب العين ، فوضعوا المعاجم الأوسع ، و لكنها كانت على طريقة الخليل نفسها ، من حيث ترتيب حروف المعجم على المخارج الصوتية ، و الابتداء بحرف الحلق ، و أولها حرف العين ، وعلى هذا النظام وضع ابن دريد (ت٣٢١هـ) كتاب '' جمهرة اللغة '' ، و أبو على القالى البغدادى (ت٣٥٦هـ) ، صاحب كتاب '' الأمالى '' فى اللغة و الأدب كتاب '' البارع فى اللغة '' ، و هو أول من أسس علوم اللغة و آدابها فى الأندلس ، و عليه تخرجت

الطبقة الأولى من اللغويين و كبار الأدباء فى تلك البلاد . كما ألف علماء اللغة فى الصرف و الاشتقاق و أصول النحو و اللغة، فقد ألف ابن جنى (ت٣٩٢هـ) كتاب ''الخصائص'' الذى يعد من أعظم الكتب فى أصول اللغة والنحو . (١١)

٧ـ الشعر

كان الأمويون يؤثرون الشعر الجيد و الخطبة البليغة على الفلسفة ، و أجاد بعض خلفائهم نظم الشعر : يزيد بن معاوية ، و عبد الملك بن مروان . و قد نبغ من الشعراء فى العصر الأموى : جرير والأخطل والفرزدق، وغيرهم ، وفى العصر العباسى ظهر كثير من الشعراء الذين أحدثوا تغيرات فى الشعر فى شكله و فى مضمونه . و قد مهد لذلك عوامل عديدة ظهرت فى العصر العباسى ، منها : اختلاف صور الحياة و قيمها و تطورها فى العصر العباسى عنها فى العصر الجاهلى ، إلى جانب انتشار الشعوبية التى قامت على الخط من شأن العرب و نقد اشعارهم ومعانيهم، و تأثير الثقافات الأجنبية ، و خاصة الفارسية ، فى الأدب فى العصر العباسى . (١٢) واعتماد الشعراء على تشجيع الخلفاء و الأمراء و كبار رجال الدولة، فلم يكن لهم مصدر رزق سوى عطاياهم ، و لهذا كثر شعر المديح .

٨ـ الأدب

كان حظ الأدب فى صدر الإسلام من الاهتمام قليلا، لاشتغال العرب بالفتوحات الإسلامية وتنظيم دولتهم التى اتسعت أرجاؤها، و اشتغالهم بالحروب الأهلية التى استنفدت أكثر مجهودهم، وفى هذه الفترة لم يتعد الأدب دائرة الشعر تقريبا . (١٣) ثم علا شأن النثر الأدبى فى العصر الأموى ، و تطور فى العصر العباسى ، مع تنوع الكتابة لكثرة العلوم و تنوع الفنون ، و أصبح لكل فن كتاب ، فللمتكلمين كتاب و للفقه كتاب ، و للفلسفة كتاب ، و للنثر كتاب يجيدون الكتابة فى فنه، و قد اهتم الأدباء بدراسة البيئة التى تحيط بهم ، فألف القاضى محمد بن إسحاق الصميرى (ت ٣٧٥هـ) كتاب '' مساوى العوام و أخبار السفلة و الأغنام '' . ووصف الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الحياة فى المدن ، و هو يعد أبا النثر العربى ، وأعظم كتاب النثر أثرا . (١٤) كما يعد الصاحب إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، وزير فخر الدولة بن ركن الدولة البويهى فى أصبهان و الرى و همذان ، من أشهر

رجال الأدب فى عصره ، و قد صنف كثيراً من الكتب منها كتاب المحيط فى اللغة ، و كتاب الأعيان و فضائل النيروز و كتاب الإمامة و كتاب الوزراء . وقد حدد ابن خلدون أصول هذا الفن و أركانه فى أربعة ديوان ، هى : أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد و كتاب البيان والتبيين للجاحظ و كتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها و فروع عنها . (١٥)

ثانياً : العلوم العقلية

١.التاريخ

يتطلب فهم اللغة العربية دراسة أنساب العرب و أخبارهم التى تؤديها أشعارهم، وكان هذا محل عناية كبيرة من النحاة و اللغويين ، و قد اقتربت هذه العناية من نمو الكتابة التاريخية ، وهو نمو ارتبط بالسيرة النبوية وعلم الحديث ، ولذلك نشأ علم التاريخ فى الحضارة الإسلامية فى أحضان العلوم الشرعية . (١٦) و اشتغل المسلمون فى البداية بتدوين السيرة النبوية التى كانت مثبوتة فيما يروى من الأحاديث فأخذوا يستخلصونها منها ، و فى أواخر القرن الثانى الهجرى اقترن تصنيف الحديث بطريقة تقوم على تخليص الحديث من الفقه ، مما جعل أصحابها يوزعون الحديث فى مصنافاتهم على أساس رواته من الصحابة ، و هى الطريقة المعروفة باسم المساند ، إذ يسند المؤلف لكل صحابى ما روى عنه من الأحاديث ، و من أوائل من ألف المسانيد الربيع بن حبيب الإباضى البصرى (ت ١٧٠هـ)، ثم أخذ المحدثون يعرضون رواة الحديث على نقد شديد حتى يحيطوه بسياج متين من الصحة و الثقة ، مما أدى إلى نشوء علم الرجال . ومن هنا نشأ علم التاريخ الذى كانت بدايته تدور حول السيرة النبوية ثم انضمت مادة من تاريخ الرسل و من تاريخ العرب ، ثم تاريخ الأمم المجاورة للجزيرة ، و خاصة الفرس ، و يعد عبيد بن شريه اليمنى أول من تكلم فى التاريخ، وألبس القصص ثوب التاريخ ثم جاء من بعده وهب بن منبه (ت١١٠هـ) فتصدى للمغازى و هى الفتوح الإسلامية ، و وضع أساسها ، و عنه روى المؤرخون المتقدمون . و يعد عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ) اقدم من ألف فى السيرة النبوية ، و كذلك أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥هـ) ، فقد جمع له تلميذه عبد الرحمن بن المغيرة كتاباً فى سيرة الرسول . ومن أشهر من اشتغل بالمغازى ابن إسحاق

(ت١٥١هـ) وتلميذه ابن هشام (ت٢١٨هـ) صاحب سيرة النبى ـ صلى الله عليه و سلم ـ . و من المؤرخين الذين عنوا بكتابة السيرة و المغازى النبوية محمد بن عمر الواقدى قاض المأمون (ت٢٠٧هـ) . وفى القرن الثالث الهجرى تطور علم التاريخ و اتسعت مصادره و أخذ المؤرخون يوفقون بين المواد المستمدة من السيرة النبوية و غيرها من المصادر ابتغاء ادماجها فى رواية تاريخية متماسكة . (١٧) وقد ذخر التاريخ الإسلامى بمجموعة كبيرة من المؤرخين ، فكان منهم محمد بن جرير الطبرى ، صاحب كتاب '' تاريخ الأمم و الملوك ''، و أبو الحسن على المسعودى، صاحب كتاب '' مروج الذهب و معادن الجوهر '' . ومن أهم مصادر التاريخ الإسلامى الذى يؤرخ للدولة العباسية كتاب '' تاريخ بغداد أو مدينة السلام '' للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى .

٢.الجغرافيا

كان لاتساع نطاق التجارة فى العصر العباسى الأول و اتصال مدينة بغداد حاضرة العباسيين براً و بحراً بالبلدان القاصية ، ثم لتعبيد الطرق و جعلها آمنة ، أثر كبير فى تسهيل الأسفار و تمهيد السبل أمام الكاشفين والرحالة ، فقام كثير منهم برحلات مهمة و وضعوا فى وصفها الكتب والأسفار، وقد وصلت رحلات المسلمين فى عهد الرشيد إلى الهند و سيلان ، و إلى شبه جزيرة ملقا والصين . و يقال إنهم وصلوا بحراً إلى كوريا . و لم تظهر الثروة الجغرافية التى خلفها جغرافيو المسلمين ظهوراً جلياً إلا فى العصر العباسى الثانى . و يعتبر ابن خرداذبة الفارسى الأصلى ، الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى ، من أقدم جغرافى المسلمين و صاحب كتاب المسالك والممالك ، الذى يعتبر من أقدم الكتب الجغرافية التى ظهرت فى اللغة العربية ، و من أشهر جغرافى المسلمين اليعقوبى (ت٢٨٢هـ) صاحب كتاب البلدان ، و ابو إسحاق الأصطخرى الفارسى (١٨) . و فى إسهامات العرب فى الجغرافيا ربطهم هذا العلم بالفلك ، فسبقوا بذلك العلماء المحدثين ، و هم كذلك أول من وضع اصول الرسم على سطح الكرة . (١٩) و أول من أوجد بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار . (٢٠)

٣ـ علم الفلك

يعرف أيضاً بعلم الهيئة ، و لم تكن معرفة العرب بهذا العلم سوى رصد بعض الكواكب والنجوم و حركاتها و أحجامها ، بالنظر إلى الخسوف و الكسوف والمطر و الظواهر الطبيعية ، و قد سموا هذا العلم بعلم التنجيم ، و قد وصل هذا العلم إلى العرب مختلطاً بأوهام التنجيم ، و قد تقدم هذا العلم كثيراً فى العصر العباسى، و يرجع اهتمام المسلمين بهذا العلم إلى حاجتهم إليه فى معرفة أوقات الصلاة و ظهور هلال رمضان و هلال الأشهر العربية ، بالإضافة إلى شغف الناس و بخاصة الخلفاء بالتنجيم . و يعد كتاب '' مفتاح النجوم '' المنسوب إلى هرمس الحكيم أول كتاب يترجم فى علم الفلك ، كما ترجم كتاب '' السندهند '' من الهندية إلى العربية فى عهد المنصور . و قد نقل العرب كثير من مؤلفات الأمم الأخرى فى الفلك ، و لم يقفوا عند النقل بل صححوها و أضافوا إليها ، و لم يقفوا عند النظريات كما فى الفلك اليونانى ، و إنما تعدوها إلى العمليات و الرصد . و من إضافات العرب فى علم الفلك أنهم أول من أوجد بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار . كما استطاع العرب ضبط مركز أوج الشمس . (٢١) و تداخل فلكها فى أفلاك أخرى، و كان من ابحاثهم تقدير محيط الأرض ، و قالوا باستدارة الأرض ، و الأزياج الكبيرة . (٢٢) كما أنشأوا العديد من المراصد ، فقد اقتنى المأمون مرصدين على جبل قيسون فى دمشق ، و فى الشمالية ببغداد ، و أنشأ الفاطميون مرصداً على جبل المقطم عرف باسم مرصد الحاكمى . و من أشهر المراصد و أكبرها مرصد المراغة الذى أنشأه نصير الدين الطوسى (٢٣) ، و من أشهر علماء الفلك المسلمين و العرب ثابت بن قرة ، و البتانى ، و البيرونى، و الخازن، و غيرهم .

٤ـ الرياضيات

حظيت الرياضيات بكثير من اهتمام العرب ، و قد برعوا فيها و أضافوا إليها إضافات كثيرة ، فلم تكن للعرب فى جاهليتهم أية رياضيات ، و لكن بعد الإسلام والفتوح الكثيرة التى تمت لهم واختلاطهم بالدول الأخرى، ومع تقدم الحضارة اشتدت حاجتهم إلى الأعداد لضبط حساباتهم وتنظيم السياسات المالية و الشئون الاقتصادية ، و أخذوا عن الإغريق النظريات الرياضية الكثيرة ، وبخاصة الهندسة، و لكنهم اهتموا

بتطبيقها عملياً ، و فى القرنين التاسع و العاشر الميلاديين ذنزت الرياضيات على يد العرب قفزات مذهلة ، و قد سمى العرب هذا العلم باسم علوم التعليم. وبرع العرب فى جوانب متعددة من الرياضيات و كانت لهم الابتكارات العديدة فيها . (٢٤)

٥ـ الحساب

نقل العرب علم الحساب عن اليونان و الهنود ، و لكنهم اهتموا بالجانب العملى للأرقام وأدركوا أهميتها و كيفية استخدامها ، و قد عبرت الأمم السابقة عن الأرقام بحروف الهجاء ، فكان يرمز لكل رقم بحرف هجاء . و يرجع للعرب الفضل فى وضع الرموز الحديثة للأعداد ، و كونوا مجموعتين للأرقام ، عرفت إحداهما باسم الأرقام الهندية ، و الثانية باسم الأرقام الغبارية ، و قد شاعت الأولى فى المشرق العربى ، و الثانية فى المغرب العربى و الأندلس . (٢٥) و عن طريق الأندلس دخلت إلى أوروبا ، و عرفت باسم الأرقام العربية . و من إسهامات العرب فى الحساب استخدام الصفر الذى يدل على الشيء الفارغ . كما كونوا مراتب الآحاد و العشرات والمئات و الألوف ، كما عرف العرب الكسر العشرى ، و قد استطاع أحد العلماء العرب ، و هو غياث الدين الكاشى من رجال القرن الخامس عشر الميلادى أن يستخرج نسبة محيط الدائرة إلى قطرها ، و هى : ٣,٣١٤١٥٩٦٥٣٥٨٩٨٧٣٢ ، فسبق بذلك الأوروبيين . (٢٦)

٦ـ الجبر

كان اشتغال العرب بعلم الجبر من أعظم مآثرهم ، فهم الذين أعطوه هذا اللفظ، وانتقل من العربية إلى لغات العالم الأخرى . و أول من ألف فى هذا العلم هو محمد بن موسى الخوارزمى ، واضع كتاب الجبر و المقابلة . و تكمن جهود المسلمين فى فصلهم علم الجبر عن علم الحساب ، حيث جعلوه علماً مستقلاً قائماً بذاته ، و أن حلُّوا معادلات فى الدرجة الأولى و الثانية و الثالثة و الرابعة، واستعملوا الأساليب الجبرية فى حل العمليات الهندسية، والطريقة الهندسية فى حل الأعمال الجبرية. (٢٧)

٧ـ الهندسة

أخذ العرب الهندسة عن اليونان و الأمم التى سبقتهم و أضافوا إليها إضافات مهمة . و قد ترجم العرب كتاب إقليدس فى الهندسة ، و سموه الأصول ، و قد ألف

العرب كتاب على نسقه ، وأدخلوا فيها قضايا جديدة لم يعرفها القدماء ، كما كتبوا فى المساحات و الحجوم و تحليل المسائل الهندسية و استخراج المسائل الحسابية بجهتى التحليل الهندسى والتقدير العددى ، و من أشهر علماء المسلمين فى الهندسة الحسن بن الهيثم الذى سخر الهندسة بنوعيها المستوية و المجسمة لبحوث الضوء و تعيين نقطة الانعكاس فى أنحاء المرايا المختلفة . (٢٨)

٨ـ علم الحيل (الميكانيكا)

اهتم العرب بعلم الحيل (الميكانيكا) فاشتغلوا بهذا العلم و استنبطوا بعض المبادىء و القوانين الأساسية التى كان لها الأثر فى تقدمه ، و قد كتب العرب فى هذا العلم، و منهم أولاد موسى بن شاكر . و قد قسم العرب هذا العلم قسمين ، الأول يبحث فى جر الأثقال بالقوة اليسيرة ، و الثانى يبحث فى آلات هذه الصناعة . ويعد الخازن من أعظم من كتب فى هذا العلم ، و من أهم كتبه '' ميزان الحكمة '' الذى يعد من أكثر الكتب استيفاءً لبحوث الميكانيكا . و من علماء العرب أيضاً أبو سهل الكوفى ، و ابن الهيثم ، و بنو موسى بن شاكر . و لولا العرب ما كان علم حساب المثلثات على ما هو عليه ، فإليهم يرجع الفضل فى وضعه بشكل منظم مستقل عن الفلك . (٢٩) وقد استعمل العرب (الجيب) بدلاً من وتر ضعف القوس الذى كان يستعمله اليونان ، و كان لهذا أهمية فى تسهيل حل الأعمال الرياضية ، و هم أول من أدخل المماس فى عداد النسب الهندسية . كما مهد العرب لاكتشاف اللوغاريتمات ، فقد عرف ابن حمزة ببحوثه فى المتواليات العددية و الهندسية ، و لذلك كان من الذين مهدوا السبيل إلى إكتشاف اللوغاريتمات . (٣٠)

٩ـ الموسيقى

ترجم العرب كتب الموسيقى عن اليونان و الهنود و الفرس ، و استنبطوا ألحاناً جديدةلم تكن معروفة ، كما اخترعوا آلات موسيقة جديدة : العود ، الذى اخترعه مزراب فى الأندلس ، و زاد على أوتار العود الأربعة وتراً خامساً . كما اخترع الفارابى آلة القانون ، و اصطنع (الزلام) و هى آلة موسيقية مصنوعة من الخشب تعرف بالناى أو المزمار الزلامى . (٣١) وقد وضع العرب العديد من المؤلفات فى الموسيقى ، منها : كتاب الإقاعات ، و كتاب الموسيقى للفارابى ، و

كتاب الموسيقى الكبير ، و كتاب الموسيقى الصغير للسرخسي ، و مختصر في فن الإيقاع للبوزجاني .

١٠. علم الطبيعة

نقل العرب عن اليونان العديد من كتب الطبيعة ، و منها كتاب الطبيعة لأرسطو ، و كتاب الحيل الروحانية ، و كتاب رفع الأثقال لأيرن ، و كتاب هيرون الصغير في الآلات الحربية ، و غيرها . و قد درس العرب هذه المؤلفات و وقفوا على محتوياتها ، ثم أخذوها و أدخلوا عليها تغييرات بسيطة على بعضها ، و توسعوا في البعض الآخر ، فقد ألف العرب في علم مراكز الأثقال ، و هو علم يتعرف منه على كيفية استخراج ثقل الجسم المحمول . كما اخترع الخازن آلة لمعرفة الوزن النوعي لأي سائل ، كما استعمل بعض علماء العرب قانون " أرخميدس " في معرفة مقدار الذهب و الفضة ممزوجة منهما من غير حلها . كما كان للعرب بحوث في الجاذبية ، فقد توصل ثابت بن قرة إلى أن المدرة تعود إلى اسفل لأن بينها و بين كلية الأرض مشابهة في كل الأعراض ، و يعني بالأعراض البرودة و الكثافة ، و الشيء ينجذب إلى أعظم منه . (٣٢) و كان للعرب بحوث نفيسة في الروافع كلها مبنية على قواعد ميكانيكية ، و منها : اللولب و الأسفين و البيرم . كما اخترع ابن يونس الخطار بندول الساعة ، كما كان للعرب بحوث في الصوت ، و قسموا الأصوات إلى أنواع ، منها الجهير والغليظ و الخفيف و الحاد ، و عزوا ذلك إلى طبيعة الأجسام المصوتة ، و إلى قوة تموج الهواء . كما كان لهم بحوث عظيمة في البصريات ، و يعد الحسن بن الهيثم في مقدمة العلماء الذين اضافوا إلى هذا العلم الكثير ، و يعد كتابه " المناظر " من أعظم الكتب التي ظهرت في العصور الوسطى ، و فيه كتب عن أقسام العين ، و هو أول من رسمها بوضوح تام ، و بين كيف ننظر إلى الأشياء بالعينين في آن واحد . (٣٣) كما بحث العرب في قوس قزح، و قد شرح هذه الظاهرة قطب الدين الشيرازي في كتابه نهاية الإدراك . كما كان للعرب بعض التجارب الأولية في المغناطيسية و في بيان أجزاء المغناطيس ، و يعد العرب أول من استعمل بيت (٣٤) الإبرة المغناطيسية في القرن الحادي عشر الميلادي في الأسفار البحرية و البرية .

١١.الكيمياء

يعد خالد بن يزيد بن معاوية أول من اشتغل بعلم الكيمياء ، و قد تعلمه من راهب رومي اسمه مريانوس ، استقدمه من الإسكندرية . (٣٥) وهذا يعد أول عهد للعرب للعلوم العقلية أو الدنيوية، وفي البداية اهتم العرب بتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب ، و لكنهم لم يتوصلوا إلى الأمر و أنكروه بعد ذلك. ولكنهم توصلوا إلى حقائق مهمة فى هذا العلم و منها التأكيد على دور التجربة، وأهمية استخدام المنهج التجريبى فى الكيمياء الذى مارسوه بالفعل ، و قد اكتشفوا مركبات عديدة ، منها القلويات و النشادر و نترات الفضة و حامض الطرطير ، و عرفوا عمليات التقطير والترشيح والتبلور و التكليس . (٣٦) و يعد جابر بن حيان أول من كشف عن الصودا الكاوية ، و أول من استحضر ماء الذهب ، و أول من أدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بواسطة حامض ، و هى الطريقة المتبعة حتى الآن . كما أن له أبحاثاً فى التكليس و تحسين أساليب التبخير و التقطير . وقد استطاع العرب تحضير حامض الكبريتيك و الماء الملكى (النيتروهيدروكلوريد) . كما كشف العرب عن الحامض الأزوتى . كما تفنن العرب فى صناعة الزجاج و تحسين صناعة الورق التى انتقلت عن طريقهم إلى أوروبا . (٣٧)

١٢.الطب

كان الطب قديماً ينظر إلى الأمراض على أنها أرواح شريرة قد حلت فى الأبدان و لا أمل فى الشفاء إلا بالسحر، ولذلك ارتبطت مهنة الطب بالسحر ، و ظل الأطباء فى أوروبا يمارسون السحر فى علاج مرضاهم ، و كان الطب عند اليونان مصبوغاً بالصبغة الفلسفية النظرية . ومع بداية العصر الإسلامى العربى استقدم الخلفاء الأطباء من كل مكان و نقلوا معظم كتب تالطب فى مختلف الألسنةبكل ما فيها من نظريات فلسفية و سحر و تجارب مفككة ، و استوعبوا كل ذلك و زادوا عليه بإضافات مبتكرة قائمة على المشاهدة و الملاحظة و التجربة . و من إسهامات العرب فى الطب أنهم أول من استخدم البنج فى العمليات الجراحية ، و قد برعوا فى إجرائها مستخدمين الأدوات و الآلات المختلفة ، و استعملوا أمعاء القطط و الحيوانات فى

خياطة الجروح ، و أضافوا إلى العقاقير عصائر الليمون و البرتقال و القرنفل لتخفيف حدة طعمها . وقد أنشأ العرب المستشفيات ، فكان منها الخاص بمرض معين ، مثل مستشفيات علاج المجزومين و المجانين و العميان ، و منها ما كان عاما لجميع الأمراض . كما كان منها الثابت فى مكانه الذى أقيم فيه ، و منها ما كان متنقلا من مكان إلى آخر لخدمة المرضى فى الأماكن البعيدة أو المناطق الريفية ، أو متنقلا حسب ظروف انتشار الأمراض أو الأوبئة . (٣٨) كما دعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية في موسم الحج ، حين يجتمع أطباء العالم الإسلامي و كل منهم يعرض نتائج أبحاثه ، و نباتات بلاده ، و يصفون خواصه الطبية . ومن أشهر علماء المسلمين فى الطب '' ابن سينا '' صاحب كتاب '' القانون فى الطب '' الذى ترجم إلى اللاتينية ، و صاحب الابتكارات فى الطب النسوى ، و الوصف الدقيق للبواسير البولية ، و حمى النفاس ، والعقم . كما وصف التهاب السحايا الأولى و الثانوى ، كما فرق بين الالتهاب الرئوى و الالتهاب البلورى ، كما وصف مرض الفيل و الحمرة الخبيثة . ومن أشهر أطباء الأندلس '' الزهراوى ''(ت١٠١٣م) الذى وضع موسوعة طبية عظيمة أسماها كتاب '' التصريف لمن عجز عن التأليف '' ، و قد وضع فى هذا الكتاب قسما خاصا عن الجراحة ، شرح فيه العمليات و الأدوات التى كان يستعملها فى عملياته ، و هو أول من ربط الشرايين . (٣٩) و قد رفع الزهراوى من شأن الجراحة وجعلها فرعا من فروع الطب .

١٣ـ الصيدلة

يعد العرب المؤسسين الحقيقيين لمهنة الصيدلة التى رفعوها عن مستوى تجارة العقاقير ، و قد أخضع العرب صناعة الصيدلة لرقابة الدولة لمنع الغش ، فلم تكن تمارس إلا بترخيص . كما فتح العرب الصيدليات العامة فى أواخر القرن الثامن الميلادى ، كما ألحقوا بكل بيمارستان صيدلة خاصة به . ويرجع السبب فى تقدم العرب فى علم الصيدلة أنها كانت نابعة من علم الكيمياء الذى نضج على أيديهم.(٤٠) و من أشهر علماء الصيدلة ابن البيطار صاحب كتاب '' الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية '' .

١٤. علم الحيوان

درس العلماء العرب المسلمون الحيوان ، و وصفوا الكثير من الحيوانات و الطيور ، و الحيوانات المائية و البرية ، و الحشرات ، و قاموا بتشريحها و وصفوا سلوكها . (٤١) و من أهم من كتب عن الحيوان الجاحظ فى كتابه '' الحيوان '' ، و الدينورى فى كتابه '' حياة الحيوان الكبرى '' .

١٥. علم النبات

أضاف العرب الكثير إلى علم النبات ، فقد اكتشفوا مواد نباتية كثيرة كان يجهلها اليونان ، كما زودوا علم الصيدلة بالكثير من النباتات النافعة التى تستخدم فى العلاج . ومن أشهر مؤلفاتهم فى علم النبات كتاب '' حراشة الأرض '' لأبى زكريا الأشبيلى ، و كتاب فى النبات لابن البيطار أوضح فيه ملاحظاته فى دراسة النباتات والأعشاب ، و وصف فيه أكثر من ١٤٠٠ عقار بين نباتي حيواني و معدنى . كما بين فوائدها الطبية و كيفية استعمالها كأدوية و أغذية . كما درسوا أمراض النبات وطرق علاجها مما دفع بعلم النبات و الزراعة خطوات إلى الأمام و النمو و الازدهار.

١٦. الفلسفة

تأثر المسلمون بالفلسفة اليونانية بعد أن ترجمت كتبهم إلى العربية فى عهد الرشيد و المأمون ، و اشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التى ترجمت إلى العربية و عملوا على تفسيرها و التعليق عليها و تصليح أغلاطها . ومنهم يعقوب بن إسحاق الكندى ، و الفارابى الذى يعد من أكبر فلاسفة المسلمين ، و ترجع شهرته إلى شروحه الكثيرة لفلسفة أرسطو فلقّب بالمعلم الثانى ، كما أن له رسائل كثيرة فى علم النفس و الإلهيات ، و من أشهر فلاسفة العصر العباسى الثانى ابن سينا الذى تأثر بأرسطو فى الإلهيات و المنطق ، و قد ألف فى موضوعات متعددة مقتفياً أثر الفارابى.

هوامش الفصل الثاني

١ــ شوقي ضيف . العصر العباسي الثاني . ــ القاهرة . ــ دار المعارف . ــ ط٢ ، ١٩٦٦. ــ ص ١٦٢

٢ــ حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي .- ط٧.- القاهرة .- مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤ .- ج٢ ص ٣١٩ .

٣ــ نفس المرجع السابق . ــ ج٣ ص ٣٤٩ .

٤ــ نفس المرجع السابق . ــ ج١ ص ٣٢٥ .

٥ــ ابن خلكان . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٢٧٥ .

٦ــ دي بور ، ت . ح . تاريخ الفلسفة في الإسلام / ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة . ــ طبعة منقحة و مهذبة . ــ القاهرة . ــ لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ١٩٥٤. ــ ص ٥٦ .

٧ــ ابن خلكان ؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تحقيق احسان عباس .- بيروت : دار صادر، ١٩٧٢. ــ ج٣ ص ٣٤٨

٨ــ دي بور ، ت . ح . مرجع سابق . ــ ص ١١٩ .

٩ــ شوقي ضيف . العصر العباسي الأول ط٧ . ــ القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٨.- ص ١١٩ .

١٠ــ دي بور ، ت . ح . مرجع سابق . ــ ص ٣٩ .

١١ــ حسن إبراهيم . مرجع سابق . ــ ج٣ ص ٢٥٣ .

١٢ــ شوقي ضيف . العصر العباسي الأول . ــ ص ١٤٨ــ١٤٩ .

١٣ــ شوقي ضيف . العصر العباسي الثاني . ــ ص ٤٤٣ .

١٤ــ ابن خلدون . مصدر سابق . ــ ص ٥٠٩ .

١٥ــ ابن خلدون . مصدر سابق . ــ ص ٥٠٨ــ٥٠٩ .

١٦ــ شوقي ضيف . العصر العباسي الأول . ــ ص ١٢٥ .

١٧ــ حسن إبراهيم . مرجع سابق . ــ ج٢ ص ٣٤٥ .

١٨ــ أحمد أمين . ضحى الإسلام .- بيروت : دار الكتاب العربــــى، ١٩٦٤.- ج٢ ص ٣٥٧ .

١٩ــ قدرى حافظ طوقان . العلوم عند العرب . ــ القاهرة . ــ مكتبة مصـــر ، د . ت . ــ ص ٧٣ .

٢٠ــ خط نصف النهار ، خط وهمى على سطح الأرض حين تكون الشمس عموديـــة عليه وقت الزوال .

٢١ــ أوج : أقصى حد فى البعد بين الأرض و الشمس .

٢٢ــ الأزياج ، مفردها زيج ، و هو عند العرب صناعة حسابية على قوانين عدديـــة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ، و ما أدى إليه برهان الهيئة فى وضعــه من سرعة و بطء و استقامة ورجوع ، و يعرف به مواضع الكواكب فى أفلاكها ، وفائدة الإنزياح فى معرفة الشهور و الأيام والتواريخ الماضية .

٢٣ــ محمد عبد الرحمن مرحبا . موجز فى تاريخ العلوم عند العرب.- تقديم جميـــل طليبا.- بيروت : دار الكتاب اللبنانى، ١٩٧٨ . ــ ص ١٣٦ .

٢٤ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ١٢١ .

٢٥ــ قدرى حافظ طوقان . العلوم عند العرب.- القاهرة: مكتبة مصـــر.- د. ت . ــ ص ٦١ .

٢٦ــ عبد الحليم منتصر . تاريخ العلم و دور العلماء العرب فى تقدمه . ــ القاهرة . ــ دار المعارف ، ١٩٦٦م . ــ ص ٩٦ .

٢٧ــ محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . ــ ص ١٣٠ .

٢٨ــ دى بور ، ت .ج . مرجع سابق . ــ ص ١١١ .

٢٩ــ قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ١٣١، ٦٤ .

٣٠ــ عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . ــ ص ٩٧ .

٣١ــ قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ٤٤ .

٣٢ــ محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . ــ ص ١١٥ .

٣٣ــ قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ٤١ .

٣٤ــ عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . ــ ص ١٥٢ .

٣٥ــ تعد الإسكندرية فى العالم القديم المركز الذى نشأ فيه علم الكيمياء ، ففيها تكونت نواة علم الكيمياء ، و توسع الكهنة فى هذا العلم ، و زعموا أنهم حولوا المعـــادن إلى ذهب و فضة : قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ٥٥ .

٣٦ــ قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ٣٣ .

٣٧ــ عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . ــ ص ١٢٥،١٤٧ .

٣٨ــ قدرى حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ١٩، ٢٠ .

٣٩ــ عبد الحبيم منتصر . مرجع سابق . ــ ص ١٢٣ .

٤٠ــ محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . ــ ص ١٠٤ .

٤١ــ عبد الحليم منتصر . مرجع سابق . ــ ص ١٥٣ .

٤٢ــ دى بور ، ت .ج . مرجع سابق . ــ ص ١٨ .

الفصل الثالث
التصانيف العربية الإسلامية
فى العصر العباسى الأول
(١٣٢-٢٣٢هـ)

مقدمة

يمتد العصر العباسى الأول من عام ١٣٢هـ ، و هى السنة التى تولى فيها أبو العباس السفاح الخلافة ، إل عام ٢٣٢هـ ، و هى السنة التى تولى فيها المتوكل الخلافة ، و يعد هذا التاريخ بداية العصر العباسى الثانى . و قد تميز هذا العصر بقوة الدولة العباسية و بسياستها الممزوجة بالدين و الملك ، كما تميز هذا العصر بانحياز الخلفاء إلى العنصر الفارسى الذى قامت على أكتافه الدولة العباسية ، و كان لاختلاط العرب بهم ــ و هم أصحاب حضارة ــ أثر كبير فى أسلوب الحياة و تنظيمها ، فقد أخذ العرب عنهم كثيراً من مظاهر الحضارة من اللباس و الشراب و الطعام ، و كثيراً من وسائل تنظيم الحياة السياسية . كما كان للعنصر الفارسى و غيره من العناصر الأجنبية أثر كبير فى الحياة العملية ، فقد عملوا على نقل علومهم و آدابهم إلى اللغة العربية ، و ذلك بتشجيع من الحكام الذين كانوا يقدرون العلم و العلماء ، مما كان له أثره البالغ فى تشجيع الحركة العلمية و ازدهار حركة الترجمة والتأليف، وإنشاء المكتبات، وازدهار حركة الوراقة ، و نتيجة كل هذه الحركات بما أفرزته من إنتاج علمى فى مختلف المجالات ظهرت الحاجة إلى وضع تقسيم للمعرفة .

وقد ظهر فى هذا العصر مصنفان يعدان من أوائل ، أو أهم ، المصنفين العرب المسلمين ، حيث وضعا البذور الأولى فى تقسيم المعرفة التى سارت عليها التصانيف اللاحقة لهما ، و هما : جابر بن حيان الذى وضع تصنيفين مختلفين ، هما: '' السباعية '' ، و '' الحدود '' . و الكندى الذى وضع رسالة فى : '' كمية كتب أرسطوطاليس '' .

و يتناول هذا الفصل دراسة تلك التصانيف من عدة اتجاهات : نوع التصنيف، و الهدف من وضع التصنيف ، و إعداد خريطة تصنيفية للعمل التصنيفي ، و توضيح المنطق الكامن وراء ترتيب العلوم فى التصنيف ، و القواعد التصنيفية و المفاهيم التى استخدمت فى التصنيف ، و أهم الملاحظات على التصنيف ، مع توضيح المميزات و العيوب ، و تأثير البيئة الثقافية و الفكرية على التصنيف ، و الاتجاه الفلسفى لصاحب التصنيف ، و تاثره بمن سبقه ، و تأثيره فيمن لحقه ، و تأثير الفكر التصنيفى الأرسطى فى تصنيفه ، نظراً لما يتردد من أن التصانيف العربية الإسلامية ما هى إلا نقل حرفى عن تصنيف أرسطو ، و مستوى المعالجة فى التصنيف ، و مدى التماسك و الاتساق فى العمل التصنيفى .

أولاً : تصنيف جابر بن حيان (ت ٢٠٠ هـ ـ ٨١٤ م)

يعد جابر بن حيان (١) واضع اقدم تصنيف للعلوم فى الحضارة العربية الإسلامية ، إلا أن هذا التصنيف قد ضاع ضمن ما ضاع من تراث العرب نتيجة الحروب و الفتن و النكبات التى منيت بها الأمة الإسلامية ، و لا يعرف من تصانيفه إلا السباعية ، و الحدود . و لم تشر المصادر إلى تاريخ إعدادهما ، و هنا يطرح سؤال : أيهما وضع أولاً ، السباعية أم الحدود ؟ . و من استقراء التصنيفين نرجح أن جابر بن حيان قد وضع السباعية أولاً ، حيث يعرض فى السباعية العلوم التى تمثل الفكر العقلى لعصره الذى جاء نتيجة حركة الترجمة الواسعة التى سبقت حركة التأليف ، ثم وضع تصنيفه الثانى بعد أن تبلورت حركة التأليف التى كانت بدايتها فى العلوم الدينية ، و هنا برز اتجاهان فى الحركة العلمية ، أحدهما يتجه نحو الأمور الدينية ، و الثانى نحو الأمور العقلية ، و هذا ما دفع جابر ابن حيان إلى أن يضع تقسيماً جديداً يبرز فيه الفكر الدينى الذى أخذ مكاناً واضحاً فى المجال المعرفى . و ما يؤكد تأخر تصنيف الحدود عن تصنيف السباعية أن الحدود قد هدف إلى وضع حد (تعريف مانع جامع) لكل علم ، و لذلك يشار فى بدايته إلى وجود كتب فى موضوعات متعددة ، و أن الحدود تجميع لحدود كل هذه العلوم بأقسامها و فروعها .

التصنيف الأول : '' السباعية ''

عرض جابر بن حيان تصنيف السباعية فى كتاب '' إخراج ما فى القوة إلـــى الفعل '' ، و قد نشر هذا الكتاب ضمن مختار رسائل جابر بن حيان التى نشـــرها '' بول كراوس '' ، و يشمل هذا التصنيف الصفحات من ٤٧ إلـــى ٩٥ مـــن الكتـــاب المختار . (٢) و يتميز هذا التصنيف بجمعه بين الصفة الفلسفية و الصفـــة العلميـــة للتصنيف ، فالأولى تعنى تأثير الفكر الفلسفى لابن حيان فى تصوره لتقســـيم العلـــوم وترتيبها . و يقصد بالصفة العلمية أن تقسيمه لكل علم جاء وفقاً للخطوات المتبعة فـــى العلم للوصول إلى الهدف المرجو منه ، و لم يقسم العلم إلى علوم جزئية تندرج تحـت كل علم ، و هذا ما يتضح للقارىء من خلال التعليق على التصنيف .

الهدف من وضع السباعية

يهدف جابر بن حيان من وضع السباعية إلى تقسيم العلوم الســـبعة و ترتيبـــها و التعريف بها ، و هى التى أشار إليها فى كتابه : '' إخراج ما فى القوة إلى الفعل '' ، و من ثم جاءت السباعية عملاً تصنيفياً يعكس وجهة نظر جابر فى تقسيم المعرفـــة و ترتيبها .

خطة التصنيف فى السباعية : (٣)

الطب

- نظر
  - أول فى العقل '' المداخل ''
  - ثان فى الجسم '' مكونات الجسم ''
- عمل
  - النفس
  - الجسم
  - التشريح
  - العلل و الأمراض
  - القول فى العلاج

علم الصنعة '' الكيمياء ''

القول فى الكيفية

القول فى المزاج

القول فى الطرح

علم الخواص

علم الطلسمات

القول فى الطلسمات و عملها

القول فى الصورة

استخدام العلويات

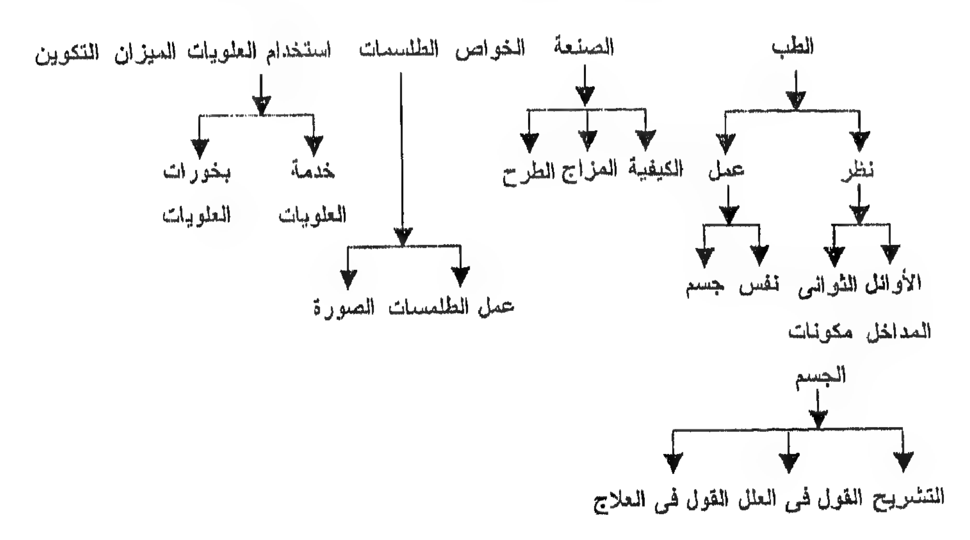
القول فى خدمة العلويات

القول فى بخورات الكواكب

علم الميزان '' علم الطبيعة ''

علم التكوين '' علم الصورة '' .

مخطط هيكلى لتصنيف جابر بن حيان (السباعية)



منطق تصنيف العلوم لدى جابر بن حيان فى السباعية :

يتناول جابر بن حيان فى تصنيفة السباعية سبعة علوم ذات أهمية خاصة لـه من جهة ، و بنفس الأهمية لعصره من جهة أخرى ، و من ثم كان الطب على رأس العلوم الأخرى باعتباره أهم العلوم الطبيعية و أشرفها ، لأن موضوعه جسم الإنسان ، كما ترجع أهمية هذا العلم فى عصر جابر إلى اهتمام الحكام به للمحافظة على الصحة التى بدأ يعتريها العلل نتيجة تغير طبيعة حياة العرب ، فمن الملاحظ أن عصر جـابر يعد من أزهى عصور الترجمة ، و تعد الكتب الطبية من أوائل أنواع الكتـب التـى حظيت بعناية الحكام و اهتمامهم ، و لذلك نلاحظ بروز علم الطب فـى قمـة العلـم الطبيعى فى تصنيف جابر بن حيان ، و فى التصانيف اللاحقة عليه ، و يلـى علـم الطب علم الصنعة '' علم الكيمياء '' ، الذى يعد أهم العلوم عند جابر بن حيـان ، و من ثم قدمه على بقية العلوم الأخرى ، و يليه علم الخواص ، و قد قدمه علـى بقيـة العلوم الأخرى لأنه يعد مدخلاً لها ، فهو العلم الـذى يرصـد صفـات الطبيعـة و خصائصها ، مثل الجاذبية فى حجر المغناطيس ، أو الخصائص الخاصـة بـالنجوم والكواكب ، و يلاحظ ارتباط العلوم اللاحقة بهذا العلم ، و تبـدأ بعلـم الطلسـمات ، واستخدام العلويات ، ويقدمهما على ما يليهما من العلوم لبحثهما فى الأجرام السماوية ، و يقدم علم الطلسمات على علم استخدام العلويات ، باعتباره العلم الجزئى من العلـم الكلى ، و هنا نراه يطبق قاعدة من قواعد ترتيب العلوم عند العرب ، و هـى تقديـم الجزء على الكل . (٤) كما يرجع تقديم هذين العلمين على علم الميزان الذى يليـهما لسببين ، الأول : أنهما يعدان من علوم التنجيم ، و هو العلم الذى شغل الحكام ، و نال قسطاً كبيراً من اهتمامهم ، حتى إنه يقال إن الخليفة المنصور ما كان يقدم على عمـل إلا بعد استشارة المنجمين ، فتقديم ابن حيان لهما يرجع لأهميتهما بالنسبة لعصـره ، و لذلك نجده يصنف علم الطلسمات بأنه العلم العظيم الباطل فى زماننا . (٥) فعظمتـه بالنسبة لجابر و هو من المشتغلين بهذا العلم و لحكام عصره ، و بطلانه مـن جهـة الشرع ، حيث ينكره الإسلام و يحرم العمل به ، لخوضه فى معرفة المستقبل و الغيب . و الثانى : أن هذين العلمين قائمان على فن المشاهدة و الملاحظة بينما علم المـيزان و هو علم الطبيعة قائم على فن التجربة التى تلى مرحلتى المشاهدة و الملاحظـة ، و

يأتي علم التكوين في نهاية العلوم السبعة و هو علم الخلق ، و يعني الصورة و الهيئة التي تتخذها الأشياء ، ولتكتمل هذه الصورة لابد من علوم تمهد لها ، و هي العلوم التي سبق الحديث عنها : علم الطب ، وعلم الصنعة، والطلسمات، واستخدام العلويات، وعلم الميزان. ثم يتناول تقسيم كل علم من العلوم السبعة إلى أجزاء تمثل مكونات العلم و طريقة ممارسته للوصول إلى الهدف المرجو من العلم، وهو بذلك يختلف عن غيره من التصانيف التي تقسم العلم إلى علوم أخص تندرج تحته ، فنجده يقسم علم الطب إلى أصول و فروع ، و الأصول هي المداخل و المبادىء اللازمة لممارسة مهنة الطب ، ثم الفروع ، و هي العلوم الجزئية التي تندرج تحت علم الطب. و تنقسم أصول علم الطب إلى نظر وعمل ، و يعني بالنظر عملية تشخيص المرض ، التي تتم عن طريق النظر في معرفة الأمور الطبيعية، و النظر في أسباب المرض ، و النظر في دلائل أعراض المرض (٦) ، فتشخيص المرض يتم من خلال التعرف على أعراضه ، و من التعرف على أعراض المرض و أسبابه يمكن الاهتداء إلى الدواء بعد الاستدلال على المرض ذاته . و يعني بالعمل الأمراض الناتجة عن العمل العوامل المؤثرة في إحداث المرض ، مثل عامل البيئة و طبيعة عمل الشخص ، والعامل النفسي ، و الأخير هو ما أبرزه جابر ابن حيان في تقسيم العمل إلى النفس والجسم ، و يعني بالنفس تأثير العوامل النفسانية في إحداث الأمراض الجسمانية ، وهو ما يعرف حديثاً بـ " الأمراض السيكوسوماتية *Psychosomatic diseasis*" ، أي الأمراض التي تنتج عن العوامل النفسانية ، و تترك أثرها على الجسم . و يعني بالجسم ما يظهر على الجسم من أعراض المرض ، سواء كانت من داخله أو كانت أعراضاً خارجية تعين على تشخيص المرض للوصول إلى الدواء، ثم يأتي ذكر فروع علم الطب ، و هي علم التشريح ، و أنواع العلل أو الأمراض .

و يقسم علم الصنعة (علم الكيمياء) إلى ثلاثة أقسام تمثل مكونات هذا العلم ، ويبدؤها بالتعريف بالمواد المستخدمة في صناعة الكيمياء ، و يطلقون عليها " الآلات" من الكبريت و الزئبق و النشادر و النحاس و الفضة ، ثم القول في الكيفية، و يطلق عليها تدبير الصنعة ، أي التجارب الكيميائية و عملياتها ، مثل : التصعيد ، و التقطير ، ثم القول في المزاج ، و يعني بها تسجيل المشاهدات

والملاحظات فى أثناء إجراء التجربة ، و يأتى الطرح بعد التدبير ، أى الوصول إلى نتائج التجربة .

و يقسم علم الطلسمات حسب سير العمل فيها أيضا إلى قسمين ، الأول القول فى الطلسمات و عملها ، و يعنى بهذا الجزء طريقة استخدام البروج ، مثل الحمل ، و الأسد ، و القوس ، و كيفية استدعائها لفعل شىء معين تظهر نتيجته فى شكل هيئة مرسومة على الطلسم ، و هو الجزء الثانى من علم الطلسمات (القول فى الصورة). و يبدأ القول فى استخدام العلويات بتعريف العلويات المستخدمة فى عمل السحر ، وهى ثمانية و ستون كوكبا ، ثم يقسم هذا العلم إلى قسمين ، الأول : فى كيفية القيام بعمل السحر الذى يكون عن طريق الرصد ، و هو النظر فى نزول الكواكب المراد بفعل السحر عن طريقه إلى درجة معينة . و البخور لأن لكل كوكب بخورا خاصة به لفعل أمر ما . و الثانى فى بخورات الكواكب حيث يشرح المواد المستخدمة فى عمل البخور اللازمة لكل كوكب ، فمثلا بخور زحل : الكافور ، و الكركم ، و حب البلسان ، و المسك ، و هكذا يحدد لكل كوكب المواد المستخدمة لعمل البخور الخاص به .

مفاهيم التصنيف و قواعده فى السباعية :

نجد فى تصنيف جابر عددا من العلاقات بين العلوم ، و منها :

- علاقة الاشتمال أو التبعية ، و خير مثال لها : تقسيم علم الطب الذى يعد علما عاما إلى عدد من العلوم تندرج تحته ، مثل : علم التشريح ، و العلل أو الأمراض.
- علاقة تجاور و ترابط ، مثل ذكر علم الطلسمات ، و استخدام العلويات ، متجاوين لانتمائهما إلى مجال معرفى واحد ، و هو علم التنجيم .

أثر الموقف الفلسفى لجابر بن حيان فى تقسيمه العلوم :

تميزت الفترة التى عاش فيها جابر بن حيان بظهور الفرق الإسلامية المتعددة التى تنتمى إلى اتجاهات فلسفية : أهل السنة و المعتزلة و الشيعة و غيرها ، و كان لها من الآراء و الاتجاهات و العلوم التى تحاول بثها بشكل بعيد عن أعين السلطة ، ولذلك استخدموا الألفاظ الغامضة و العبارات غير الواضحة ، و هذا ما انعكس على

طريقة ابن حيان فى تقسيمه العلوم ، حيث استخدم ألفاظا مبهمة لا تعبر بوضوح عن الموضوع الذى يقصده ، و من ثم جاء تصنيفه فى عمومه غير واضح أو سهل الفهم، و يعود ذلك إلى انتماء ابن حيان إلى فرقة الشيعة الباطنية التى كانت تحاول بث أفكارها بأساليب غير واضحة . (٧) و الأساس الفلسفي الذى بنى عليه تصنيف جابر بن حيان فى السباعية هو الأساس الأنطولوجي ؛ أى دراسة الوجود ، حيث قدم ابن حيان تصنيفا للعلوم متوازيا مع تصوره للكون ، ويعنى ذلك أنه إذا كانت الموجودات كلها فى الكون قد صدرت عن أصل واحد فكذلك العلوم كلها قد صدرت عن أساس واحد و أصل واحد ، وهو الوجود . و من ثم نجده يربط بين جزئيات العلوم والعناصر الطبيعية ، وهى الماء و الهواء و الأرض و النار ، كما نجده يربط المعادن بالكواكب السبعة ، فالرصاص يطبع زحل ، و الذهب يطبع الشمس ، و الحديد يطبع المريخ ، و هكذا . (٨)

تقييم محاولة جابر بن حيان التصنيفية فى السباعية :

يلاحظ على تصنيف السباعية ما يلى :

- اتباعه التقسيم السباعى للعلوم فى تصنيفه الذى يماثل به تقسيم الكواكب إلى سبعة.
- اقتصاره على مجموعة العلوم التى تمثل فروع العلم الطبيعى فى التصانيف العربية الإسلامية الأخرى .
- يربط جابر تصنيف العلوم بالطبيعة من حوله ، و لذلك نجده يوازى بين أعضاء الإنسان و الوجود و الطبيعة ، فالدماغ يوازى الماء ، و هو من العناصر الأربعة (٩) ، و الشتاء من الأزمنة . و قد ذكر أن السباعية عنده هى العلوم ذات الصبغة الطبيعية التى تعد انعكاسا لمذهبه ، و هو المذهب الصوفى ، مذهب أصحاب العلوم السرية الباطنية الذين يرون أن تقسيم العلوم يقف بشكل مواز لتصورهم الكون و الطبيعة . (١٠)

مميزات تصنيف السباعية وعيوبه

يتميز تصنيف ابن حيان بعدة مميزات ، منها :

- يعد من المحاولات الرائدة التى وضعت أسسا لترتيب العلوم ، اتبعتها التصانيف اللاحقة عليها ، سواء كان ذلك فى عملية الترتيب التى قامت على أساس تقديم

العلم المهم ، فقدم علم الطب على سائر العلوم الأخرى ، و هو ما سارت عليه التصانيف اللاحقة ، بل نجد في التصانيف الحديثة ، مثل تصنيف ديوى ، تقديم علم الطب على سائر العلوم التطبيقية الأخرى ، أو فى تقديم الجزء على الكل ، مثل تقديم علم الطلسمات على استخدام العلويات ، و هو من مبادىء ترتيب العلوم التى أشار إليها حاجى خليفة . (١١)

- اتبع التقسيم العلمي للعلوم ، و هذا ما لم نجده عند غيره من المصنفين اللاحقين عليه ، بل إن ما وضعه من تقسيم بعض العلوم سارت عليه التصانيف اللاحقة عليه ، مثل علم الكيمياء الذى أخذه عنه الخوارزمى فى التقسيم الخاص به .

ومن عيوب تصنيف السباعية لجابر بن حيان :

- تعظيمه لعلوم التنجيم و السحر ، مثل : علم الطلسمات و استخدام العلويات ، و قد يرجع هذا إلى شغف حكام عصره بهذه العلوم .
- ذكره موضوعات لم يتحدث عنها أو يعرف بها ، مثل تقسيمه لعلم الطب إلى علم التشريح ، و القول فى العلل ، و القول فى العلاج . و قد شرح العلم الأول والثانى، و لكنه لم يشر بالتعريف و الشرح إلى العلم الثالث و هو القول فى العلاج .

أثر الحياة الفكرية فى تصنيف السباعية :

تعد السباعية انعكاسا للعلوم التى شاعت و سادت فى عصر جابر بن حيان الذى عاش خلال النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى ، و قد كان معاصرا لأواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية ، و عاش أزهى ايام حياته فى ولاية هارون الرشيد ، و تميزت هذه الفترة بانتعاش حركة الترجمة التى ركزت على علوم معينة مثل الطب و علم الصنعة و التنجيم ، و من ثم انحصرت العلوم التى عرضها جابر بن حيان فى تصنيفه على هذه العلوم التى كان يراها علوم العالم بأسره .

تصنيف السباعية بين التاثير و التاثر

لم تصل إلينا تصانيف سابقة على تصنيف السباعية، و من ثم يعد هذا التصنيف من المحاولات الرائدة فى علم التصنيف عند العرب. و قد تأثر بتصنيف السباعية العديد من المصنفين اللاحقين، ومنهم الخوارزمى فى كتابه " مفاتيح العلوم " ، حيث

أخذ عنه تقسيمه لعلم الكيمياء إلى : الآلات ، و العقاقير المستخدمة ، و التجارب الكيميائية أو العمليات الكيميائية ، كما نقل عنه شرحه لعلم الطب . كما استخدم طاشكبرى زادة التقسيم السباعى الذى نجده عند ابن حيان فى السباعية .

هل تأثر جابر بن حيان فى تصنيفه السباعية بتصنيف أرسطو ؟

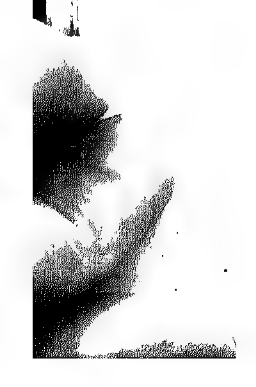
يعد تصنيف جابر بن حيان تصنيفا عربيا اصيلا ، يختلف اختلافا جوهريا عن تصنيف أرسطو ، من حيث تقسيمه العلوم إلى سبعة ، و ذكره علوما لم يذكرها أرسطو ، مثل : علم الطب ، و علم الكيمياء . و بالرغم من ذلك فإننا نجد تصنيفه فى السباعية قد جاء وفق الفكرة الأرسطية (إخراج ما فى القوة إلى الفعل) ، و هذا ما انعكس على علومه ، فعلم الكيمياء يقوم على فكرة تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، و هذه الفكرة مصدرها الأساسى هو أرسطو . (١٢) و هى تعنى أن المعدن المراد تحويله ذهبا يحوى ذهبا بالقوة ، و يحتاج فى جعله ذهبا بالفعل إلى تدابير معينة؛ أى إجراء تجارب وأفعال معينة ليصبح بالفعل ذهبا . كذلك كان إيمانه بنظرية الأخلاط (١٣) ، و العناصر الطبيعية ، التى جعلها أساس المعالجة فى علم الطب . والأخلاط هى البلغم و الدم و الصفراء و السوداء، و هو يقابلها بالعناصر الطبيعية الأربعة، و الأزمنة الأربعة، فالبلغم يقابله الماء، و زمنه الشتاء، و الدم يقابله الهواء، وزمنه الربيع ، و الصفراء تقابل النار ، و زمنها الصيف ، و السوداء يقابلها الأرض، و زمنها الخريف . كما يجب التعرف على الطبائع الأربعة و هى النار حارة يابسة ، و الهواء حار رطب ، و الماء بارد رطب ، و الأرض باردة يابسة . و للعلاج بنظرية الأخلاط يجب أن يحدد الطبيب نوع الخلط للاهتداء إلى العلاج ، فإذا كان الخلط حارا كان العلاج بالبارد . أى أنه إذا كان الجسم محموما فلا يجوز زيادة حرارته ، و إنما يجب إنقاصها بالمبردات لتخفيف حدة الحرارة فى الحميات . و تدور هذه النظرية حول استجابة التركيب الداخلى لجسم الإنسان لمختلف التأثيرات الداخلية، و قد سيطرت نظرية الأخلاط على الطب اليونانى و انتقلت بدورها إلى الطب العربى مما كان له تأثيره على عدم تقدم علم الفسيولوجيا عند العرب(١٤)، وإن كان الأطباء العرب قد رفضوا العديد مما جاء به الطب اليونانى بناء على اختباراتهم الشخصية ، أو بناء على تفكير منطقى .

منهج ابن حيان في السباعية :

يتبع جابر بن حيان المنج الاستنباطي في تصنيفه ، حيث يتدرج بالعلوم مبتدئاً بالعلم الكلي إلى العلوم الجزئية التي تندرج تحته ، فهو عندما يتناول كل علم يعرضه عرضاً كلياً ثم ينتقل إلى العلوم التي تندرج تحته ، كما في علم الطب ، يتحدث عن العلم و طريقة العمل فيه ، ثم يعرض العلوم المتفرعة عنه ، مثل علم التشريح ، والأمراض . و لكنه لم يقف عند المنهج الاستنباطي ، و إنما استخدم المنهج الاستقرائي الذي يتلخص السير فيه إلى مشاهدات توحي بفروض ، ثم استنباط النتائج من تلك الفروض ، ثم مراجعة هذه النتائج على الواقع ، و هذا ما طبقه ابن حيان في السباعية ، حيث يربط العلوم التي طرحها بالكون و مركباته و مكوناته ، و ذلك ناتج عن مشاهدات تؤدي إلى فروض ، و الفروض تؤدي إلى نتائج ؛ ففي قوله : " الدماغ مثل البلغم من الرطوبات ، و مثل الماء من العناصر ، و مثل الشتاء من الأزمنة " ، فكيف يصل إلى هذه النتيجة إلا إذا كان هناك مشاهدة للبلغم و صفاته ، و الماء و صفاته ، و الشتاء ، و ملاحظة ما يربط بينهم ، و وضع الفروض التي توصله إلى نتيجة تكشف عن ارتباط طبيعة الدماغ بكل من البلغم و الماء و الشتاء .

مستوى المعالجة في تصنيف السباعية :

قسم جابر بن حيان تصنيف السباعية إلى سبعة علوم رئيسية ، و تناول كل منها بالتفريع إلى عدد من الموضوعات ، و تصل تفريعات علم الطب إلى الصف الرابع ، بينما تقف التفريعات في بقية
العلوم إلى الصف الثاني ، و هذا ما يوضحه الجدول التالي :



تصنيف	صف أول	الفروع			الإجمالى
السباعية		الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	
السباعية	الطب	٤	٩	٤	١٧
من كتاب	الصنعة	٣	—	—	٣
" إخراج ما فى	الخواص	—	—	—	—
القوة إلى الفعل	الطلسمات	١	—	—	١
"	استخدام	٢	—	—	٢
	العلويات	—	—	—	—
	الميزان	—	—	—	—
	التكوين				
الإجمالى	٧ = ٧	١٠	٩	٤	٢٣ =

جدول رقم (١) : يوضح أعداد العلوم المفرعة على كل صف فى تصنيف السباعية لجابر بن حيان

و من استقراء الجدول السابق يتضح ما يلى :

ـ ذكر جابر بن حيان فى السباعية سبعة علوم أساسية تقف على الصف الأول ، وفرع من كل منها عددا من العلوم .

ـ لا يوجد توازن بين العلوم المفرعة من كل علم ، فبينما تصل إلى الصف الرابع فى علم الطب ، نقف عند الصف الثانى فى علوم الصنعة و الطلسمات و استخدام العلويات .

ـ أنه لا يذكر فروعا لعلم الخواص ، و الميزان ، و التكوين .

ـ يصل عدد العلوم الأساسية إلى سبعة علوم تقف على الصف الأول .

ـ يصل عدد العلوم المفرعة عن العلوم الساسية السبعة إلى ثلاثة و عشرين علما ، توزع على الصفوف ، على النحو التالى . تبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الثانى عشرة فروع ، و تبلغ على الصف الثالث تسعة فروع ، و على الصف الرابع أربعة فروع .

التماسك و التناسق فى السباعية :

يسير جابر بن حيان فى تقسيم العلوم فى السباعية بشكل منتظم ، حيث ينتقل من العلم العام إلى العلوم الجزئية المتفرعة عنه دون إحداث أية قفزات مخلة بالتنظيم العام لتصنيفه ، و من ثم تميز التصنيف بالتماسك . و قد اختل التناسق بسبب عدم التناسب بين فروع كل علم و آخر ، حيث نجده يذكر علوما لا فروع لها ، و يذكر لعلوم أخرى فرعين ، بينما تصل العلوم المفرعة من موضوع الطب الى سبعة عشر علما .

التصنيف الثانى : '' الحدود ''

عرض جابر بن حيان تصنيف الحدود فى كتاب '' إخراج ما فى القوة إلى الفعل '' ، و قد نشر هذا الكتاب ضمن المختارات من رسائل جابر بن حيان ، التى نشرها '' بول كراوس '' . و يشمل هذا التصنيف الصفحات من ٩٧ إلى ١١٥ من الكتاب المختار .

و قد عرض جابر بن حيان فى الحدود لموضوعين ، هما : علم الدين و علم الدنيا . و قد اتصف العرض الأول بالصفة الفلسفية فى التقسيم ، و بدا تأثير الفكر الفلسفى فى طريقة تقسيمه لعلم الدين ، كما عرض أجزاء علم الدنيا وفقا للخطوات العملية التى يسير عليها العلم ، و من ثم اتصف بالصفة العلمية ، و لذا جمع فى تصنيفه الحدود الصفة الفلسفية إلى جانب الصفة العلمية .

الهدف من وضع تصنيف الحدود

يهدف جابر بن حيان من وضع تصنيف الحدود إلى التعرف على كل علم من العلوم المعروفة فى عصره ، و لذا لجأ إلى توضيح أقسامه و فروعه ، و بيان انتمائه إلى العلم الأعلى التابع له . و من ثم اضطر إلى وضع تصنيف لكل العلوم ليوضح أماكنها على خريطة المعرفة البشرية ، و من ثم يعطى صورة كاملة للقارىء عن كل علم من حيث إعطاء تعريف جامع مانع يتضح فيه جنس العلم. (١٥) ومن هنا جاء كتاب الحدود ليكون : كتابا فى تقسيم العلوم ، و كتابا فى تعريفها .

خطة جابر بن حيان فى تقسيم العلوم فى كتابه الحدود (١٦)

علم الدين

شرعيا

ظاهر

باطن

عقليا

علم الحروف

طبيعى

حرارة

برودة

يبوسة

رطوبة

روحانى

نورانى

ظلمانى

علم المعانى

فلسفى

إلهى

علم الدنيا

شريف = علم الصنعة

مراد لنفسه

مراد لغيره

عقاقير

عقاقير يدبر بها

بسائط

مركبة

حجر

تدابير

جوانى

أحمر

أبيض

برانى

أحمر

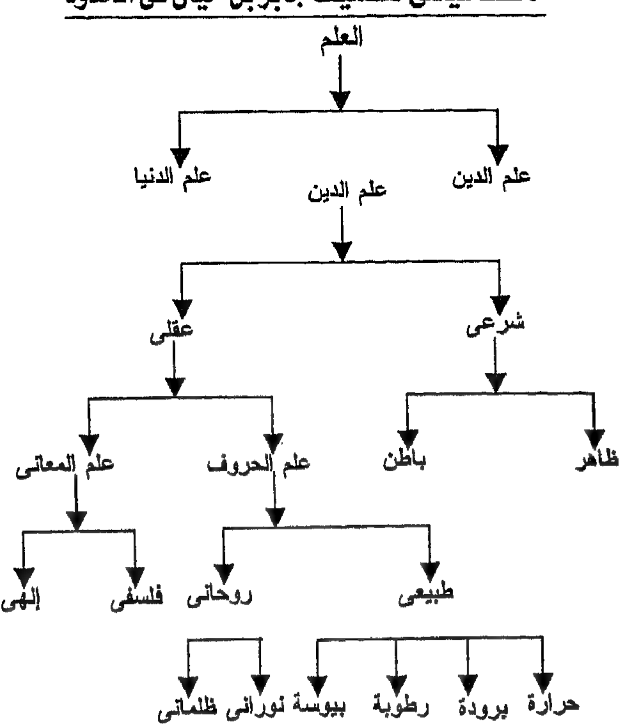
أبيض

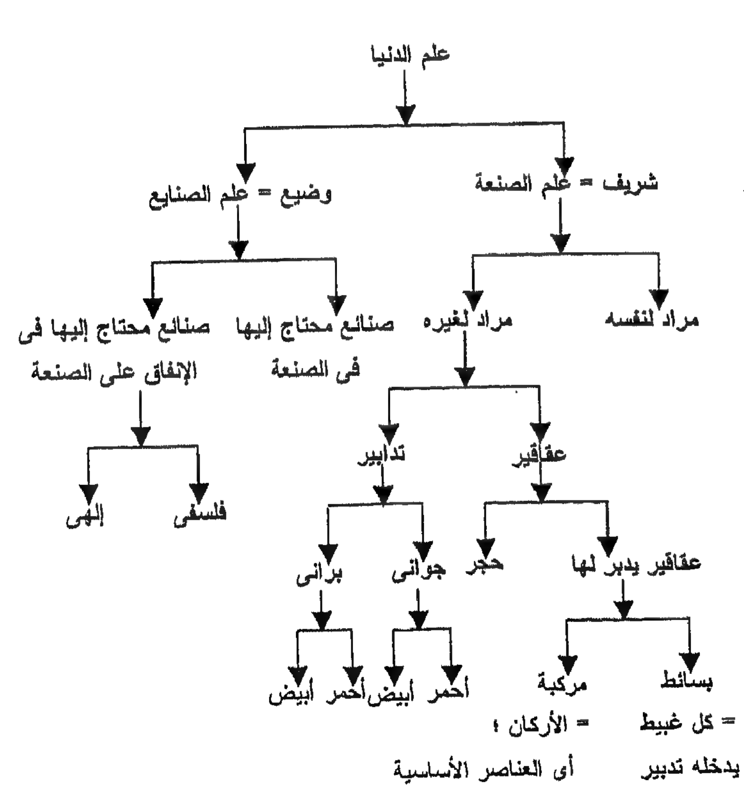
وضع = علم الصنايع

صنائع محتاج إليها فى الصنعة

صنائع محتاج إليها فى الكفاية و الإنفاق على الصنعة

مخطط هيكلى لتصنيف جابر بن حيان فى الحدود





منطق تصنيف العلوم لدى جابر بن حيان في الحدود

اتخذ ابن حيان فى تقسيمه العلوم طريقة القسمة الثنائية ، حيث يميز بين نوعين من العلوم : العلوم الدينية ، و العلوم الدنيوية ، ثم يعود فيقسم كلا منها إلى قسمين ، و هكذا يستمر فى التقسيم الثنائى لكل قسم ، فيقسم العلوم الدينية إلى نوعين من العلوم : العلوم الشرعية ، و العلوم العقلية ، ويقصد بالعلوم الشرعية : السنن والأمور التى يفعلها الإنسان ليصلح بها حال دنياه و آخرته . و يميز فى العلم الشرعى بين العلم الظاهر ، و هى السنن التى تدركها العقول الإنسانية و يفعلها الإنسان، والعلم الباطن ، و هو العلم بما وراء الأعمال الظاهرة من أغراض لا يدركها العقل البشرى ، و إنما هى بحكمة إلهية ، فمثلا ما يقوم به الإنسان من العبادة خمس مرات هى من العلم الدينى الظاهر ، أما العلة و السبب وراء كون الصلوات خمسا ، و حكمة الصلاة فهى من العلم الباطن . و من ثم نستطيع أن نقول إن العلم الشرعى بمثابة علوم الدين ، و هو لم يخص بذلك دينا معينا ، و إنما جعل تقسيمه عاما يصلح لأى دين . و القسم الثانى من علم الدين هو العقلى ، و المقصود بالعقلى الفلسفة بعلومها، ويقسمها بدوره إلى قسمين : علم الحروف و علم المعانى . وعلم الحروف يمثل قضية فلسفية أثارها الفلاسفة قديما ، و ما تزال يثيرها الفلاسفة فى العصر الحديث ، و هى إلى أى حد تعبر اللغة بما فيها من ألفاظ و كلمات و حروف على الأشياء فى الطبيعة من حولنا ، فأى شيء يمكن ترجمته إلى مجموعة من الحروف تكون كلمة تعادل هذا الشيء، مثل: صورة العصفور، فهى في الطبيعة كائن يتحرك، وتترجمه اللغة إلى كلمة من عدة حروف، هى : ع ، ص ، ف ، و ، ر. والقسم الثانى وهو المعانى و المقصود به العلم الذى يدرس الأشياء من حيث أصلها وصفاتها ، و السبب و الهدف من وجودها (١٧) ، بمعنى أن علم المعانى هو جملة العلوم المختلفة التى يعبر لها عن طريق اللغة ، و من ثم نجده يقدم علم الحروف(أى علم اللغة) على علم المعانى (أى جملة العلوم المختلفة) باعتبار أن الأول هو مدخل و وسيلة إلى الثانى ، و هو المبدأ الذى اتبعته التصانيف اللاحقة عليه فى ترتيب العلوم ، ويقسم علم المعانى إلى قسمين يشملان جملة العلوم المختلفة ، و هى : الفلسفى و الإلهى ، فالعلم الفلسفى يدخل فيه جملة العلوم الطبيعية بما تشمله من طب

و علم النجوم و العلم الرياضي بأقسامه المختلفة من : حساب و هندسة و فلك وموسيقى . و العلم الثانى و هو العلم الإلهى الذى يدرس الوجود للوصول إلى الموجود الأول ، و هو الله . و هذا العلم عرف باسم علم ما وراء الطبيعة .

و فى تقسيم جابر بن حيان لعلم الحروف يميز بين نوعين : طبيعى وروحانى، و المقصود بالطبيعي تعبير الحروف عن الموجودات الطبيعية من حيوان و نبات و حجر ، التى تتكون بدورها من عناصر أولية ، هى : النار و الهواء و الماء و الأرض ، و يتألف كل عنصر من اتحاد اثنين من الكيفيات الأربعة ، و هى : الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة ، فمن الحرارة و اليبوسة تتكون النار التى هى عنصر من العناصر المكونة للموجودات الطبيعية ، و من الحرارة و الرطوبة يتكون الهواء ، و من البرودة و اليبوسة تتكون الأرض ، و من الرطوبة و البرودة يتكون الماء . و إذا حددنا الحروف الدالة على العناصر الأربعة أمكن معرفة الحروف الدالة على مختلف الموجودات الطبيعية . و يقسم ابن حيان حروف اللغة الثمانية والعشرين إلى أربعة مجموعات ، و كل مجموعة تمثل إحدى الكيفيات الأربع على النحو التالى . (١٨)

الحرارة : ا هـ ط م ف ش د

البرودة : ب و ى ن ص ت ض

اليبوسة : ج ز ك س ق ث ظ

الرطوبة : د ح ل ع ر خ غ . (١٩)

و هذا يفسر تقسيمه الطبيعى من الحروف إلى الأقسام الأربعة : الحرارة والبرودة و اليبوسة والرطوبة . أما القسم الثانى من علم الحروف و هو روحانى ، فيقسمه إلى : نورانى وظلمانى، والمقصود هنا بلغة العلم الحديث دراسة الأجسام التى تمتص الضوء فتصبح معتمة، والأجسام التى تعكس الضوء فتصبح نورانية.(٢٠) و من ثم نستطيع القول بأن تقسيم ابن حيان لعلم الحروف إلى طبيعى وروحانى هو دراسة الموجودات الطبيعية و الأجسام .

و يمكن القول بأن جابر بن حيان قد قسم العلوم فى الجزء الخاص بعلم الدين تقسيما منطيقيا مبتدئا بالعلوم الدينية التى تمثل عنده العلم الشرعى ، ثم تأتى العلوم العقلية، والتى تمثل الجانب العقلى من علم الدين و يبدؤها بعلم اللغة (علم الحروف)، ثم مجموعة العلوم الفلسفية ، و يمثلها عنده علم اللغات ، و يقسمها إلى ما عرف فى التصانيف العربية بالعلم الطبيعى و العلم الرياضى ، الذى يقابلهما القسم الأول من علم المعانى ، و هو الفلسفى ، ثم يتبعها بالعلم الإلهى أو علم ما وراء الطبيعة الذى يقابله القسم الثانى من علم المعانى و هو العلم الرياضى ، و من هذا فإن علم المعانى عند جابر بن حيان يقابله علوم الحكمة النظرية عند أرسطو ، و عند من لحقه من التصانيف العربية الإسلامية .

أما القسم الثانى من العلم و هو علم الدنيا فيجعل محوره علم الصنعة (علم الكيمياء) ، و يضع تقسيما لعلم الدنيا يحدد فيه الخطوات التى يسير عليها علم الصنعة للوصول إلى الغاية الموجودة منه، وهى الوصول إلى المادة الصابغة التى تحيل الفضة ذهبا ، و النحاس فضة . و يقسمه قسمين : نظرى و علمى ، فالنظرى هو المختص بعلم الصنعة ، حيث يحدد فيه التعريف بعلم الصنعة و الهدف منها ، والتعريف بالمواد المستخدمة فى الصنعة من الأحجار و المعادن المختلفة ، والخطوات التى تسير فيها التجارب للوصول إلى الغرض من علم الصنعة ، و وصف النتائج التى يتوصل إليها من التجارب . أما القسم الثانى و هو العملى ، فيطلق عليه علم الدنيا الوضيع أو علم الصنائع ، و يقصد به الوسائل التجريبية التى لا بد منها فى علم الصنعة ، و من ثم فهو يرى أنها وسيلة موصلة لعلم الصنعة . ويقسم علم الدنيا الشريف أو علم الصنعة الذى يمثل الجانب النظرى من علم الصنعة إلى مراد لنفسه ، و مراد لغيره ، فالمراد لنفسه هو الشيء المراد الوصول إليه من علم الصنعة (أى الوصول إلى تحويل الفضة ذهبا و النحاس فضة) ، و مراد لغيره يتمثل فى الخطوات التى يسير عليها علم الصنعة ، و يقسمه بدوره إلى عقاقير و تدابير والعقاقير (هى الأجسام التى تجرى عليها التجارب) ، و العقاقير ثلاثة أنواع : عقاقير ترابية ، و حيوانية ، و نباتية ، و الترابية مثل النحاس و الفضة و الزئبق و الحديد . (٢١) التى تقسم بدورها إلى نوعين : عقاقير يدبر بها ، و علم الحجر

الذى هو العلم بالمعدن الذى يراد تغيير صفاته ليتحول إلى معدن آخر و هو المراد من إجراء التجارب عليه . و النوع الثانى و هو العقاقير التى يدبر بها ، و هى المعادن الأخرى المستخدمة فى التجارب (هى ذات خواص معينة تعمل على تغيير صفات الحجر المراد تحويله إلى معدن آخر) . و يقسم العقاقير التى يدبر بها إلى قسمين أيضا : عقاقير بسيطة و عقاقير مركبة ، فالبسائط أو العقاقير البسيطة هى العقاقير الخام التى لم يتم إجراء التجارب عليها ، أما المركبة فهى العقاقير التى تستخدم فى العمليات الكيميائية ، و التى يتم إجراء التجارب عليها .

أما التدابير (٢٢) فهى الخطوات و الأعمال التى تتم فى العمليات الكيميائية لتحضير العقاقير المطلوبة التى يقسمها إلى قسمين ، هما : العلم الجوانى ، و العلم البرانى ، و المقصود بالعلم الجوانى باطن المعدن ، و العلم البرانى ظاهر المعدن . و يتضمن هذان العلمان نظرية جابر بن حيان فى تحويل المعادن ، حيث يرى أن كل معدن من المعادن يحمل فى ظاهرة كيفيتين من الكيفيات البسيطة ، و هى الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة ، و يخفى باطنه الكيفيتين الأخريين ، و عن طريق الكيمياء نستطيع إظهار باطن المعدن و إخفاء ظاهره فيتحول المعدن إلى معدن آخر ، و بتعبير آخر فإن كل معدن يشمل فى باطنه أو داخله معدنا آخر يناقضه فى صفاته الظاهرة أو الخارجية ، فالفضة من الداخل هى نفسها ذهب ، فلو أخرجنا ما داخل الفضة و أخفينا ظاهرها تحولت إلى ذهب ، و شرح ذلك أن لكل من الفضة و الذهب فى الظاهر و الباطن كيفيتين متناقضتين ، و يعطى ابن حيان جدولا يوضح الكيفيات الباطنة و الظاهرة لكل معدن ، فالذهب حار رطب من الظاهر ، و بارد يابس من الداخل ، و الفضة بارد يابس من الخارج ، و حار رطب من الداخل ، و لتحويلها ذهبا يجب أن نظهر ما بداخلها مما يماثل الكيفية الداخلية للذهب ، و نخفى ظاهرها ، فنزيح البرودة الظاهرة إلى الداخل لتخرج مكانها الحرارة الكامنة فيها ، و نزيح اليبوسة إلى الداخل لتخرج مكانها الرطوبة الكامنة ، ويصبح ظاهرها حارا رطبا مثل الذهب ، و من ثم تتحول الفضة إلى الذهب . (٢٣) و هكذا بالنسبة لتحويل معدن إلى معدن آخر ، و هذا يفسر المقصود بالعلم البرانى و العلم الجوانى ، فالعلم الجوانى هو العلم بحالة المعدن الداخلية أو الجوانية ، أى الكيفيتين الداخلتين ، لتجرى عليه

التجارب ليتحول من حالته إلى حالة أخرى ، أى يتحول إلى معدن آخر . و العلم البرانى هو العلم بالكيفية الظاهر ، أو حالته الظاهرة لتجرى عليه التجارب المناسبة لظاهره لإخفاء ظاهره و إظهار باطنه ، و من ثم يكون الكيميائى على علم بما سيصير إليه أمر المعدن . و يقسم كل من العلم الجوانى و البرانى إلى قسمين : أحمر و أبيض ، و المقصود بالأحمر عملية تحويل الفضة ذهبا ، و الأبيض تحويل النحاس ذهبا .

و يمكن أن نستخلص مما سبق إلى أن المقصود من علم الدنيا علم الصنعة أو الكيمياء التى يقسمها تقسيما علميا حسب مكونات هذا العلم ، حيث يفرق بين نظريات علم الكيمياء (و هو ما يسميه بعلم الصنعة أو العلم الشريف) ، و الجانب العملى ، أى مجموعة التجارب ، أو عملية إجراء التجارب ، و هو ما يمثله علم الصناعة الذى يجعله الوسيلة و الآلة الموصلة إلى علم الكيمياء أو الصنعة، و يحدد مكونات علم الكيمياء فى تحديد أنواع المواد التى تستخدم فى العمليات الكيميائية ، و هى مجموعة المعادن أو مواد نباتية أو حيوانية تستخدم فى إجراء التجارب و هو ما يمثلها علم العقاقير. و الخطوات التى يجب أن تسير عليها التجارب الكيميائية ، و يمثلها علم التدابير، و التعريف بكيفية الوصول إلى المعدن المطلوب للوصول إليه من علم الصنعة .

مفاهيم التصنيف و قواعده فى تصنيف الحدود

يتبع تصنيف جابر فى كتابه الحدود علاقة الاشتمال أو التبعية بين العلوم ، مثل التدرج فى تقسيم علم الدين إلى علم شرعى و عقلى ، ثم يتناول الشرعى بتقسيمه إلى علوم أخص تندرج تحت العلم الشرعى ، و هما علم الباطن و علم الظاهر .

تصنيف جابر و موقفه الفلسفى

تتصف فلسفة جابر بن حيان بأنها الفلسفة الكونية التى جعلها أساس التصنيف عنده ، حيث قسم العلوم على أساس أنطولوجى أو كونى ، فهو يوازى بين الكون والعلوم ، ففى كتاب الحدود يوازى بين اللغة بحروفها و كلماتها و الموجودات الطبيعية ، فدراسة الاسم هى فى الوقت نفسه دراسة للشىء المسمى ، فتركيب الكلام يلزم أن يكون مساويا للموجودات الطبيعية فى العالم من نبات أو حيوان و حجر. ومن

ثم نجده يقسم الطبيعى من علم الحروف إلى العناصر الأربعة التى يتكون منـــها كـــل شيء طبيعى ، سواء كان حيوانا أو نباتا أو معدنا ، و هـــى الحـــرارة و الـــبرودة و اليبوسة و الرطوبة .

تقييم محاولة جابر التصنيفية فى كتابه الحدود

يلاحظ على تصنيف جابر فى كتابه الحدود ما يلى :

ـــ اهتمامه بوضع حد أى تعريف لكل علم ، و قد اتصف هذا التعريف بأنه تعريـــف بالحد التام ، أى يحدد فيه الجنس القريب و الفصل ، و يتضح مفهوم التعريف بـــالحد التام فى المثال التالى ، إذا أردنا تعريف الإنسان باستخدام الحد التام قلنـــا : الإنســـان حيوان ناطق ، فحيوان تشير إلى الجنس القريب ، و ناطق تشير إلى الفصل حيـــث يميز الحيوان (٢٤) و يفصله عن بقية الأنواع الأخرى المندرجة معه تحـــت جنـــس حيوان .

ـــ عند تعريفه للبسائط أو العقاقير البسيطة يفرعها من العقاقير التى يدبر بها ، و هـــى الجنس القريب لها ، و يفصلها عن غيرها بقوله إنـــها العقـــاقير التـــى لـــم يدخلـــها التدبير(٢٥) ، أى لم تجر عليها أى خطوات أو أعمال فى العملية الكيميائية ، و هـــو بذلك يفصلها و يميزها على النوع الآخر ، و هى المركبة التى دخلها التدبير .

ـــ استخدم جابر فى الحدود القسمة الثنائية التى التزم بها من بداية تصنيفه إلى آخـــره مما جعله يقسم العلوم إلى قسمين ، و هما علم الدين و علم الدنيا . و لما كان يريد أن يبرز علم الكيمياء لإيمانه به خصص له علم الدنيا ، فقد اضطر إلى إدمـــاج العلـــوم الشرعية ، و هى العلوم الدينية بالمعنى الصحيح التى تقوم على النص قياما مباشـــرا ، و العلوم العقلية التى تقوم على الأحكام العقلية .

مميزات و عيوب التصنيف فى الحدود

يعد تصنيف جابر بن حيان فى الحدود من المحـــاولات الرائـــدة فـــى علـــم التصنيف عند العرب المسلمين ، حيث وضع أساسا للتصنيف مختلفا عما سار عليـــه التصنيف الأرسطى ، حيث فرق بين العلم الدينى و العلم الدنيوى ، و هو ما سار عليه التصنيف عند الكندى أو الخوارزمى أو ابن خلدون . كما أنه يتميز بإدراكه لأهميـــة وضع تعريف لكل علم ، و يعد هذا من أهم خطوات البحث العلمى .

و لكن من عيوب التصنيف فى الحدود : استخدامه لمصطلحات مبهمة فى تسمية العلوم ، مثل : العلم الجوانى ، و العلم البرانى ، و أحمر ، و أبيض ، مما جعل تصنيفه محاط بالغموض .

أثر الحياة الفكرية فى تصنيف الحدود

يعكس تقسيم جابر فى كتابه الحدود للعلوم إلى قسمين : علم الدين و علم الدنيا، و طبيعة العلوم السائدة فى عصره ، فنتيجة حركة الترجمة وجدت علوم الحضارات الأخرى من علوم الفلسفة و المنطق و الكيمياء ، و فى مقابل هذه الثقافة الوافدة ظهر مفكرون إسلاميون يبحثون فى علوم القرآن و الحديث ، و من ثم ظهرت العلوم الشرعية القائمة على النص : القرآن الكريم و الأحاديث النبوية ، كما ظهرت المذاهب الفكرية . و نتيجة لهذه الحركة وجدت مؤلفات دينية و مؤلفات فى علوم أخرى تقوم على المنطق و أحكام العقل ، و هذا ما يفسر التقسيم الذى وضعه جابر فى التمييز بين علم الدين و علم الدنيا .

تصنيف الحدود بين التأثير و التأثر

لم تصل إلينا تصانيف سابقة على تصنيف الحدود لجابر بن حيان ، و من ثم يعد تصنيفه من المحاولات الرائدة فى علم التصنيف عند العرب ، و لكن تأثر بتصنيف الحدود عديد من المصنفين اللاحقين عليه ، و منهم الكندى الذى أخذ عنه فكرة التقسيم الثنائى ، و التفرقة بين ما هو علم دينى و علم دنيوى ، حيث أطلق على الأخير الإنسانيات . و الخوارزمى فى كتابه '' مفاتيح العلوم '' ، حيث أخذ عنه فكرة التقسيم الثنائى للعلوم ، ففرق بين علوم الشريعة و العلوم الأجنبية ، أو علوم العجم .

هل تأثر تصنيف جابر بن حيان '' الحدود '' بتصنيف أرسطو؟

يعد تصنيف الحدود تصنيفا عربيا اصيلا يختلف اختلافا جوهريا عن تصنيف أرسطو ، من حيث اتباع التقسيم الثنائى للعلوم ، كما ذكر علوما لا توجد عند أرسطو ، مثل العلم الشرعى ، و علم الكيمياء الذى لم يذكره التصنيف الأرسطى . و يرد

بعض الباحثين فكرة التقسيم الثنائي إلى أفلاطون ، حيث قسم العالم أو الوجود إلى العالم المحسوس و العالم المعقول .

منهج ابن حيان في تصنيف الحدود

اتبع جابر بن حيان المنهج نفسه الذي اتبعه في تصنيف السباعية .

مستوى المعالجة في الحدود

قسم جابر بن حيان تصنيف الحدود قسمة ثنائية ، حيث قسم العلوم إلى قسمين، هما : علم الدين و علم الدنيا ، و تناول كلا منهما بقسمة ثنائية ، و هكذا يسير في تقسيم كل علم قسمة ثنائية لتصل التفريعات عنده إلى الصف السادس ، و هو ما يوضحه الجدول التالي :

تصنيف ابن حيان	صف أول	الفروع					إجمالي الفروع
		صف ثان	صف ثالث	صف رابع	صف خامس	صف سادس	
الحدود	علم الدين	٢	٤	٤	٦		١٦
	علم الدنيا	٢	٤	٢	٤	٦	١٨
الإجمالي	٢	٤	٨	٦	١٠	٦	٣٤

جدول رقم (٢) : يوضح أعداد العلوم المفرعة على كل صف في تصنيف الحدود

من استقراء الجدول السابق يتضح ما يلي :

ـ ذكر ابن حيان في الحدود علمين كبيرين يقفان على الصف الأول ، و يمثلان رتبتين رئيسيتين في تصنيفه .

ـ يفرع من كل علم رئيسي عددا من العلوم ، ففي علم الدين يصل تفريع العلوم إلى الصف الخامس ، و في علم الدنيا يصل التفريع إلى الصف السادس .

ـ يصل إجمالي عدد الفروع أربعة و ثلاثين فرعا توزع على الصفوف على النحو التالي : يبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الثاني أربعة علوم ، و على الصف الثالث ثمانية علوم ، و على الصف الرابع ستة علوم ، و على الصف الخامس عشرة علوم ، و على الصف السادس ستة علوم .

ـ يلاحظ التوازن بين أعداد العلوم المفرعة لكل علم رئيسي ، حيث بلغت في علم الدين ستة عشر علما ، و في علم الدنيا ثمانية عشر علما .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التماسك و التناسق

يتصف تصنيف الحدود بالتماسك و التناسق ، حيث جاءت بنية التصنيف متماسكة ، فعرض لكل علم بفروعه ، و لم يحدث قفزات تخل بعرض العلوم في تصنيفه ، كما اتصف بالاتساق لسيره في التقسيم الثنائي ، و لم يحدث إخلال ، و من ثم حدث توازن بين أعداد العلوم المفرعة من كل علم رئيسي في تصنيفه .

و على الرغم من صعوبة فهم تصنيف جابر بن حيان '' الحدود '' ، سواء في السباعية أو في الحدود ، إلا أنه من الملاحظ أن ابن حيان قد قدم إسهاما عربيا إسلاميا خالصا في تصنيفه السباعية أو الحدود ، و لم يقدم تقليدا أرسطيا ، كما اتبع بعض المفاهيم التصنيفية التي أخذتها عنه التصانيف العربية اللاحقة عليه ، و هذا ما سنلاحظه في تصنيف الكندي الذي قدم محاولة جديدة في التصنيف ترجع إلى القرن الثالث الهجري .

ثانيا : تصنيف الكندي (ت ٢٥٢ هـ)

يؤرخ بعض الباحثين لتاريخ التصنيف عند المسلمين بالكندي (٢٦) فيعدونه صاحب أول تصنيف عربي (٢٧) ، فقد وضع كتابين في تصنيف العلوم : كتاب : ''ماهية العلم و أصنافه '' ، وكتاب : '' أقسام العلم الأنسي '' . و قد تتبعت هذين الكتابين في المكتبات الكبرى بمصر : دار الكتب المصرية ، و مكتبة بلدية الإسكندرية، فلم أجد لهما أثرا ، كذلك راسلت بعض المكتبات العالمية مثل مكتبة الكونجرس ، لعلها تكون ضمن محتويات القسم العربي بها ، و كان الرد بالنفي ، و من ثم اطمأننت إلى آراء الباحثين بضياع هذين التصنيفين و عدم وصولهما إلينا(٢٨) ، و من ثم فقد اعتمدت على رسالة الكندي في '' كمية كتب أرسطو و ما تحتاج إليه في تحصيل الفلسفة '' التي تضمنت تقسيمه للعلوم .

تصنيف الكندي

ينتمي تصنيف الكندي في رسالته في كمية كتب أرسطو إلى الاتجاه الثاني في التصنيف عند العرب ، القائم على التعرف على تقسيم المعرفة ، و علاقة العلوم ببعضها ، من خلال ترتيب الكتب ، حيث تنصب الرسالة أساسا على ترتيب كتب أرسطو .

الهدف من رسالة الكندى

تناول الكندى ترتيب كتب أرسطو ، و لكن الترتيب فى حد ذاته لم يكن هدفا ، و إنما كان وسيلة للتعرف على العلوم و ترتيبها ، و الغاية منها ، لذلـــك نجـد بعـد عرض الترتيب يتناول كل علم بالتعريف ، و يحدد الغاية منه ، و من ثم فقد جـــاءت الرسالة لتحقق غرضين : الأول ببيليوجرافى لــترتيب كتـب أرسـطو ، و الثـانى تصنيفى، حيث أوضح مذهبه و نظرته فى تقسيم العلوم .

خطة الكندى فى تقسيم العلوم

جاء تقسيم الكندى للعلوم من خلال ترتيـــب كتـب أرسـطو علــى النحـو التالى:(٢٩)

العلوم البشرية و الإنسانية

الرياضيات

علم الكمية

علم الحساب

علم الموسيقى

علم الكيفية

علم الهندسة

علم الهيئة

المنطقيات

قاطوغورياس '' المقولات ''

باريارمانياس '' العبارة ''

أنولوطيقى الأولى '' القياس ''

أنولوطيقى الثانية '' البرهان ''

طوبيقا '' الجدل ''

سوفسطيقا

ريطوريقا '' البلاغى ''

بويطيقا " الشعرى "

الطبيعيات

الخبر الطبيعى

السماء و العالم

الكون و الفساد

العالم العلوى

المعادن

النبات

الحيوان

النوع الثالث ، و يشمل كتبه فى النفس ، و هى :

كتاب النفس

الحس و المحسوس

النوم و اليقظة

طول العمر و قصره

النوع الرابع : ما وراء الطبيعة

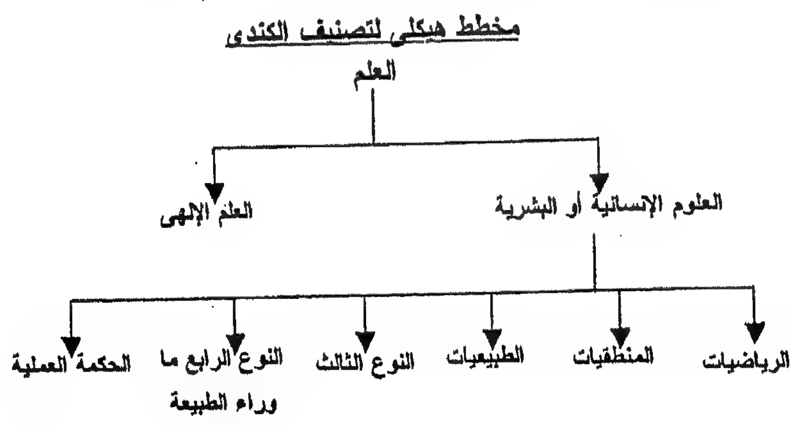
الحكمة العملية

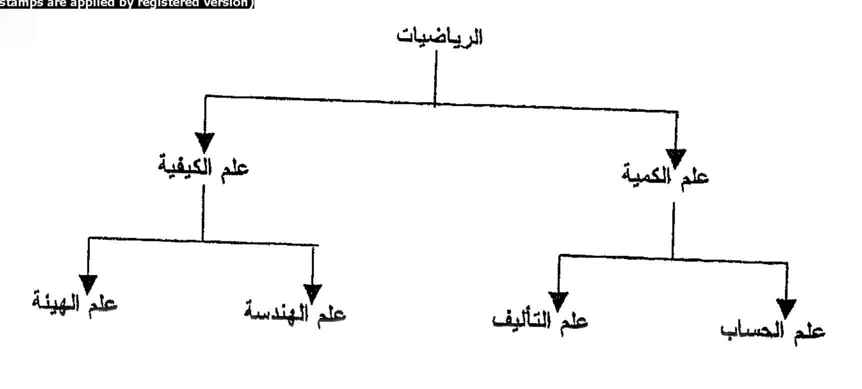
الأخلاق

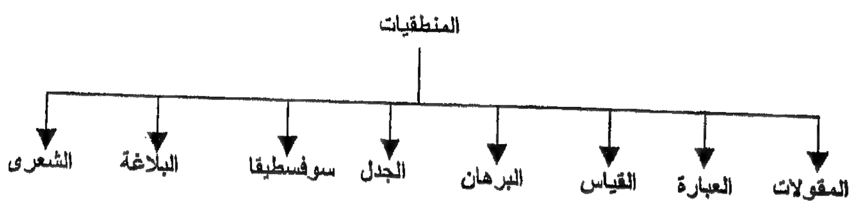
السياسة

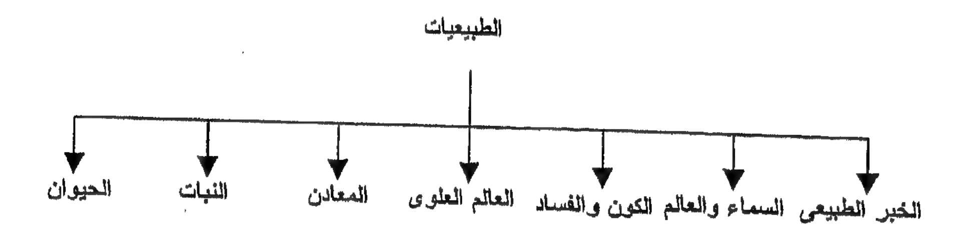
العلم الإلهى ، و جعل محوره العقيدة الإسلامية و علوم القرآن

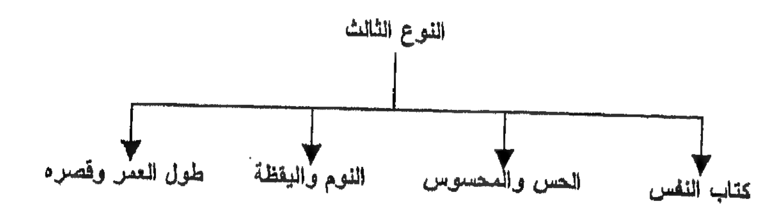
مخطط هيكلى لتصنيف الكندى

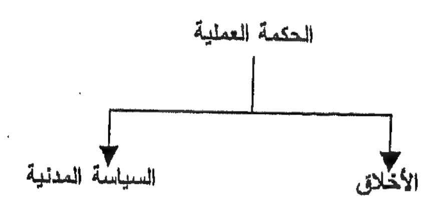












منطق تصنيف العلوم لدى الكندى

يبدأ الكندى بعد مقدمة قصيرة يعرض فيها هدفه ، بتقسيم كتب أرسطو إلى أربعة أنواع ، هى : الكتب المنطقية ، ثم الطبيعيات ، ثم الكتب النفسية ، ثم كتاب ما

وراء الطبيعة ، مستعرضا الكتب فى كل نوع من هذه الأنواع الأربعة ، ثم يعلق بعد ذلك على العلوم التى تتناولها الكتب و الغاية منها ، و تظهر فى هذا الجزء من الرسالة فلسفته و نظريته فى تقسيم العلوم ، حيث يقسمها إلى قسمين كبيرين ، هما : العلوم البشرية أو الإنسانية ، و العلوم الإلهية . و تدور الأولى حول كتب أرسطو ، و يرتب علومها مبتدئا بالرياضيات باعتبارها مدخلا لكل العلوم لاشتمالها على الأدلة البرهانية التى تحتاجها العلوم الأخرى ، كما أن العلوم الرياضية تدرب العقل على إدراك الحقائق ، و من ثم تعد مقدمة يبدأ منها الإنسان لتدريب عقله على فهم ما يليها من علوم ، و يليها المنطق باعتباره آلة و وسيلة لفهم العلوم لاشتماله على القوانين التى تعصم الذهن من الوقوع فى الخطأ ، و من ثم فعلى الإنسان التسلح به قبل النظر فى العلوم الأخرى ، و من هنا جاء تقديمه على بقية العلوم ، و يليه الطبيعيات ، و نجده يفرق بين قسمين ، الأول يتناول الأجسام المادية المكونة من صورة و مادة ، والثانى ليس بجسم مادى ، و إنما يوجد فى الجسم ، و هو النفس ، ثم يصعد بعد الطبيعيات إلى العلم الأعلى المجرد عن المادة ، و هو العلم الإلهى أو علم ما وراء الطبيعة . أما الثانية و هى العلوم الإلهية التى يعرفها بأنها علوم مغايرة من حيث مصدرها ، و وسائلها عن العلوم الإنسانية العادية فهى فى نظره علوم الأنبياء التى تأتى عن طريق الإلهام الإلهى أو الوحى . و قد تناول كل علم من العلوم الإنسانية بالتقسيم إلى علوم خاصة تندرج تحت كل علم عام ، فقسم الرياضيات إلى علمين هما : علم الكم ، وعلم الكيف. و علم الكم هو العلم الذى يتناول الأرقام من حيث زيادتها أو نقصانها ، و يقسمه إلى علمى الحساب و الموسيقى ، مبتدئا بعلم الحساب الذى يتناول العدد أو الرقم ، و يقدمه على سائر العلوم الرياضية الأخرى ، لأنها تنبنى عليه ، فإن لم يكن العدد موجودا لا نستطيع إيجاد أية نسبة عدد إلى عدد ، و هو موضوع علم الموسيقى ، و لا علم الهندسة الذى يحتاج إلى العدد فى إيجاد أطوال الخطوط أو مساحة السطوح ، و لا علم الهيئة الذى يحتاج إلى العدد فى دراسة الأجرام و الزمن والحركة .

و علم الكيفية هو العلم الذى يتناول عملية التغير و التحول ، و هو ما نجـــده فى علم الهندسة التى تتناول الخطوط و السطوح ، و علم الفلك أو الهيئة الذى يتنـــاول الأجرام السماوية والأرضية، وهى الحركة و التغير . و يقدم الهندسة على علم الهيئة باعتبار الأولى كيفية ثابتة ، و الثانية كيفية متحركة . ثـم يتنـــاول العلـــوم الأخـــرى بتقسيمها إلى أسماء كتب أرسطو ، و تأتى بالترتيب نفسه الذى ورد عند أرسطو .

قواعد التصنيف و مفاهيمه فى تقسيم الكندى للعلوم

اعتمد الكندى فى تقسيمه للعلوم على ما يعرف بـــ " السند الأدبى *Literary warant* " الذى دعا إلى استخدامه و ندهام هلم ، و هو يعنى الاعتماد فى التصنيف على الإنتاج الفكرى الفعلى . (٣٠) و من ثم يسجل للكندى السبق فى اســـتخدام هـــذا المفهوم قبل وندهام هلم بقرون عديدة . و قد حافظ الكندى على عدة علاقـــــات بيـــن العلوم ، و منها :

علاقة الاشتمال و التبعية ، و هذا ما نجده فى عرضه لعلوم جزئية تندرج تحت العلم الذى يشملها ، مثل : علم الحساب ، و الموسيقى ، و الهندسة ، و الهيئة ، التى تعـــد علوما جزئية مفرعة من علمى الكم و الكيف ، ثم تفرع كل من علمى الكم و الكيـــف من العلم العام ، و هو الرياضيات .

علاقة التناسب أو التساوى ، حيث نجد أكثر من علم يقف على صف واحد بالرغم من اشتراكهم فى بعض الجوانب و اختلافهم فى البعض الآخر متفرعين من علـــم أعلـــى يشملهم ، و هذا ما نجده فى علمى الحساب و الهندسة ، حيث يختلفان ، فالأول علـــم كمى ، و الآخر علم كيفى ، و لكنهما يشتركان فى استخدامهما للعـــدد ، و مـــن ثـــم يندرجان تحت أمر ثالث ، و هو العلم الرياضى .

ـــ تدرجت العلوم فى تصنيف الكندى بشكل منطقى معتمد على أن كل علم وسيلة للعلم اللاحق عليه ، و هو ما يشبه المبدأ الذى سار عليه " أوجست كونت " فى تقسيمه للعلوم ، بأن كل علم يبنى على العلم السابق عليه . (٣١) حيث تأتى الرياضيات فـــى قمة العلوم لعدم اعتمادها على غيرها من العلوم ، و اعتماد العلوم الأخرى عليـــها ، حيث تتعامل مع القوانين البرهانية التى تستفيد منها العلوم التالية عليـــها ، ثـــم علـــم المنطق ، و هو أيضا من العلوم التى تعتمد العلوم اللاحقة عليها ، ثم تأتى الطبيعيـــات

التى تستفيد مما سبقها من علوم ، سواء كان ذلك فى الرياضيات بأدلتها البرهانية أو فى قوانين المنطق . و يلاحظ أنه بدأ بعلم الرياضيات ، و وضعها فى قمة العلوم ، وهو ما ذهب إليه '' أوجست كونت '' فى تفسيمه للعلوم . (٣٢)

تقييم محاولة الكندى التصنيفية فى رسالته

مما يلاحظ على تصنيف الكندى :

ـ أسبقية الكندى فى استخدام مصطلح العلوم الإنسانية ، و قد عرفه بأنه العلوم التى تأتى عن طريق سعى البشر و عقولهم ، و هذا يدل على وضوح المصطلح فى ذهنه ، و قد جعله فى مقابل علوم أخرى تأتى بوحى إلهى بعيدة عن اجتهاد البشر و عقولهم ، و يعد هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة التى تحدد معناها حديثا ، و اتخذ عند الكندى معنى واسعا فضفاضا . وعلى الرغم من ذلك فإن اهتداء الكندى لهذا المصطلح و تعريفه تعريفا يقترب من معناه الحديث يعد محاولة سابقة لعصره .

ـ عدم الجزم بأن فكرة تقسيم العلوم و تنظيمها قد تبلورت ، و وضحت عند الكندى ، بالرغم من اطلاعه على تصانيف العلوم عند افلاطون و أرسطو باعتباره من أهم المترجمين ـ فى عصره ـ عن اليونانية .

ـ تفريقه بين علم النبى و علم الفيلسوف ، و هو بذلك قد سبق الفارابى فى القول بنظرية النبى الفيلسوف . (٣٣)

مميزات تصنيف الكندى و عيوبه

تميز تصنيف الكندى بوضعه الأساس الذى سارت عليه التصانيف اللاحقة فى التفريق بين العلوم البشرية و علوم العقيدة القائمة على القرآن الكريم و السنة . ويعاب عليه عدم ذكره بعض العلوم المهمة فى عصره ، منها :

ـ علم الكيمياء ، و علم الطب ، و هما من العلوم التى اشتهرت على عصره ، كما كان للكندى نفسه المؤلفات العديدة فيهما ، فضلا عن ممارسته للعلمين ، بل كانت له تجارب متعددة فى علم الكيمياء . و قد يرجع ذلك إلى قيام رسالته على ترتيب كتب أرسطو الذى لم يؤلف كتبا فى هذين العلمين .

ـ العلوم العربية بفروعها المختلفة ، و خاصة أنه قد استقرت هذه العلوم على عصره، و ظهرت المصنفات العديدة التى قننت قواعدها ، و حددت موضوعاتها ،

سواء فى علم النحو و الصرف أو الشعر ، ففى الفترة التى عاش فيها الكندى ظهر العديد من النحاة المبرزين : سيبويه ، و الكسائى ، و المفضل الضبى صاحب كتاب المفضليات .

ـ العلوم الإسلامية بفروعها ، على الرغم من استقرار التأليف فى علوم الدين الإسلامى على زمن الكندى ، فقد بدأ التفسير من القرن الأول الهجرى ، و بدأت الكتابة فى علم الحديث فى القرن الأول ، و استقرت طرق تدوين علوم الحديث فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى . (٣٤)

أثر الحياة الفكرية على تصنيف الكندى

عاش الكندى فى أواخر العصر العباسى الأول ، و أوائل العصر العباسى الثانى ، و قد كان معاصرا للمأمون و المعتصم و المتوكل ، و وصفت تلك المرحلة بأنها أرقى مراحل الترجمة ، كما تميزت بأنها مرحلة الإبداع و الأصالة ، و من أهم المعالم المميزة لتلك الفترة وجود المراجعين للترجمات الذين كانوا يقابلونها بالأصل ، و هذا ما كان يوحى بالدقة العلمية و الأمانة . و قد مثل تلك الفترة خير تمثيل أبو يوسف يعقوب الكندى صاحب التصنيف الذى نتناوله الآن ، فهو ناقدا لأصحاب الكتب المترجمة ، بالإضافة إلى سعة إسهاماته الإبداعية فى شتى فروع المعرفة . و فى تلك الفترة اشتغل الناس بالعلوم الدينية ، كما ظهر المتكلمون ، و ظهر العديد من الفرق الإسلامية ، و ميز الكتاب بين علوم الحضارات الأخرى و العلوم الإسلامية ، و هذا ما انعكس فعلا على تصنيف الكندى فى محاولته التمييز بين العلوم البشرية أو الإنسانية التى مثلت الفكر الأجنبى المترجم ، و العلوم الإلهية التى مثلت الفكر الإسلامى الذى كان نتيجة للواقع الحضارى الإسلامى .

تأثير الحضارات الأجنبية فى تصنيف الكندى

كان الكندى أحد أعلام الترجمة فى العصر الذهبى للترجمة ، و لكنه لم يقف عند حد النقل الحرفى ، بل كان شارحا ناقدا لما ينقله ، و قد برع فى الترجمة عن اليونانية و السريانية ، و من ثم فإن الكندى كان مستوعبا لحضارة اليونان ، و هذا ما انعكس على تصنيفه الذى قام على تقسيم كتب أرسطو ، مستخدما أسماء كتب أرسطو نفسها كفروع للعلوم المختلفة ، كما نجد تأثير المدرسة السكندرية فى تقسيمه

للرياضيات ، حيث اختلف عما ذهب إليه أرسطو فى تقسيم العلم الرياضى ، فيرد العلم الرياضى إلى الكم و الكيف ، و على هذا الأساس يأتى ترتيب العلوم الرياضية على النحو التالى : الحساب و الموسيقى و الهندسة و الهيئة ، و هو الترتيب السكندرى نفسه للعلم الرياضى . (٣٥)

منهج الكندى فى تصنيفه

تبنى الكندى التقسيم الثنائى للعلوم ، حيث قسم العلوم إلى قسمين كبيرين : العلوم البشرية و العلوم الإلهية . و قد تناول العلوم البشرية بتقسيمها إلى عدة أقسام رئيسية تعد علوما عامة ، ثم تناول كلا منها بالتفريع إلى علوم أخص تتدرج تحتها ، و هكذا يسير فى عرض علومه بشكل منطقى متدرجا من الكل إلى الجزء ، و هو ما يطلق عليه المنهج الاستنباطى ، و هذا هو المنهج الذى تبناه أرسطو فى تقسيمه للعلوم.

مستوى المعالجة فى تصنيف الكندى

بدأ الكندى رسالته بمقدمة وضح فيها هدفه ، ثم عرض ترتيبه لكتب أرسطو ، ثم أعطى تعليقا بعد ترتيب الكتب ضمنه تقسيمه للعلوم ، حيث قسمها إلى قسمين كبيرين ، متناولا القسم الأول منهما بالتقسيم إلى عدد من العلوم العامة تتفرع منها مجموعة من العلوم الخاصة ، و هذا ما سوف يوضحه الجدول التالى :

تصنيف	الرتبة الرئيسية	الفروع			
الكندى	الصف الأول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس
من خلال رسالة	العلوم البشرية	الرياضيات	٢	٤	١
" فى كمية كتب	أو الإنسانية	المنطقيات	٨		٨
أرسطو "		الطبيعيات	٧		٧
		الكتب النفسية	٤		٤
		ما بعد الطبيعة	—		—
		الحكمة العملية	٢		٢
	العلوم الإلهية				
الإجمالى	٢	٦	٢٣	٤	٣٣

جدول رقم (٣) : الرتب الرئيسية و الفروع فى تصنيف الكندى

يلاحظ من الجدول السابق أن :

ـ عدد الرتب الرئيسية فى تصنيف الكندى اثنان .

ـ عدد الفروع من الرتب الرئيسية ثلاثة و ثلاثون .

ـ لا يعطى أى تفريع من العلم الإلهى ، و من ثم يقف هذا العلم عند الصف الأول .

ـ وصلت التفريعات عن العلوم البشرية إلى الصف الرابع ، و هذا بالنسبة لعلم الرياضيات لاهتمامه بهذا العلم الذى اعتبره المدخل لفهم العلوم الفلسفية . بينما وقف التفريع فى بقية العلوم المفرعة عن العلوم البشرية عند الصف الثالث لعدم وجود تفريعات لها عند أرسطو .

ـ يوجد نوع من التوازن فى التفريع بالنسبة للموضوعات التى تقف عند الصف الثالث ، كما فى المنطقيات و الطبيعيات ، حيث يصل عدد العلوم المفرعة عن العلم الأول ثمانية ، و فى الثانى سبعة .

التماسك و التناسق

ـ يلاحظ على بنية تصنيف الكندى التماسك إلى حد ما ، فقد عالج كل موضوع بتفريعاته دون القفز بتفريعات العلم إلى مكان آخر ، و يلاحظ عدم الالتزام بالترتيب الذى ارتضاه للعلوم ، فعلى الرغم من أنه يقدم العلم الرياضى على بقية العلوم الأخرى إلا أنه لم يعرف بالعلم الرياضى و فروعه فى البداية ، و إنما بدأ بالمنطقيات و أخر العلم الرياضى .

ـ يلاحظ عدم التوازن فى تفريعات العلوم ، حيث لا يعطى أية تفريعات لبعض العلوم، مثل العلم الإلهى ، و بعضها يصل التفريع فيه إلى ثمانية علوم ، و هو العلم الطبيعى ، ومن ثم فقد جانب التصنيف التناسق بين تفريعات العلوم .

و يعد تصنيف الكندى من المحاولات الرائدة فى التصانيف العربية الإسلامية، حيث وضع الأساس الذى قام عليه تصنيف العلوم الإسلامية القائمة على القرآن والسنة ، و هو ما استفادت منه التصانيف اللاحقة ، مثل تصنيف الخوارزمى الذى يرجع إلى القرن اللاحق للكندى ، و هو القرن الرابع الهجرى ، الذى زخر بالعديد من التصانيف .

هوامش الفصل الرابع

١ــ جابر بن حيان ، هو أبو موسى عامر ابو عبد الله ،و قد اختلف الناس فى حقيقته، فقد أنكره بعضهم ، يذكر ابن النديم أن جماعة من أهل العلم و أكابر الوراقين ينكرون حقيقته و وجوده ، و بعضهم يقول إنه إذا كانت له حقيقة فإن لم يصنف شيئا ، و أن مصنفاته قد ألفها غيره ، ثم نسبوها إليه ، و لكن ابن النديم يؤكد حقيقة جابر بن حيان و وجوده ، و له حجة قوية فى ذلك ، فهو يذكر أن رجلا فاضلا يجلس و يتعب ويصنف كتابا يحتوى على ألفى ورقة ثم ينحله غيره ، إما موجودا أو معدوما ، ضرب من الجهل . فالرجل له حقيقة ، و أمره أظهر و أشهر ، و تصنيفاته أعظم وأكثر ، و إذا كان أنكره بعضهم فقد اختلف بعضهم فى أمره و مذهبه ، فقالت الشيعة إنه كان من كبارهم ، و زعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم ، و زعم أهل صناعة الذهب و الفضة أن الرياسة انتهت إليه فى عصره ، و أن أمره كان مكتوما ، وزعموا أنه كان ينتقل فى البلدان لا يستقر به بلد خوفا من السلطان على نفسه ، كما قيل إنه كان فى حملة البرامكة ومنقطعا إليهم : من شعبان عبد العزيز خليفة ووليد محمد العوزة ــ الفهرست لابن النديم : مج ١ ص ٦٩٨ . و يرجح الدكتور زكى نجيب محمود أن ابن حيان كان من الشيعة مذهبا ، و من الفلاسفة جدلا ، و من الكيميائيين علما ، أما اساتذته فهما خالد بن يزيد بن معاوية (ت ١٠٤هــ) و جعفر الصادق ، فقد أخذ اعلم صناعة الكيمياء عن خالد بن يزيد ، و بكن شهرة جابر فاقت شهرة خالد، و كان جعفر الصادق إماما له فى مذهبه الشيعى : زكى نجيب محمود ــ جابر بن حيان ــ سلسلة أعلام العرب ٢٣ ــ القاهرة ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة و النشر : ١٩٦٧م : ص ٦٢ . و قد ولد جابر بن حيان بطوس ، و يذكر ابن النديم أن أصله من خراسان ، و قد عاش زمنا فى الكوفة فيما بين عامى ١٢٠هــ ــ١٩٨هــ ، و لذلك لقب بالكوفى . و لم تكن الكيمياء علما بالمعنى المعروف ، و لكن جابر وضع لها أسسا و نظريات و قواعد ، و عرف كثيرا من مصطلحاتها ، و له العديد من المصنفات فيها ، و لذلك فهو يعد رائد علم الكيمياء ، وبالإضافة إلى

ذلك فهو رجل موسوعى ، كتب فى موضوعات شتى . و قد حصر ابـــن النديـــم مصنفات ابن حيان التى وصل عددها إلى ٢١٣ كتابا : شـــعبان خليفـــة و وليـــد العوزة ــ مرجع سابق : مج٢ ص ١٠٧ .

٢ــ جابر بن حيان ــ كتاب إخراج ما فى القوة إلى الفعل ، من مختار رسائل جـــابر بن حيان ــ تصحيح بول كراوس ــ القاهرة ــ مكتبة الخانجى : ١٣٥٤هـــ : ص ص ١ــ٩٥ .

٣ــ المرجع السابق : ص ص ١ــ٩٥ .

٤ــ حاجى خليفة ــ مصدر سابق : ج١ ع٢٣ .

٥ــ جابر بن حيان ــ مصدر سابق : ص ٤٨ .

٦ــ جلال محمد عبد الحميد موسى ــ منهج البحث العلمى عند العرب فـــى مجـــال العلوم الطبيعية و الكونية ــ تقديم و تحليل محمد على أبو ريان ــ بـيروت ــ دار الكتاب اللبنانى : ١٩٧٢م : ص ١٦٦ .

٧ــ أحمد عبد الحليم عطية ــ دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ــ القاهرة ــ دار الثقافة : ١٩٩١م : ص ١٦٠ .

٨ــ جابر بن حيان ــ مصدر سابق : ص ٦٢ .

٩ــ العناصر الأربعة : النار و الهواء و الماء و الأرض .

١٠ــ أحمد عبد الحليم عطية : مرجع سابق : ص ١٦٤ .

١١ــ حاجى خليفة : مصدر سابق : ج١ ع٢٣ .

١٢ــ جلال محمد عبد الحميد موسى ــ مرجع سابق :ص ١٣٥ .

١٣ــ نظرية الأخلاط : ظلت هذه النظرية أساسا لعلم الطب حتى القرن الثامن عشـــر الميلادى ، عندما اسكتشفت الجراثيم ، و نشأ علم البكتريولوجيا والأمراض المعدية ، القائلان بأن كل مرض إنما يحدث نتيجة عدوى خاصة . و يرى غـــاليوجى أن نظرية الأخلاط التى شيدت على تأملات فلسفية أثبتتها البحوث الحديثة فى كيفيـــة احتفاظ الجسم بتركيبه الداخلى ، و استجابة المحور المكون من الجهاز العصبـــى و الغدد الصم إلى مختلف التأثيرات الخارجية : جلال محمد عبد الحميد موســـى ــ مرجع سابق : ص ١٧٧ .

١٤ـ نفس المرجع السابق : ص ١٧٧ .

١٥ـ الجنس هو ما يميز حقيقة الشيء ؛ بمعنى إذا قلنا جنس الموضوع هو الموضوع الكلى الذى يندرج تحته موضوعات أخرى ، مثل قولنا : الإنسان حيوان ، فكلمة حيوان هى جنس للإنسان ، حيث يشترك فى كلمة حيوان مع الإنسان موضوعات أخرى مثل الأسد و القرد و غيرها . و الفصل : هى الصفات التى تميز الشيء عن الأشياء الأخرى المندرجة معه تحت الجنس عن الأنواع الأخرى المندرجة ، مثل الإنسان حيوان ناطق ، فالحيوان جنس للإنسان ، و ناطق هى الصفة التى تفصله عن الحيوان .

١٦ـ جابر بن حيان ـ كتاب الحدود ، فى كتاب مختار رسائل جابر بن حيان ـ تصحيح بول كراوس ـ القاهرة ـ مكتبة الخانجى : ١٣٥٤هـ : ص ص ٩٧ـ١١٤.

١٧ـ جابر بن حيان ـ كتاب الحدود : ص ١٠٣ .

١٨ـ زكى نجيب محمود ـ مرجع سابق : ص ص ١١٩ـ١٢٠ .

١٩ـ يلاحظ أن طريقته فى تكوين المجموعات هى أنه أخذ للحرارة الحرف الأول ، و الخامس ، و التاسع ، و الثالث عشر ، و هكذا . وللبرودة الحرف الثانى ، والسادس ، و العاشر ، و الرابع عشر ، و هكذا . ولليبوسة الحرف الثالث و السابع و الحادى عشر ، و هكذا . و للرطوبة الحرف الرابع و الثامن و الثانى عشر ، وهكذا. على أساس أن ترتيب الحروف الأبجدية هو أ ب ج د ، هـ و ز ، ح ط ى ، ك ل م ن ، س ع ف ص ، ق ر ش ت ، ث خ ذ ، ض ظ غ . و هنا نلاحظ التقسيم الرباعى للحروف .

٢٠ـ زكى نجيب محمود ـ مرجع سابق : ص ٩٥ .

٢١ـ جلال عبد الحميد موسى ـ مرجع سابق : ص ١٣٧ .

٢٢ـ التدابير : وتتمثل فى الخطوات أو الأعمال فى التنقية ، و هى عملية مزج المعادن بالزئبق ، ثم التصعيد ، ثم التكليس ، لتحويل المعدن إلى مسحوق رقيق ، ثم التصدية لتطهير المادة من وسائخها ، ثم عملية التشميع ؛ أى إضافة بعض المواد لتليينها لتصبح مثل الشمع حتى يسهل ذوبانها على النار ، ثم الحل ؛ أى

حل الإجسام إلى أجزائها الطبيعية بالتصعيد و التقطير ، ثـم العقـد ؛ أي وضـع المسحوق في إناء ويوقد تحته ليجمد و يعود حجرا : جلال عبد الحميد موسـى ـ مرجع سابق : ص١٣٩ .

٢٣ـ زكي نجيب محمود ـ مرجع سابق : ص ص ١٩٧ـ١٩٩ .

٢٤ـ ماهر عبد القادر ـ المنطق و مناهج البحث ـ الإسـكندرية ـ دار المعرفـة الجامعية :١٩٩٨م: ص٣٣ .

٢٥ـ جابر بن حيان ـ الحدود ـ ص ١١١ .

٢٦ـ هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمـد بن الأشعث بن قيس ، و تاريخ ميلاده غير معروف على وجه اليقين ، و ترجـح ولادته في عام ١٨٥هـ ، و قد توفي والده و هو صغير ، و دفعته والدتـه إلـى الدراسة و العلم ، و بخاصة العلوم الدينية و آلاتها (العلوم العربية و التـاريخ) حيث كانت هي العلوم الرائجة في ذلك الوقت . و قد تعلم علـوم اللغـة و الأدب وشيئا من علوم الدين ، و لما بلغ رشده اتجه إلى الفلسفة و علومها و علم الكـلام والمتكلمين وغير ذلك من العلوم المنقولة عن الحضارات الأخرى . و كان علـى علم ببعض اللغات ، و منها السريانية ، و ترجم العديد مـن الكتـب ، و منـها : المعمور في الأرض لبطليموس ، كما تخصص في علم أحكام النجوم . كما كـانت له مؤلفات عديدة في موضوعات شتى. و قد لقب الكندي بفيلسوف العرب ، ويرى مصطفى عبد الرازق أن الكندي جدير بهذه التسمية لأنه أول عربي مسـلم مـهد للفلسفة سبيل الانتشار بين العرب في ظل الإسلام ، حيث كان أمر الترجمة مـن قبله لغير العرب ، فكانت الترجمة حرفية يستعصى على العربي فهمـها ، فجـاء الكندي وترجم بنفسه، و اصلح ما ترجم ليسهل تناوله ، و لا ينفـر مـن أسـاليبه الذوق العربي : مصطفى عبد الرازق ـ فيلسوف العـرب و المعلـم الثـاني ـ القاهرة ـ دار إحياء الكتب العربية : ١٩٤٥ : ص ٢٤ .

٢٧ـ فؤاد سزكين ـ تاريخ التراث العربي ـ نقلة إلى العربية الدكتور محمود فـهمي حجازي و فهمي أبو الفضل ـ القاهرة ـ الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب : ١٩٧٧م : مج١ ص ٦٢٠ .

٢٨ــ نفس المرجع السابق . ــ مج١ ص ٦٢٠ .

٢٩ــ الكندى ــ كمية كتب أرسطوطاليس و ما يحتاج إليه فى تحصيل الفلسفة : فــى كتاب رسائل الكندى الفلسفية ــ تحقيق و إخراج محمد عبد الهادى أبــو ريــدة ــ القاهرة ــ دار الفكر العربى : ١٩٥٠ : ص ص ٣٦٤ــ٣٧٠ .

30- Langridge , Derek - Classifying Knowledge in Knowledge and communication: essays on the information chain , edited by A.j. Meadows .- London : L.A.1991. P11 .

٣١ــ شعبان عبد العزيز خليفة و محمد عوض العايدى ــ التصنيف العشرى القياســى للمكتبات المدرسية و العامة : ص ٩٣ .

٣٢ــ بريل ، ليفى . فلسفة أوجست كونت ــ ترجمة محمود قاسم و السيد محمد بدوى ــ القاهرة ــ مكتبة الأنجلو المصرية : ١٩٥٢: ص ٤٨ .

٣٣ــ عبد الحليم عطية ــ دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب : ص ٧٥ .

٣٤ــ عبد الحليم عطية ــ مرجع سابق : ص ٧٢ .

الفصل الرابع
التصانيف العربية الإسلامية
فى العصر العباسى الثانى
(فى القرنين الرابع و الخامس الهجريين)
(٢٣٢هـ - ٤٤٧هـ)

مقدمة

بدأ العصر العباسى الثانى مع تولى الخليفة المتوكل الخلافة العباسية ، و تعد فترة حكمه بداية الانحلال فى تلك الخلافة ، إلى أن سقطت بسقوط بغداد فى يد التتار عام ٦٥٦هـ . و يرجع ضعف الدولة العباسية إلى عدة عوامل ، منها :

- اعتماد العباسيين على الفرس و على الأتراك ، و إيثارهم بالمناصب المدنية والعسكرية دون العرب .
- فتك العباسيين ببنى أمية و تمثيلهم بهم .
- قيام العلويين فى وجه العباسيين لأن العباسيين استأثروا بالخلافة دونهم .
- ظهور كثير من بدع الملاحدة و الزنادقة كالرواندية و الخرمية ، و أصحاب المقالات، وطوائف من المتكلمين، وأدى هذا إلى انقسام المسلمين شيعاً وطوائف يناهض بعضها بعضاً ، و يحاول بعضها القضاء على الدولة نفسها.

وعلى الرغم من الضعف السياسى الذى أصاب كيان الدولة العباسية إلا أننا نلاحظ ازدهار الحركة العلمية و نشاطها ، حتى إن هذا العصر يعد من أزهى العصور العلمية فى حياة الحضارة العربية الإسلامية ، و يرجع ذلك إلى أن الحركات التى بدأت فى العصر الأموى و اكتملت فى العصر العباسى الأول من الترجمة والتدوين و التأليف قد بدأت تؤتى أكلها ، كما أشتهر فى هذا العصر كثير من الخلفاء الذين حاولوا اعادة الدولة العباسية إلى ما كانت عليه من قوة و مجد وعلى الرغم

من الضعف الذى أصاب الدولة العباسية بظهور الدويــلات : الســامانية و البويهيــة والحمدانية و الغزنوية والسلجوقية، وغيرها، فقد كان لها اثر كبير فى تقدم الحضــارة الإسلامية و تشجيع العلوم و الآداب و الفنون و غيرها . (١)

و قد زخر العصر العباسى الثانى بظهور العديد من التصانيف ، و بخاصة فى القرن الرابع الهجرى ، و لذلك سوف يتناول هذا الفصل أشهر التصــانيف العربيــة الإسلامية التى توضح الاتجاهات المختلفة فى التصنيف ، و هى : تصنيف الفــارابى فى : '' إحصاء العلوم '' ، و تصنيف الخوارزمى فــى : '' مفــاتيح العلــوم '' ، وتصنيف ابن النديم فى : '' الفهرست '' ، و تصنيف ابن سينا فى : '' أقسام العلــوم العقلية '' .

أولاً : تصنيف الفارابى (ت ٣٣٩هـ)

يعد الفارابى (٢) أول من اعتنى من المسلمين بإحصاء العلوم و تقسيمها ، فى كتابه الشهير : '' إحصاء العلوم '' .. و قد ظل هذا الكتاب محل عناية أهل العلم فــى الشرق و الغرب ، بل كان له أبلغ الأثر فى تصانيف من أتى بعده من فلاسفة العــرب المسلمين ، و نظريات فلاسفة الغرب .

تصنيف الفارابى فى إحصاء العلوم

ينتمى تصنيف الفارابى إلى المدرسة الفلسفية ، حيث بنى تصنيفــه بطريقــة نظرية جاءت وفق تصوره الفلسفى للمعرفة و تقسيم العلوم . و يعرض الفارابى فــى مقدمة كتابه الغرض من وضعه ، ثم يتناول العلوم بأقسامها و تفريعاتها ، متناولاً كــل منها بالتعريف و تحديد الموضوع .

الهدف من تصنيف إحصاء العلوم

صرح الفارابى أن من أهم الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها من كتابه تقســيم العلوم المشهورة على عصره ، و التعريف بموضوعاتها و فروعها . (٣) و لا شــك أن هذا قد أدى إلى وقوع خلاف بين الباحثين ، فبعضهم يرى أنه لم يرم إلى تقســيم العلوم ، بل هو مجرد إحصاء لها ، و التعريف بها . (٤) بينما يؤكد بعض آخر أنــه يهدف إلى تقسيم العلوم ، و إن لم يصرح بذلك . (٥) و نرجــح الــرأى الثــانى لأن عرض الموضوعات فى كتاب إحصاء العلوم جاء وفق ترتيب منطقى ، حيــث قسـم

العلوم إلى أقسام كبيرة ، ثم تدرج بها إلى فروع تندرج تحت كـل موضـوع بشـكل متناسق ، و هذا ما صرح به الفارابى نفسه فى قوله : '' نعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها ، و أجزاء كل ما له أجزاء '' ، فعبارته تشير إلى هدفه فـى تعريـف الحدود الموضوعية لكل علم ، و علاقاته بالموضوعات الأصغر التى تندرج تحتـه ، وهذا ما يخص التصنيف . و التزام الفارابى بتعريف العلم و تحديد موقعه بين العلـوم الأخرى من الأسس التى يقف عليها أى عمل تصنيفى ، و لذلك فإن كتاب '' إحصـاء العلوم '' كتاب فى تصنيف العلوم ؛ حيث لا يمكن لباحث أن ينفذ بفكره فـى علـوم عصره دون أن تكون لديه فكرة تكاملية عن الترابط الموجود بين هذه العلوم واشتقاقها بعضها من البعض الآخر .

إلى جانب الغرض الأساسي لكتاب إحصاء العلوم ، و هو تقسيم العلوم ، فـإن الفارابى يرى لكتابه عدداً من الفوائد ، نجملها فيما يلى :

أولاً : تعريف طالب العلم بالمحتوى الموضوعى لكل علم ، و الغرض منـه ، حتـى يكون على بينة بحدود العلم الذى يقبل على دراسته ، و هـذا يؤكـد علـى الصفـة الموسوعية لكتاب إحصاء العلوم .

ثانياً : مساعدة الطلاب على المفاضلة بين العلوم ، فهو يقدم ترتيباً للعلوم يوضـح أى العلوم يجب الابتداء بها فى التعليم، و أيها يأتى لاحقاً، وهذا يعكس نظام التعليم الـذى ساد فى عصر الفارابى.

ثالثاً : مساعدة الإنسان على الإحاطة بمجموع العلوم كلها ، فإذا تقابل هذا الإنسان مع شخص يدعى العلم و المعرفة يستطيع أن يكشف كذبه أو صحة دعواه .

رابعاً : ينتفع به ـــ كما يقول الفارابى ـــ المتأدب المتفنن ، فمَنْ يريد أن يكتـب فـى موضوع ، أو ينشد قصائد ، أو يكتب نثراً ، هو فى حاجة إلى مجموعة معارف تعينه على هذا الأمر ، فلا يكتب معلومات خاطئة ، أو ما يجانبه الصواب ، و هذه نظـرة متقدمة ، ففى العصر الحديث لا يستطيع كاتب أو مؤلف أو ناثر أو قصاص أو شـاعر الكتابة فى أى موضوع إلا إذا كان محيطاً بمجموعة من المعارف و العلـوم . كمـا يساعد الكتاب كل من يريد الثقافة العامة ، أى يحاول أن يأخذ من كل علم بطرف .

خطة الفارابى فى التصنيف

قسم الفارابى المعرفة إلى خمسة قطاعات معرفية ، ثم قسم كل قسم رئيسى إلى عدة علوم فرعية تندرج تحته ، و قد جاءت خطته التصنيفية على النحو التالى:(٦)

علم اللسان

علم الألفاظ المفردة

علم الألفاظ المركبة

علم قوانين الألفاظ المفردة

الحروف

قوانين أمثلة الألفاظ المفردة

الألفاظ التى عسر النطق بها أول ما وضعت فغيرت حتى سهل النطق بها

علم قوانين الألفاظ المركبة

قوانين أطراف الأسماء و الكلم عندما تركب أو ترتب

قوانين فى أحوال التركيب و الترتيب نفسه فى ذلك اللسان

كيف تتركب الألفاظ و ترتب فى ذلك اللسان حتى تصير أقاويل

التركيب و الترتيب الأفصح فى ذلك اللسان .

علم قوانين الكتابة . ——— (الخط)

علم قوانين تصحيح القراءة . ——— (الإملاء)

علم الأشعار

إحصاء الأوزان المستعملة فى أشعارهم

نهايات الأبيات فى وزن وزن أيما منها عندهم على وجه واحد

ما يصلح أن يستعمل فى الأشعار من الألفاظ عندهم مما ليس يصلح أن يستعمل فى القول الذى ليس بشعر

علم المنطق

المعقولات

العبارة

القياس

البرهان

المواضع الجدلية

الأقاويل السوفسطائية

الأقاويل الخطبية

الأقاويل الشعرية

علم التعاليم

علم العدد

علم العدد العملى

علم العدد النظرى

علم الهندسة

علم الهندسة العملية

الخطوط و السطوح

علم الهندسة النظرى

المجسمات

علم المناظر

الفحص عما ينظر إليه بالشعاعات المستقيمة

علم المرايا و هو يفحص عما ينظر إليه بالشعاعات غير المستقيمة

علم النجوم

علم أحكام النجوم

علم النجوم التعليمى

أشكال النجوم و أوضاع بعضها إلى بعض و مراتبها فى العالم

حركات الأجسام السماوية ، كم هى

الأرض المعمورة و غير المعمورة

- علم الموسيقى
  - الموسيقى العملية
  - الموسيقى النظرية
    - مبادىء الموسيقى و أوائلها
    - أصول الموسيقى
    - الآلات الموسيقية
    - أوزان النغم
    - تأليف الألحان
- علم الأثقال
  - علم الموازين
  - الآلات
- علم الحيل
  - الحيل العددية
  - الحيل الهندسية
    - صناعة رئاسة البناء
    - الحيل فى مساحة أصناف الأجسام
    - الحيل فى صنعة آلات نجومية و آلات موسيقية و أعداد آلات لصنائع كثيرة
    - الحيل المناظرية فى صنعة آلات تسدد الأبصار نحو إدراك حقيقة الأشياء
    - حيل فى صنعة أوان عجيبة و آلات لصنائع كثيرة
- العلم الطبيعى
  - السماع الطبيعى
  - السماء و العالم
  - الكون و الفساد

الآثار العلوية : المقالات الأولى الثلاث من كتاب الآثار العلوية لأرسطو .

الآثار العلوية : المقالة الرابعة .

النبات

الحيوان و النفس

العلم الإلهى

يفحص فيه عن الموجودات و الأشياء التى تعرض لها بما هى موجودات

يفحص عن مبادىء البراهين فى العلوم النظرية الجزئية

يفحص فيه عن الموجودات التى ليس بأجسام و لا فى أجسام .

الحكمة العملية

العلم المدنى

الأخلاق

السياسة

علم الفقه

الآراء '' أصول الفقه ''

الأفعال '' عبادات ''

علم الكلام

الآراء

الأفعال

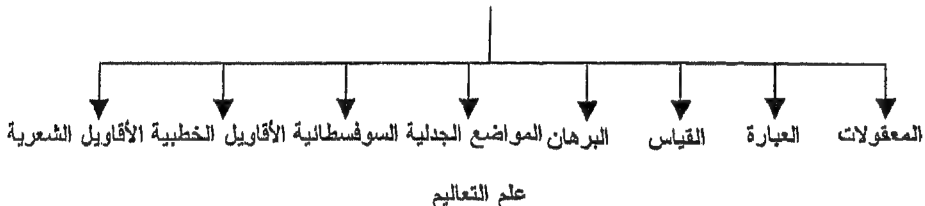
مخطط هيكلى لتصنيف الفارابى

- علم اللسان
- علم المنطق
- علم التعاليم
- العلم الطبيعى والعلم الإلهى
- الحكمة العملية

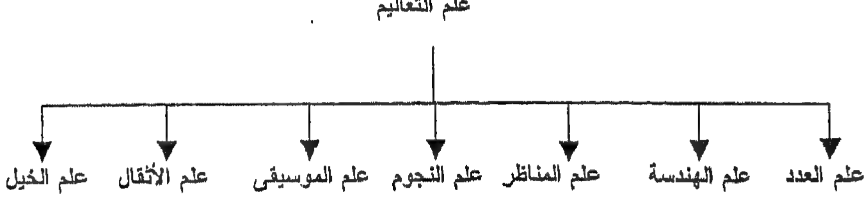
علم اللسان

- علم الألفاظ المفردة
- علم الألفاظ المركبة
- علم قوانين الألفاظ المفردة
  - ١- الحروف
  - ٢-قوانين أمثلة الألفاظ الأسماء والكلم
  - ٣-الألفاظ التى عسر النطق بها
- علم قوانين الألفاظ المركبة
  - ١-قوانين أطراف
  - ٢-قوانين أحوال التركيب والترتيب
    - كيف تتركب الألفاظ وترتيب اللسان
    - التركيب والترتيب الأفصح فى ذلك اللسان
- علم قوانين الكتابة (الخط)
- علم قوانين القراءة (الإملاء)
- علم الأشعار
  - ١-إحصاء الأوزان
  - ٢-نهايات الأبيات
  - ٣-ما يصلح أن يستعمل فى الأشعار من الألفاظ

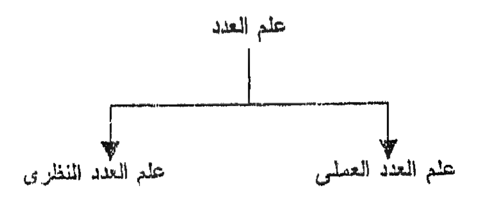
علم المنطق



علم التعاليم



علم العدد



علم الهندسة

- علم الهندسة العملية
- علم الهندسة النظرية
  - الخطوط والسطوح
  - المجسمات

علم المناظر

- الشعاعات المستقيمة
- المرايا

علم النجوم

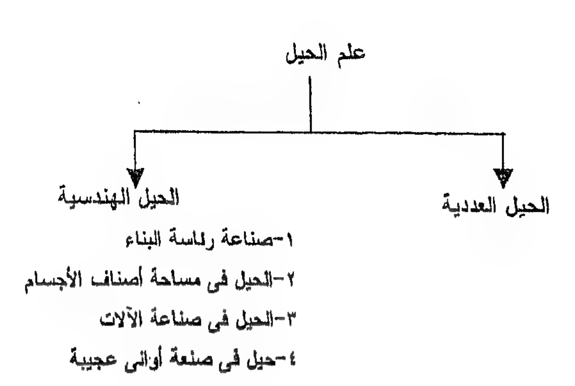
- علم أحكام النجوم
- علم النجوم التعليمى
  - أشكال النجوم
  - حركات الأجسام السماوية
- الأرض المعمورة وغير المعلمورة

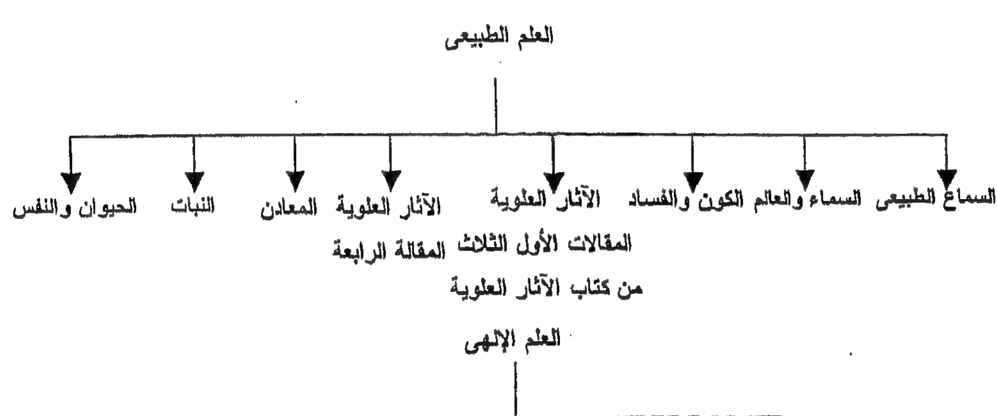
علم الموسيقى

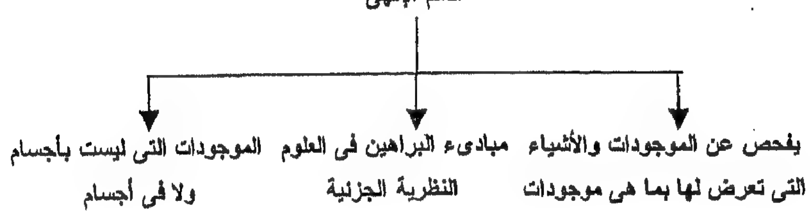
- الموسيقى العملية
- الموسيقى النظرية
  - ١-المبادىء والأوائل
  - ٢-أصول الموسيقى
  - ٣-آلات الموسيقى
  - ٤-أوزان النغم
  - ٥-تأليف الألحان

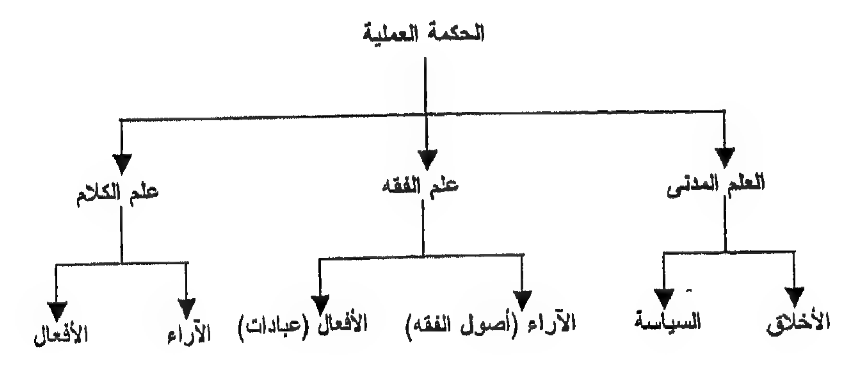
علم الأثقال

- علم الموازين
- الآلات


علم الحيل
الحيل الهندسية
الحيل العددية
١-صناعة رئاسة البناء
٢-الحيل فى مساحة أصناف الأجسام
٣-الحيل فى صناعة الآلات
٤-حيل فى صنعة أوانى عجيبة


العلم الطبيعى
السماع الطبيعى
السماء والعالم
الكون والفساد
الآثار العلوية
المقالات الأول الثلاث
الآثار العلوية
المقالة الرابعة
من كتاب الآثار العلوية
المعادن
النبات
الحيوان والنفس


العلم الإلهى
يفحص عن الموجودات والأشياء
التى تعرض لها بما هى موجودات
مبادىء البراهين فى العلوم
النظرية الجزئية
الموجودات التى ليست بأجسام
ولا فى أجسام


الحكمة العملية
العلم المدنى
علم الفقه
علم الكلام
الأخلاق
السياسة
الآراء (أصول الفقه)
الأفعال (عبادات)
الآراء
الأفعال

يقسم الفارابى المعرفة إلى خمسة فصول يمثل كل فصل منها قسماً رئيسياً فى المعرفة ، و رتب الأقسام الخمسة الرئيسية ترتيباً منطقياً ، فبدأ تقسيمه العلـــوم بعلـــم اللسان في الفصل الأول ، لأن علم اللسان هو المدخل لدراسة كل العلوم الأخـــرى ، فمن أتقن اللغة و السياق اللغوى استطاع أن يستخدم الألفاظ استخداماً سليماً محدداً فـــى صياغة أى علم ، و أية مسألة فى اللغة هى الأداة لتصحيح ألفاظ الأمة و عباراتـــها ، ولا يستغنى عنها فى دراسة أى علم ، و هذا ما أكده '' بـــلاك '' (٧) فـــى القـــرن العشرين حين أشار إلى أهمية السايق اللغوى فى تمحيص المسائل الفلسفية . ثم يـــأتى علم المنطق فى الفصل الثانى ، و يقدمه على بقية العلـــوم الأخـــرى باعتبـــاره الأداة لدراسة العلوم الأخرى . فهو يعطى جملة القوانين التى من شأنها أن تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو الصواب ، و يكون بذلك قد فصل المنطق عن الفلسفة متبعاً منهج أرسطو فى ذلك . ثم يضع العلم الرياضى فى مقدمة العلوم العقلية علـــى اعتبـــار أن العلـــم الرياضى من العلوم البرهانية التى تعتمد على العلوم الأخرى لقوة أدلتها ، و من ثـــم قدمه على بقية العلوم الفلسفية الأخرى لشرفه بقوة أدلته . و يجمع فى الفصل الرابـــع العلم الطبيعى مع العلم الإلهى ، و يؤخر العلم الإلهى عن العلم الطبيعـــى ، و يرجـــع ذلك إلى اهتمام كل منهما بالموجودات الطبيعية مـــع صعـــود العلـــم الإلـــهى بـــهذه الموجودات إلى الموجود الأول و الأكمل و البعيد عن كل نقص . و تـــأتى الحكمـــة العملية فى الفصل الخامس ، و يأتى الترتيب تطبيقاً لنظريته فى تقسيم العلـــوم التـــى شرحها فى كتابه '' التنبيه على سبيل السعادة '' ، حيث قسم العلـــوم إلـــى قســـمين كبيرين :

- **القسم الأول :** تحصل به معرفة الموجودات التى ليس للإنسان فعلـــها ، و هـــى العلوم النظرية .
- **القسم الثانى :** تحصل به معرفة الأشياء التى شأنها أن تفعل ، و القوة على فـــعل الجميل منها ، و هى العلوم العملية و الفلسفة المدنية (٨) ، و المقصود هنا السلوك الإنسانى .

ثم يعود فيقسم العلوم النظرية إلى علم التعاليم أو الرياضيات ، و العلـــم الطبيعـــى ، والعلم الإلهى . أما العلوم العملية فتنقسم إلى : صنف يحصل به علم الأفعال الجميلـــة والأخلاق التى تصدر عنها ، والقدرة على أسبابها، و هذا هو علم الأخلاق . و صنف يشتمل على معرفة الأشياء التى تحصل الأشياء الجميلة لأهل المدن ، والقدرة علـــى تحصيلها لهم و حفظها عليهم ، و هذه تسمى الفلسفة السياسية . و إذا طبقنا هذا المنهج على تقسيمه الذى عرضناه فسوف نجد أنه قدم علوم اللسان و علم المنطق للأســـباب التى سبق ذكرها ، ثم بعد ذلك يقسم العلوم إلى قسمين : علوم نظريـــة، أفـــرد لـــها الفصلين الثالث و الرابع ، و هى علوم الرياضيات ، ثم العلـــوم الطبيعيـــة و العلـــم الإلهى. و القسم الثانى و هى العلوم العملية التى جاء ذكرها فى الفصل الخامس، وهى العلوم المدنية .

و كان الفارابى قد قسم العلوم إلى خمسة فصول ، ثم قسم كلاً منها إل علـــوم فرعية تندرج تحت كل قسم رئيسى ، و جاء هذا التقسيم فى ترتيب منطقـــى ؛ فعلـــم اللسان اشتمل على سبعة أجزاء متدرجاً فى الترتيب من علوم اللغة إلى علوم الكتابـــة إلى علوم الأدب ، و هذا تدرج منطقى ، فبداية تعرف الإنسان على العالم من حولـــه عن طريق الألفاظ ، و هو ما تشمله دراسة اللغة ، ثم يبدأ أولى مراحل التعلـــم عـــن طريق الكتابة و القراءة ، ثم ينتقل إلى مرحلة التذوق الفنى للغة ، و بذلك يبـــدأ فـــى كتابة النثر أو الشعر ، و هما مما يشتمل عليه علم الأدب . و يلاحظ معالجة الفـــارابى لموضوعات علم اللسان بشكل عام عند جميع الشعوب دون قصرها على لسان الأمـــة العربية ، و إن كان يورد الأمثلة من اللغة العربية .

و يقسم علم المنطق إلى ثمانية أجزاء متابعاً نفس التقســـيم الأرســـطى لعلـــم المنطق ، و قد جاء عرض علم المنطق مظهراً لشخصية الفارابى المتميزة فى تصوره لهذا العلم ، فقد عرض تعريف علم المنطق و الغرض منه ، و الموضوعـــات التـــى يشملها ، و معنى علم المنطق لغة و اصطلاحاً ، و الجديد عنده فى تحديد أوجه الشـــبه و الاختلاف بين المنطق و علم النحو ، و ما أخذه علم النحو من المنطق ، و هذا يعـــد انعكاساً لعلوم العصر على زمن الفارابى ، حيث تأثرت نشأة علم النحو بالمنطق ، فقد اتجه النحويون للانتفاع بعلم المنطق فى وضع نظريات و قواعد علم النحو ، و ظـــهر

هذا جلياً فى البصرة قبل ظهوره فى المدن الأخرى ، و من هنا جاءت معالجة الفارابى لعلم النحو و علاقته بعلم المنطق فى هذا الفصل من كتابه .

و يتابع الفارابى التقسيم المنطقى للعلم الرياضى ، فيبدأ بعلم العدد الذى يبحث فى الأرقام ، و الهندسة التى تبحث فى السطوح و المجسمات ، و فيها يعتمد على الأرقام ثم المناظر التى تعتمد بدورها على علم الهندسة لأنها تفحص ما يفحصه علم الهندسة ، و لكن على أنها فى خطوط وسطوح و مجسمات على الإطلاق . و يأتى علم النجوم بعد علم الهندسة ، و هذا أيضاً فى وضعه المنطقى على اعتبار أن علم الهندسة و النجوم يبحثان فى الكيف (و هو الشبيه أو الا شبيه) . و فى تقسيمه لعلم النجوم نجد أيضاً التدرج المنطقى الذى يقدم علم النجوم المعروف بعلم الجغرافيا فى العصر الحديث ، ثم يأتى علم الموسيقى ، و كان من المفروض أن يضعه لاحقاً لعلم العدد ، لأنهما يردان إلى الكم ، فالعلمان يبحثان فى الأرقام . ثم يأتى علم رفع الأثقال، و علم الحيل ، و يرتبط العلمان بالبحث فى القوى المحركة ، فالأول يبحث فى أصول الآلات الرافعة للأشياء الثقيلة ، و الثانى يقوم على مطابقة جميع ما يبرهن وجوده فى العلم الرياضى على الأجسام الطبيعية ، فهذا العلم يعد علماً رياضياً ذا علاقة بعلم الطبيعة ، فهو فى موضعه الصحيح ، لأنه يقف فى مرحلة وسطى بين العلمين ، و من هنا وضع فى آخر العلم الرياضى ، و جاء بعده فى الترتيب العلم الطبيعى الذى يقسمه إلى ثمانية موضوعات متابعاً فيه نفس أجزاء أرسطو للعلم الطبيعى . و تأتى الحكمة العملية فى ترتيبها المنطقى فى الفصل الأخير من تصنيفه ، حيث يرتبط الغرض من التصنيف عند الفارابى بالأساس الفلسفى الذى يقوم عليه تقسيم العلوم ، و هو أن غاية الحياة هى السعادة التى تتحقق بالتأمل و النظر فى الحكمة و علومها ، كما أن الإنسان يسعى للسعادة من وراء ممارساته العملية فى حياته ، و هى الغاية التى يجنيها من المعرفة . وهنا جاءت الحكمة العملية التى تهدف لسعادة الإنسان فى حياته من خلال العلم المدنى و السعادة الأخروية من خلال العلوم الدينية التى عكسها علم الفقه و علم الكلام .

قواعد التصنيف و مفاهيمه فى تقسيم الفارابى للعلوم

يعكس تصنيف الفارابى عدداً من العلاقات بين الموضوعات ، منها :

أولاً : علاقة الاشتمال أو التبعية ، فنجده يعرض للعلم العام الذى يندرج تحته العلوم الخاصة المتفرعة منه ، مثل علم العدد و تقسيمه إلى علم العدد النظرى ، و علم العدد العملى ، و تقسيم علم الحيل إلى قسمين ، و هما : علم الحيل النظرى ، و علم الحيل العملى . و يتفرع علم الحيل النظرى إلى عدد من العلوم الخاصة المتفرعة عنه .

ثانياً : علاقة ترابط أو تجاور ، و هذا نجده فى معالجة موضوعات علم اللسان ، حيث جمع العلوم المتجانسة معاً ، فجمع علم اللغة و علم الكتابة و علم الأدب فى معالجة واحدة ، و يحمد له أنه لم يفرق بين علم اللغة و علم الأدب ، فوضع علم الأدب فى مكان بعيد عن علم اللغة . كما نجد ذلك فى بعض التصانيف الحديثة مثل تصنيف ديوى الذى باعد بين علمى اللغة و الأدب بالرغم من تجانس موضوعيهما .

ثالثاً : علاقة تساو أو تناسب بين الموضوعات ، و لهذه العلاقة نماذج متعددة فى تصنيفه ، مثل : علم الحساب و الهندسة اللذين يندرجان تحت علم ثالث هو العلم الرياضى بالرغم من وقوفهما على صف واحد ، كذلك علمى رفع الأثقال و الحيل اللذين يشتركان فى القوة المحركة التى يعالجها كل منهما بشكل مختلف ، فالأول فى البحث عن أصول الآلات التى ترفع الأشياء الثقيلة ، و الثانى فى وجوه التطبيق فى الأجسام المحسوسة و إظهارها فيها ، و هما يندرجان تحت علم ثالث ، و هو علم الرياضيات .

رابعاً : تحديد مدلولات الألفاظ ، و هى من قواعد التصانيف الحديثة . (٩) و هذا ما يظهر فى عبارته
التالية : " أما ذاك ـ يقصد علم أحكام النجوم ـ فإنه إنما يعد فى القوى و المهن التى بها يقدر الإنسان على الإنذار بما سيكون (١٠) ، مثل عبارة الزجر والفأل والعرافة . (١١)

و يجرنا الحديث عن مدلولات الألفاظ إلى ما يعرف بالجانب الموضوعى فى التصنيف ، و هو ما أكد عليه كل من " هويل و دوف " فى القرن التاسع عشر ، وكان محور اهتمام مصنفى القرن التاسع عشر كما يذكر فيكرى ، و هو ما يعنى الفكرة المتضمنة فى كل علم . (١٢) فالفكرة وراء علم الحساب هو الرقم ، و الطب بدن الإنسان ، و إذا بحثنا عن الجانب الموضوعى عند الفارابى فسوف نجد أتصاف

تصنيفه بالموضوعية ، ففى كل علم يعطى الفكرة الموضوعية وراءه ، كمـــا يعطــى تعريفاً محدداً واضحاً ليوضح الحدود الموضوعية لكل علم بحيث لا يختلط مفهومه مع علم آخر ، ففى علم العدد يفرق بين علم العدد العملى و النظرى ، و يبنــى التفريــق على محتواه الفكرى . فعلم العدد العملى يبحث فى الأعداد ، أى الأرقام من حيث هى معدودات ، أى مطبقة على الأجسام من رجال أو أغنام أو دراهم ، أما علــم العــدد النظرى فيبحث فى الأعداد ، أى الأرقام مجردة فى الذهن عن الأجسام ، و عن كــل معدود .

و كان الفارابى ملتزماً بمبدأ التسلسل من أول فصل فى تصنيفه إلى آخر فــرع من الفصل الأخير ، و هذا المبدأ يعنى أن كل علم فى الخطة التصنيفية يخدم تابعــه ، و له ارتباط بالعلم السابق عليه ، و نراه ملتزماً بهذا المبدأ و قد أكــد " كونــت " على أهمية مبدأ التسلسل ، و لكنه ذهب إلى أن كل علم مبنى على ســابقه ، و ليــس على تابعه (١٣) ، و لكن " سبنسر " (١٨٢٠ـ١٩٠٣) الذى تبنى أيضــاً فكــرة التسلسل قال بأن كل علم يخدم تابعه ، و فى الوقت نفسه هو موضوع بحــث للعلــم السابق عليه . (١٤) و هذا ما طبقه الفارابى على تتابع العلوم فى تصنيفه ، فيســير فى ترتيب العلوم متدرجاً من العلم العام إلى الأقل عمومية ، فيبدأ بعلم اللسان الــذى يعد فى نظر الفارابى أعم العلوم ، لأن دراسة اللغة من حيث دلالات ألفاظها وتراكيبها تمهيد لدراسة كل العلوم ، ثم يليها علم المنطق الذى يبحث فى القوانين العامة للفكــر بغض النظر عن الموضوع ، و لذلك فهو يسبق كل العلوم الأخرى لأنه يعد آلة لــها ، و فى الوقت نفسه يعطينا القوانين التى تدل عليها الألفاظ . ثم ينتقل إلى العلم الثــالث وهو العلم الرياضى ، و يقدمه على بقية العلوم الأخرى لأنه ينفذ بقوانينه فى غيره من العلوم ، سواء الطبيعية أو الدينية التى تليه . و قد استخدم المسلمون علم الحساب فــى معالجة بعض المسائل الفقهية ، مثل : علم الفرائض ، و هذا ما ظهر فى التصانيف اللاحقة على الفارابى . و نلاحظ تدرج موضوعات العلم الرياضى من العام إلى الأقل عمومية ، كما يلاحظ اعتماد اللاحق على السابق ، فنجد علم الهندسة معتمداً على علم العدد ، و فى الوقت نفسه يستخدم فى الحسابات الفلكية فى علم الهيئة (الفلك) . و آخر فروع العلم الرياضى علم الحيل الذى يستخدم البراهين الرياضية فى الأجســام

الطبيعية ، فهو إذن يخدم تابعه و موضوع بحث للعلم السابق عليه . ثم ينتقل إلى العلم الطبيعي ، و منه إلى العلم الإلهي ـ و سبق أن أوضحنا صحة هذا الترتيب عنده ـ . ثم ينتقل إلى العلم المدنى الذى يعد علماً عاماً لما بعده ، و هو علم الفقه الذى يطبق نظريات فى سلوك الفرد المسلم ، فالعلم المدنى يعطى شروط المجتمع الفاضل بصفة عامة ، و يأتى علم الفقه بعده ليقنن سلوك الفرد فى مجتمع يسوده الشرع ، ثم ينتهى إلى علم الكلام الذى يعد أخص العلوم لاستخدامه الفلسفة ـ المتمثلة فيما سبق عرضه من علوم ـ للدفاع عن العقيدة الإسلامية .

و من هذا العرض يتضح أن مبدأ التسلسل الذى نادى به المصنفون فى القرن التاسع عشر له إرهاصات سابقة عند العرب المسلمين ، إذ طبقه الفارابى فى تقسيمه للعلوم ـ مما يؤكد أن جذور التصانيف الحديثة لها سبق من الناحية الحضارية فى التصانيف العربية الإسلامية .

تصنيف الفارابى انعكاس لموقفه الفلسفى فى تقسيمه للعلوم

تأثر تقسيم العلوم للفارابى بآرائه الفلسفية ، فمن آرائه إمكانية قيام مجتمع بدون شرع ، دون أن تغيب عنه معرفة الموجود الأول ؛ أى بإمكان بلوغ المعرفة بهذا الموجود عن طريق العقل . و لذلك لا يبدأ بالعلوم الدينية ، و إنما يبدأ بالعلوم النظرية التى يعتبرها وسائل للوصول إلى المعرفة ، فنجد علمى اللسان و المنطق علمين نظريين لهما الأسبقية فى تصنيفه على علم الفقه الذى يعد علماً عملياً ، كما أن معرفة الموجود الأول عند الفارابى ترجع إلى علم نظرى أساسه العقل ، و هو العلم الإلهى ، و لذلك يضعه متأخراً بعد فروع الحكمة النظرية (١٥) . كما يعكس تصنيفه نظرته ـ كفيلسوف ـ إلى فضيلة العلوم حيث يرى أن فضيلة العلوم تكون بإحدى ثلاث : إما لشرف الموضوع ، أو باستقصاء البراهين ، و إما لعظم الجدوى الذى فيه ، أو بالثلاث معاً . (١٦) و أما ما يكون لشرف الموضوع فمثل علم النجوم ، و أما ما يكون باستقصاء البراهين فهو علم الهندسة ، و أما ما يكون لعظم الجدوى فيكون للعلوم الشرعية ، و ما تجتمع فيه تلك الصفات فهو العلم الإلهى . ومن النظريات الفلسفية التى آمن بها الفارابى نظرية التوفيق بين الدين و الفلسفة التى انعكست على تصنيفه فى جمع علمى الفقه و الكلام مع العلم المدنى فى فصل واحد ،

و يعد هذا الجمع من عيوب تصنيف الفارابى ، فقد كان من الأفضل تخصيص فصل مستقل بهما ، أو إلحاقهما مع العلم الإلهى ، و يؤيد هذا القول '' لويس جارديه '' الذى اعتبر محاولة الفارابى فى إدماج علمى الفقه و الكلام فى دائرة العلوم العملية ثمرة حقيقية لعملية التوفيق بين الدين و الفلسفة . (١٧) التى اتسمت بها فلسفة الفارابى، و لكنه فى موضع آخر يرى أن هذا الجمع جعل من تصنيفه عملاً مصطنعاً. (١٨) و قد جاء هذا التصنيف لنظرة الفارابى لعملى الفقه و الكلام على أنهما لترشيد السلوك الإنسانى إلى ما يجنيه من خير،

سواء فى الدنيا و الآخرة ، كما يفعل العلم المدنى الذى يرشد السلوك الإنسانى لخلق مجتمع فاضل .

تقييم محاولة الفارابى التصنيفية

يفرق الفارابى بين ما هو نظرى و ما هو عملى ، و قد اتضح ذلك فى أكثر من موضع ، و نذكر منها على سبيل المثال تفريقه بين علم العدد النظرى و علم العدد العملى ، فالأول ينظر فى الأرقام المجردة فى الذهن ، و الثانى ينظر فى الاستخدام العملى لهذه الأرقام من حيث استخدامها للعمليات الحسابية ، و هو ما يستخدمه الجمهور فى معاملات السوق و المعاملات المدنية . كما فرق بين علم الهندسة النظرى و علم الهندسة العملى ، فالأول ينظر فى الخطوط و السطوح على الإطلاق ، و الثانى فى التطبيق ، أى ينظر إلى هذه الخطوط و السطوح فى الجسم سواء كان خشباً أو حديداً ، و هو ما يمثل المادة المستخدمة فى الصناعة ، و هو فى ذلك يقترب من تقسيم التصانيف الحديثة للعلوم التى تفرق بين العلوم البحتة و العلوم التطبيقية ، فالجانب النظرى هو ما يمثل العلوم البحتة ، و الجانب العملى ما يمثل العلوم التطبيقية، كما نجد هذا التعريف فى الفصل الخامس الذى يخصصه للعلم المدنى وعلمى الفقه و الكلام ، و علم الفقه يعد العلم التطبيقى الذى يدور حول مسائل الفروع، أى حول سلوك الفرد المسلم و ممارسته العملية فى حياته المؤتمرة بالعقائد الإسلامية ، و لذلك نجد فيه مباحث علم الإخلاق و السياسة و الاقتصاد ، و غيرها من العلوم الاجتماعية ، التى تعد بمثابة العلم النظرى لعلم الفقه بما تضعه من الشروط الواجب مراعاتها لتحقيق المجتمع الفاضل .

المميزات و العيوب فى تصنيف الفارابى

تميز تصنيف الفارابى بعدة مميزات منها : قوة عرضه الموضوعات ، و تمكنه منها ، و السيطرة عليها ، فجاءت الموضوعات متسلسلة من العام إلى الخاص فى شكل منطقي سليم ، كما كان فى تقسيمه للعلوم يتعامل معها تعامل الخبير بقواعد التصنيف ، كما تعد محاولة الفارابى من أول المحاولات الجادة لتقسيم العلوم فى الحضارة الإسلامية التى أثرت فى معظم المحاولات التالية له .

و من أبرز العيوب التى ظهرت فى تصنيف الفارابى إغفاله بعض الموضوعات فى تصنيفه على الرغم من استقرارها كعلوم على زمن الفارابى ، و منها العلوم الدينية : علوم التفسير ، و القراءات ، و علوم الحديث ، و كذلك علم الكيمياء ، و الطب ، و هما من العلوم العقلية التى كان للفارابى فيها بعض المؤلفات ، كما كان لهما شهرة كبيرة على زمن الفارابى . كما أغفل علم التاريخ ، و هو من أوائل العلوم التى وضعت فيها المؤلفات .

أثر الحياة الفكرية و الحضارية و العلمية و السياسية فى تصنيف الفارابى

ظهر تأثير الحياة الفكرية فى تصنيف الفارابى سواء بجانبها العلمى العقلى أو جانبها الدينى ، فبالرغم من تأثير الفكر اليونانى متمثلاً فى تصنيف أرسطو فى تقسيم الفارابى للعلوم إلا أن الفكر الإسلامى كان له التأثير الأكبر فى نظرة الفارابى إلى بعض العلوم . ففى حديثه عن العلم الإلهى ، بالرغم من إشارته إلى كتاب أرسطو " ما وراء الطبيعة " ، يسير فى عرضه لهذا العلم صاعداً إلى عقيدة التوحيد ، فيشير إلى البراهين العلمية اليقينية التى تؤكد على وجود الله القادر فى أفعاله ، الخالق لجميع الموجودات . (١٩) كما كان للفكر الدينى تأثير فى تقسيمه العلوم الذى أدى إلى إلحاق علمى الفقه و الكلام بالعلم المدنى فى الفصل الخامس ، و هذا ما فصلنا فيه الحديث من قبل . كما جاء إيراده لعلم اللسان بمباحثه المختلفة كنتاج للحركة الفكرية العلمية النشطة فى العلوم العربية التى بدأت فى العصر الأموى و استكملت فى العصر العباسى الأول . و ما أن جاء العصر العباسى الثانى حتى وضعت لهذه العلوم القواعد المحددة الواضحة . و صنفت العديد من المؤلفات فى اللغة و الشعر و الأدب، و قد تمثل الجانب العلمى العقلى فى الحياة الفكرية فى العصر العباسى الثانى فى

الفصل الثانى و الثالث و الرابع والجزء الأول من الفصل الخامس من تصنيف الفارابى كنتاج لحركة الترجمة لعلوم الحضارات الأخرى و بخاصة اليونانية التى أتت ثمارها في العصر العباسي الثانى فهضمه العرب و استوعبوه و تمثلوه و بدأوا فى تصحيحه و الإضافة إليه ، و قد ظهر هذا التأثير واضحاً فى تقسيم بعض الموضوعات كالعلم الطبيعى على حسب أسماء كتب أرسطو فى هذا العلم .

و بالرغم من النهضة العلمية التى شهدها العالم الإسلامى فى القرن الرابع الهجرى إلا أن المعايير الوضعية للعلم لم تكن قد برزت بمدلولاتها المحددة ، فقد كان ينظر إلى أى معرفة على أنها علم لمجرد وجود موضوع خاص بها (٢٠) و انعكس هذا فى تقسيم الفارابى لعلم النجوم إلى ثلاثة أقسام ، الأول منها يتعلق بدلالات الكواكب على ما سوف يحدث فى المستقبل ، و اعتباره علماً و هذا لا يمكن قبوله علماً فى العصر الحديث . و قد اتسم العصر الذى عاش فيه الفارابى بالانقسام الفكرى و السياسى ، و لم يكن الفارابى بعيداً عن الصراع فى عصره ، و لذلك هداه تفكيره إلى أن توحيد الإمارات لا يأتى إلا من خلال طريقتن هما وحدة الفكر و وحدة المجتمع . و تمثلت وحدة الفكر لديه فى قضية التوفيق بين الفلسفة و الدين . (٢١) وهذا ما انعكس على تصنيفه من معالجة علمى الفقه و الكلام مع العلم المدنى فى الفصل الخامس معاً .

تصنيف الفارابى بين التاثير و التاثر

تأثر الفارابى بالتصانيف السابقة كما تأثرت به التصانيف اللاحقة عليه .

أولاً : التاثر :

تأثر الفارابى بما ذهب إليه الكندى فى رسالته " أقسام كتب أرسطو " فى التفرقة بين العلوم الإنسانية أو البشرية و العلوم الدينية ، حيث ألحق العلم الإلهى فى نهاية تقسيمه للعوم ، و هذا ما فعله أيضاً الفارابى ، حيث أبرز العلوم الإلهية (الدينية) فى الفصل الأخير من تصنيفه . كما تأثر بالكندى فى تقديمه علم الرياضى على سائر العلوم العقلية .

ثانياً : التأثير:

ظهر تأثير إحصاء العلوم للفارابى على العديد من أصحاب التصانيف التالية عليه ، فمنهم من نقل عنه الفكرة أو اساس التقسيم أو تعريف العلوم أو تقسيمه لبعض العلوم ، و من هؤلاء ابن سينا فى رسالته أقسام العلوم العقلية (٢٢) ، فبنظرة فاحصة إلى العمل التصنيفى عند كل منهما يلاحظ أن الأساس الذى اتبعه الفارابى فى تقسيم العلوم إلى علوم نظرية و أخرى عملية ، و ما سار عليه ابن سينا فى تقسيم العلوم فى رسالته ، حيث جعل الحكمة على قسمين ، قسم نظرى و قسم عملى ، كما تابعه فى تقسيم الحكمة النظرية إلى ثلاثة أقسام ، و هى العلم الرياضى و الطبيعى و الإلهى ، و قسم الحكمة العملية إلى علم الأخلاق و علم السياسة و علم تدبير المنزل الذى أشار إليه الفارابى ضمنياً مع علم السايسة ، و بمقارنة التقسيم عند كل منهما سوف نلاحظ تطابقاً واضحاً من حيث الجوهر و الأساس ، و إن اختلفت الصيغ و العبارات ، و سوف توضح الباحثة ذلك فى معالجة تصنيف ابن سينا .

كما تأثر ابن الأكفانى فى رسالته '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' فى أكثر من موضع ، فبنظرة فاحصة إلى المقدمة نجدها تتفق فى أكثر من موضع مع مقدمة إحصاء العلوم اتفاقاً لا يقتصر على المعنى و إنما يتناول العبارات أيضاً ، كما تأثر به فى تقسيم بعض العلوم ، و منه علم الهيئة و إن زاد ابن الأكفانى فى فروع هذا العلم . (٢٣) و سوف نتناول مثل هذه النقاط بالتوضيح فى معالجة تصنيف ابن الأكفانى .

هل تأثر تصنيف الفارابى بتصنيف أرسطو ؟

إن قضية التأثر بالفلسفة اليونانية التى تثار دائماً حول التصنيفات العربية ، و بخاصة تصنيف الفارابى الذى يشير إليه الكثير (٢٤) من الباحثين العرب من أن تقسيم الفارابى فى معظم مباحثه هو تابع لتقسيم أرسطو ، و تؤكد الباحثة هذه المقولة، فقد ظهر تأثر الفارابى بأرسطو فى عدة مواضع منها أقسام العلم الطبيعى التى كانت أسماء لكتب أرسطو ، و تأثره بتقسيم العلم المدنى إلى علمى الأخلاق و السياسة ، و فصل المنطق عن الفلسفة ، و اعتباره آلة لبقية العلوم . كما قسم العلم الرياضى إلى نفس الأجزاء التى ذكرها أرسطو ، جاعلاً المناظر فرعاً أساسياً و ليس فرعاً مشتقاً

من الهندسة . و ترى الباحثة أن الفارابى لم يقف موقف الناقل فقط و إنما استوعب فى تصنيفه أقسام الفلسفة الوافدة من الحضارات السابقة الأخرى ، و اضاف إليها معطيات البيئة العربية الإسلامية التى نشأ فيها ، و هذا ما نجده فى إضافة علم اللسان و علمى الفقه و الكلام ، و كذلك طريقة معالجته للعلم الإلهى من وجهة نظر إسلامية لا يونانية . و على أية حال فقد كان تمثيله للفكر الإسلامى ضعيفاً .

منهج الفارابى فى تصنيفه

يظهر جلياً من خلال دراسة ''إحصاء العلوم'' إدراك الفارابى لأهمية تصنيف العلوم ، و ارتباط التصنيف بالمنهج العلمى الذى اتضح عنده فى أمرين : الأول تحديد مدلولات الألفاظ والتعريف بكل علم و حدوده ، و موقعه فى خطته التصنيفية . والثانى سير الفارابى فى ترتيب العلوم متدرجاً من العلم العام إلى العلم الخاص ، حيث عرض للقسم الرئيسى ثم أعطى تقسيماته الأولية ، ثم الفروع من هذه التقسيمات ، ومن هنا فقد استخدم المنهج الاستنباطى فى عرضه للعلوم .

مستوى المعالجة فى تصنيف الفارابى

يعرض الفارابى تصنيفه فى خمسة فصول تشتمل على ثمانية علوم، و كل علم منها يفرع إلى أجزاء. و يعرض الجدول التالى موضوعات العلوم فى خطة الفارابى التصنيفية، موضحاً الرتب والفروع، وإلى أى صف يقف التفريع فى تصنيفه:

تصنيف الفارابى	الرتب	الفروع			إجمالى
	الصف الأول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	
إحصاء العلوم	علم اللسان	٧	٨	٢	
	علم المنطق	٨			
	علم التعاليم	٧	١٥	١٤	
	العلم الطبيعى	٨			
	العلم الإلهى	٣			
	العلم المدنى	٢			
	علم الفقه	٢			
	علم الكلام	٢			
الإجمالى	٨	٣٩	٢٣	١٦	٧٨

جدول رقم (٤) يوضح توزيع الرتب الرئيسية و الفرعية فى تصنيف الفارابى

بلغ عدد الرتب على السطر الأول ثمانية موضوعات ، بلغ إجمالي عدد الفروع ثمانية و سبعين فرعاً ، منها تسعة و ثلاثون على الصف الثاني ، و ثلاثة وعشرون على الصف الثالث ، و ستة عشر على الصف الرابع ، و نستنتج من هذا الجدول أن التفريعات تصل عنده إلى الصف الرابع ، و هذا ما يحدث بالنسبة لموضوعين فقط ، هما : علم اللسان و علم التعليم ، و فيهما تصل التفريعات إلى الصف الثالث ، أما بقية الموضوعات عنده فتقف عند الصف الثاني بتفريعاتها ، وهي: علم المنطق و العلم الطبيعي و العلم الإلهي و العلم المدني و علم الفقه و علم الكلام ، و يطلق على تفريعات العلوم لفظ أجزاء ، و هذا يدل على تفريقه بين العلم العام و العلوم الجزئية التي تتفرع منه .

التماسك و الاتساق

يلاحظ على خطة الفارابي التصنيفية التماسك ، فلم تحدث أية قفزات مخلة بخطته ، بل سار في التعريف بكل علم من العلوم مع تفريعاته ، حتى إذا انتهى من هذا العلم انتقل إلى علم آخر مستعرضاً تعريف هذا العلم بكل جزئياته . كما اتصف تصنيفه بالاتساق ، فقد وقفت معظم تفريعات العلوم على الصف الثاني .

و في النهاية لا يسعنا إلا أن نثني على كتاب " إحصاء العلوم " للفارابي الذي كان له أكبر الأثر على التصانيف التي تبعته ، سواء على المستوى العربي أو المستوى الغربي ، و هذا ما سوف توضحه الباحثة في البحث . و ننتقل إلى تصنيف آخر ينتمي إلى نفس المدرسة الفلسفية التي ينتمي إليها الفارابي .

ثانياً : تصنيف الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ)

يعد تصنيف الخوارزمي (٢٥) محاولة جديدة في تاريخ التصنيف ، حيث قدم تقسيم العلوم في قالب شكلي يختلف عن غيره ، و ذلك من خلال التعريف بمصطلحات كل علم .

تصنيف الخوارزمي من واقع كتابه " مفاتيح العلوم "

ينتمي تصنيف الخوارزمي للجانب النظري الفلسفي في تقسيم العلوم ، فقد عرض تقسيمه للعلوم في إطار موسوعي حرص على إبراز كافة المصطلحات في كل علم ، و هذا ما يتضح من خلال الهدف الذي يعرضه في مقدمة كتابه مفاتيح العلوم .

الهدف من وضع كتاب مفاتيح العلوم

يشير الخوارزمي فى بداية كتابه إلى الهدف من وضع الكتاب ، و يتضح فيه أنه لم يقصد و لم يعمد إلى وضع تقسيم للعلوم ، و إنما جاء هذا التقسيم للعلوم ليعرض من خلاله المصطلحات الخاصة بكل علم ، و من هنا فإن الهدف الأساسى عرض اصطلاحات العلوم و الصناعات ليفيد منه الأديب الذى يقوم على تحصيل العلوم ، أو الكاتب ــ ناسخ الكتب ــ لحاجته إلى مطالعة الفنون و الآداب حتى لا يكون كالأمى . (٢٦) و لذلك لم يحدد الخوارزمى مبادىء معينة أو فلسفية توضح الترابط بين كل علم و كل موضوع ، و إنما جاء التقسيم ليحصر المصطلحات الخاصة بكل علم ، و لكنه بالرغم من ذلك وضع تقسيماً للعلوم سار عليه غيره من اللاحقين .

خطة تصنيف الخوارزمى

سار تقسيم الخوارزمى للعلوم على النحو التالى (٣٣)

المقالة الأولى : العلوم الشرعية و ما يقترن بها من العلوم العربية

الباب الأول : الفقه

الفصل الأول : أصول الفقه .

الفصل الثانى : الطهارة .

الفصل الثالث : الصلاة و الأذان .

الفصل الرابع : الصوم .

الفصل الخامس : الزكاة .

الفصل السادس : الحج .

الفصل السابع : البيع و الشركة .

الفصل الثامن : النكاح و الطلاق .

الفصل التاسع : الديات .

الفصل العاشر : الفريضة ، و المقصود بها (الفرائض)

الفصل الحادى عشر : النوادر .

الباب الثاني : الكلام

الفصل الأول : في مواضعات متكلمي الإسلام فيما بينهم .

الفصل الثاني : في ذكر أرباب الآراء و المذاهب من أهل الإسلام.

الفصل الثالث : في ذكر النصارى و مواضعاتهم .

الفصل الرابع : في ذكر أصناف اليهود و مواضعاتهم .

الفصل الخامس : في ذكر أرباب الملل و النحل .

الفصل السادس : في ذكر عبدة الأوثان من العرب و أصنامهم .

الفصل السابع : في ذكر وصف الأبواب التي يتكلم فيها المتكلمون من أصول الدين

الباب الثالث : النحو

الفصل الأول : مبادىء النحو و وجوه الإعراب على مذهب النحويين عامة .

الفصل الثاني : في وجوه الإعراب و ما يتبعها على ما يحكى عن الخليل بن أحمد

الفصل الثالث : في وجوه الإعراب على مذهب اليونانيين .

الفصل الرابع : في تنزيل الأسماء .

الفصل الخامس : في الوجوه التي ترفع بها الأسماء .

الفصل السادس : في الوجوه التي تنصب بها الأسماء .

الفصل السابع : في الوجوه التي تخفض بها الأسماء .

الفصل الثامن : في الوجوه التي يتبع بها الاسم ما قبله في وجوه الإعراب .

الفصل التاسع : في تنزيل الأفعال

الفصل العاشر : الحروف التي تنصب الأفعال

الفصل الحادي عشر : في الحروف التي تجزم الأفعال

الفصل الثاني عشر : في النوادر .

الباب الرابع : الكتابة

الفصل الأول : أسماء الذكور و الدفاتر و الأعمال .

الفصل الثاني : كتاب ديوان الخراج .

الفصل الثالث : كتاب ديوان الخزن

الفصل الرابع : كتاب ديوان البريد

الفصل الخامس : كتاب ديوان الجيش .

الفصل السادس : كتاب ديوان الصنايع و النفقات .

الفصل السابع : كتاب ديوان الماء .

الفصل الثامن : كتاب ديوان الرسائل .

الباب الخامس : فى الشعر و العروض

الفصل الأول : جوامع هذا العلم و أسماء أجناس العروض و ذكـر ما يتقدمها و ما يتبعها .

الفصل الثاني : ألقاب العلل و الزحافات

الفصل الثالث : فى ذكر القوافى و ألقابها .

الفصل تالرابع : اشتقاقات هذه الألقاب و المواضعات

الفصل الخامس : نقد الشعر و مواضعات نقاده

الباب السادس : الأخبار

الفصل الأول : ذكر ملوك الفرس و ألقابهم

الفصل الثاني : ذكر الخلفاء و ملوك الإسلام و نعوتهم و ألقابهم

الفصل الثالث : ذكر ملوك اليمن فى الجاهبية و ألقابهم

الفصل الرابع : ذكر من ملك معداً من ملوك اليمن

الفصل الخامس : ذكر ملوك الروم و اليونانيين

الفصل السادس : ألفاظ يكثر جريها فى أخبار الفرس

الفصل السابع : ألفاظ يكثر ذكرها فى الفتوح و المغازى و أخبـار عرب الإسلام

الفصل الثامن : ألفاظ يكثر ذكرها فى أخبار ملوك عرب الجاهلية

الفصل التاسع : ألفاظ يكثر ذكرها فى أخبار ملوك الروم .

المقالة الثانية : فى علوم العجم

الباب الأول : الفلسفة

الفصل الأول : فى أحكام الفلسفة و أصنافها

الفصل الثانى : فى جمل العلم الإلهى

الفصل الثالث : ألفاظ يكثر ذكرها فى الفلسفة و كتبها

الباب الثانى : المنطق

الفصل الأول : إيساغوجى '' المدخل ''

الفصل الثانى : قاطيغورياس '' المقولات ''

الفصل الثالث : بارى أرمينياس '' العبارة ''

الفصل الرابع : أنولوطيقا '' القياس ''

الفصل الخامس : أفودقسطيقى '' البرهان ''

الفصل السادس : طوبيقى '' الجدل ''

الفصل السابع : سوفسطيقى '' السفسطة ''

الفصل الثامن : ريطوريقى '' الخطابة ''

الفصل التاسع : بيوطيقى '' الشعر ''

الباب الثالث : الطب

الفصل الأول : التشريح

الفصل الثانى : ذكر الأمراض و الأدواء .

الفصل الثالث : الأغذية .

الفصل الرابع : الأدوية المفردة .

الفصل الخامس : أدوية مفردة مشتبهة الأسماء .

الفصل السادس : أدوية مركبة .

الفصل السابع : أوزان الأطباء و مكاييلهم .

الفصل الثامن : النوادر

الباب الرابع : الأرثماطيقى

الفصل الأول : الكمية المفردة

الفصل الثانى : الكمية المضافة

الفصل الثالث : الأعداد المسطحة و المجسمة .

الفصل الرابع : العبارات .

الفصل الخامس : حساب الهند و حساب الجمل و مبادىء الجبر والمقابلة .

الباب الخامس : الهندسة

الفصل الأول : مقدمات صناعة الهندسة

الفصل الثانى : الخطوط

الفصل الثالث : البسائط

الفصل الرابع : المجسمات

الباب السادس : علم النجوم

الفصل الأول : أسماء النجوم السيارة و الثابتة و صورهم

الفصل الثانى : تركيب الأفلاك و هيئة الأرض و ما يتبع ذلك

الفصل الثالث : مبادىء الأحكام و مواصفات أصحابها

الباب السابع : الموسيقى

الفصل الأول : أسامى آلات هذه الصناعة و ما يتبعها

الفصل الثانى : جوامع الموسيقى المذكورة فى كتب الحكماء

الفصل الثالث : الإيقاعات المستعملة

الباب الثامن : فى الحيل

الفصل الأول : الألفاظ التى يستعملها أهل الحيل فى جر الأثقال بالقوة

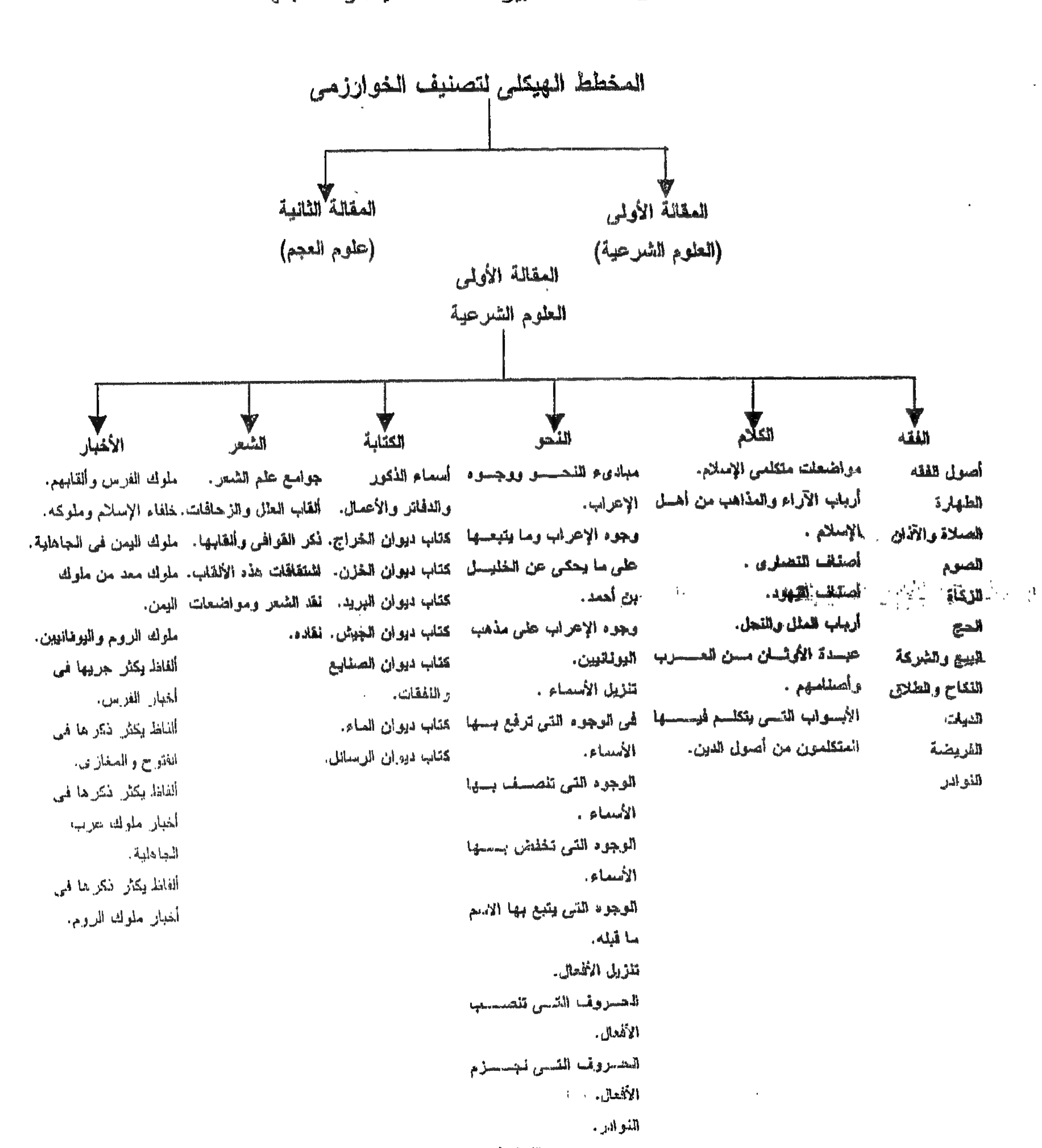
الفصل الثانى : فى صد حركات الماء و صنعة الأوانى العجيبة و ما يتصل بها فى صنعة الآلات المتحركة .

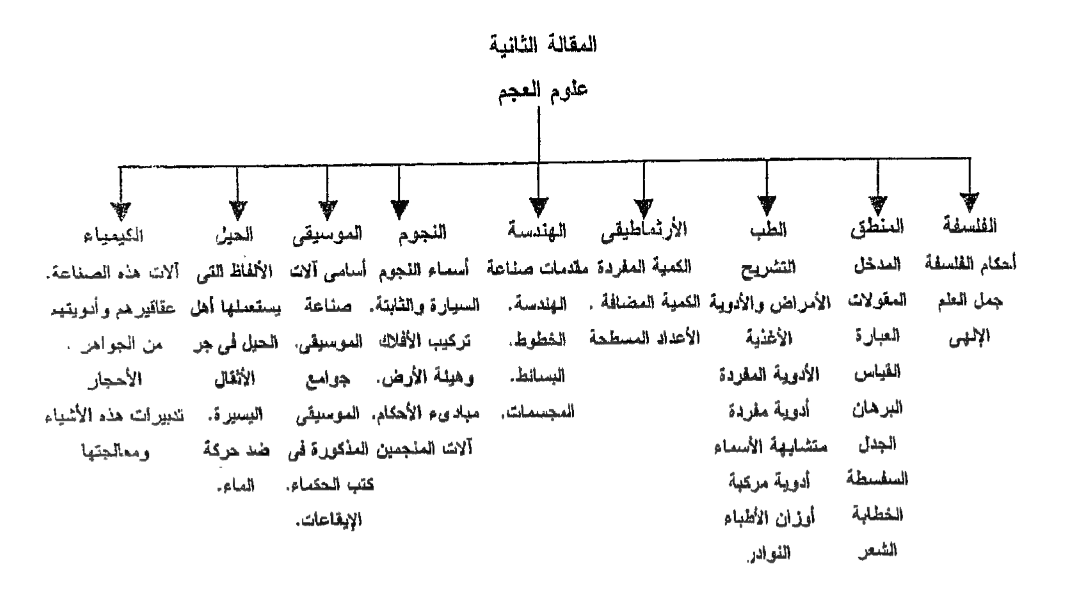
الباب التاسع : الكيمياء

الفصل الأول : آلات هذه الصناعة

الفصل الثاني : عقاقيرهم و أدواتهم من الجواهر و الأحجار

الفصل الثالث : تدبيرات هذه الأشياء و معالجتها .





منطق تصنيف العلوم عند الخوارزمي

قسم الخوارزمي العلوم إلى قسمين كبيرين ، أو مقالتين ، الأولى في العلوم الشرعية وما يتصل بها من العلوم العربية ، و المقالة الثانية في علوم العجم ، و من هنا قد اقتصرت المقالة الأولى على معطيات الحضارة العربية الإسلامية من العلوم الدينية و العربية . و المقالة الثانية على معطيات الحضارات الدخيلة على العرب من حضارة الفرس أو الهند و اليونان ، و هي ما يطلق عليها علوم الفلسفة ، و العلوم التابعة لها : الفلك و الطب و الرياضيات و الكيمياء . و من هنا تتضح طريقة العرب في تقسيم العلوم ابتداء من الخوارزمي في كتابه " مفاتيح العلوم " . و يعد تقسيم العلوم إلى قطاعين تقسيما شكلياً للمعرفة ، و إذا حاولنا استقراء طريقة ترتيب المقالات و تتابعها عند الخوارزمي فإننا لا نستطيع أن نجزم بوجود منطق فلسفي تسير على خطاه ، كما وجدنا هذا التتابع و التسلسل عند الفارابي.

وعلى الرغم من أن الخوارزمي رتب الأقسام الرئيسية في تصنيفه على أساس مرتبة العلم فيما بين العلوم ؛ أي شرف كل علم و فضله بين العلوم . (٢٨) وعلى هذا الأساس يتم تقديمه أو تأخيره . و شرف العلم قد يكون لشرف موضوعه وعموميته ، أو لعظم فائدته . و العلوم بعضها مقاصد وبعضها وسائل ، والأولى أشرف من

الثانية، و على هذا الأساس يرتب الموضوعات فى كل مقالة ، ففى المقالـــة الأولـــى يفرق بين العلوم الشرعية و العلوم العربية و التاريخ ، و يقدم العلوم الشرعية علـــى العلوم العربية لشرف موضوعها ، كما أنها علوم مقصودة لذاتها، والعلـــوم العربيـــة وسائل لها ، فالعلوم العربية وضعت لخدمة الدين و فهمه ، و لذلك فهى من الوسائل . ثم نلاحظ التدرج فى الأقسام الرئيسية ، فيتقدم علم الفقه على علم الكلام و ذلك لشـــدة الحاجة إليه لأن به ينتظم إصلاح الدنيا والدين . وبالرغم من اعتبار عدد كبـــير مـــن المصنفين علم الكلام أشرف العلوم الدينية لبحثه فى ذات الله و صفاته إلا أنه يؤخـــره على اعتبار عمومية علم الفقه الذى يعرفنا بكافة العبادات ، وهو هنا متأثر بالفـــارابى فى تقديمه علم الفقه على علم الكلام لعموم الأول و خصوصية الثانى ، و يقدم العلـــوم العربية على علم التاريخ لأن الأول أكثر ارتباطاً بالعلوم الدينية لأنها تساعد على فـــهم علوم القرآن الكريم والحديث الشريف ، وعند ترتيب العلوم العربية يبدأ بعلم النحـــو الذى يعد أبا العلوم العربية . (٢٩) ثم الكتابة ثم الأدب ، و هنا تدرج من اللغة إلـــى الأدب لتوقف الثانى على الأول ، ثم يلحق علم التاريخ بالعلوم العربية و الشـــرعية . ويقسم المقالة الثانية (فى علوم العجم) فى تسعة أبواب ، و يبدأ فى الباب الأول بعلم الفلسفة باعتبارها أم العلوم كما كان ينظر إليها قديماً ، ثم المنطق لارتباطه بالفلســـفة و اعتباره آلة لكل العلوم ، فهو مقدم عليها ، ثم علم الطب ، و يلاحظ تقديمـــه علـــى سائر العلوم العقلية التى تتبعه ، و ذلك لشرف موضوعه و الغاية منه ، و ذلك لقيامـــه على علاج الإنسان ، و هذا ما يفسر تقديم علم الطب و فضله على علم الكيميـــاء ، و تأخير علم الكيمياء إلى الباب التاسع بالرغم من انتمائهما إلى قطاع معرفى واحـــد ، و هو العلم الطبيعى . و قد أشير إلى هذا التقسيم فى الفصل الأول من الباب الأول فـــى معرض حديثه عن تقسيم الفلسفة . ثم يبدأ فى عرض العلوم الرياضية فيبدؤها بعلـــم العدد ، و يوالى التتابع المتعارف عليه فى فروع العلم الرياضى إلى أن يصـــل إلـــى الباب الثامن الذى يخصه لعلم الحيل الذى لا يعتبره أحد فروع العلم الرياضى ، كمـــا فعل غيره من المصنفين ، لأنه لا يدخل فى جملة العلم الرياضى و لا العلم الطبيعى ، و إنما يأخذ براهين العلم الرياضى ليطبقها على الأجسام الطبيعية فى العلم الطبيعـــى ، و لذلك وضعه بعد الانتهاء من عرض العلوم الرياضية ،و قبل علم الكيمياء الذى يعد

من جملة العم الطبيعى ، ثم يقسم كل باب إلى عدة فصول ، و أحياناً يعطى ترتيباً منطقياً لترتيب بعض الأبواب ، و أحياناً أخرى لا نرى أى ترتيب منطقى .

و من الأبواب التى حظيت بنوع من الترتيب المنطقى الباب الأول من المقالة فى علم الفقه ، و يقسمه إلى فصول ، و يبدأ بأصول الفقه ، لأنه المدخل إلى العلوم الفقهية ثم الطهارة للزومها فى كافة العبادات ، ثم يتدرج فى عرض المباحث الفقهية من الصلاة إلى الزكاة إلى الصوم إلى الحج ، و هذا الترتيب حسب تسلسل العبادات فى أركان الإسلام الخمسة ، ثم يلحق بعلم الفقه عدد من الموضوعات لا ترى الباحثة وجود أى تسلسل منطقى بينها . و فى الباب الثانى فى علم الكلام يفرق بين الديانات السماوية و الديانات الوضعية و ترتيب الديانات السماوية لا نرى ترتيباً تاريخياً و إنما يبدأ بالإسلام باعتباره دين الدولة و هو الأعلى على بقية الديانات السماوية ، ثم الدين المسيحى لقرب عهده من الإسلام ثم اليهودى . ثم يعرض للديانات الوضعية عند العرب و غير العرب ، و يحتل الترتيب المنطقى فى الفصل السابع الذى يخصصه فى أصول الدين التى يتكلم فيها المتكلمون . و كان من المفروض إلحاقه بما يخص الدين الإسلامى . و فى الباب الثانى فى علم النحو نرى ترابطاً للموضوعات مع تسلسل منطقى فيعرض فى البداية المذاهب النحوية المختلفة ، ثم يتناول وجوه الإعراب فى الأسماء ثم فى الأفعال ، و فى ترتيب فصول المقالة الثانية لا نلمح ترتيباً منطقياً إلا فى الباب التاسع فى الكيمياء حيث يبدأ بالآلات المستخدمة فى صناعة الكيمياء ثم المواد المستخدمة فى العمليات الكيميائية ، ثم ينتقل إلى التعريف بالعمليات الكيميائية نفسها من التقطير و التكليس . و من النماذج الدالة على عدم وجود تدرج منطقى فى عرض الموضوعات علم التاريخ فى الباب السادس من المقالة الأولى ، فنلمح تقسيماً شكلياً ، حيث يفرق بين التعريف بالملوك و ألقابهم ، ثم الألفاظ الموجودة فى كل أمة ، و لكن لا نجد أى تتابع منطقى أو زمنى بالرغم من أنه يعالج علماً تتتابع موضوعاته زمنياً ، فنجده يبدأ بأخبار الفرس ثم الإسلام ، ثم عرب الجاهلية و اليمن ، ثم ملوك الروم ، و كان من المفروض أن يذكر ملوك الروم بجوار ملوك الفرس ثم عرب الجاهلية و اليمن ثم ملوك الإسلام ، و قد يرجع تقديمه لملوك الفرس ثم ملوك الإسلام لتعصبه إلى جذور فارسية ثم الإسلام . و يلاحظ على

بقية فصول الأبواب فى المقالتين عدم انتظامهم فى ترتيب منطقى لعرض الموضوعات .

القواعد و المفاهيم المستخدمة فى تصنيف الخوارزمى

لا نجد فى تصنيف الخوارزمى قواعد واضحة للتصنيف كما وجدنا عند الفارابى ، و يرجع ذلك كما أشرنا من قبل إلى أن تقسيم العلوم عنده لم يكن هو الهدف الرئيسى ، و إنما جاء التقسيم لعرض المصطلحات من خلاله ، و لذلك وجدنا عنده جمعاً لموضوعات لا تتسلسل فيما بينها بشكل منطقى أو متتابع للوصول إلى تحقيق غاية أو هدف ، و بالرغم من ذلك نلاحظ أن الموضوعات تسير وفق مبدأ الشمولية أو التبعية حيث يقسمها إلى أقسام رئيسية ، و كل قسم يتدرج تحته عدد من الموضوعات ، فهو بذلك يسير من العام إلى الخاص .

كما نلاحظ على تقسيم العلوم عنده علاقة تجاور حيث يعرض العلوم المتشابهة معاً ، فيعالج العلوم الدينية معاً ، ثم العلوم العربية متجاورة . كما تتجاور عنده العلوم الرياضية . و من العلاقات أيضاً علاقة تساو ، و هذا ما نجده فى علم الحساب والهندسة حيث يقفان على رتبة واحدة بالرغم من اشتراكهما فى معالجة المقدار ، فالمقدار فى الحساب أعداد مجردة ، و فى الهندسة نجد المقدار مشخص فى شكل خطوط و سطوح و مجسمات .

تقييم محاولة الخوارزمى التصنيفية

من استقراء تقسيم العلوم عند الخوارزمى نجد أنه ذكر علوماً و موضوعات عند معالجة بعض الفصول فى كل باب ، و لم يعددها و لم يضعها فى إطار تصنيفه، و من أمثلة ذلك يذكر فى علم أصول الفقه فى الفصل الأول من الباب الأول علوماً وموضوعات من الإجماع و القياس . كما يعرض فى الفصل الخامس من الباب الرابع فى علم الحساب عددا من العلوم : علم حساب الخطأين ، و علم الجبر و المقابلة ، وعلم الديباجة ، و علم الوصايا و المواريث . وقد ذكرت هذه الموضوعات كفروع لعلم الحساب فى التصانيف اللاحقة عليه . و يذكر فى الفصل الثانى من الباب السادس (علم النجوم) ، و يذكر عدة موضوعات منها الأرض المعمورة و غير المعمورة ، و الأزياج و هى من العلوم التى ذكرتها التصانيف اللاحقة عليه ، و أبرزتها فى

خططها التصنيفية ، ولم يتطرق فى علم النجوم إلى موضوعـــات التنجيـم و دلالات الكواكب على المستقبل ، كما نجد عند الفـــارابى ، وبذلــك تنحـــى بتصنيفــه عـــن الخزعبلات .

و من الملاحظات التى تعد انعكاساً حقيقياً لنظرة العلوم فى عصره معالجتـــه العلوم العربية مع العلوم الشرعية ، و يرجع ذلك إلى توقف فهم العلوم الدينية علــــى العلوم العربية ، و لذلك نشأت العلوم العربية لخدمة الدين و فهم معانى القرآن الكريـم و الحديث ، و نتيجة لهذا الارتباط نلاحظ معالجة العلـــوم العربيـــة ملحقــة بـــالعلوم الشرعية عند معظم المصنفين العرب المسلمين ، كما يجعل الخوارزمى علم التـــاريخ علماً من العلوم العربية المساندة للعلوم الشرعية ، و يرجع أيضاً إلى ارتباط نشأة علم التاريخ بالعلوم الشرعية ، فقد بدأت الحاجة إلى علم التاريخ فى تدوين الأخبار المتعلقة بالرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ و الصحابة ، و الحوادث و المغازى التى حدثت فى أوقاتهم . كما أن علم رواية الحديث قد اقتضى البحث فيه البحث فـــى السـير و الأنساب من أجل التأكد من الشخصيات التى يسند إليها رواية الحديث ، و لذلك فإن ما يستخدمه علم التاريخ من الإسناد هو ما يستخدمه علم دراية الحديث مـــن الإســناد ، ومن هنا جاءت معالجة الخوارزمى للتاريخ مع العلوم الشرعية أو الدينيـــة ، و هـــذا الدمج فى معالجة علم التاريخ مع العلوم الشرعية اقتضته طبيعة المعرفة فـــى ذلـــك الوقت و النظرة إلى العلاقات بين العلوم . و نجد ما يماثل هذه النظرة عند مصنفـــى الغرب فى عصر النهضة و منهم '' بيكون '' الذى جمع معالجة التاريخ المدنى مـــع التاريخ الدينى . (٣٠) و يلاحظ بنظرة إجمالية إلى تصنيف الخوارزمى أن تقســـيمه للعلوم ينبع من فكرة وحدة العلم الكلى ، فهو يقسم العلوم إلى قطاعات معرفية كبـــيرة تتدرج إلى قطاعات معرفية أصغر . كما يلاحظ أيضاً فصل العلوم عن الفلسفة بالرغم من وضعها على رأس المقالة الثانية ، إلا أنه لم يسر على نفس تقسيم الفلسفة للعلوم ، و إنما استخدم تقسيماً مختلفاً سار على مبدأ شرف الموضـــوع و أهميتـــه ، و إن أدى ذلك إلى بعد بعض الموضوعات المتقاربة على خريطته التصنيفية ، و لكنــــه يتمـــيز بمحاولة جديدة فى تقسيم العلوم .

مميزات تصنيف الخوارزمي و عيوبه

من أهم ما يميز تصنيف الخوارزمى استيعابه لمعظم علوم عصـــرة بطريقـــة جديدة لم يسبقه إليها غيره من المصنفين ، و على الرغم من محاولة كل مـــن سـبقه منهم لإبراز العلوم العربية و الشرعية إلا أن الخوارزمى اســتطاع أن يحـدد مكانـاً واضحاً لها تميز بالمنطقية ، و اتبعه غيره من المصنفين اللاحقين عليه ، كما تمـــيز تصنيفه بالتحديد الواضح و التعريف الجامع المانع لمصطلاحات العلوم فى عصـره . كما تميز تصنيفه بالنظرة المتقدمة لبعض علـــوم عصـــره ، و منـــها علـــم الحيـــل (الميكانيكا) الذى أخرجه من دائرة العلوم الرياضية ، و لكنه لم يحدد إلى أى قطـــاع معرفى ينتمى هذا العلم ، و قد يرجع ذلك إلى أن الصورة الوضعية لعلم الحيل لم تكن مكتملة ، و هذا العلم أصبح أحد فروع علم الفيزياء فى العصر الحديث ، كمـــا تمـــيز تصنيفه بإيراد فصل فى آخر معظم أبواب مقالتيه بسمى النوادر يخصصـــــه لعـــرض موضوعات متناثرة لا يستطيع جمعها تحت عنوان علم . وهذا ما نجده فى التصـــانيف الحديثة بتسميات مختلفة ، مثل موضوعات أخرى ، أو معارف متنوعة .

و من أهم عيوب تصنيف الخوارزمـــــى عـــدم ذكـــر العديـــد مـــن العلـــوم والموضوعات المعروفة على عصره ، و منها بعض العلوم الشـــرعية ، مثـــل علـــم التفسير و القراءات و علوم الحديث ، و بعض علوم العلم الطبيعى ، بالرغم من أنـــه أشار إليها فى بداية حديثه عن تقسيم الفلسفة ، و قد يرجع ذلك إلـــى تركـــيزه علـــى مصطلحات علوم معينة يستخدمها الكتاب ، و قد كان واحداً منهم ، فكان علـــى علـــم بأهم العلوم ذات الصلة بعمل هؤلاء الكتاب . كما أغفل أيضاً علوم الحكمة العمليـــة ، ويرجع ذلك إلى أن الخوارزمى اعتبرها نوعاً من السلوك و التطبيق العملى ، و لـــم يعتبرها علوماً بالمعنى الصحيح ، ومن هنا فهى ليست مجالاً للنظر العلمى ، بل غايـــة أو هدف للإنسان عليه تحقيقه . (٣١) و يرجع ذلك إلى شهرتها بين الجمهور ، و هذا ما صرح به الخوارزمى نفسه فى مقدمة كتابه و أكده عند عرضه لأقسام الفلســـــفة . ومن العيوب عدم تفريقه بين العلوم حيث يذكر مباحث علم الصيدلة مع مباحث علـــم الطب تحت عنوان واحد ، هو علم الطب ، و يرجع ذلك إلى عـــدم تكويـــن تصـــور وضعى عن علم الصيدلة ، و وضع حدود فاصلة بين الصيدلة و الطب ، وإنما ارتبط

البحث فى العلمين معاً ، و كان فى العادة الطبيب المعالج هو الصيدلى الذى يحضر الدواء ، و بالرغم من ذلك فإن الإشارة إلى علم الصيدلة تعد إضافة من جانب الخوارزمى فى تقسيم العلوم .

و من العيوب أيضاً إشارته إلى موضوعات فى غير مكانها الصحيح ، و منها إلحاق علم الأغذية بموضوعات علم الطب ، فهذا العلم دخيل على علم الطب حيث لا توجد صلة بينهما ، و هذا واضح فى طريقة المعالجة ، فهو لا يتعرض للأغذية وصلتها بصحة الإنسان ، أو تأثيرها على بعض الأمراض ، و لكنه يتناولها بالوصف و طريقة الإعداد و التعريف بما تدل عليه أسماؤها ، و لكن قد نلتمس له العذر فى ذلك لعدم وجود مكان مناسب على خريطته التصنيفية يمكن أن يوضع فيه هذا العلم بالإضافة إلى أن لجوء العرب فى البداية إلى الترجمة فى علم الطب بسبب اعتلال صحتهم من دخول بعض الأكلات الأجنبية المعقدة التى لم يكن للعرب عهد بها .

و من العيوب أيضاً التباعد بين علمى الطب و الكيمياء بالرغم من انتمائهما إلى قطاع معرفى واحد ، و هو العلم الطبيعى ، و هو ما صرح به فى الفصل الخاص فى تقسيم الفلسفة .

أثر الحياة الفكرية و الثقافية على تصنيف الخوارزمى

لقد عكس تصنيف الخوارزمى للمعرفة فكر المجتمع العربى الإسلامى و حضارته ، فهو يعد من أول المصنفين الذين أبرزوا العلوم الشرعية و العربية بشكل واضح ، و هذا يدل على استقرار هذه العلوم و كثرة المؤلفات فيها ، كما ظهر تأثير العقيدة الإسلامية فى معالجته للعلم الإلهى ، فبعد به عن المفهوم الأرسطى ، و اتجه فى معالجته بالإشارة إلى الله الواحد القهار ، و وجوب توحيده و عبادته . كما أن تعصبه للإسلام جعله يبرزه كأول الديانات عند معالجة علم الكلام ، بالرغم من أنه آخر الديانات ظهوراً ، و هذا لا يعد عيباً يؤخذ على الخوارزمى ، فهذا ما تتبعه التصانيف الحديثة التى تبرز تقدم الفكر الدينى و الثقافى بمجتمعها ، بغض النظر عن تسلسله التاريخى ، مثل تصنيف ديوى الذى وضع الدين المسيحى الذى يدين به فى أول الديانات ، و عالجه معالجة مفصلة .

تصنيف الخوارزمى بين التأثير و التأثر

تأثر الخوارزمى فى تصنيفه ببعض المصنفين قبله ، و أثر فى بعضهم ، ممن جاء بعده :

أولاً : التأثر

تأثر الخوارزمى بتصنيفى جابر بن حيان : السباعية و الحدود ، و تمثل ذلك فى إيراده علم الطب و الكيمياء اللذين ذكرهما جابر فى السباعية ، كما ذكر ابن حيان علم الكيمياء فى الحدود ، فنجد الفصل الأخير من الباب الخاص بعلم الطب يخص فيه ما جاء عند ابن حيان فى علم الطب من الأمزجة و الأخلاط و الأعضاء الرئيسية . (٣٢) و لكن تميز الخوارزمى فى التوسع فى فروع العلمين مع وضوح المعالجة والألفاظ فى كل منهما . كما تأثر بفكرة التقسيم الثنائى فى كتاب الحدود ، فى علم الدين و علم الدنيا ، و لكنه استخدم تسمية مختلفة مع التوسع فى فروع العلوم ، وهذا نابع من استقرار العلوم و نضجها فى عصره .

عدم تأثر الخوارزمى بالفارابى فى التصنيف ، و اختلاف معالجة الخوارزمى للعلوم عن معالجة الفارابى . (٣٣) و هذا صحيح من خلال الإطار العام للتصنيف ، لكن التأثر قد ظهر فى جوانب متعددة ، منها : معالجة العلوم الشرعية التى لم يذكر منها سوى علمى الفقه و الكلام ، و تقديمه علم الفقه على علم الكلام فى الترتيب ، و هذا كما فعل الفارابى . كذلك طريقة ترتيب العلوم العربية التى بدأها بعلم النحو ، ثم الكتابة ، ثم الأدب الذى تمثل فى الباب الخاص بالشعر . كما أن تقسيم الشعر عنده هو نفسه عند الفارابى ، فهو يتدرج من العروض إلى القوافى إلى نقد الشعر الذى ذكر عند الفارابى فى الجزء الثالث من الشعر ، بما يفحص عما يصلح أن يستعمل فى الأشعار من الألفاظ . و هنا نجد المعالجة نفسها مع اختلاط التسميات .

ثانياً : التأثير

كان للطريقة التى نظم بها الخوارزمى العلوم فى الفصل بين العلوم النقلية و العلوم العقلية تأثير على كثير من المصنفين العرب المسلمين اللاحقين عليه ، و على رأسهم ابن خلدون الذى استخدم القسمة الثنائية نفسها . كما تأثر ابن الأكفانى بالخوارزمى فى أكثر من موضع فى تصنيفه ، و منها طريقته فى تقسيم المذاهب

الإسلامية المختلفة ، كما نقل عن الخوارزمى كثير من العلوم التى ذكرها الخوارزمى إجمالاً فى بعض العلوم دون إعطائها مكاناً محدداً على خريطته التصنيفية ، و منها علم الجبر و المقابلة ، و علم حساب الخطأين ، ضمن فروع علم الحساب ، كما استخدم نفس تقسيم الخوارزمى لعلمي الحساب و الهندسة ، و عد هذا التقسيم أصولاً لتلك العلوم .

هل تأثر الخوارزمى فى تصنيفه بتصنيف أرسطو ؟.

يلاحظ على تصنيف الخوارزمى تحرره من الفكر الأرسطى و النظريات الفلسفية الإغريقية ، فقد ميز بين العلوم العربية الإسلامية الصرفة و العلوم الأجنبية مستخدماً القسمة الثنائية فى مقابل التقسيم الثلاثى عند أرسطو . كما أنه أعطى تسميات أخرى للعلوم غير الحكمة النظرية و الحكمة العملية بتقسيم مباشر للمعرفة إلى علم المنطق و الطب و الحساب و الهندسة ، و لذلك جاءت بنية تصنيف الخوارزمى مخالفة تماماً لما وجد عند أرسطو أو غيره من المصنفين من أصحاب الحضارات السابقة عليه .

و قد ذكر العديد من الموضوعات التى لم ترد فى تصنيف أرسطو أو غيره من المصنفين ، مثل علم التاريخ و علم الطب و علم الكيمياء ، و مجموعة العلوم الشرعية و العلوم العربية التى هى معطيات المجتمع الإسلامى الجديد . و من الاختلافات الأساسية بين الخوارزمى و أرسطو أن الأخير يذكر الشعر ضمن علوم الفلسفة الإنتاجية ، بينما يذكره الخوارزمى فى المكان الصحيح ضمن العلوم العربية ، و هو بذلك قد تنحى به عن أقسام الفلسفة . و لكن للفكر الأرسطى بعض التواجد على الخريطة التصنيفية للخوارزمى ، و من ذلك تقسيم الخوارزمى علم المنطق إلى تسعة فصول ، هى تقسيمات أرسطو نفسها لعلم المنطق ، و التى تحمل عناوين كتب أرسطو فى المنطق . كما تأثر بالفكر الأرسطى فى نظرته إلى علم الفلسفة على أنها أم العلوم ، و من هذا المنطلق وضعها فى الباب الأول من المقالة الثانية الخاصة بعلوم العجم . كما تأثر الخوارزمى بتقسيم أفلاطون للعلم الرياضى إلى أربعة أقسام فقط ، مستبعداً علم الحيل من فروع العلم الرياضى ، بعكس أرسطو الذى ذكر هذا العلم ضمن فروع العلم الرياضى .

منهج الخوارزمى فى التصنيف

اتبع الخوارزمى طريقة القسمة الثنائية ، و ذلك فى تقسيمه المعرفة إلى قطاعين هما العلوم الشرعية و ما يتعلق بها من العلوم العربية ، و علوم العجم . ويظهر المنهج الاستنباطى بصورة واضحة فى طريقة تقسيم العلوم عند الخوارزمى ، حيث يستند فى تقسيمه إلى ذكر العلوم التى موضوعها أخص من موضوع علم آخر ، و التى تسمى علوماً جزئية تحت العلم العام ، و من ثم يسير بطريقة منطقية فى تقسيم العلوم متدرجاً من العلم العام إلى العلوم الجزئية التى تندرج تحت العلم العام .

مستوى المعالجة فى تصنيف الخوارزمى

يبدأ الخوارزمى كتابه بمقدمة مختصرة يعرض فيها الدافع أو الهدف من وضع الكتاب ، كما يعرض المنهج المتبع فى تجميع المصطلحات و عرضها ضمن مجموع العلوم التى حصرها فى الكتاب . و يعرض الجدول التالى محموع الرتب و الفروع التى تضمنها تصنيف الخوارزمى :

تصنيف	الرتب	الفروع		إجمالى
الخوارزمى	على الصف الأول	الصف الثانى	الصف الثالث	
مفاتيح العلوم	المقالة الأولى فى	الفقه	١١	
	العلوم الشرعية و	علم الكلام	٧	
	ما يتعلق بها من	النحو	١٢	
	العلوم العربية	الكتابة	٨	
		الشعر و العروض	٥	
		الأخبار	٩	
			المجموع = ٥٢	
	المقالة الثانية فى	الفلسفة	٣	
	علوم العجم	المنطق	٩	
		الطب	٨	
		الحساب	٥	
		الهندسة	٤	
		علم النجوم	٤	
		الموسيقى	٣	
		الحيل	٢	
		الكيمياء	٣	
			المجموع = ٤١	
الإجمالى	٢=٢	١٥	٩٣	١٠٨=

جدول رقم (٥) : يوضح توزيع أعداد العلوم المفرعة على كل صف فى الخريطة التصنيفية للخوارزمى

- قسم الخوارزمى المعرفة إلى رتبتين كبيرتين ، هما العلوم الشرعية و العربية ، وعلوم العجم . و فرع من كل منهما عدداً من الموضوعات بلغت فى المقالة الأولى ستة علوم ، و فى المقالة الثانية تسعة موضوعات . ثم عاد ففرع من كل موضوع عدداً من التفريعات ، و هو يقف بالتفريع إلى الصف الثالث ، و لم يزد عليه ، بالرغم من إمكان زيادة التفريع إلى الصف الرابع لاشتمال بعض الموضوعات على الصف الثالث على علوم يمكن إعطائها تفريع على الصف

الرابع ، و لكنه عالجها مدمجة مع الموضوعات الرئيسية لها على الصف الثالث ، كما فى بعض فصول علم الفقه ، و هذا ما عرضناه سابقاً . و بلغ عدد الفروع على الصف الثانى خمسة عشر علماً ، و على الصف الثالث ثلاثة و تسعين علماء و بذلك يبلغ إجمالى عدد العلوم عنده مائة و ثمانية علوم .

- تتفاوت التفريعات من علم لآخر ، فبعض العلوم تصل إلى أقصى تفريع لها ، حيث يبلغ عدد التفريعات اثنى عشر علماً ، و تقل فى بعض الموضوعات ، كما فى علم الحيل لتصل إلى علمين فقط .
- كما يلاحظ زيادة عدد العلوم المفرعة من موضوعات المقالة الأولى فى العلوم الشرعية و العربية ، وهذا يعكس اهتمام الخوارزمى بإبراز العلوم الشرعية والعربية ، وإمعانه فى الإحاطة بكل تفريعاتها . كما أن له تفسيراً حضارياً يعكس مدى تقدم هذه العلوم على زمن الخوارزمى ، و خاصة أن تصنيفه يعد انعكاساً للحياة الفكرية و الحضارية فى المجتمع الإسلامى .
- يمثل علم المنطق ، و هو من علوم المقالة الثانية ، أعلى تفريع ، خحيث يبلغ تسعة علوم . و يليه علم الطب ، حيث يصل التفريع فيه إلى ثمانية علوم . و إذا كان فى العلم الأول ناقلاً نفس عدد العلوم المفرعة عند أرسطو ، فإنه يعكس فى العلم الثانى مدى اهتمام المسلمين بعلم الطب ، و ما وصل إليه من تقدم . و هذا أمر طبيعى لأن علم الطب أول العلوم التى اهتم بترجمتها المسلمون ، و شجعوا على البحث فيه لما اقتضته متطلبات الحياة الحضارية الجديدة للعرب .
- يتفاوت التفرع فى علوم المقالة الثانية ما بين ثلاثة إلى خمسة علوم مفرعة من كل موضوع .

التماسك و الاتساق

يلاحظ التماسك على الخطة التصنيفية للخوارزمى ، فهو لم يحدث أية قفزات مخلة بتصنيفه، وإنما سار فى التصنيف معالجاً كل موضوع بتفريعاته دون القفز من موضوع إلى آخر ، و العودة لمعالجة الموضوع الأول . و لكن يعيب تصنيف الخوارزمى عدم معالجة علم الطب و الكيمياء متتاليين لأنهما ينتميان إلى العلم الطبيعى كما أشار فى الفصل الأول عن الفلسفة و تقسيماتها .

و يلاحظ الاتساق فى تفريع كل الموضوعات التى تقف كلها بشكل متوازن على الصف الثالث ، كما أن أعداد التفريعات لكل موضوع على الصف الثانى كانت متقاربة فيما عدا عدد قليل من الموضوعات ، مثل علم النحو ، حيث يلاحظ الزيادة فى عدد الفروع ، أو علم الحيل الذى يقل عدد العلوم المفرعة منه .

و أخيراً يمكن القول بأن الخوارزمى قدّم رؤية تصنيفية جديدة تختلف عن تصنيفات من سبقه من المصنيفين ، كما كانت له إضافات سواء فى طريقة التقسيم أو ما ذكره من علوم أخذها عنه من أتى بعده من المصنفين .

و ننتقل إلى تصنيف جديد يعد حلقة أضافت الكثير إلى علم التصنيف ، و هو تصنيف ابن النديم .

ثالثاً : تصنيف ابن النديم (ق ٤ هـ)

يرى بعض الدارسين و الباحثين أن أعظم كتابين أنتجتهما الثقافة العربية الإسلامية ، هما : كتاب الفهرست لابن النديم ، و كتاب صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى، فالمطالع لكتاب الفهرست يرى أنه كتاب جامع لتاريخ الأدب العربى(٣٤)

الهدف من تصنيف ابن النديم

يوضح ابن النديم (٣٥) الهدف من كتابه فى عبارة موجزة فى بداية كتابه ، وفيها ذهب إلى أن هدفه الرئيسى هو حصر الكتب المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إلى العربية التى ورقت (نشرت) بالعالم الإسلامى فى مختلف العلوم و تسجيلها مع التعريف بمؤلفيها . و قد تطلب ذلك تصنيف الإنتاج الفكرى ، أى توزيع الكتب على فروع المعرفة البشرية ، مع التعريف بكل فرع من فروعها و شرحه ، و من هنا فابن النديم لم يعمد مباشرة إلى تصنيف المعرفة ، و إنما جاء تقسيم المعرفة لتقسيم الكتب من خلالها ، و لذلك فإننا لا نجد فلسفة بعينها تقف وراء التقسيم ، و إنما بررت مدرسة جديدة فى التصنيف .

تصنيف ابن النديم

قدم ابن النديم تصنيفه للمعرفة من خلال كتابه الفهرست ، و ينتمى تصنيفه إلى المدرسة الثانية فى التصنيف ، و هى التى تعتمد على تقسيم المعرفة بناء على

الإنتاج الفكرى الفعلى ، فقد حصر الإنتاج الفكرى الذى من خلاله قام بتقسيم المعرفة، و هو بذلك قد اعتمد السند الأدبى الذى قال به ويليام هالم . (٣٦)

خطة ابن النديم فى التصنيف

قسم ابن النديم المعرفة على عشرة مقالات ، و كل مقالة إلى عدة فنون على النحو التالى : (٣٧)

المقالة الأولى :

الفن الأول : وصف لغات الأمم من العرب و العجم ، و نعوت أقلامها و أنواع خطوطها و أشكال كتاباتها .

الفن الثانى : أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين و مذاهب أهلها .

الفن الثالث : فى نعت الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، و أسماء الكتب المصنفة فى علومه ، و أخبار القراء.

المقالة الثانية : فى النحو و اللغويين

الفن الأول : فى ابتداء النحو و أخبار النحويين البصريين و فصحاء العرب.

الفن الثانى : فى أخبار النحو و النحويين و اللغويين الكوفيين .

الفن الثالث : فى ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبين .

المقالة الثالثة : فى الأخبار و الآداب و السير و الأنساب

الفن الأول : فى الأخباريين و الرواة و النسابين و أصحاب السير والأحداث.

الفن الثانى : فى أخبار الملوك و الكتاب و المترسلين و عمال الخراج وأصحاب الدواوين .

الفن الثالث : فى أخبار الندماء و الجلساء و الأدباء و المغنين و الصفادسة والصفاعنة و المضحكين .

المقالة الرابعة : فى الشعر و الشعراء

الفن الأول : فى طبقات الشعراء الجاهليين و الإسلاميين ممن لحق الجاهلية و صناع دواوينهم .

الفن الثانى : فى طبقات الشعراء الإسلاميين و المحدثين إلى عصرنا هذا (ابن النديم) .

المقالة الخامسة : فى الكلام و المتكلمين

الفن الأول : فى ابتداء الكلام و المتكلمين من المعتزلة و المرجئة .

الفن الثانى : فى أخبار متكلمى الشيعة و الإمامية و الزيدية .

الفن الثالث : فى أخبار متكلمى الجبرة و الحشوية .

الفن الرابع : فى أخبار متكلمى الخوارج و أصنافهم .

الفن الخامس : فى أخبار السياح الزهاد و العباد و المتصوفة و المتكلمين على الوساوس والخطرات .

المقالة السادسة :

الفن الأول : فى أخبار مالك و أصحابه .

الفن الثانى : فى أخبار أبى حنيفة النعمان و أصحابه .

الفن الثالث : فى أخبار الإمام الشافعى و أصحابه .

الفن الرابع : فى أخبار داود و أصحابه .

الفن الخامس : فى أخبار فقهاء الشيعة .

الفن السادس : فى أخبار فقهاء اصحاب الحديث و المحدثين .

الفن السابع : فى أخبار أبى جعفر الطبرى و أصحابه .

الفن الثامن : فى أخبار فقهاء الشراة .

المقالة السابعة : فى الفلسفة و العلوم القديمة .

الفن الأول : فى أخبار الفلاسفة الطبيعيين و المنطقيين

الفن الثانى : فى أخبار أصحاب التعاليم : المهندسين ، و الأرثماطيقيين ، والموسيقيين ، و الحساب ، و المنجمين ، و صناع الآلات ، و أصحاب الحيل والحركات .

الفن الثالث : ابتداء الطب ، و أخبار المتطببين من القدماء و المحدثين .

المقالة الثامنة : فى الأسماء و الخرافات و العزائم و السحر و الشعوذة .

الفن الأول : فى أخبار المسامرين و المخرفين و المسطورين .

الفن الثانى : فى أخبار المعزمين و المشعبذين و السحرة .

الفن الثالث : فى أسماء الكتب المصنفة فى معان شتى .

المقالة التاسعة : فى المذاهب و الاعتقادات.

الفن الأول : فى مذاهب الحرانية و الكلدانيين المعرفين فـــى عصرنـــا بالصابئـــة، ومذاهب الثنوية من المنانية و الديصانية و الخرمية و المرقيونية والمزدكية.

الفن الثانى : فى وصف المذاهب الغريبة الطريقة كمذاهب الهند و الصين .

المقالة العاشرة : فى أخبار الكيميائيين و الصنعويين من الفلاسفة القدماء و المحدثين .

مخطط هيكلى لتصنيف ابن النديم يوضح المقالات العشر و الفنون المفرعة عنها

المقالة الأولى	المقالة الثانية فى النحويين و اللغويين	المقالة الثالثة الأخبار و الآداب والأنساب و السير	المقالة الرابعة الشعر و الشعراء
الفن الأول : لغات الأمم من العرب و العجم	الفن الأول : النحو و النحويون البصريون	الفن الأول : الإخباريون و الرواة و النسابون و السير	الفن الأول : الشعراء الجاهليون و الإسلاميون ممن عاصر الجاهلية
الفن الثانى : كتب الشرائع الأخرى	الفن الثانى : النحو والنحويون الكوفيون	الفن الثانى : الملوك والكتاب والمترسلين وعمال الخراج	الفن الثانى الشعراء الإسلاميون
الفن الثالث : القرآن الكريم وكتب علومه	الفن الثالث : النحويون ممن خلط المذهبين	الفن الثالث : الندماء والجلساء والأدباء	الفن الثالث : لا يوجد
الفن الرابع: لا يوجد	الفن الرابع: لا يوجد	الفن الرابع : لا يوجد	الفن الرابع : لا يوجد

تابع المخطط الهيكلى لتصنيف ابن النديم

المقالة الخامسة فى الكلام والمتكلمين	المقالة السادسة فى الفقه والفقهاء والمحدثين	المقالة السابعة فى الفلسفة والعلوم القديمة	المقالة الثامنة فى الأسماء والخرافات والسحر والشعوذة
الفن الأول : الكلام والمتكلمون المعتزلة والمرجئة	الفن الأول : أخبار مالك وأصحابه	الفن الأول : الفلسفة والعلوم القديمة	الفن الأول : المسامرون والمخرفون والمصورون
الفن الثانى : الشيعة الإمامية والزيدية	الفن الثانى : أبو حنيفة وأصحابه	الفن الثانى : التعاليم	الفن الثانى المعزمون والمشعبذون والسحرة
الفن الثالث : متكلمى المجبرة والحشوية	الفن الثالث : الإمام الشافعى	الفن الثالث : الطب والمتطببون	الفن الثالث : الكتب المصنفة فى معان شتى
الفن الرابع: متكلموا الخوارج	الفن الرابع: أخبار داود	الفن الرابع : لا يوجد	الفن الرابع : لا يوجد
الفن الخامس : السياح والزهاد والعباد والمتصوفة	الفن الخامس : فقهاء الشيعة		
الفن السادس : لا يوجد	الفن السادس : فقهاء أصحاب الحديث والمحدثين		
الفن السابع : لا يوجد	الفن السابع : أبو جعفر الطبرى		
الفن الثامن : لا يوجد ٤	الفن الثامن : فقهاء الشراة		

تابع المخطط الهيكلى لتصنيف ابن النديم

المقالة التاسعة	المقالة العاشرة
فى المذاهب والاعتقادات	فى الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة
الفن الأول :	الفن الأول :
مذاهب الحرانية والكلدانيين (الصابئة)	لا يوجد
الفن الثانى :	الفن الثانى :
مذاهب الهند والصين	لا يوجد
الفن الثالث :	
لا يوجد	
الفن الرابع :	
لا يوجد	

منطق تصنيف العلوم عند ابن النديم

أشار بعض الباحثين إلى أنه لا توجد أية فكرة فلسفية وراء تصنيف ابن النديم للكتب على المنوال السابق ، و أننا لا نستطيع أن ندعى أن هناك ترتيبا تاريخيا وراء هذا التقسيم . (٣٨) و عقب عليه بأن ابن النديم قد أولى التسلسل التاريخى لظهور الموضوعات و تأليف الكتب فيها عناية كبيرة ، كما رأى تقدم الموضوع الأكثر أهمية من وجهة نظره فيما لم يلتزم فيه بالترتيب التاريخى . (٣٩) و لكن تقسيم العلوم عند ابن النديم تقسيم منطقى معتمد على الأسلوب العلمى ، حيث نلاحظ أن تتابع المقالات قد جاء بصورة منطقية ، فكل مقالة تخدم ما بعدها ، و المقالة اللاحقة مستفيدة مما سبقها ، و هذا يشبه مبدأ الاعتماد فى العلوم *Dependence* الذى نادى به '' أوجست كونت '' وتبعا لمنطق عصره و نظرته للمعرفة نجده يفرق بين العلوم الشرعية و العربية ، و العلوم العقلية الأجنبية ، فيخصص المقالات الست الأولى للعلوم الشرعية و العربية ، و الأربع مقالات الأخيرة تمثل الفكر الأجنبى أو الإنتاج الفكرى فى المجالات العقلية .

تبدأ المقالة الأولى فى وصف لغات الأمم جميعا ، و طريقة الكتابة فيها ، وهذه المقالة بداية صحيحة ، فبداية الإنسان مع المعرفة كان عن طريق اللغة ، فهى

وسيلة الاتصال المعرفية التى عن طريقها بدأ الإنسان فى صياغة تجاربه و معارفه ، كما أنها تعد وسيلة للتواصل الحضارى و الفكرى عبر العصور ، و تعد دراسة الكتابة عند كل أمة المدخل لما يأتى بعدها من علوم ، لأن المعرفة كلها تعتمد فى صياغتها و نقلها على اللغة و الكتابة ، و ألحق فى هذه المقالة الكتب السماوية ، و قد كان هذا موضع نقد من الباحثين لجمعه علم اللغة مع علم دينى ، و لكن ما فعله هو فعل مصنف مدرك لموقع كل علم ، فاللغة و العلوم الدينية يستفيد كل منهما من الآخر، و هذا ما يسمى بتبادل الاعتماد بينها ، كما أن تقديمه للكتب المقدسة يرجع إلى قدسيتها و أهميتها ، فإذا كان عمله يقوم أصلا على حصر الكتب فأهم الكتب وأعظمها هى الكتب السماوية التى أنزلها الله على أنبيائه . و هو يتدرج بها من آدم إلى الإنجيل، و هو هنا يمهد للدين الإسلامى و القرآن الكريم الذى هو أكمل الديانات . فهذه المقالة بداية صحيحة و تمهيد لما يأتى بعدها من علوم ، و تليها المقالة الثانية فى النحو و اللغة العربية ، و إذا كان الدكتور عبد الوهاب أبو النور يرى أنه كان من الواجب أن يستكمل ابن النديم فى المقالات التالية علوم الدين ثم اللغة ثم التاريخ والأخبار ، و لكنه لم يفعل . فإننا نرى أن ابن النديم كان موفقا فى جعل المقالة الثانية فى النحو و اللغة العربية ، فقد استخدم مبدأ تبادل الاعتماد ، فالقرآن الكريم ، الذى ورد فى المقالة الأولى قبل النحو مباشرة ، هو المصدر الأصلى لجامعى اللغة العربية، و ألفاظه الكريمة و تراكيبه اللغوية معينا للغويين و النحويين ، كما ان أساليبه البلاغية لها تأثير كبير فى الدراسات البلاغية . (٥٢) و من هنا فالمقالة الثانية فى موضعها الصحيح من حيث اعتمادها على ما سبقها من علوم القرآن ، و هى تعد علما خاصا جاء فى ترتيبه المنطقى بعد العلم العام ، و هو علم اللغة الذى عالجه عند كل الأمم فى الفن الأول من المقالة الأولى . و تعد هذه المقالة بما يتبعها من علوم عربية المقدمة لدراسة العلوم الدينية التى تليها ، فعلوم الدين يتوقف فهمها على تعلم اللغة العربية ، ثم تأتى المقالة الثالثة فى علم الأخبار . و قد نرى فى ذلك كسرا فى الوحدة الموضوعية ، و كان من الواجب عليه أن يأتى بالشعر لارتباطه المباشر بالنحو ، ولكن تقديمه علم الأخبار الذى يدرس فيه الأسانيد و التراجم مقدمة مهمة للمقالة الرابعة فى الشعر و الشعراء لمعالجتها جامعى الأشعار ، و ليس الشعر نفسه، و هنا

فعلم الأخبار يتقدم تاريخيا على حركة جمع الشعر ، كما تحتاج مسألة جمع الشعر إلى التحقيق فى سند من ينسب إليه الشعر ، و هذا ما يقدمه علم التاريخ بالإضافة إلى أنه يعطينا ترجمة للشاعر و القائم على جمع الشعر . كما لا تخلو أسبقية علم الشعر للعلوم الدينية من المنطقية ، فقد استخدم الشعر أحيانا فى تفسير القرآن الكريم ، وممن اتبع ذلك عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنه ـ ثم يعرض العلوم الدينية فيقدم علم الكلام على الفقه لأنه يختص بإثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه ، ويبحث موضوعه فى إثبات وجود الله و صفاته . فمن المنطق تقديمه على علم الفقه الذى يبحث فى العبادات و وجوه التحريم و الحلال ، و لذلك فإن اتباع الأحكام الشرعية التى يدور حولها علم الفقه لا يبحث عنه الإنسان إلا بعد ثبوت العقيدة ، و هو ما يدور حوله علم الكلام . وجاء تأخير علم الفقه عن كل العلوم الدينية لأنه العلم الذى تصب فيه العلوم الدينية جميعا .

ثم ينتقل إلى مجموعة العلوم الأجنبية ، و يبدؤها بالمقالة السابعة التى هى فى الفلسفة و العلوم القديمة ، و التى جاء ترتيبها طبيعيا بالنسبة إلى القسم الثانى من العلوم ، حيث نلاحظ الترتيب المنطقى لعلومها ؛ فقد بدأ بمجموعة العلوم الفلسفية ذات الأهمية الكبرى التى تحظى بعدد أكبر من المؤلفات ، فقد بلغت ١٣٣٣ بنسبة ٢٠,٦٢% من جملة الكتب المحصورة فى الفهرست (٤٢)، و تلتها المقالة الثامنة فى الأسمار و الخرافات و العزائم التى تأتى بعدها فى الأهمية . ثم المقالة التاسعة فى الديانات الوضعية ، و قد وضعها تالية بعد المقالة الثامنة ، و ذلك لارتباط موضوعيهما ، حيث توجد علاقة متداخلة بين المعتقدات الدينية الوثنية القديمة والمعتقدات الممارسة فى السحر ، و هذا الموضوع محل بحث علماء الأنثربولوجيا منذ القرن التاسع عشر . (٤٣) و قد عكس هذه العلاقة فهرس مكتبة معبد إدفو فى الحضارة الفرعونية القديمة الذى تناول الأعمال فى السحر إلى الكتب الخاصة بالمعبد و الكهنة ، فقد كان للسحر دور بارز فى الديانة المصرية القديمة التى تمثل نوعا من الديانات الوضعية ، ثم تأتى المقالة العاشرة فى علم الكيمياء ، و مكان هذا العلم على خريطته التصنيفية غير مقبول ، فكان من الأفضل معالجة هذا العلم مع فنون المقالة السابعة الخاصة بالعلوم العقلية باعتباره ينتمى إلى العلم الطبيعى ، و لكن قد يكون

هناك مبرر خاص لدى ابن النديم فى نظرته إلى هذا العلم ، فالبعض لم يعترف بهذا العلم ، و عدوه قرينا للسحر و الطلسمات مثل ابن خلدون . (٤٤) حتى إننا نجد ابن النديم فى حديثه عن بعض من يترجم لهم فى المقالة العاشرة يشير إلى اشتغاله وشهرته فى السحر و الشعوذة إلى جانب اشتغاله بالكيمياء ، و منهم ابن وحشية.(٤٥) و نتيجة هذه النظرة إلى علم الكيمياء جعلت ابن النديم يرجح وضعه بعد علوم السحر و الشعوذة باعتباره امتدادا له ، و قد يرجع إلى شهرة هذا العلم و أهميته على عصر ابن النديم ، و اهتمام الناس به ، و إقبال القراء و الكتاب على طلب كتب هذا العلم ، و ما يدل على ذلك كثرة التأليف فى هذا العلم ليصل عدد كتبه إلى ثلاثمائة و سبعين . و بخاصة أن مهنة الوراقة مكنته من الإحاطة بشهرة هذا العلم ومدى إقبال العلماء و القراء على كتب الكيمياء . هذا عن طريقة ابن النديم فى ترتيب الأقسام الرئيسية فى كتابه ، التى يمثل كل منها مقالة . أما عن طريقة ترتيب الفروع من هذه الأقسام أو الفنون داخل كل مقالة ، فقد اتبع ابن النديم طريقة التسلسل التاريخى مع استخدام المنطق أحيانا أخرى . عالج ابن النديم فى المقالة الأولى ثلاثة فنون ، اختص الأول منها بنشأة اللغة و تطورها بشكل عام ، سواء فى الأمة العربية أو غيرها من الأمم المعروفة للعرب فى ذلك الوقت ، وهى تعد مدخلا طبيعيا للتصنيف ، فأول معرفة الإنسان تكون عن طريق اللغة ثم الكتابة ثم الكتاب ، و بذلك تعد هى بداية كل المعرفة ، و يأتى الفن الثانى و الثالث فى الكتب المقدسة ، ويعرض الموضوعات فيهما حسب التسلسل التاريخى ، فلا يقدم الدين الإسلامى ، و هو آخر الديانات السماوية على غيره من الديانات ، و إنما يعرض للكتب السماوية من أول آدم وصولا إلى الدين اليهودى ثم المسيحى ، ثم يخصص الفن الثالث للقرآن الكريم . وفى المقالة الثانية يعرض لثلاثة فنون ، نلاحظ أيضا الترتيب التاريخى لظهور العلوم فيها، فالفن الأول فى اللغة و النحويين البصريين ، ثم الفن الثانى للكوفيين ، و الفن الثالث فيمن خلط المذهبين . و نلاحظ هنا التقسيم التاريخى المنطقى ، فقد سبق البصريون الكوفيين فى النحو ، ثم ظهر من العلماء الذين خلطوا المذهبين معا ، و هو يصرح بالسبب فى تقديمه البصريين على الكوفيين فى قوله : " إنما قدمنا البصريين أولا لأن علم العربية أخذ عنهم ، و لأن البصرة أقدم بناء من الكوفة " . (٤٦) و من هنا

يصرح باتباعه التقسيم التاريخى المنطقى لموضوعات هذه المقالة . و يعرض فى المقالة الثالثة ثلاثة فنون ، و نلاحظ فيها التسلسل التاريخى المنطقى للموضوعات ، فظهور الرواة و النسابين سابق على الملوك فى الدولة الأموية ، ثم ظهر الملوك وكتابهم . ثم ظهر الندماء و الجلساء و الأدباء و المضحكين فى مجالس الملوك. ونجد ابن النديم يتابع التسلسل المنطقى فى فنون المقالة الرابعة ، فيبدأ بشعراء الجاهلية والإسلاميين الذين لحقوا بالجاهلية ، ثم الشعراء المحدثين إلى زمن ابن النديم . ويتابع التسلسل التاريخى لعرض موضوعات المقالة الخامسة ، فيبدؤها بالمعتزلة و المرجئة لأنهم خرجوا فى أواخر القرن الأول الهجرى و أوائل القرن الثانى الهجرى ، فقد اعتزلوا مجلس الحسن البصرى عام ١١٠هـ . و يخصص الفن الثانى للشيعة ، وتاتى فى تسلسلها التاريخى بعد المعتزلة لأن أشهر مؤلفى الشيعة ، و هو هشام بن الحكم توفى فى أواخر القرن الثانى الهجرى . (٤٧) و قد قدم المعتزلة و الشيعة لاهتمامه بالمذهبين ، كما زعم البعض أنه كان منهم . و يأتى الفن الثالث لأهل السنة، و الرابع للخوارج . و قد أخر الخوارج بالرغم من ظهورهم فى القرن الأول الهجرى لاهتمامه بالمعتزلة و الشيعة . و يأتى الفن الخامس فى تسلسله التاريخى نظرا لأن الزهاد و المتصوفة و العباد ظهروا فى العصر العباسى ، الأول كاتجاه مضاد لحياة البزخ و الترف التى عاشها العباسيون ، و يقسم فنون المقالة السادسة فى الفقه إلى ثمانية .، و يرتب فنونها حسب الأهمية ، و بعضها حسب التسلسل التاريخى ، فبدأ بالمذاهب ذات الأهمية و هى المشهورة ، فقدم مذهب الإمام مالك و ثنى بالإمام أبى حنيفة بالرغم من معاصرتهما بعضهما ، إلا أن تقديم الإمام مالك لكونه من أهل البيت الذى يتشيع له ابن النديم . ثم يأتى الفن الثالث فى الإمام الشافعى و أصحابه ، و هو فى تسلسله التاريخى ، ثم الفن الرابع لداود بن على وأصحابه ، و قد كان فى عام ٢٧٠هـ و هو هنا فى تسلسله التاريخى ، ثم الفن الخامس فى فقهاء الشيعة ، وبالرغم من تقدمهم تاريخيا إلا أنه قدم المذاهب المشهورة عليهم . ثم الفن السادس فى فقهاء المحدثين ، و هم فى تتابعهم التاريخى أيضا . والفن السابع للطبرى و أصحابه عام ٣١٠هـ ، و هم فى موضعهم الطبيعى . ثم الفن الثامن فى الفقهاء الشراة ، و بالرغم من معاصرتهم فقهاء الشيعة إلا أنه قد أخرهم لقلتهم و عدم شهرة مذهبهم . و يرتب

فنون المقالة السابعة ترتيبا يذكرنا بتقسيم المعرفة عند أرسطو ، فهو يبدأ بالمنطق الذى يسبق غيره من العلوم لكونه آلة لها ، ثم علوم الرياضيات ، ثم علم الطب الذى يمثل العلم الطبيعى ، و هذا الترتيب هو ما وجدناه عند كل المصنفين المتأثرين بفلسفة أرسطو ، مثل الفارابي و ابن سينا ، فهو هنا قد استخدم الترتيب المنطقى لعلوم هذه المقالة ، و هو فى المقالة الثامنة يوازى بين فنونها فى الأفضلية ، فيقدم المسامرين و المخرفين لأنهم أفضل عملا من المشعوذين و السحرة و أصحاب الحيل و الطلسمات الذين يعد عملهم باطل ينكره الإسلام . ثم يخصص الفن الثالث لمعان شتى ، و يجمع فيه كل علم لا نجد له مكانا على خريطته التصنيفية ، حيث يعرف مجموعة من الموضوعات معا ، بعضها ينتمى إلى مجال الترفيه ، مثل كتب فى الخرافات أو الباءة (الجنس) . و بعض الموضوعات تنتمى إلى الحروب ، و هذا الموضوع لم يفطن إليه غيره من المصنفين سوى طاشكبرى زادة . كما أورد كتبا تنتمى إلى العلم الطبيعى مثل كتب البيطرة وعلاج الدواب ، و صفات الخيل ، و إن كانت تعالج فى العصر الحديث ضمن العلم البيطرى . كما ذكر كتبا فى المواعظ و الآداب و الحكم ، و هى تدخل فى العلم المعروف فى عصرنا الحديث بعلم الاتيكيت . كما ذكر موضوع الطبيخ الذى يعالج ضمن علوم التدبير المنزلى حديثا ، و قد سبق ذكره عند الخوارزمى تحت علم الطب، و هو يدل على عدم اكتمال الصورة الوضعية لهذا العلم. كما أورد كتبا تنتمى إلى علم الصيدلة و أسماها كتبا مؤلفة فى السموم و عمل الصيدلة ، و هو بذلك قد عرض موضوعات تنتمى لعلوم مختلفة ، و يرجع ذلك إلى :

١ــ عدم نضج هذه الموضوعات ، و الدليل على ذلك أن مجموع الكتب التى يعرضها تحت كل موضوع قليل ، و هذا يدل على أن محاولات التأليف فيها بدائية و ضعيفة .

٢ــ عدم قدرة ابن النديم من إيجاد مكان مناسب لها على خريطته التصنيفية ، أو إمكانية جعلها فرعا من فروع علم آخر ، و لكن يحمد له إبرازها و إعطاؤها اسم موضوع تنتمى إليه . و يمكن أن نطلق على هذا الفن اسم معارف أخرى أو موضوعات متنوعة ، كما يتم فى تصانيف العصر الحديث من إعطاء عنوان لمجموعة من المعارف الجديدة لم يتضح انتماؤها المعرفى ، و لم يظهر فيها إنتاج فكرى ، و هذا ما حدث فعلا فى تصنيف ابن النديم ، فهو بذلك سابق لعصره . و

ننتقل إلى المقالة التاسعة حيث يرتب فنونها على أساس شهرتها و مدى قربها أو بعدها عن الأمة الإسلامية ، فيبدأ بالحرانية و الكلدانية لقربهم من بلاد الإسلام ، بل إن بعضهم يعيش فى بلاد المسلمين . ثم ديانات الهند و الصين لبعدها و عدم شهرتها بالنسبة إلى العرب و المسلمين .

قواعد التصنيف المستخدمة عند ابن النديم

من استقراء تقسيم ابن النديم للعلوم نلاحظ استخدامه لقاعدة أساسية فى تصنيفه، و هى علاقة التبعية أو الشمول ، فهو يقسم العلوم إلى مجموعة من الأقسام الرئيسية ، و هى المقالات العشر ، ثم يتدرج بها إلى أقسام فرعية ؛ أى ينتقل من العام إلى الخاص . كما أنه يحافظ على علاقة التجاور بين الموضوعات ، فيعالج الموضوعات المتشابهة إلى جانب بعضها ، و لو أدى إلى كسر قاعدة الترتيب ، و هو التسلسل التاريخى للعلوم الذى غلب على أساس التقسيم ، فنجده يجمع موضوعات العلوم العربية متجاورة ، ثم موضوعات العلوم الشرعية ، و يعالج مجموعة العلوم الفلسفية فى مقالة واحدة .

كما عكس تصنيف ابن النديم ما يعرف فى التصنيف الحديث بالفئة المفضلة *Fevoured Categry* . (٤٨) أى تقديم الموضوعات التى تهتم بها الأمة ؛ أى الموضوعات ذات الصبغة المحلية ، وهذا ما وجدناه فى تقديم الأقسام الخاصة بعلوم الدين الإسلامى و العلوم العربية ، وهذا ما تفعله التصانيف الحديثة ، حيث يأتى ترتيب الأقسام عندها انعكاسا لفكرها ، ففى تصنيف ديوى يقدم دراسة اللغة الإنجليزية و الأدب الأمريكى و الإنجليزى على غيره من اللغات أو الآداب الأخرى ، كذلك فى الدين يبرز الدين المسيحى و يعطيه سبعة أقسام من مجموع الأقسام العشرة المخصصة للديانات . كما يعكس التصنيف الهندى الكلاسيكيات الهندية و الكتب المقدسة مع أسمائها الخاصة سواء فى الطب أو فى التجربة الروحية و السحر ، أو فى الفنون الجميلة أو الآداب أو اللغة أو الدين أو الفلسفة الهندية . كما نجد التصنيف السوفيتى يبدأ بالماركسية اللينينية ، باعتبارها عقيدة السوفيت حلت عندهم محل الدين، ثم يصيغ أقسامه بعد ذلك بالتفسير المادى للمعرفة و الماركسية اللينينية . و هكذا لو

تتبعنا التصنيف عند كل أمة فسوف نجد لكل أمة و لكل عصر خصوصيات في التصنيف تعكس فكر الأمة ، و هذا ما وجدناه عند ابن النديم .

تقييم محاولة ابن النديم في التصنيف

يلاحظ على تصنيف ابن النديم أنه جمع في المقالة الأولى موضوع لغوي مع موضوع ديني ، وكان من الأفضل تخصيص المقالة الأولى لعلم اللغة ، و فصل موضوع الكتب السماوية و الديانات السماوية و جعله في مقالة أخرى . و قد يكون حرصه على التقسيم العشري لموضوعات المعرفة أدى إلى هذا الجمع ، و لعدم إيجاد مكان آخر على خريطته التصنيفية مناسب في نظره لموضوع اللغة و الكتابة ، واعتبارها مقدمة مباشرة للكتب السماوية ، و هذا يعكس مدى الارتباط بين دراسة اللغة و دراسة القرآن الكريم ، و يعكس هذا الترتيب النشأة التاريخية للعلوم عند العرب ، فأول العلوم التي انبثقت عن الإسلام هي دراسة علم اللغة ، و تلتها دراسة علوم القرآن الكريم . و يلاحظ على موضوعاته إدراج علم التاريخ في مجموعة العلوم العربية لا الشرعية ، و هذا يعكس طبيعة هذا العلم كعلم مساعد للعلوم الشرعية، و لا يعد أحد علومها .

و يفرد ابن النديم مقالتين لموضوعات لا تدخل في جملة العلوم ، و منها موضوعات يرفضها الإسلام ، و هما المقالة الثامنة التي في السحر ، و المقالة التاسعة التي في الديانات الوضعية ، و قد يبرر ذلك كون تصنيفه من التصانيف الببليوجرافية التي تتصف بالشمولية لكل المعرفة بغض النظر عن موقف البعض منها من حيث كونها صحيحة أو مزيفة ، علوم باطلة أو محرمة ، فما دام لهذا العلم كتب فلا بد من الإشارة إليها و تصنيفها ، و يجرنا ذلك إلى ملاحظة أخرى ، و هي فصله الديانات السماوية عن مجموعة الديانات الأخرى الوضعية ، فهو بالرغم من ذكره الديانات الوضعية لا يعد ذلك اعترافا منه بها ، أو من عصره بها ، و لهذا جاء الفصل بينها لتمييز الصحيح من الزائف ، فنجده يقدم الديانات السماوية في المقالة الأولى ، و يؤخر الديانات الوضعية ، و يجعلها لاحقة للعلوم الزائفة والباطلة: علوم السحر و الطلسمات .

ملاحظات على تنظيم المادة العلمية داخل الفهرست

يعالج الفهرست تحت كل فن العلم أو الموضوع ، و أول من ألف فيه ، ثم يسرد المؤلفين ، و تحت كل منهم الكتب التي ألفها كل واحد منهم في هذا العلم . و إذا كان للمؤلف تخصصات عديدة فإنه يوزع كتبه على التخصصات المختلفة ، كما فعل مع إبان اللاحقى فى الفن الثانى من المقالة الثالثة . فقد ذكره و ذكر مجموعة من الكتب التى ألفها ، و هى :

- كتاب كليلة و دمنة .
- كتاب سيرة أردشير .
- كتاب سيرة أنو شروان .
- كتاب بلوهر و برداست .
- كتاب رسائل .
- كتاب حلم الهند .

كما ورد ذكر إبان اللاحقى فى الفن الثانى من المقالة الرابعة ، و ذكر معه مجموعة من كتبه فى هذا الفن ، و هى :

- كليلة و دمنة .
- كتاب بلوهر و برداست .
- كتاب سندباد .
- كتاب مزدك .
- كتاب الصيام و الاعتكاف .
- كتاب مردوك .

و هنا نرى اختلاف مجموعة الكتب ، فلم يكرر سوى كتابين يراهما مشتركين فى الفنين . و كذلك مع إبراهيم بن المهدى بن محمد بن على بن عبد الله ، ورد ذكره مع كتبه فى الفن الثانى من المقالة الثالثة ، و عاد فذكره بدون كتبه فى الفن الثانى من المقالة الرابعة ، و مرة ثالثة ذكره مع كتاب واحد له ، و هو كتاب آداب إبراهيم بن المهدى فى الفن الثالث من المقالة الثامنة . وفى حالة ترجمته للشخص الواحد فى موضوعين يذكر موضوعاته فى أحدهما ، كما فى ترجمته للكسائى فى موضوعين،

ذكر كتبه فى أحدهما ، أو يذكر مؤلفاته الخاصة بكل فن فى موضعها . وكما فعل فــى ترجمة الصولى مع الآدباء ، فذكر كتبه فى الأدب ، و عاد وترجم له مع الشطرنجيين فذكر رسائله فى الشطرنج . وهذا أمر طبيعى لمن يلتزم بالترتيب الموضوعى . و قـد يحدث تكرار بعض الكتب ، نتيجة اشتمال الكتاب على أكثر من موضوع كما سبق أن عرضنا فى كتب إبان اللاحقى . ويغلب على تصنيف ابن النديم ترتيبه للمؤلفين حسب تاريخ الوفاة ، فلو أننا تتبعنا الفنون داخل المقالات لوجدناه يبدأ بنشأة العلم ، و يســرد المؤلفين من بدايتهم إلى عصره ، و قد يكون من بينهم من لم يذكر له تاريخ وفـــاة ، فإنه يحاول وضعه فى مكان اقرب إلى الصواب ، و ذلك علـــى ســبيل التخميــن . وبالنسبة إلى ترتيب الكتب فلم يخضعه إلى أى نوع من الترتيب .

مميزات تصنيف ابن النديم و عيوبه

يتميز تصنيف ابن النديم ببعض المميزات ، و تؤخذ عليه بعض المآخذ :

أولا : المميزات

يرى بعض الباحثين أن تصنيف ابن النديم لا يرقى إلى مرتبة تصنيف العلوم ، حيث اقتصر على ذكر العلوم الموجودة فى عصره دون أن يقدم أى تصور واضـــح عن العلاقات بينها . (٥١) وهذا الحكم فيه كثير من التجنى على ابن النديم ، فقد تميز تصنيفه بالأسلوب العلمى البعيد عن أى تعصب دينى أو جنسى ، فقدم الدين اليــهودى على المسيحى ثم الإسلامى . كما حافظ علـــى الوحـــدة الموضوعيـــة التـــى تجمـــع الموضوعات المتشابهة إلى جوار بعضها . و تعد محاولة ابن النديم تجربة رائدة فـــى تقسيم المعرفة ، حيث استند فى تقسيم المعرفة على الإنتاج الفكرى الفعلى ، و هو ما عرف بالسند الأدبى . و بالرغم من ذلك لم يفتقر إلى الجانب المنطقى العلمـــى فـــى إبراز العلاقة بين الموضوعات ، و هذا ما نادى به '' بليس '' صـــاحب التصنيـــف الببليوجرافى فى بداية القرن العشرين ، فقد أنكر أى صراع بين التصنيف المنطقـــى العلمى و التصنيف الببليوجرافى العملى ، و نادى بوجوب الربط بينـــهما و توحيـــد هدفهما ، بحيث نجعل هذا التصنيف فى خدمة النواحى التعليمية . (٥٢) و قـــد جـــاء تصنيف ابن النديم بالفعل انعكاسا للمنهج التعليمى التربوى فى العصور الإســـلامية ، فبداية التعلم معرفة القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم ، ثم الدراســـات اللغويـــة

والنحوية ، لتكون مدخلا للتعمق فى العلوم الدينية بمباحثها المختلفة ، و بعـد إتقـان الطالب مجموعة العلوم الشرعية و العربية يبدأ فى البحث فى فروع المعرفة المختلفـة بجوانبها الفلسفية و الرياضية و غيرها ، و قد سار تصنيف ابن النديم بنفس التدريـج المتبع للتعليم فى هذه الفترة .

و لم يكن تصنيف ابن النديم تصنيفا فلسفيا تجريديا ، و لكنه وضـع لخدمـة الحقيقة الدينية والحياة الفكرية الإسلامية، وهذه تعد نقطة الانطلاق عند ابن النديم فـى محاولة استيعاب فكر وحضارة الإسلام و العلوم الوافدة من الثقافات الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية ، و تنظيمه حسب خطة تصنيفية موضوعية تعكس علوم عصره .

ثانيا : العيوب

يعيب تصنيف ابن النديم فصل علم الكيمياء فى مكان بعيد عـن علـم الطـب بالرغم من انتمائهما إلى مجال واحد هو العلم الطبيعى .

أثر الحياة الفكرية و الثقافية فى تصنيف ابن النديم

يعكس تصنيف ابن النديم صورة واقعية عن الحياة الفكرية فى تلك الفترة (ق ٤ هـ) ، فهو يعطى مؤشرات مهمة و واقعية حول اتجاهـات الفكـر و مجـالات التأليف ، كما أعطى صورة عن مدى الاعتماد على الإنتاج الفكرى المترجم و نسـبته فى كل مجال . و قد قام الدكتور شعبان خليفة بإعداد دراسة قيمة عن الفهرست لابـن النـديم ، و أعطانا مؤشرات للإنتاج الفكرى فى الفهرست ، فيذكر أن أعداد الكتـب فى كل مقالة كالآتى : (٥٣)

المقالة	المجال الفكرى	عدد الكتب
الأولى	الدين اليهودى و المسيحى	٤٥
	علوم القرآن	٣٢٦
الثانية	اللغة و النحو	١١٢٧
الثالثة	تاريخ و جغرافيا و تراجم	١٧٢٤
الرابعة	الشعر و الشعراء	٦٩٨
الخامسة	علم الكلام	١١٩٧
السادسة	الفقه	١٠٣٠
السابعة	علوم بحتة و تطبيقية	١٣٣٣
الثامنة	فنون و ترفيه	٤٢٨
التاسعة	ديانات وضعية	٨٢
العاشرة	الكيمياء	٣٧٠
المجموع	١٠	٨٣٦٠

و إذا حاولنا إعادة التنظيم لهذه المقالات ، لتجميع الموضوعات التى تنتمى إلى مجال معرفى واحد ، فسوف نجد أن أعلى مجال فى الإنتاج الفكرى لعلوم الدين الإسلامى ، حيث يبلغ عدد الكتب فيها ٢٥٥٣ ، بنسبة ٣٠,٥٣% ، متدرجة من علم الكلام إلى علوم الفقه إلى الكتب المتعلقة بالقرآن الكريم و علومه . وهذا يعكس التوجه العام للتأليف فى هذه الفترة لخدمة الدين و الحقيقة الدينية ، ولذلك فإن علوم التاريخ و الجغرافيا و التراجم التى وضعت فى خدمة الدين قد احتلت المرتبة الثانية فأعداد الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع قد بلغت ١٧٢٤ ، بنسبة ٢٠,٦٢% ، واقترب من هذه النسبة الإنتاج الفكرى فى العلوم البحتة و التطبيقية بما فيها الكيمياء . و قد وصلت أعداد الكتب فيها إلى ١٧٠٣ ، بنسبة ٢٠,٦٢% تقريبا ، و هذا يعكس اهتمام العرب بالعلوم العقلية و اشتغالهم بها . ثم تأتى فى المرتبة الرابعة علوم اللغة و النحو حيث تبلغ نسبتها ١٣,٤٣% ، و ارتفاع التأليف فى علوم اللغة و النحو يعكس أهمية تلك الموضوعات التى كانت تعد بمثابة مقدمات أو آلات لدراسة العلوم الدينية ، ويأتى

الشعر العربى فى المرتبة الخامسة بنسبة ٨,٣٤% ، ثم الفنون و الترفيه فى المرتبة السادسة بنسبة ٤,٨٦% ، و تحتل الديانات الوضعية المرتبة السابعة بنسبة ٠,٩٨% ، ثم علوم الدين اليهودى فى المرتبة الثامنة بنسبة ٠.٤٤% ، ثم علوم الدين المسيحى بنسبة تصل إلى ٠,١% . كما يعكس لنا الفهرست صورة للفكر المترجم حيث بلغت حوالى ٦٣٢ ، بنسبة تقترب من ٧,٥٥% . وهذه النسبة تعنى وجود فكر عربى أصيل فى المجالات المعرفية المختلفة فى القرن الرابع الهجرى تصل نسبته إلى ٩٢,٤٥% . كما يعطينا الفهرست مؤشرات عن المجالات التى تم النقل فيها إلى العربية ، والحضارات التى تم النقل منها ، فأعلى عدد للكتب المترجمة فى مجال الطب ، حيث بلغت أعداد الكتب ١٧٠ كتابا من مجموع الكتب المنشورة فى العالم الإسلامى التى بلغت ٤٢٦ كتابا . وتركز النقل من الحضارة اليونانية و القبطية و عدد قليل من الهندية و الفارسية ، تلتها علوم الرياضيات و الفلك و الميكانيكا ليبلغ عدد الكتب المترجمة ١٣١ كتابا من مجموع ٤٧٦ كتابا منشور فى العالم الإسلامى . و تركز النقل من الحضارتين اليونانية و الهندية . وتأتى فى المرتبة الثالثة الفلسفة فقد بلغت أعداد الكتب المترجمة ١١٨ كتابا من ٤٣١ كتابا منشورا فى العالم الإسلامى . و تم النقل من الحضارة اليونانية ، و هذا يشير إلى تأثير الفلسفة اليونانية فى الفكر العربى أكثر من أية فلسفة أخرى . كما بلغت أدنى كتب مترجمة فى موضوعات السحر والشعوذة ، حيث بلغت أعداد الكتب المترجمة ستة كتب من مجموع تسعة كتب منشورة ، و هذا يشير إلى رفض العرب لهذا الفكر ، و زيفه فى نظرهم . كذلك فى تفسير الأحلام وصل عدد الكتب المترجمة إلى أربعة كتب من عشرة كتب مؤلفة ، وفى السموم إلى كتابين من تسعة كتب منشورة فى العالم الإسلامى .

و من هذا العرض نصل إلى نتائج مؤداها : تميز الفكر العربى فى القرن الرابع الهجرى بالأصالة وظهور المؤلفات التى فاقت الكتب المترجمة ، مما يدل على أن هذا القرن هو قرن الإبداع العربى فى مختلف المجالات ، كما يشير إلى أن توجه العلوم المختلفة كان لخدمة الدين الذى احتل مكانة بارزة فى الإنتاج الفكرى .

تصنيف ابن النديم بين التأثر و التأثير

تأثر ابن النديم فى تصنيفه ببعض المصنفين قبله ، و أثر فى بعضهم بعده :

التاثر

بالرغم من أن تصنيف ابن النديم يختلف كثيرا عمن سبقه فى طريقة التقسيم أو عرض العلوم ، ولكن من الواضح تماما تأثره بالاتجاه العام فى تقسيم العلوم الذى ورد عند الخوارزمى فى التفريق بين العلوم الشرعية و العربية من جهة ، والعلوم العقلية أو الأجنبية من جهة أخرى ، و لذلك فإننا نلاحظ أن تدرج المقالات عنده يتبع الاتجاه نفسه عند الخوارزمى ، فالمقالات الست الأولى تركزت فى العلوم الشرعية والعربية ، و المقالات الأربع الأخيرة فى العلوم العقلية و الأجنبية .

التاثير

تأثر بالطريقة التى ابتدعها ابن النديم فى تقسيم المعرفة كل من : الأنصارى فى رسالته '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' ، و طاشكبرى زادة فى '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' ، فقد اتبع كل منهما طريقته فى تقسيم المعرفة بناء على الإنتاج الفكرى مع التقسيم المنطقى للمعرفة ، كما أبرز طاشكبرى زادة العديد من العلوم التى ذكرها ابن النديم فى الفن الثالث من المقالة الثامنة ، و حدد لها مكانا واضحا على خريطته التصنيفية فى كتابه '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' ، ومنها علم الباه و علم الطبيخ وعلم الشطرنج ، كما أخذ عنه البدء بالعلوم العربية كمدخل لما يأتى بعدها من العلوم .

هل تاثر تصنيف ابن النديم بتصنيف أرسطو ؟

جاءت خطة ابن النديم التصنيفية فى الفهرست مختلفة تماما عما سبقه من تصانيف الأمم السابقة ، فقد استخدم التقسيم العشرى ، و هذا ما لم نجده فى التصانيف الأجنبية ، و إنما جاء متأثرا بالعقيدة الإسلامية ، و يرد هذا التقسيم إلى مكانة الرقم (١٠) عند العرب ، و وروده فى القرآن الكريم فى تسعة مواضع لها علاقات معهمة بالبشر و التشريع . (٥٤) و قد يرجع ذلك أيضا إلى تأثر ابن النديم بطريقة تقسيم ابن قتيبة فى كتابه '' عيون الأخبار '' حيث قسمه إلى عشرة كتب ، كل منها يمثل موضوعا . و تأثر ابن النديم فى تقسيم فنون المقالة السابعة التى تتدرج من علم المنطق إلى العلم الرياضى إلى علم الطب الذى يمثل العلم الطبيعى بطريقة أرسطو

فى تقسيم المعرفة إلى علم المنطق ثم الحكمة النظرية لما فيها من العلم الرياضى ثـم العلم الطبيعى .

منهج ابن النديم فى الفهرست

يمثل تصنيف ابن النديم المنهج الاستقرائى التجريبى ، حيث يقدم تصنيفه مـن خلال جهد تجميعى استقرائى للإنتاج الفكرى فى مختلف العلوم ، و قد اعتمد فى جمع مادته العلمية على ثلاث خطوات ، هى : (٥٥) القراءة ، و المشاهدة ، و السماع .

و قد اعتمد ابن النديم على القراءة ليجمع معلوماته بنفسه ، فيقول فى أكثر من موضوع '' قرأت '' ، كما فى الفن الأول من المقالة الأولى يقول : '' قرأت بخـط ابن سعد على هذه الصورة وبهذا الإعراب ابجد هوز '' . و ما يدلنا على اعتمـاده على السماع فى جمع مادته على ما ورد فى المقالة الأولى فى الفن الأول : قال محمد بن إسحاق : '' و أما الذى يقارب الحق و تكاد النفس تقبله فذكـر الثقـة أن الكـلام العربى بلغة حمير و طسم و جديس و أرم و حويل . (٥٦) و هنا يقر أنه سمع مـن الثقة ، أى أنه متأكد من صحة ما سمعه من معلومات . و فى حديثه عن الكلام علـى القلم الحميرى يقول : '' زعم الثقة أنه سمع مشايخ أهل اليمن يقولون أن حمير كـانت تكتب بالسند على خلاف أشكال ألف و باء و تاء ، و رأيت أن جزءا من خزانـة المأمون ترجمته ما أمر بنسخه أمير المؤمنين المأمون '' . (٥٧) و هنـا فـى هـذه العبارة يعتمد على السماع و ينسبه إلى من سمع عنه ، و المشـاهدة فـى قولـه '' رأيت'' . و فى الحديث عن الكلام على السودان يقول : '' و قال لى من رأى ذلـك وشاهده قال إذا حزبتهم الأمور و لزتهم الشدائد جلس خطيبهم علـى مـا عـلا مـن الأرض و أطرق و تكلم بما يشبه الدمومة و الهمهمة فيفهم عنه الباقون . قال : و إنما لهم فى تلك الخطابة الرأى الذى يريدونه فيعملـون عليـه ، و الله أعلـم '' . (٥٨) ويتضح من هذه العبارة أنه اعتمد على السماع فى إيراد هذه المعلومة ، كما تتضـح أمانته العلمية فى نسبة الكلام إلى من قاله ، كذلك يشير إلى عـدم روايتـه بنفسـه ، وتأكده بنفسه ، ولذلك يقول : الله أعلم .

مستوى المعالجة فى تصنيف ابن النديم

يعرض ابن النديم فى مقدمة كتابه الهدف ، ثم يتناول تقسيمه للمعرفة البشرية الذى نعرضه فى الجدول التالى :

تصنيف ابن النديم	الصف الأول	الصف الثانى
الفهرست	المقالة الأولى	٣ فنون
	المقالة الثانية	٣ فنون
	المقالة الثالثة	٣ فنون
	المقالة الرابعة	فنان
	المقالة الخامسة	٥ فنون
	المقالة السادسة	٨ فنون
	المقالة السابعة	٣ فنون
	المقالة الثامنة	٣ فنون
	المقالة التاسعة	فنان
	المقالة العاشرة	فن واحد
المجموع	١٠	٣٣

جدول رقم (٦) يوضح تقسيم ابن النديم للمعرفة البشرية

قسم ابن النديم المعرفة إلى عشر مقالات تقف على الصف الأول ، و قسم كل مقالة إلى عدة فنون تقف على الصف الثانى ، و لم يعط أى تفريع من الصف الثانى . و بلغ عدد الموضوعات على الصف الأول عشرة موضوعات ، و على الصف الثانى ثلاثة و ثلاثين موضوعا .

و تفاوت التفريع عنده فى كل مقالة على الصف الأول ، فقد بلغت التفريعات فى خمس مقالات ثلاثة فنون ، و بلغ أعلى تفريع فى المقالة السادسة إلى ثمانية فنون ، و تلتها المقالة الخامسة الخاصة بعلم الكلام التى بلغت خمسة فنون ، و يرجع ذلك إلى أنهما يمثلان موضوعات الدين الإسلامى ، كما أن اتساع التفريع فيهما يدل على مدى اتساع التأليف و الاهتمام بهذه الموضوعات . و بلغ عدد الفنون فى المقالة الرابعة فنين فقط ، و بالرغم من أهمية فن الشعر لدى العرب و اتساع التأليف فيه إلا أنه قسم

هذا العلم إلى فنين فقط ، و يرجع ذلك إلى طريقته فى التقسيم التى ميز فيها بين الشعر الجاهلى و الحديث ، و لم يعط تقسيما أكثر ، فكان من المفروض أن يميز بين الشعر الجاهلى و شعر صدر الإسلام و الشعر الأموى و شعر العصر العباسى على أساس تميز كل فترة بمميزات خاصة اثرت فى الشعر ، و لكن عدم تمييزه يرجع إلى تأخر جمع العرب لأشعارهم ، و عدم نضج الدراسات التى تبرز هذا التميز على زمن ابن النديم . كما قسم المقالة التاسعة فى الديانات الوضعية إلى فنين على أساس إقليمى، فقد حصر فى الفن الأول الديانات الوضعية القريبة من الأمة الإسلامية ، وفى الفن الثانى الديانات البعيدة فى الهند و الصين ، فكان التوزيع على أساس إقليمى . أما المقالة العاشرة فلم يعطها أى تفريع و إنما خصصها لموضوع واحد هو علم الكيمياء، و يلاحظ هنا تفاوت التفريع بين علم وآخر ؛ أى مقالة و أخرى . كما يلاحظ عدم الالتزام بالتقسيم العشرى لكل موضوع ، أو الالتزام بعدد معين من الفنون ، ولكن جاء التفريع فى كل مقالة تمثل موضوعا معينا حسب اتساع هذا الموضوع ونضجه بما يفرزه من معلومات و موضوعات محددة .

التماسك والاتساق فى تصنيف ابن النديم

جاء تصنيف ابن النديم تصنيفا منطقيا ، حيث يأتى العام قبل الخاص ، و هذا ما لاحظناه فى معالجة علم اللغة قبل علم النحو الذى خصه لمعالجة نحو اللغة العربية، كذلك عمل على تجميع موضوعات العلم الواحد و معالجتها بشكل متكامل مع بعضها البعض ، و لذلك جاءت خطوات التقسيم متقاربة و متوازية دون إحداث أية قفزات مخلة فى هيكل النظام التصنيفى ، و لذلك جاءت خطته متكاملة دون إحداث أى خلل فى هيكلها التصنيفى . كما يلاحظ وقوف التفريع فى كل المقالات التى على الصف الأول إلى الصف الثانى ، و لم يزد فى التفريع لأية مقالة ، و لذلك جاءت خطته متماسكة و متسقة و متناسقة . و يعد هذا الجهد المحمود لابن النديم مظهرا لمدى إلمامه بالموضوعات فى عصره .

و إذا انتقلنا إلى القرن الخامس الهجرى الذى يعد امتدادا للقرون الأربعة الهجرية الأولى فى الأصالة و الإبداع نجد ابن سينا و تصنيفه الفلسفى فى رسالة أقسام العلوم العقلية .

رابعا : تصنيف ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ)

عاش ابن سينا (٥٧) في أواخر القرن الرابع الهجرى و الربع الأول من القرن الخامس الهجرى الذى يعد بداية تأصيل الفلسفة ، فقد استقر كثير من العلوم و برزت الشخصية العربية الإسلامية فيها ، و ظهر إبداع المفكر الإسلامى ، و إضافته ، وتصحيحه للعلوم و ابتكاره لها . هذا و يعد ابن سينا صاحب أشهر تصانيف العلوم التى ظهرت فى القرن الخامس الهجرى نادرة عصره فى علمه و زكائه ، فقد برع فى معظم علوم عصره من طب و فلسفة و موسيقى و حساب و هندسة و فلك ، و قد صنف ما يقارب من مائة مصنف ما بين مطول و مختصر ، و قد مكنته هذه الصفة الموسوعية فى المعرفة من وضع تقسيم للمعرفة ضمنه العديد من الكتب ، و لكن سوف نركز الاهتمام على رسالته فى أقسام العلوم العقلية ، لأنها تعكس بشكل فعلى طريقته فى تقسيم المعرفة .

تصنيف ابن سينا من واقع رسالته فى أقسام العلوم العقلية

ينتمى تصنيف ابن سينا إلى المدرسة الفلسفية فى التصنيف ، حيث بنى تصنيفه بطريقة نظرية جاءت وفق تصوره الفلسفى لمعرفة العلوم و تقسيمها ، و فى بداية الرسالة يعرض للهدف و الغرض منها .

الهدف من تقسيم العلوم فى رسالة أقسام العلوم العقلية

يشير ابن سينا إلى هدفه من رسالته فى أقسام العلوم العقلية فذكر أن تأليفها جاء استجابة لطلب أحد الاشخاص لتعريفه بأقسام العلوم العقلية ، و هو هنا يصرح بأنه عمد إلى تقسيم العلوم ؛ أى تصنيف العلوم مقتصرا على العلوم العقلية لا النقلية (الشرعية و العربية) ، و قد رسم لنفسه منهجا يعتمد على الإيجاز مع الكمال فى عرض العلوم ، و بعد تعريف القارىء بهدفه من هذه الرسالة ، و قبل أن يعرض تصنيفه يعرف الحكمة بأنها صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله فى نفسه و ما عليه الواجب مما ينبغى أن يكسبه فعله لتشرف بذلك نفسه ، و تستكمل و تصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود ، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة ، و ذلك بحسب الطاقة الإنسانية . (٥٨) و قد ضمن ابن سينا فى هذا التعريف العلوم النظرية المجردة إلى جانب العلوم العملية كما جاء فى خطة تصنيف

أرسطو ، و لكن الجديد عند ابن سينا إضافة العلوم الشرعية إلى قسم العلوم العمليـة ، وهذا الذى يفهم من إشارته فى تعريف الحكمة بقوله : '' لأن كمال النفــوس لا يتـم بطلب ما هو معقول فحسب بل إن الاستعداد للآخرة ؛ أى لعالم المعاد ، هو أمر متمـم لسعادة الإنسان ، بل لحصوله على السعادة القصوى فى الآخرة '' ، و هذا لا يتضمنه قسم العلوم العملية عند أرسطو التى تشتمل على الأخلاق و السياسة و تدبير المـنزل . و من هنا نتعرف أساس تقسيم العلوم عند ابن سينا إلى قسمين كبيرين همـا الحكمـة النظرية و الحكمة العملية ، و قد سارت خطته التصنيفية على النحو الآتى . (٥٩)

الحكمة

الحكمة النظرية

العلم الطبيعى

العلم الرياضى

العلم الإلهى

الحكمة العملية

الأخلاق

تدبير المنزل

السياسة

العلم الطبيعى (الأقسام الأصلية) .

القسم الأول : المادة و الصورة و الحركة .

القسم الثانى : السماء و العالم

القسم الثالث : الكون و الفساد

القسم الرابع : الآثار العلوية

القسم الخامس : المعادن

القسم السادس : النبات

القسم السابع : الحيوان

القسم الثامن : النفس و الحس و المحسوس

العلم الطبيعى (الأقسام الفرعية)

الطب

علم النجوم

علم الفراسة

علم التعبير

علم الطلسمات

علم النيربجات

علم الكيمياء

العلم الرياضى

علم العدد

علم الجمع و التفريق

علم الجبر و المقابلة

علم الهندسة

علم المساحة

علم الحيل المتحركة

علم جر الأثقال

علم الأوزان و الموازين

علم الآلات الجزئية

علم المناظر و المرايا

علم نقل المياه

علم الهيئة

علم الزيجات و التقاويم

علم الموسيقى

اتخاذ الآلات الغريبة و العجيبة

العلم الإلهى (الأقسام الأصلية)

النظر فى معرفة المعانى العامة لجميع الموجودات من الهوية و الوحدة و الكثرة .

النظر فى الأصول و مبادىء العلوم .

النظر فى إثبات الحق الأول و توحيده و الدلالـة على تفرده و ربوبيته

النظر فى إثبات الجواهر الأولى الروحانيـــة و الملائكة

تسخير الجواهر الجسمانية السماوية و الأرضية لتلك الجواهر الروحانية

العلم الإلهى (الأقسام الفرعية)

معرفة كيفية نزول الوحى

علم المعاد

المنطق

المدخل

المقولات

العبارة

القياس

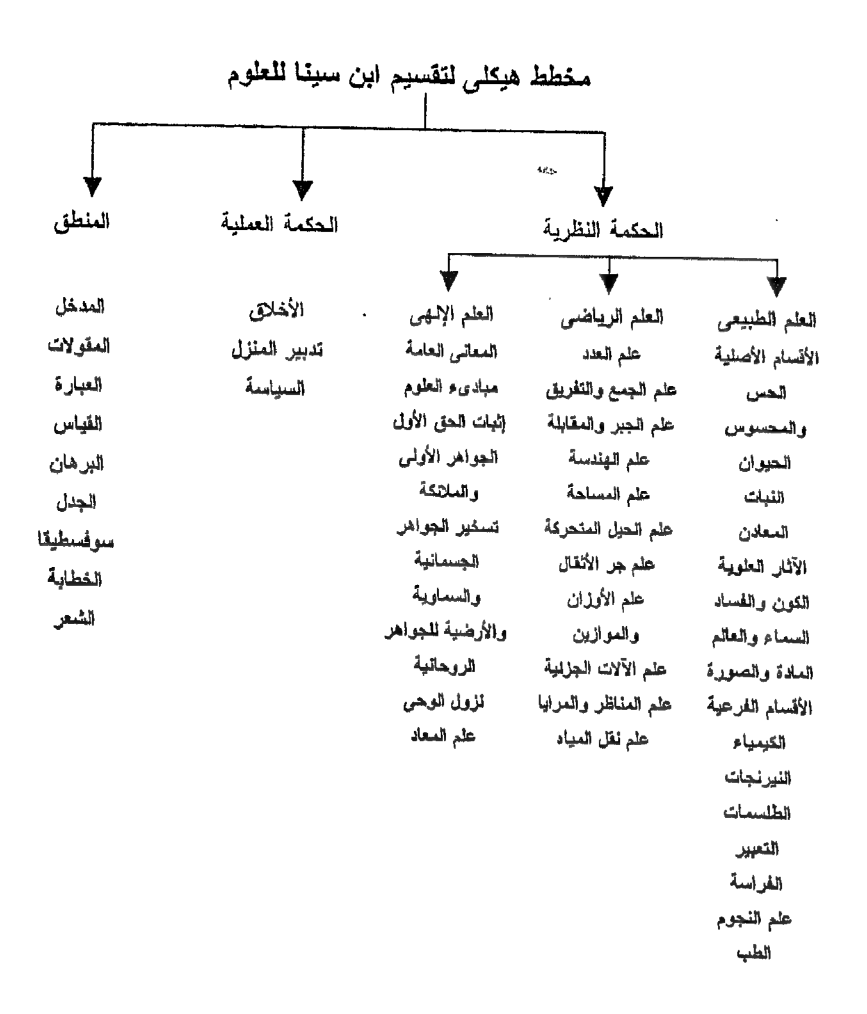
البرهان

الجدل

سوفسطيقا

الخطابة

الشعر



منطق تصنيف العلوم عند ابن سينا

يقسم ابن سينا الحكمة (العلوم) إلى قسمين كبيرين ، هما ك الحكمة النظرية والحكمة العملية ، و يجعل المنطق آلة للعلوم ، و هو هنا يتابع أرسطو و الفارابى فى هذا التقسيم للعلوم ، و يجعل الغاية من الحكمة النظرية الوصول للمعرفة ذاتها دون النظر إلى أى منفعة عملية . أما القسم العملى (الحكمة العملية) فالغاية منه الوصول إلى خير الإنسان فى دنياه و آخرته ، و هذا التقسيم هو تقسيم أرسطو نفسه للعلوم العملية . و يتناول كلا من الحكمة النظرية و العملية بالتقسيم فيقسم الحكمة النظرية إلى أقسامها الثلاثة ، و هى نفس أقسام الحكمة النظرية عند الفارابى و أرسطو ،

ويرجع تقسيمه الثلاثى للحكمة النظرية و ترتيبها على أساس الموضوعات التى تدرسها، فالعلم الإلهى و هو العلم الأعلى عنده لدراسة موضوعات لا ترتبط بالمادة المحسوسة ابدا ، ثم العلم الرياضى الذى يجعله هو العلم الأوسط لدراسته موضوعات غير قادرة على الانفصال عن المادة انفصالا تاما و لكن الخيال يكون قادرا على تصويرها دون إرجاعها إلى المادة ، و هذه حالة الأعداد و الأشكال ، ثم العلم الطبيعى و هو العلم الأسفل الذى يبحث فى موضوعات غير قابلة للانفصال عن المادة و الحركة أبدا ، بحيث لا يمكن تصويرها بدونها . و هو بذلك يجعل العلم الطبيعى علما وضيعا ، و العلم الرياضى علما برهانيا ، فالأول استقرائى لأنه يقوم على النظر فى المادة ، و الثانى قياسى ، و هذا هو أساس التفريق فى طريقة النظر فى كل منهما ، فالعلم الرياضى يعتمد على التصور الذهنى بالإضافة إلى النظر فى المادة و لهذا يقدمه على العلم الطبيعى . و يقسم كل قسم من أقسام الحكمة النظرية إلى أقسام أصلية ، ثم أقسام فرعية ، فالعلم الطبيعى يقسمه إلى ثمانية أقسام أصلية ، وكل قسم منها يرجعه إلى اسم من أسماء كتب أرسطو ، و يلاحظ الترتيب المنطقى لهذه الأقسام ، ففى البداية يحدد المفاهيم الكبرى التى ينبغى تحديدها بوضوح كمقدمة لدراسة العلم الطبيعى ، و لا يخلو منها جسم طبيعى هو مجال دراسة العلم الطبيعى . و المفاهيم الكبرى هى الطبيعة التى يعنى بها الموجودات التى هى فى آثار الطبيعة ، مثل الحيوانات والنباتات و العناصر ، و هذه الموجودات الطبيعية التى هى مجال دراسة العلم الطبيعى تشترك فى مبدأ الحركة ، و هو أيضا المادة ، و يعنى بها ما يتركب منه الشىء ، مثل الخشب للسرير ، ثم يتناول الموجودات الطبيعية ، فيبدؤها بأبسطها و هى الأركان الأربعة أو العناصر الأربعة التى أطلق عليها العرب اسم الاسطقسات و هى الماء و الهواء و التراب و النار التى خلق منها جميع ما على وجه الأرض من النبات و الحيوان ، ثم يتناول ما يعرض للأجسام الطبيعية من الفناء والنمو ، و هو ما يضمه القسم الثالث ، و فى القسم الرابع يتناول الظواهر الجوية المختلفة من البرق والرعد و الأمطار و غيرها . ثم يتدرج فى دراسة الموجودات الطبيعية من المعادن إلى النبات إلى الحيوان ليصل فى النهاية إلى دراسة النفس ، و هو التدرج نفسه عند

أرسطو . حيث تؤلف الموجودات الطبيعية سلما تصاعديا تقع الأجسام البسيطة (العناصر الأربعة) فى دركه ، ثم يليها بالمعادن فالنبات فالحيوان فالإنسان .

و تبدأ الأقسام الفرعية عنده بالطب ، و هو يقدمه على سائر العلوم ، ويرجع ذلك إلى أنه مجال الاهتمام الأول عند ابن سينا . كما يرجع إلى شرف موضوعه لبحثه فى بدن الإنسان الذى يعد أعلى الموجودات الطبيعية ، و يليه علم النجوم الذى يقدمه على سائر الموضوعات التى تليه لأن موضوعه أشرف و أعلى قدرا منها . وهو هنا متأثر بأرسطو الذى يرى أن الأجرام السماوية تقع فى ذروة سلم الموجودات لأنها أرفعها قدرا ، كما أنه متأثر أيضا بالفارابى الذى يفاضل بين الصناعات و العلوم على اسس منها شرف الموضوع الذى يخص به علم النجوم . (٦٠)

و يتدرج ابن سينا بالموضوعات حسب أهميتها ، فيقدم علم الفراسة و علم التعبير على علوم السحر من الطلسمات و النيرنجات ، و لكنه يؤخر علم الكيمياء ويجعله لاحقا لعلوم السحر ، و هنا يتابع ابن النديم فى تأخير علم الكيمياء و تقديم علم الطب ، و قد يرجع ذلك إلى النظرة التى قرنت علم الكيمياء بعلم السحر . و يقسم العلم الرياضى إلى أقسامه الأربعة المعروفة ، و هى الموجودة عند أفلاطون ، و هذا تدرج طبيعى منطقى ، فيبدأ بالعدد الذى فى المقادير من حيث هى كم مجرد ثم الهندسة التى تبحث أيضا فى المقادير ، و لكنه كم مشخص فى شكل خطوط وسطوح، فهما مشتركان فى دراستهما لموضوع واحد ، و هو المقدار ، ثم علم الهيئة الذى يشترك مع الهندسة فى الكيف الذى يعنى التحول و التغير من حال إلى أخرى ، ثم علم الموسيقى الذى يعد العلم التطبيقى لموضوع النسب العددية و الهندسية ، فأصوات النغم الموسيقية منها الخفيف و منها الثقيل ، و هما متنافران متباينان لا يمكن أن يجمع بينهما إلا بمركب أو مؤلف يؤلفهما ، و يكون ذلك على النسبة التى تكون منهما ائتلافا و نغمة واحدة لا يميز السمع بينهما و تستلذهما الطبيعة . (٦١)

و فى الأقسام الفرعية للعلم الرياضى نلاحظ التدرج المنطقى للعلوم كعلم العدد الذى يقسم إلى علم نظرى يبحث عن العدد بإطلاق و ما يلحقه من الجمع و الطرح . ثم علم الجبر و المقابلة الذى يستخدم الرموز فى العمليات الحسابية لإخراج المجهولات ، و يفرع الهندسة لعلوم متعددة وردت فى تصنيف الفارابى كعلوم أصلية،

و هى علم الحيل و علم المناظر و علم جر الأثقال وعلم الأوزان واستخدمها ابن سينا كفروع مشتقة للعلم الرياضى .

و يلاحظ على الأقسام الأصلية و الفرعية للعلم الإلهى التأرجح بين الفكر اليونانى و العقيدة الإسلامية التى يكون لها الغلبة فى أول قسمين أصليين متأثرين بالفكر اليونانى ، و بقية الأقسام الأصلية و الفرعية متأثرة بالفكر الإسلامى ، و يدخل فى هذا العلم مباحث علم التوحيد المختلفة سواء الكلامية أو الفلسفية أو صفات مثل الكثرة و العلة و المعلول و الكلية و الجزئية . أما القسم الثانى للحكمة ، وهو الحكمة العملية نجد تدرجا من المستوى الشخصى إلى المستوى العام ، فالفضيلة التى تبحث عنها الأخلاق و هو ما يكون بشخص واحد مرتبط بسلامة النظام السياسى الذى يعيش فيه الإنسان ، وسلامة هذا النظام مرتبطة بمكارم الأخلاق التى يتحلى بها الأفراد الذين تتألف منهم الدولة ، ولذلك تسن القوانين لما يقترن منها من قسر وإلزام. و على هذا الأساس يسير فى تقسيم الحكمة العملية من الأخلاق على مستوى الفرد إلى تدبير المنزل على مستوى الأسرة إلى مستوى الدولة ، و ينظر إلى هذه الأقسام على أنها أصول الحكمة العملية و لكنه يشير إلى موضوعات إسلامية يربطها بالحكمة العملية ، و منها وجوه النبوة و حاجة نوع الإنسان فى وجوده و بقائه إلى الشريعة ، و هو بذلك يفتح المجال لفروع عملية أخرى متصلة بالدين، وهنا يتضح الطابع لفلسفته الى تقوم على التوفيق بين الدين والفلسفة . و فى المنطق يتابع أرسطو فى تقسيمه إلى تسعة أقسام هى كتب أرسطو فى علم المنطق .

القواعد و المفاهيم التصنيفية التى عكسها تقسيم ابن سينا

وضع ابن سينا دراسة عن اختلاف العلوم و اشتراكها ضمنها أسسا و قواعد توضح طرق تقسيم العلوم على رتبة واحدة أ, على رتبتين ، أو تدرج العلوم من العام إلى الخاص . (٦٢) و قد عكس تصنيفه مجموعة من العلاقات بين الموضوعات ، ومنها ؟

- **علاقة تجاور أو ترابط** ، حيث يوجد تشابه بين الموضوعات يجعلها تقرب من بعضها ، و هذا ما لاحظناه فى ترتيب فروع العلم الطبيعى ، فعالج كل من علم الطلسمات و علم النيرنجات متاليين لتشابه موضوعيهما ، فالغرض فى كل منهما

تمزيج القوى السمائية مع بعض الأجرام أو الجواهر الأرضية ليحدث عنها قـــوة تفعل فعلا غريبا ، وهما بذلك ينتميان إلى علـــوم السحر باستخدام الكواكـب والأجرام السماوية ، و في فروع علم الهندسة فـــى العلـم الريـاضى تتقـارب الموضوعات التى تنتمى إلى علم الحيل ، منها : علم الحيل المتحركة و علم جـر الأثقال و علم الأوزان و الموازين و علم الآلات الجزئية .

- **علاقة التساوى أو التناسب** ، و هى اشتراك العلوم فى مبدأ واحد يجعلها تقع على رتبة واحدة ، و من الأمثلة على ذلك : اشتراك علم الحســاب و الهندســة فــى دراسة موضوع واحد هو المقدار ، ولكن تختلف نظرة كل منهما إلـى المقـدار ، فالمقدار فى الحساب كم مجرد ، و فى الهندسة كم مشخص فـى شـكل خطـوط وسطوح ، و لذلك نجدهما يقفان على رتبة واحدة لوجود علاقة التساوى بينهما .
- **علاقة الاشتمال أو التبعية** ، التى عبر عنها ابن سـينا باشـتراك العلـوم فـى موضوع واحد ، و لكن كل منهما ينظر فى الموضوع من جهة مخالفة للآخـر ، و هذا ما نلاحظه فى العلم الرياضى الذى يبحث الأعداد و الأشكال ، و نجـد أن علم الحساب يشترك معه فى دراسة العدد ، و لكن من حيث هو كـم مجـرد ، ولذلك اندرج تحت العلم الرياضى الذى يعد علما عاما له ، ثم يقسم الحساب إلـى علمى الجمع و التفريق الذى يبحث فى العدد ، و لكن مـن حيـث الإضافـة أو النقص ، و لذلك اندرج تحت علم الحســاب ، و هنـا تتضـح علاقـة التبعيـة والاشتمال فى التدرج من العام إلى الخاص .

تقييم محاولة ابن سينا التصنيفية

يلاحظ على تقسيم ابن سينا قصره على العلوم العقلية متجاهلا العلوم العربية و العلوم الشرعية ، بالرغم من استقرار هذه العلوم و نضجها على زمن ابن سينا ، و قد يرجع ذلك إلى أن عنوان الرسالة محدد بأقسام العلوم العقلية ، و قد يكون قد تطـرق لها فى كتب أخرى لم تصل إلينا فى تقسيم العلوم ، و منها : رســالة فــى الصنــائع العملية ، و الدر النظيم فى أحوال العلوم و التعليم ، و موضوعات العلوم ، و مقالــه فى تقاسيم الحكمة و العلوم . (٦٣)

مميزات تصنيف ابن سينا و عيوبه

يتميز تصنيف ابن سينا ببعض المميزات ، و تؤخذ عليه أيضا بعض المآخذ :

أولا : المميزات

تميز تصنيف ابن سينا بوجود مبدأ فلسفي يقف وراء عملية التقسيم ، و هو الوصول إلى السعادة ، و بينما تتحقق السعادة فى المعرفة النظرية عن طريق المعرفة الخالصة و بلوغ اليقين ، فإن السعادة تتحقق فى نطاق المعرفة العملية عن طريق المنفعة العملية من تحصيل العلوم . كما تميزت خطته التصنيفية بأنها خطة مفتوحة لموضوعات قد تستجد من واقع المجتمع الإسلامى ، و ذلك من خلال جعل الأقسام الأصلية للحكمة العملية مستفيدة من الشريعة الإسلامية ، و هو بذلك يكون قد فتح المجال أمام فروع أخرى تتفرع من هذه الأصول .

ثانيا : العيوب

من عيوب خطة ابن سينا ذكره موضوعات على خريطته التصنيفية فى أماكن غير مناسبة ، مثل وضع موضوع حاجة الإنسان إلى النبوة ضمن أقسام الحكمة العملية و كان من الأفضل ذكره مع فروع العلم الإلهى ، و لكن محاولته الفلسفية فى التوفيق بين الفلسفة و الدين جعلته يشير إلى هذا الموضوع فى سياق حديثه عن السياسة . و ترى الباحثة أن ابن سينا نفسه غير راض عن وجود هذا الموضوع ضمن أقسام الحكمة العملية فى تصريحه فى بداية الحديث عن أقسام الحكمة العملية بأنها ثلاثة ، و لم يذكر أنها أربعة . كما جعل علم أحكام النجوم من أقسام العلوم الطبيعية بالرغم من قرب هذا الموضوع من العلوم الرياضية ، و هذا واضح من تعريف العلم ، حيث يقول : " علم تخميني والغرض منه الاستدلال من شكل الكواكب بقياس بعضها إلى بعض ، و بقياسها إلى درج البروج ، وبقياس جملة ذلك إلى الأرض . (٦٤) و يلاحظ إدراج هذا العلم ضمن العلوم الرياضية فى التصانيف العربية الأخرى ، كفرع لعلم الهيئة . و يدرج فى العلم الإلهى أقساما هى أقرب إلى المبادىء و ليست علوما (٦٥) ، ولذلك سماها بالأقسام و لم يسمها الأصول أو العلوم، كما فعل فى العلم الرياضى أو العلم الطبيعي . ومنها : النظر فى المعانى العامة لجميع الموجودات من الهوية و الوحدة و الكثرة والوفاق والخلاف والتضاد، وكذلك

القسم الثانى : النظر فى الأصول و المبادىء مثل علم الطبيعيين و الرياضيين و علم المنطق، والقسم الثالث فى إثبات الحق الأول و توحيده . وعالج علم تدبير المنزل (من فروع الحكمة العملية) من وجهة النظر اليونانية للمجتمع على أنه مجموعة من الأسر الكبيرة يبرز فيها عليه القوم دون العبيد و المهجنين ، و هذا ما يخالف حياة المجتمع الإسلامى التى تساوى بين أفراده و طبقاته ، و لذا فابن سينا بهذا التعريف الأرسطى لتدبير المنزل قد بعد تماما عن صورة المجتمع الإسلامى فى عصره الذى كان يجب إبرازه و بخاصة قيام فلسفته على أساس الربط بين الدين و الفلسفة .

تصنيف ابن سينا انعكاس لموقفه الفلسفي

قامت فلسفة ابن سينا متابعة الفارابى على أساس التوفيق بين الدين و الفلسفة ، و قد انعكس فى ارتباط الغرض من تصنيفه بالأساس الفلسفى القائم على الوصول إلى السعادة القصوى فى الآخرة مخالفا التصور الأرسطى للسعادة . كما جعل مبدأ العلوم العملية مستفادا من الشريعة الإسلامية ، فالغرض من الأخلاق الوصول إلى السعادة فى الدنيا و الآخرة ، و العلوم السياسية تدرس حاجة النوع الإنسانى إلى النبوة التى هى مطلب طبيعى له فى كل مكان و زمان ، و هذا ربط أساسى بين الدين والأخلاق من جهة و الفلسفة السياسية من جهة أخرى . و فى نهاية رسالته ينتهى إلى القول بعدم مخالفة أى قسم من أقسام الحكمة عن منهاج الشرع . (٦٦)

أثر الحياة الفكرية و الثقافية على تصنيف ابن سينا .

إن وجود الثقافة الإسلامية إلى جانب الثقافة العقلية قد جعل ابن سينا يدخل موضوعات إسلامية فى خريطة تقسيم العلوم العقلية ، و لكنه لم يوفق فى إيجاد أماكن مناسبة ، و هذا ما نلاحظه فى ذكر حاجة الإنسان إلى النبوة مع العلوم السياسية فى الحكمة العملية . ظهر تقدم العلوم فى عصره مما أدى إلى ذكر علوم مفرعة من أقسام العلم الرياضى كانت تعد فى التصانيف السابقة أقساما أساسية للعلم الرياضى ، و منها علم المناظر و الموازين و جر الأثقال الذى ورد عند الفارابى فروعا أساسية مباشرة من العلم الرياضى .

تصنيف ابن سينا بين التاثير و التاثر

تأثر ابن سينا فى تصنيفه ببعض المصنفين قبله ، كما أثر فى بعضهم بعده :

أولا : التاثر

ظهر واضحا تأثر ابن سينا بتصنيف الفارابى فى تقسيمه المعرفة ، حيث تطابق تقسيم ابن سينا مع الفارابى من حيث الجوهر و الأساس ، و إن اختلفت الصيغ والعبارات ، فقد جعل المنطق آلة للعلوم ثم قسم العلوم إلأى العلوم النظرية التى جعل الغاية منها الوصول إلى اليقين و العلوم العملية والغاية منها الوصول إلى الخير ، وهذا ما نجده عند الفارابى . كما أن الأقسام الأصلية للعلوم النظرية والعملية متطابقة عند كل منهما .

ثانيا : التاثير

تأثر بابن سينا العديد من المصنفين الذين أتوا مـن بعده ، و من أبرزهم الطوسى فى رسالته '' فصل فى أقسام العلوم العقلية ، و ابن الأكفانى فى كتابه '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' ، وطاشكبرى زادة فى كتابه مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، و سوف نتعرض لوجوه التأثير و النقل عند دراسة كل منهما .

هل تاثر تصنيف ابن سينا بتصنيف أرسطو ؟

يتفق تقسيم ابن سينا مع تقسيم أرسطو للمعرفة فى عدة وجوه فى التقسيم الأساسى ، و منها جعل المنطق آلة للعلوم و ليس قسما من أقسام الفلسفة أو العلم ، كما أن الأقسام التسعة التى يتفرع إليها علم المنطق هى نفسها كتب أرسطو فى هذا

العلم . كما جاء تقسيم الفلسفة أو الحكمة إلى قسمين : الحكمة النظرية و الحكمة العملية ، و التقسيم الثلاثى للحكمة النظرية مطابق لتقسيم أرسطو و الأقسام الرئيسية للعلم الطبيعى هى نفسها أسماء كتب أرسطو فى هذا العلم ، ولكن إضافته جاءت فى فروع العلم الطبيعى نتيجة لتطور العلم الطبيعى على أيدى العرب . وعلى الرغم من مطابقة التقسيم الثلاثى للحكمة الطبيعية عنده لأرسطو إلا أن الترتيب اختلف ، فذكر علم السياسة فى المرتبة الثالثة بعد تدبير المنزل ، و جاء تعريف كل من علمى الأخلاق و السياسة نابعا من الشريعة الإسلامية ، و قد استخدم تقسيم أفلاطون للعلم الرياضى إلى أربعة أقسام أصلية ، كما جاء القسم الرابع من العلم الإلهى ، و هو النظر فى الجواهر الأولى الروحانية التى هى مبدعاته و أقرب مخلوقاته منزلة عنده ، و الدلالة على كثرتها و اختلاف مراتبها ، و طبقاته قريبة إلى التصور الأفلاطونى فى نظرية الفيض التى شاعت عند الفلاسفة المسلمين . (٦٧)

المنهج العلمى فى تصنيف ابن سينا

يعد ابن سينا من رجال المنهج الاستقرائى التجريبى ، فإن له العديد من التجارب فى مجال الطب والكيمياء ، كما نلمح استخدامه لهذا المنهج فى تصنيفه من خلال عبارة ذكرها فى نهاية الرسالة ، قال فيها : '' و قد دللت على أقسام الحكمة هذه و ظهر أنه ليس شيء منها يشتمل على ما يخالف الشرع ''. (٦٨) و من هذه العبارة نستنتج أن إيراده للعلوم فى تصنيفه قام على تقييم العلوم العقلية واستقرائها من خلال تعليمات الشريعة الإسلامية ليرى ما يوافقها و ما يخالفها ، و قد جاء ترتيب العلوم فى رسالته معتمدا على المنهج الاستنباطى الذى يسير فى خطوات منظمة من العام إلى الخاص .

مستوى المعالجة فى تصنيف ابن سينا

يقسم ابن سينا الحكمة إلى قسمين كبيرين و يتناول كل منهما بالتعريف ، ثم يقسم كل منهما إلى أقسام أصلية و أقسام فرعية ، و هذا ما يتضح من الجدول التالى :

تصنيف ابن سينا	رتبة رئيسية صف أول	صف ثان	أقسام أصلية صف ثالث	أقسام فرعية صف رابع	الجملة
'' رسالة فى أقسام العلوم العقلية ''	الحكمة النظرية	طبيعى	٨	٧	
		رياضى	علم العدد	٢	
			علم الهندسة	٧	
			علم الهيئة	١	
			علم الموسيقى	١	
		إلهى	٥	٢	
		الأخلاق			
	الحكمة العملية	تدبير المنزل			
		السياسة			
	المنطق	٩			
الإجمالى	٣=٣	١٥	١٧	٢٠	٥٢

جدول رقم (٧) يوضح تقسيم ابن سينا للعلوم على الصفوف

يقسم ابن سينا الحكمة إلى قسمين كبيرين ، و المنطق آلة لها ، و تقف هذه العلوم الثلاثة الكبيرة على الصف الأول ، ثم يقسم كل منهما إلى أقسام ؛ فالحكمة النظرية تقسم إلى أقسام ثلاثة تقف على الصف الثالث ، ثم يقسمها إلى أقسام فرعية تقف على الصف الرابع ، و بذلك يبلغ عدد الأقسام على الصف الثانى من الحكمة النظرية ثلاثة علوم ، و على الصف الثالث سبعة عشر ، و على الصف الرابع عشرين . أما الحكمة العملية فيقسمها إلى ثلاثة أقسام تقف على الصف الثانى ، و لا يعطى أى تفريع منها ، و يقسم المنطق إلى تسعة أقسام تقف على الصف الثانى ، وبذلك يبلغ عدد العلوم على الصف الأول التى تعد عنده رتبة رئيسية ثلاث علوم ، والعلوم المفرعة منها على الصف الثانى يبلغ إجمالا خمسة عشر علما ، و عدد العلوم على الصف الثالث سبعة عشر علما ، و على الصف الرابع عشرين . و بذلك تبلغ جملة العلوم المفرعة من الرتبة الرئيسية على الصف الأول اثنين و خمسين علما ، بينما يعدها ابن سينا ثلاثا و خمسين علما ، و يرجع ذلك إلى أنه عند تقسيمه للحكمة

العملية أشار إلى موضوع جديد فرعه من علم السياسة و ربطه بالدين هو حاجة الإنسان إلى النبوة ، و لكنه لم يشر إليه صراحة عند تقسيمه الحكمة العملية ، حيث يذكر أن العلوم العملية كانت ثلاثة ، و لم يصرح بأنها أربعة .

و يلاحظ على التفريعات عدم التوازن ، فبينما تصل الفروع في الحكمة النظرية إلى الصف الرابع نجدها في علم المنطق و الحكمة العملية تقف على الصف الثانى ، و يرجع ذلك إلى تاثره فى تقسيم علم المنطق بتقسيم أرسطو الذى يقف على الصف الثانى ، و كذلك الحكمة العملية بالرغم من أنه ربطها بالدين ، و بذلك أعطى الفرصة لعلوم تفرع منها ، و لكن قد يكون عدم اكتمال نضج هذه العلوم بالشكل الكافى لإعطاء تفريعات أكثر منها ، بعكس العلوم الطبيعية ذات النضج الدائم .

التماسك و الاتساق

يلاحظ على خطة ابن سينا التصنيفية للمعرفة التماسك ، فلم يحدث فيها أية قفزات ، وإنما سار فى معالجة كل موضوع بشكل متكامل ، ثم ينتقل إلى العلم الذى يليه ، فقد عرض للحكمة النظرية ثم أقسامها الأصلية و انتقل إلى أقسامها الفرعية ، وبعد أن انتهى منها استعرض الحكمة العملية بفروعها الثلاثة ، ثم المنطق ، أما الاتساق فلم يسر فى التفريعات بنسب ثابتة ، فبينما تصل التفريعات عنده فى فروع الحكمة النظرية إلى الصف الرابع نجده فى الحكمة العملية و المنطق يقف على الصف الثانى دون أى تفريع ، و قد يعود ذلك إلى عدم النضج الكافى لهذه الموضوعات بحيث يسمح بزيادة التفريع .

هوامش الفصل الخامس

١ــ حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسى و الدينى و الثقافى و الاجتماعى : الجزء الثالث / العصر العباسى الثانى . ــ ط٢ . ــ القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٠م . ــ ص ١ ــ ٢ .

٢ــ الفارابى : هو أبو نصر محمد بن نصر بن أوزلغ بن طرخان ، و لد فى مدينة فاراب فى بلاد الترك من أرض خراسان ، إلا أنه رحل عنها صغيرا إلى بغداد و اتخذها موطنا له ، و هناك اتيحت له الدراسة فعكف على دراسة الطب و الموسيقى والعلوم ، و لا سيما الفلك و الرياضيات ، و تعلم اللغة العربية حتى اتقنها ، و درس الفلسفة دراسة عميقة ، و تلقى علوم الحكمة و المنطق على يد يوحنا بن جيلان ، وتتلمذ على يد متى بن يونس الذى انتهت إليه صناعة المنطقيين فى عصره حتى برع فى تلك العلوم و سلح نفسه بسلاح المنطق ، كما قرأ النحو على ابن السراج ، و كان عارفا بالفارسية و اليونانية و السريانية و التركية بالإضافة إلى العربية : عن ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد . وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان/ تحقيق إحسان عباس . ــ بيروت : دار صادر ، ١٩٧٢م . ــ ج ٤ ص ٢٤٠ . و قد وضع الفارابى عددا كبيرا من الرسائل العلمية و الفلسفية ، و ألف فى بغداد عديدا من الكتب ، منها : آراء أهل المدينة الفاضلة ، و الموسيقى الكبرى ، و إحصاء العلوم ، كما ألف فى مختلف العلوم و الفنون و المنطق و الفلسفة و الطب ، والكيمياء و الفلك و الإلهيات ، والطبيعة و الرياضيات ، و بعد أن قضى فى بغداد نحو ثلاثين عاما غادرها متوجها إلى دمشق عام ٣٢٩هــ ، و عاش فى كنف الأمير سيف الدولة الحمدانى إلى أن توفى عام ٣٣٩هــ عن عمر يناهز الثمانين عاما : عن مصطفى عبد الرازق . فيلسوف العرب و المعلم الثانى . ــ القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥م . ــ ص ٦٤ . و قد لقب الفارابى بالمعلم الثانى ، و قد تضاربت الآراء حول هذه التسمية ، فيذكر حاجى خليفة أن تلقيب الفارابى بالمعلم الثانى يرجع إلى ترجمته كتاب أرسطو أطلق عليه التعليم الثانى : عن حاجى خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع٢٣٥ . و يذهب دى بور و عثمان أمين إلى أن الفارابى هو المعلم الثانى بعد أرسطو الذى يعد المعلم الأول ، و ذلك لشهرة الفارابى بكتابه إحصاء العلوم ، كما



اشتهر أرسطو بالكتابة فى تصنيف علوم زمانه : انظر : دى بور ، ت . ج . تاريخ الفلسفة فى الإسلام . ــ ص ١٣٢ . و عثمان أمين . مقدمة تحقيق كتاب إحصاء العلوم . ــ القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٤٨م . ــ ص ٣ . و مما يؤكد هذا الرأى الدور الكبير الذى قام به الفارابى فى النهضة الفلسفية الإسلامية ، و إثراء الدراسات الفلسفية ، و ما قام به من نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية ، سواء بالشرح أو التحليل أو النقد ، أو بالتحليل و التعليق و التفسير .

٣ــ الفارابى . إحصاء العلوم / تحقيق و تقديم و تعليق عثمان أمين . ــ ص ص ٤١ــ٤٢ .

٤ــ عثمان أمين . المرجع السابق . ــ ص ٥ .

٥ــ عبد الوهاب أبو النور . مقدمة مفتاح السعادة و مصباح السيادة . ــ ص ٣١ .
و محمد على أبو ريان . التصنيف بين الفارابى و ابن خلدون . ــ مجلة عالم الفكر ، ١٩٧٨م . ــ مج ٩ ع١ . ــ ص ١٢ .

٦ــ الفارابى . مصدر سابق . ــ ص ص ٤٣ــ١١٣ .

٧ــ ماكس بلاك ، استاذ الفلسفة المعاصر بجامعة كورنيل بالولايات المتحدة .
-خالد الحديدى . مرجع سابق . ــ ص ٥٥ .

٨ــ الفارابى . التنبيه على سبيل السعادة . ــ حيدر آباد ، ١٣٤٦ . ــ ص ص ١٥ــ٢٦ .

٩ــ خالد الحديدى ــ مرجع سابق : ص ٥٨ .

١٠ــ الفارابى . إحصاء العلوم . ــ ص ٨٤ .

١١ــ العرافة : الاستدلال على بعض الحوادث الآتية بمناسبة أو مشابهة خفية أو ارتباط بينهما .

12- Vikery , B.C. Classification and indixing in science .- P167 .

١٣ــ بريل ، ليفى . مرجع سابق . ــ ص ٥٧ .

14- Vikery , B.C . op cit .- P166 .

١٥ــ محمد وقيدى . المبادىء المعرفية و الخلفيات الفلسفية للتصنيفات الإسلامية العربية للعلوم . ــ دراسات عربية : ع٥ ــ السنة ١٨ ــ مارس ١٩٨٢م . ــ ص ٨٣ .

١٦ـ الفارابى . رسالة فى فضيلة العلوم و الصناعات . ـ ط١ . ـ حيدر آباد الدكن. ـ دائرة المعارف النظامية بالهند ، ١٣٤٠هـ . ـ ص ٢ .

١٧ـ لويس جارديه . التوفيق بين الدين و الفلسفة عند الفارابى ، فى مجلد الفارابى و الحضارة الإنسانية . ـ مهرجان الفارابى . ـ بغداد ، ١٩٧٥. ـ ص ١٢٩ .

١٨ـ لويس جارديه و جورج شحاتة قنواتى . فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام و المسيحية . ـ بيروت ، ١٩٧٦. ـ ص ١٩٢ .

١٩ـ الفارابى . إحصاء العلوم . ـ ص ١٠١ .

٢٠ـ محمد وقيدى . مرجع سابق . ـ ص ٨١ .

٢١ـ زينب عفيفى شاكر . الفلسفة الطبيعية و الإلهية عند الفارابى / إشراف محمد عاطف العراقى و عامر يس النجار . ـ جامعة أسيوط . ـ كلية الآداب ، ١٩٨٩م . ـ ص ١٦ .

٢٢ـ ابن سينا . رسالة فى أقسام العلوم العقلية ، من كتابه : تسع رسائل فى الحكمة و الطبيعيات . ـ ط١ . ـ قسطنطينية . ـ مطبعة الجوائب ، ١٢٩٨هـ .

٢٣ـ ابن الأكفانى . إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد فى أنواع العلوم . ـ القاهرة . ـ دار الفكر العربى ، ١٩٩٠ . ـ ص ص ٩١ـ٩٢ .

٢٤ـ انظر معالجة هذه القضية : محمد عبده صيام . رأى فى قضية تأثير خطة تصنيف أرسطو على خطط التصنيف للفلاسفة و العلماء المسلمين فى العصور الوسطى . ـ مجلة المكتبات و المعلومات العربية . ـ س١١ ع٢ ، ٣ ـ أبريل ـ يوليو ١٩٩١م .

٢٥ـ الخوارزمى ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الكاتب البلخى الخوارزمى، ت ٣٨٧هـ ـ ٩٩٧م . و قد ولد ببلخ ، و عاش بنيسابور فى بلاط الساسانيين ، فهو من أهل القرن الرابع الهجرى الذى يعد فترة ازدهار المعارف المختلفة فى الحضارة العربية الإسلامية ، و قد وضع كتابه مفاتيح العلوم للشيخ أبى الحسن عبيد الله بن أحمد العتبى وزير نوح بن منصور السامانى : عن حاجى خليفة . كشف الظنون . ـ مج٢ ع ١٧٥٦ .

٢٦ـ الخوارزمى ـ مفاتيح العلوم ـ القاهرة ـ مطبعة الشرق (د . ت) : ص ٢ .

٢٧ــ نفس المصدر السابق .

٢٨ــ محمد أبو عليان الشافعي ــ كتاب اللؤلؤ المنظوم فى مبادىء العلوم ــ القاهرة ــ المطبعة الحسينية (د . ت) : ص ٨٢ .

٢٩ ــ نفس المصدر السابق . ــ ص ٣٧ــ٤٠ .

٣٠ــ حبيب الشاروني . فلسفة فرانسيس بيكون . ــ الدار البيضاء . ــ دار الثقافة ، ١٩٨١م . ــ ص ٤١ .

٣١ــ الخوارزمي . مصدر سابق . ــ ص ٨٠ .

٣٢ــ نفس المصدر السابق . ــ ص ١٣١ .

٣٣ــ عثمان أمين . مرجع سابق . ــ ص ١٥ .

٣٤ــ شعبان عبد العزيز و وليد محمد العوزة . مرجع سابق . ــ مــج ١ ص ٣ . و فؤاد سزكين . مرجع سابق . ــ ج١ ص ٢٦٤ .

٣٥ــ ابن النديم ، هو محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق النديم ، و يكنى بأبى الفرج . و قد لقب أبوه بالنديم ربما لأنه كان من ندماء الخلفاء أو الأمراء و علية القوم، أو ربما لأنه كان حلو الحديث حسن المعاشرة كثير السمر مع الإخوان و الخلان . و يرجع الدكتور شعبان خليفة اسبب الأول بالاستناد إلى تحيلات الفهرست لمعنى المنادمة . و ترجح ولادة ابن النديم بين عامى ٣١٥هـ ، و ٣٢٠هـ ، أما تاريخ وفاته فهو محل خلاف بين الباحثين ، فالبعض يرجح أنه كان عام ٣٨٠هـ ، ومصادر أخرى تحدده بسنة ٣٨٥هـ ، و هناك اقوال أخرى ، و أيا كان تاريخ وفاته فإن أهم ما يشير إليه أنه عاش فى القرن الرابع الهجرى الذى تميز بأنه قرن النضج الفكرى و العقلى فى العالم الإسلامى ، على الرغم من ضعف الدولة العباسية والتفكك السياسى للأمة الإسلامية ، فقد استقلت أجزاء كثيرة منها عن الخلافة العباسية، فظهرت الدولة الغزنوية فى أفغانستان و الهند ، و الدولة الحمدانية فى الشام ، والدولة الفاطمية فى مصر ، و الدولة الأموية فى الأندلس ، و بنى بويه فى العراق و فارس و خراسان . و قد عرف عن حكام العالم الإسلامى فى تلك الحقبة من الزمن حبهم للعلم و العلماء ، و إنشاؤهم المكتبات و المساجد و المدارس ، و تنافسهم على جذب العلماء و الشعراء والأدباء إلى بلاطهم . و كان لهذا المناخ الفكرى الذى ساد العالم

الإسلامى تأثير كبير على فكر ابن النديم ، و كان ممهدا و مساعدا له على تأليف كتاب الفهرست . و قد ولد ابن النديم و عاش فى بغداد ، و استفاد من مكتبة بيت الحكمة التى كانت فى أوج ازدهارها فى القرن الرابع ، كما استفاد من غيرها من المكتبات الرسمية فى إعداد كتابه الفهرست ، حيث اقتنت تلك المكتبات أعدادا كبيرة من الكتب يصل بعضها إلى عدة ملايين ، كما هو الحال فى مكتبة بيت الحكمة . و قد عمل ابن النديم بالوراقة ، فقد ورث دارا للوراقة ، كما تؤكد بعض المصادر أنه كان كاتبا ، و يرجح أنه كان ينسخ الرسائل فى ديوان الإنشاء ، و قد هيأت له هذه المهنة الاطلاع على العديد من الكتب فى مختلف العلوم ، فزودته بالمعلومات التى ساعدته على إعداد كتابه ، كما أتاحت له مهنة الوراقة الالتقاء و الاحتكاك و الاتصال بعدد كبير من المؤلفين و المثقفين ، كما أتاحت له زيارة المكتبات الشخصية التى كانت من عوامل توفير مادة علمية ساعدته على تأليف الفهرست : شعبان عبد العزيز خليفة ووليد محمد العوزة . مرجع سابق . ــ مج١ . ــ صفحات متفرقة .

36- Langridge , Derek . Op cit .- P11.

٣٧ــ شعبان عبد العزيز خليفة و وليد محمد العوزة . الفهرست .

٣٨ــ خالد الحديدى . مرجع سابق . ــ ص ١١٨ .

٣٩ــ عبد الرحمن بن محمد العقيان . مرجع سابق . ــ ص ١١٣ .

٤٠ــ عبد الوهاب أبو النور . مرجع سابق . ــ ص ٩٤ .

٤١ــ على الصالحى المالكى . رسالة تحقيق مبادىء العلوم الأحد عشر . ــ القاهرة . ــ مطبعة السعادة . ــ ط١ ، ١٣٢٥هـ ــ ١٩٠٧م . ــ ص ٢٨ ، ٥٣ .

٤٢ــ شعبان عبد العزيز خليفة و وليد محمد العوزة . مرجع سابق . ــ ص ٤٨ .

43- Christain , Clerk : Magic in: Academic american Encyclopedia Danburg . Grobier incorporated , 1995 .-vol 2, P41 .

٤٤ــ ابن خلدون . مقدمة ديوان العبر : ص ٤٦٥ .

٤٥ــ شعبان خبيفة و وليد العوزة . مرجع سابق . ــ مج١ ص٧٩ .

٤٦ــ نفس المرجع السابق . ــ مج١ ص ١٠٩ .

٤٧ــ عبد الرحمن العقيان . مرجع سابق . ــ ص ١١٩ .

٤٨ـــ عبد الوهاب أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين في تنظيم المعرفة . ـــ ص ٩٦ .

٤٩ـــ شعبان خليفة و وليد العوزة . الفهرست . ـــ مج١ ص ٧٩ .

٥٠ـــ نفس المرجع السابق . ـــ مج١ ص ٢٠٨ ، ٢٩٧ ، ٦٣٦ .

٥١ـــ محمد وقيدى . مرجع سابق . ـــ ص ٩١ .

52- Vikery , B.C. Classification and indixing in science .- P170 .

٥٣ـــ شعبان خليفة و وليد العوزة . مرجع سابق . ـــ مج١ ص ٤٨ .

٥٤ـــ عبد الرحمن محمد العقيان . مرجع سابق . ـــ ص ص ١١٤ـــ١١٥ .

٥٥ـــ شعبان خبيفة و وليد العوزة . مرجع سابق . ـــ مج١ ص ٨١ .

٥٦ـــ نفس المرجع السابق . ـــ مج١ ص ١٢ .

٥٧ـــ ابن سينا ، هو أبو على الحسين بن عبد الله المشهور بابن سينا ، و قد ولد عام ٣٣٠هـــ فى إحدى قرى بخارى ، و انتقل مع أسرته إلى بخارى و هو فى الخامسة من عمره ، و حفظ القرآن الكريم ، و درس الأدب و أصول الدين و الحساب و الهندسة و الجبر و هو لم يجاوز العاشرة من عمره ، ثم درس على أبى عبد الله الناتلى الفلسفة و المنطق ، و درس وحده الطبيعيات و الإلهيات مستعينا فى ذلك بمؤلفات الفارابى ، ثم درس الطب ، و نبغ فيه ، و لم يكن جاوز السابعة عشرة من عمره ، و لما اضطربت أحوال الدولة السامانية خرج ابن سينا من بخارى و قصد خوارزم شاه على بن مأمون بن محمد ، ثم انتقل إلى نيسابور و طوس و غيرها من البلاد ، و تقلد الوزارة لشمس الدولة بن فخر الدولة (٣٨٧ـــ٤١٢هـــ) و ظل فيها إلى أن مات شمس الدولة ، و تولى تاج الدولة فلم يستوزره فتوجه إلى أصبهان ثم إلى همذان ، و توفى بها عام ٤٢٨هـــ ـــ ١٠٢٦م . و قد خلف ابن سينا كتبا كثيرة فى مختلف فروع العلم ، و لعل من أشهرها كتاب القانون فى الطب ، الذى ظل يدرس في مدارس الطب فى ىسيا و أوروبا أكثر من ستة قرون ، و خاصة ما يتعلق بعلم الصحة والرضاع : عن ابن خلكان . مصدر سابق . ـــ ج١ ص ١٥٢ـــ١٥٤ .

٥٨ـــ ابن سينا . مصدر سابق . ـــ ص ٧١ .

٥٩ـــ نفس المصدر السابق . ـــ ص ص ٧١ـــ٨٠ .

٦٠ـ الفارابى . رسالة فى فضيلة العلوم و الصناعات . ـ ص ٢ .
٦١ـ رسائل إخوان الصفا و خلان الوفا . ـ ج١ ص ١٨٩ .
٦٢ـ ابن سينا . الشفاء ، المنطق ، البرهان ، تحقيق أبو العلا عفيفى ، و تصديـو و مراجعة إبراهيم بيومى مدكور . ـ القاهرة . ـ وزارة التربية و التعليـم ، ١٩٥٦م . ـ ص ١٥٩ ، ١٦٥ .
٦٣ـ القفطى . تاريخ الحكماء / تحقيق جوليوس ليـبرت . ـ ليبسـك . ـ د . ن ، ١٩٠٣ . ـ ص ٤١٨ .
٦٤ـ ابن سينا . رسالة فى أقسام العلوم العقلية . ـ ص ٧٥ .
٦٥ـ أحمد عبد الحليم عطية . دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب . ـ ص ٨٨ .
٦٦ـ ابن سينا . مصدر سابق . ـ ص ٨٠ .
٦٧ـ أحمد عبد الحبيم عطية . مرجع سابق . ـ ص ٨٩ .
٦٨ـ ابن سينا . مصدر سابق . ـ ص ٨٠ .

الفصل الخامس

التصانيف العربية الإسلامية

فى العصرين الثالث و الرابع العباسيين

(من القرن السادس إلى أواخر القرن التاسع الهجريين)

مقدمة

يلقى هذا الفصل الضوء على أهم التصانيف التى أنتجتها الحضارة العربية للإسلامية إبان العصرين الثالث و الرابع العباسيين ، ذلك لأننا سوف نلتقى بتصانيف الطوسى و ابن الأكفانى و ابن خلدون و السيوطى و غيرهم . و سوف نتناول تلك التصانيف من عدة اتجاهات ، منها :

- الترجمة لصاحب التصنيف .
- إلى أى مدرسة تصنيفية ينتمى .
- الهدف من وضع التصنيف .
- إعداد خريطة تصنيفية للعمل التصنيفى .
- توضيح المنطق الكامن وراء ترتيب العلوم فى التصنيف .
- أهم الملاحظات على الخريطة التصنيفية .
- أهم مميزات التصنيف و عيوبه .
- تأثير البيئة الثقافية و الفكرية على التصنيف .
- الاتجاه الفلسفى لصاحب التصنيف .
- تأثر صاحب التصنيف بمن سبقه ، و تأثيره فيمن أتى بعده .

- تأثير الفكر الأرسطى فى تصنيفه نظراً لما يتردد من أن التصانيف العربية الإسلامية ما هى إلا نقل حرفى عن تصنيف أرسطو .
- مستوى المعالجة فى التصنيف .
- مدى التناسق و التماسك فى العمل التصنيفى .

أولاً : تصنيف الطوسى (٦٧٢هـ)

يتناول نصير الدين الطوسى (١) موضوع تصنيف العلوم فى مقدمة كتابه '' أخلاق ناصرى '' ، كما أفرد له رسالة مختصرة بعنوان '' أقسام الحكمة '' (٢) ، وهذه الرسالة هى التى نتناولها بالدراسة فى هذا البحث ، للتعرف على تصنيف العلوم فيها ، و الإسهام الذى قدمه المصنف فى مجال التصنيف ، مما كان له أثره على تصنيف العلوم فى القرن السابع الهجرى .

تصنيف الطوسى '' فصل فى أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز '' من واقع حالته :

ينتمى تصنيف الطوسى إلى المدرسة الأولى فى التصنيف ، و هى المدرسة الفلسفية ، فقد بنى تصنيفه بطريقة نظرية تبنى فيها التصنيف الأرسطى ، و خضع لتصنيف ابن سينا ، و لكن اختلف عنهما فى أمور كثيرة من تصنيفه بما يتوافق مع تجربته الفلسفية و نمو استقلاله الذاتى .

الهدف من تصنيف الطوسى

لم يذكر الطوسى هدفاً من وضع تقسيم العلوم فى رسالته ، و إنما عمد مباشرة إلى التعريف بالحكمة ، و بيان أقسامها ، و أغلب الظن أن الطوسى قد هدف مباشرة إلى إعطاء تقسيم للعلوم بناء على تصوره الفلسفى ، و إن لم يصرح بذلك .

خطة الطوسى التصنيفية

جاء تقسيم الطوسى الحكمة على النحو التالى : (٣)

الحكمة

الحكمة النظرية

العلم الطبيعى

العلم الرياضى

العلم الإلهى

الحكمة العملية

علم الأخلاق

علم تدبير المنزل

علم السياسة

العلم الطبيعى

الأمور العامة للأجسام الطبيعية

أركان العلم

الكون و الفساد

الآثار العلوية

المعادن

النبات

الحيوان

الحس و المحسوس

فروع العلم الطبيعى

الطب

أحكام النجوم

علم الفراسة

علم التعبير

علم الطلسمات

علم النيرنجات

علم الكيمياء

العلم الرياضى

علم العدد

علم الهندسة

علم الهيئة

علم الموسيقى

الفروع

علم الجمع و التفريق

علم الجبر و المقابلة

علم المساحة

جر الثقيل

علم الزيجات و التقويم

علم الآلات الغريبة

العلم الإلهى

الأمور العامة

مبادىء العلوم

إثبات العلة الأولى

إثبات الجواهر الروحانية الأمور

كيفية ارتباط المنفعلة الأرضية بالقوى الفعالية السماوية

الفروع

كيفية الوحى

علم المعاد الروحانى

المنطق

إيساغوجى (المدخل)

قاطيغورياس (المقولات)

بارى ارمينياس (العبارة)

أنالوطيقا (تركيب القضايا)

أنالوطيقا الثانية (البرهان)

سوفسطيقا (المغالطة)

الخطابة

الشعر

ينفذ الطوسى مباشرة إلى تقسيم الحكمة (العلوم) دون تعريف واضح و محدد للحكمة ، فى رسالته ، و لكن نتعرف على تعريفه الحكمة و فلسفته فى تقسيمها من مقدمة كتابه '' أخلاق ناصرى '' ، فيعرف الفلسفة أو الحكمة بأنها : '' معرفة الأشياء على ما هى عليه و توجيه أفعالنا بقدر الإمكان فى الطريق الصحيح لتصل النفس إلى الكمال الذى تتوق إليه '' (٤) و من هنا فالحكمة على شقين ، الأول : حصول الإنسان على المعرفة لذاتها ، و الثانى : عملى يرتبط بتحقيق خير الإنسان ، بناء على العمل الصحيح السليم ، و من ثم فالحكمة أو الفلسفة عنده تنقسم إلى جزئين ، الأول : الحكمة النظرية ، و هى إدراك حقائق الأشياء و تأملها على ما هى عليه دون الارتباط بسلوك الإنسان و إرادته ، و الثانى : الحكمة العملية ، و هى تعتمد على إرادة الإنسان و سلوكه للوصول إلى تحقيق الخير ، و من ثم يتفق تقسيمه للحكمة و الغرض منها مع ابن سينا ، و لكن الأخير يجعل الغرض من الحكمة العملية تحقيق الخير الدنيوى و الأخروى ، فينطلق بها من مفهوم إسلامى ، على عكس الطوسى الذى يتبنى المفهوم الأرسطى فيقسم الحكمة العملية إلى أقسامها الثلاثة المعتادة دون تقديم أى جديد فيها ، متابعاً أرسطو و ابن سينا ، و يربط تقسيم الحكمة النظرية بالمادة ، فيميز بين قسمين ، أحدهما يتناول الأشياء التى لا يلزم لوجودها المادة ، و يمثلها العلم الإلهى أو الميتافيزيقيا ، و الثانى يتناول الأشياء التى لا يكون لها وجود إلا فى المادة ، و تنقسم بدورها إلى قسمين ، الأول يتناول الأشياء التى لا تعرف إلا من خلال تجسدها فى مادة ، مثل علم الأجرام و السماوات و الأرض و الحيوان و النبات ، و هو ما يشمله العلم الطبيعى ، و الثانى يتناول الأشياء التى لا يكون الفهم والتجسد المادى جوهرياً أو ضرورياً ، مثل الأعداد ، و هو ما يشمله العلم الرياضى ، و بناء على ذلك يأتى العلم الإلهى فى قمة العلم الطبيعى . و العلم الرياضى هو العلم الأوسط ، و العلم الطبيعى هو العلم الأسفل ، و يتناول كل قسم منها بالتقسيم إلى علوم أصلية ، ثم علوم فرعية ، و يتفق فى تقسيمه لها مع التقسيم السينوى ، فالأقسام الأصلية للعلم الطبيعى هى نفسها أسماء كتب أرسطو فى هذا العلم، و يرتبها ترتيباً تصاعدياً مبتدئاً بالشروط الأولية للأشياء ، و ثم العناصر

البسيطة و المركبة ، و هى الماء و الهواء و النار و التراب ، ثم عملية التحول للمادة، من حيث النمو و الفناء ، ثم ينتقل إلى الظواهر الجوية لما لها من آثار على بقية الموجودات ، و هو ما يمثله الكتاب الرابع (الآثار العلوية) . وبعد دراسة المفاهيم المكونة و المؤثرة على الأجسام الطبيعية يتدرج فى دراسة الموجودات الطبيعية مبتدئاً بالجماد منها ، و يسمى علم المعادن ، ثم الأجسام التى تشملها الظواهر الحيوية ، وهى النبات ، ثم دراسة الأجسام التى تتحرك بإرادتها الخاصة ، و ما لها من ظواهر حيوية ، و يسمى علم الحيوان ، إلى أن يصل إل قمة الموجودات ، و هو دراسة العقل البشرى و استخدام قواه ، سواء كان ذلك داخل الجسم أو كان خارجه ، و هو ما يسمى بعلم النفس .

لقد اتفقت الأقسام الأصلية عند الطوسى مع أقسام أرسطو للعلم الطبيعى ، إلا أن الطوسى يتفوق عليه بإعطاء علوم مشتقة من العلم الطبيعى ، و منها علم الطب والزراعة و النجوم . (٥) و يلاحظ أن علم النجوم الذى وجد عند أرسطو كأحد العلوم الأصلية يذكره الطوسى كأحد العلوم المشتقة . و يتابع الطوسى التقسيم السينوى لفروع العلم الطبيعى ، فيبدأ بعلم الطب لشرف موضوعه ، و هو دراسة بدن الإنسان، ثم علم أحكام النجوم المقدم على سائر الموضوعات الأخرى لدراسته الأجرام السماوية التى تقع فى ذروة الموجودات . و يتفق هنا مع نظرة أرسطو لها . و يجعل علم الكيمياء فى آخر العلوم الطبيعية بعد علوم السحر . و يبدو اتفاق كل التصانيف على هذا الموضع لعلم الكيمياء ، فقد سبقه إلى ذلك ابن النديم و الخوارزمى و ابن سينا . ويتفق مع ابن سينا فى تقسيم العلم الرياضى إلى أربعة اصول ، و فى الوقت نفسه يختلف مع أرسطو فى هذا التقسيم ، و يستند تقسيمه الرباعى للرياضيات إلى الفيثاغورية التى تقسم الرياضيات استناداً إلى علم الكم وعلم الكيف ، و كل منهما قسمة ثنائية ، فالكم يكون لدراسة الأعداد مطلقة ، وهو علم الحساب ، أو دراسة نسب الأعداد بعضها لبعض ، و هو ما يعرف بعلم التأليف أو الموسيقى ، حيث ترد الأعداد بعضها لبعض ، و علم الكيف الذى يقوم على دراسة التغير و التحول ، فيقسم إلى : علم الهندسة باعتباره كماً متصلاً بقدر ما هو ثابت أو غير متحرك ، و هو ما يوجد فى الأشكال و الخطوط ، و علم الفلك باعتباره كما متصلاً بقدر ما هو طبيعة متحركة

بذاتها ، و هو ما يوجد فى الأجرام السماوية والأرض . (٦) و أغلب الظن أنـــه إذا كان الطوسى قد تأثر بتقسيم أرسطو للحكمة ، أو التقسيم الفيثاغورى للرياضيـــات إلا أنه اضاف علوماً مشتقة من العلم الرياضى لا توجد فى التقسيم اليونانى للعلوم ، و قد أشاد بذلك فيكرى فمدح إضافة الطوسى علم الجبر إلى العلوم الرياضية (٧) ، و هـــو ما لم يكن موجوداً عند أرسطو ، و تطور هذا العلم على يد العلماء العرب . و لكـــن يؤخذ عليه أنه جعل علم الجبر من فروع علم الحساب متابعاً ابن سينا الـــذى سـبقه بحوالى قرنين من الزمان ، و قد تطور خلالهما علم الجبر ، فكان من الأحرى بـــه جعل هذا العلم مستقلاً عن علم الحساب ، و جعله قسماً أساســياً للعلـم الريـاضى . ويلاحظ عدم توسعه فى فروع العلم الرياضى ، و هو يعد من علماء الرياضيات فـــى الحضارة الإسلامية . و ينطلق فى تقسيمه للعلم الإلهى من مفهوم إســـلامى ، حيـث تناول موضوعات مختلفة لها اتصال وثيق بالعقيدة الإسلامية : علم النبوة ، و مراتـب الولاية ، و شروط العالم الآخر . كما تناول كيفية نزول الوحى و تعريف الإلهامات ، وعلم المعاد الروحانى ، و من ثم فإنه يختلف تماماً مع أرسطو فى تقسيمه للميتافيزيقا، وعلى الرغم من اتفاقه إلى حد ما مع ابن سينا إلا أنه يختلف عنه فى مســألة وضـع النبوة ملحقة بالعلم السياسى من الحكمة العملية .

و ينظر الطوسى إلى المنطق على أنه آلة للعلوم ، و خادم لها ، و لكن يضعـه فى آخر تصنيفه و لا يقدمه على أقسام الحكمة ، كما يفعل الفارابى الذى ينظـر إلـى علم المنطق على أنه آلة العلوم و يضعه فى مقدمة أقسام الحكمة ، و يتبنى الطوســى التقسيم الثمانى مستبعداً الجدل أو الطوبيقا ، بعكس ابن ســينا الـذى يتبنـى التقسـيم التساعى فى رسالته '' أقسام العلوم العقلية '' . و أقسام المنطق عنده هى أسماء كتب أرسطو ، و من هنا يتضح أن تصنيف الطوسى يعكس فلسفته التى نراه يتبعها متـأثراً بأرسطو ومن اتبعه من الفلاسفة المسلمين ، سواء الفارابى أو ابن سينا ، و إن اختلف معهما فى بعض مواقع تصنيفه ، كما فى العلم الإلهى ، نتيجة تأثير العقيدة الإسلامية .

القواعد و المفاهيم التى عكسها تقسيم الطوسى للمعرفة

تميز تصنيف الطوسى بالمنطقية و اتباعه عدداً من العلاقات بين الموضوعـات ، منها :

• **علاقة الاشتمال و التبعية** فى موضوعات عامة يتفرع عنها موضوعات خاصة ، مثل العلم الرياضى الذى يندرج تحته أربعة أقسام أصلية ، ثم يتفرع عنه عدد من الموضوعات الفرعية ، كذلك العلم الطبيعى الذى يقسم إلى عـــدد مـــن الأقسام الأصلية ، ثم عدد من العلوم الفرعية .

• **علاقة تساو** ، و هذا ما يلاحظ فى ظهور عدد من الموضوعات على رتبة واحدة، مثل علم الحساب و علم الهندسة اللذان يشتركان فى دراســة المقــدار ، و لكــن يختلفان فى نظرتهما إليه ، من حيث هم كم مجرد فى الحساب ، و كم مشخص فى الهندسة ، و هما بالتالى يندرجان فى الحكم تحت أمر ثالث و هو العلم الرياضى ، و لذلك نرى علاقة التساوى بينهما ، كذلك علم الحساب و علم الموسيقى اللــذان يشتركان فى الكم المنفصل (الأعداد) ، و لكنه فى الحساب كم مجــرد ، وفــى الموسيقى يعتمد على علاقة التناسب بين الأعداد ، و هما فى ذلك يرجعان إلى أمر ثالث وهو العلم الرياضى ، و من ثم فهما متساويان .

و تتضح علاقة التساوى أيضا بيــن علــم النيرنجــات و علــم الطلســمات لاشتراكهما فى استخدام الجواهر الأرضية ، و لكن الطلسمات تمـــزج مـــع القــوى السماوية ، و فى النيرنجات تمزج القوى فى جواهر العالم الأرضـــى ، و همـــا فـــى الوقت نفسه نوعان من العلم الطبيعى ، لذلك فهما يندرجان تحت أمر ثــالث ، لذلــك يقفان على رتبة واحدة ، أى بينهما علاقة تساو .

تقييم محاولة الطوسى التصنيفية

• يلاحظ على تصنيف الطوسى للعلوم اقتصاره على العلوم العقلية متجاهلا العلــوم العربية و الشرعية بالرغم من استقرارها و نضجها فى عصره ، و لكن قد يكــون عمله تحت إمرة المغول (٨) قد جعلته يتجنب هذه العلوم القوميــة التــى تديــن للإسلام و العرب على خريطته التصنيفية .

• كما تميز تصنيف الطوسى بعدة مميزات ، منها التفريق بين العلوم البحتة والعلــوم التطبيقية، و هو ما وجد فى العلوم الفرعية من العلم الطبيعى . التى تعــد بمثابــة الجانب التطبيقى فى الغلوم الطبيعية . و لكن يعيبه عدم التوسع فى فــروع العلــم

الرياضى على الرغم من تقدم هذا العلم فى عصره ، وعلى الرغم من زيادة عـدد العلوم المفرعة عند ابن سينا السابق عليه .

انعكاس الحياة الفكرية على تصنيف الطوسى

جاء تصنيف الطوسى مقلداً لتقسيم ابن سينا للعلوم فى رسالته '' أقسام العلـوم العقلية '' ، حيث سادت روح النقل و التقليد فى معظم كتابات القرن السـابع ، و لـم تظهر العقلية الإبداعية التى وجدت فى القرن الرابع الهجرى ، و لذلك جاء تصنيـف الطوسى مقلداً من سبقه ، و لم يقدم جديداً .

تصنيف الطوسى بين التأثير و التأثر

اتبع الطوسى فى تقسيمه العلوم فى هذه الرسالة ما كان متبعاً عنـد الفـارابى وابن سينا ، حيث قسم الحكمة إلى قسمين : حكمة نظرية و حكمة عمليـة ، و جعـل المنطق آلة العلوم . كما اتفقت أصول هذه العلوم و فروعها مع ما اتبعه ابن سينا فـى تقسيم العلوم فى رسالته '' أقسام العلوم العقلية '' و إن اختلف معه فى التقسيم الثمانى للمنطق مقابل التقسيم التساعى عند ابن سينا . و قد أثر تصنيف الطوسى فـى ابـن الأكفانى فى كتابه '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' ، فقد نقـل عنـه الأقسـام الأصلية و الفرعية للحكمة النظرية و العملية .

مدى تأثر تصنيف الطوسى بالتصانيف اليونانية

تأثر الطوسى بالفيثاغورية فى تقسيمه الرباعى للرياضيات ، كما اتبع تقسـيم أرسطو للحكمة ، فقد قسمها إلى قسمين : النظرية و العملية ، كما تابعه فـى اعتبـار المنطق آلة العلوم و خادمها . و على الرغم من توسعه فى العلـوم الفرعيـة للعلـم الطبيعى إلا أن أصول هذا العلم هى كتب أرسطو نفسها فى هذا العلم ، و مـن هنـا يتضح استمرار التأثير الأرسطى على التصنيف إلى القرن السابع الهجرى .

المنهج العلمى فى تصنيف الطوسى

يسير الطوسى فى تصنيفه متدرجاً من العام إلى الخاص ، حيث نجده يعـوض الأقسام الرئيسية لكل من الحكمة النظرية و الحكمة العملية ، ثم يتدرج فى التقسيم مـن الأقسام الأصلية إلى الفرعية .

مستوى المعالجة فى تصنيف الطوسى

يعرض الطوسى فى رسالته '' أقسام الحكمة '' لتقسيم الحكمة إلـى نظـرى وعملى مباشرة ، دون الإشارة إلى أى هدف أو تعريف للحكمة ، ثم يتناول الحكمـة النظرية و العملية بالتقسيم ، ثم يقسم أقسام الحكمة النظرية إلى أصول و فروع ، وهو فى تقسيمه يقف إلى الصف الرابع ، و هذا ما سوف يوضحه الجدول الآتى :

تقسيم الطوسى	صف أول	صف ثان	صف ثالث (أقسام أصلية)	صف رابع (أقسام فرعية)	الجملة
فى رسالة (أقسام الحكمة)		علم طبيعى	٨	٧	١٥
		علم رياضى	علم العدد	٢	
	الحكمة النظرية		الهندسة	٢ ٦	١٠
			الهيئة ٤	١	
			الموسيقى	١	
		علم إلهى	٥	٢	٧
	الحكمة العملية	الأخلاق			
		تدبير المنزل			٣
		السياسة			
	المنطق	٨			٨
الإجمالى	٣=٣	١٤	١٧	١٥	٤٦

جدول رقم (٨) : يوضح توزيع العلوم فى تصنيف الطوسى على الصفوف

من استقراء الجدول السابق يتضح ما يلى :

- تقسيم الطوسى الحكمة إلى قسمين كبيرين ، هما : الحكمة النظريـــة و الحكمـــة العملية . و أنه يجعل المنطق آلة لهما . و تقف هذه الموضوعات الثلاثـــة علـــى الصف الأول .
- يقسم الطوسى الحكمة العملية تقسيماً ثلاثياً يقف على الصف الثانى .
- يقسم المنطق إلى ثمانية أقسام تقف على الصف الثانى .

- يمتد التفريع من علوم الحكمة النظرية إلى الصف الرابع .
- يبلغ إجمالى الفروع فى تصنيف الطوسى ستة و أربعون علماً موزعة على ثلاثة صفوف ، فيبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الثانى أربعة عشر علماً ، و يبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الثالث سبعة عشر علماً ، و يبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الرابع خمسة عشر علماً .
- يلاحظ زيادة أعداد العلوم المفرعة من الحكمة النظرية عن علوم الحكمة العملية و المنطق ، و يرجع ذلك إلى النمو الدائم لعلوم الحكمة النظرية التى تقابلها من علوم العصر الحديث العلوم البحتة والتطبيقية أكثر من علوم الحكمة العملية والمنطق اللذين تقابلهما من علوم العصر الحديث العلوم الاجتماعية ، و هذا ما يؤكده '' جيفونس '' ، حيث يرى اختلاف نمو كل من العلوم التطبيقية والبيولوجية و الاجتماعية ، حيث لا توجد نسبة ثابتة لنموهم جميعاً ، فالعلوم التطبيقية والبيولوجية أسرع فى النمو من العلوم الاجتماعية التى يكون بها ثبات نسبى . (٨) و هذا ما يفسر عدم وجود موضوعات مفرعة من أقسام الحكمة العملية تقف على الصف الثالث و الرابع ، كما فى أقسام الحكمة النظرية .
- يرمز الطوسى للعلوم الأصلية بألفاظ مثل : الأول ، الثانى ، الثالث . و يرمز للأقسام الفرعية بحروف أبجدية ، مثل : أ : الطب . ب : أحكام النجوم . ويختلف الأمر بالنسبة للعلم الإلهى الذى يرمز للأصول بألفاظ ، و الفروع بنفس الألفاظ ، حيث يطلق على الأصول : الأول، الثانى، وهكذا . والفروع أيضاً : الأول ، الثانى .

التماسك و الاتساق أو التناسق فى تصنيف الطوسى

يلاحظ على تصنيف الطوسى التماسك ، فلم تحدث أية قفزات مخلة بتسلسل عرض العلوم وترتيبها ، إنما سار فى معالجة كل موضوع بشكل متكامل ، متنقلاً للموضوع الذى يليه ، فقد عرض الحكمة النظرية بأقسامها الأصلية ، و انتقل إلى أقسامها الفرعية ، و بعد الانتهاء منها استعرض علم المنطق بكل تفريعاته ، و لكن اختل اتساق و تناسق عرض العلوم ، حيث لم يسر بنسب ثابتة فى تفريعات كل علم ، فبينما تصل التفريعات فى الحكمة النظرية إلى الصف الرابع ، و يبلغ عدد العلوم

المفرعة عنها إلى اثنين و ثلاثين ، تقف التفريعات فى الحكمة العملية إلى الصف الثانى ، و يبلغ عدد العلوم المفرعة عنها ثلاثة ، كما تقف التفريعات فى علم المنطق إلى الصف الثانى ، و يبلغ عدد العلوم المفرعة عنها ثمانية .

و إذا كان الملاحظ على القرن السابع الهجرى قلة تصانيفه و سطحيتها ، إلا أننا نجد الموقف يختلف فى القرن الثامن الهجرى ، حيث قدم عدداً من التصانيف كانت بمثابة إضافة جديدة فى علم التصنيف .

ثانياً : تصنيف ابن الأكفانى (ت ٧٤٩هـ)

يعد كتاب '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' لابن الأكفانى (٩) بداية تأليف الموسوعات المختصرة ، و قد اقتفى أثره عدد من العلماء فى هذا النوع من التأليف ، منهم السيوطى و طاشكبرى زادة .

تصنيف ابن الأكفانى من واقع كتاب '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ''

ينتمى تصنيف ابن الأكفانى إلى المدرسة الثالثة فى التصنيف ، التى تجمع بين الجانب الفلسفى فى عرض الموضوعات ، فتعرف نحدود كل علم ، و السند الأدبى ، حيث تعرف بأهم الكتب فى كل علم . و هو بذلك حقق ما نادى به '' بليس '' فى القرن العشرين من ضرورة الربط بين الطريقة المنطقية العلمية و الطريقة الببليوجرافية فى التصنيف ، بحيث يتفق التصنيف مع المنهج التعليمى التربوى السائد فى عصره . وهذا ما يتضح للقارىء من خلال استعراض تصنيف ابن الأكفانى .

الهدف من تصنيف ابن الأكفانى

أوضح ابن الأكفانى فى مقدمة كتابه أن غرضه من تأليفه هو غرض تعليمى تربوى ، و قد اقتضى ذلك من المؤلف ذكر أنواع العلوم و بيان مراتبها ، والتعريف بأهم الكتب فى كل علم، ومن هنا جاء كتابه دليلاً مصنفاً للعلوم، وقائمة ببليوجرافية مختارة بأهم الإنتاج الفكرى فى كل علم ، ودائرة معارف تعرف بحدود كل علم ومجاله و أهميته، ولكنه لم يقف عند هذا الغرض من كتابه، و إنما أراد به أن يساعد كل طالب علم أو إنسان على عدة أمور :

- أى العلوم يبدأ بها فى الدراسة و التعليم .
- التعرف على الحدود الموضوعية لكل علم .

- المقايسة بين العلوم للتعرف على تدرجها حسب شرفها .
- التفريق بين الشخص العالم و الجاهل الذى يدعى العلم ، و يساعده علـــى ذلــك حصيلته المعرفية .
- مساعدة الكاتب الأديب المتفنن بما يتكون لديه من معرفة إجمالية من كل علم .
- تمكين من أراد من ذوى المناصب من الإحاطة بجملة المعارف ، ليرفع من قــدر نفسه أمام أهل العلم . (١٠)

و تتفق هذه المقدمة مع ما ورد فى مقدمة الفارابى (١١) مع اختـــلاف فـــى الغرض الأساسى لكل منهما. وعلى الرغم من أن القصد فى إحصاء العلـــوم علمـــى فلسفى و فى تصنيف ابن الأكفانى تعليمى تربوى إلا أن الأمور المستفادة مـــن وراء هذا الغرض متفقة تماماً ، سواء كان ذلك فى الجوهر أو فى استخدام بعض الألفـــاظ والعبارات أو ترتيبها . كما أن وسيلة تحقيق هذا الغرض واحدة ، و هى تقسيم العلوم، و إن زاد ابن الأكفانى عليه بما قدمه من بيبليوجرافيا مختارة لأهم الكتـــب فـــى كـــل موضوع .

و بعد بيان غرضه من وضع كتابه يقدم ابن الأكفانى الجديد فى بداية تصنيفـــه الذى جعله مختلفاً عمن سبقه من المصنفين، وهى مقدمة فى التعليم والتعلم وشروطهما مستعرضاً فيهما القواعد والنظريات التربوية التى كانت سائدة عنـــد المســـلمين فـــى عصره (ق٨ هــ)، و ترجع أهميتها باعتبارها وثيقة مهمة تؤرخ للعمليـــة التربويـــة والتعليمية عند المسلمين ، و تثبت هذه المقدمة أن ابن الأكفانى لا يعد مقلداً أو تابعـــاً لغيره، و إنما نجده عالماً يهتم بوضع النظريات العلمية و الوسائل العملية التى تكفـــل تحقيق الغرض التعليمى التربوى الذى يصبو إليه من وضع كتابه هذا. ويعرض فيـــه مسالك ثلاثة يتبعها العلماء والباحثون فى طلب العلم، وهى :

- مسلك الباحثين الذى يقوم على إدراك العلم بالبحث والملاحظة والوصـــول إلـــى النتائج بالدليل والبرهان .
- مسلك النساك الذى يقوم على الرياضة الروحية لتصفية النفس والوصـــول إلـــى أمور وجدانية لا يقوم عليها دليل أو برهان .

- مسلك جماعة الصوفية الذى يبدأ بالبحث و الملاحظة و ينتهى إلى تصفية النفس.(١٢)

و لا يكتفى ابن الأكفانى بذكر هذه المناهج الثلاثة فى طلب العلم، وإنما يبدى رأيه مرجحاً أحدها و هو طريق الباحثين ، و من ثم فهو يدعو إلى المنهج العلمى القائم على الملاحظة والتجربة وإعمال العقل . و يقف ابن الأكفانى موقفاً مناصراً للكتاب ، و يشيد بفائدته للطالب الذى يلزمه اختيار الكتاب الجيد، و يحدد للكتاب الجيد المواصفات التى يجب أن تتوفر فيه، وفى حديثه عن التعليم و التعلم يحدد منهجاً تربوياً للطالب و الأستاذ يحصره فى عشر نقاط يجمل فيها المنهج التربوى الإسلامى.

و يستعرض ابن الأكفانى بعد المقدمة خطته فى تقسيم العلوم ، و يبدؤها بالقول فى حصر العلوم ، حيث يوضح الأقسام الأساسية فى تصنيفه ، ثم يعرض كل قسم منها متدرجاً فى توضيح العلوم المتفرعة عنه :

مرتبة أولى فى التصنيف :

ما كان مقصوداً لذاته (العلوم الحكمية)

ما لا يكون مقصوداً لذاته ، و إنما آلة لغيره من العلوم

مرتبة ثانية فى التصنيف :

ما كان مقصوداً لذاته

الحكمة النظرية

الحكمة العملية

ما لا يكون مقصوداً لذاته

علم الأدب

علم المنطق

مرتبة ثالثة فى التصنيف :

الحكمة النظرية

العلم الأعلى " العلم الإلهى "

العلم الأوسط " العلم الرياضى "

العلم الأدنى " العلم الطبيعى "

الحكمة العملية

السياسة

الأخلاق

تدبير المنزل

علم الأدب

علم اللغة

علم التصريف

علم المعانى

علم البيان

علم البديع

علم العروض

علم القوافى

علم النحو

قوانين الكتابة

قوانين القراءة

علم المنطق

إيساغوجى '' المدخل ''

قاطيغورياس '' المقولات ''

باديرمينياس '' العبارة '' : يطلق عليها فى بعض التصانيف '' بارميناس أو باريرمينياس

أرنولوطيقى '' القياس ''

باديبطيقى '' البرهان ''

طوبيقى '' الجدل ''

ريطوريقى '' الخطابة ''

طوريقى '' الشعر ''

سوفسطيقى '' القياسات المغالطية ''

مرتبة رابعة فى التقسيم :

العلم الإلهى

النظر فى الأمور العامة ، مثـــل الوجـــود و الماهيـــة و الوحدة و الكثرة

النظر فى مبادىء العلوم

النظر فى إثبات وجود الإله الحق و الدلالة على وحدانيته

النظر فى إثبات الجواهر المجردة من العقول و النفوس و الملائكة

أحوال النفوس البشرية بعد مفارقتها الهياكل الإنســـانية و حال المعاد

علم النواميس

علم القراءات

علم رواية الحديث

علم التفسير

علم دراية الحديث

علم أصول الدين

علم أصول الفقه

علم الجدل

علم الفقه

مرتبة رابعة فى تقسيم العلم الطبيعى إلى أقسام أصلية :

العلم الطبيعى

السماع الطبيعى

السماء و العالم

الكون و الفساد

الآثار و العلوية

المعادن

النبات

الحيوان

الحس و المحسوس

مرتبة خامسة فى تقسيم العلم الطبيعى إلى أقسام فرعية :

علم الطب

البيطرة و البيزرة

الفراسة

تعبير الرؤيا

أحكام النجوم

السحر

الطلسمات

السيميا

الكيميا

الفلاحة (الزراعة)

الرمل

مرتبة رابعة فى تقسيم العلم الرياضى :

الأوسط '' العلم الرياضى ''

الهندسة

الهيئة

العدد

الموسيقى

يقسم الأقسام الأصلية فى العلم الرياضى إلى أقسام أصلية ثم فرعية :

الهندسة

أحوال الخطوط المستقيمة

الدوائر و القسى

حال الخطوط المنحنيـــة التـــى تســـمى الزائـــد
والناقص

الأشكال المستقيمة الخطوط

مرتبة خامسة فى تقسيم الهندسة فى العلم الرياضى :

النسب الكلية الإجمالية و التفصيلية

الخواص العددية

الأشكال الحادثة عن الدوائر الواقعة على الكرة

أحوال المجسمات المستوية السطوح

أحوال المجســـمات الكريـــة و الأســـطوانية و
المخروطية

حال الكرة المتحركة و خواصها

مرتبة سادسة فى تقسيم الهندسة :

علم عقود الأبنية

علم المناظر

علم المرايا المحرقة

علم مراكز الأثقال

علم المساحة

علم إنباط المياه

علم جر الأثقال

علم البنكامات

علم الآلات الحربية

علم الآلات الروحانية

الهيئة

جملة الأفلاك و وضع بعضها إلـــى بعـــض ،
وبيان أنها متحركة والأرض ساكنة

حركات الأجرام السماوية

الأرض المعمور منها و المعمور و الخراب

مقادير أجرام الكواكب و أبعادها

مرتبة سادسة فى تقسيم علم الهيئة :

علم الزيجات و التقاويم

علم المواقيت

علم كيفية الأرصاد

علم تسطيح الكرة و الآلات الحادثـــة

عنه

علم الآلات الظلية

مرتبة خامسة فى التقسيم :

علم العدد

لواحق الأعداد كالزوجية و الفردية

لواحق الأعداد عند إضافة بعضها إلى بعـــض

كالتساوى و التفاضل و التناسب

مرتبة سادسة فى تقسيم العدد :

الحساب المفتوح

حساب التخت و الميل

حساب الجبر و المقابلة

حساب الخطأين

حساب الدور و الوصايا

حساب الدرهم و الدينار

علم الموسيقى

المبادىء الموسيقية و كيفية استنباطها

النغم و أحوالها

الإيقاع

تأليف الألحان

منطق ابن الأكفاني في تقسيم العلوم

تكمن فلسفة ابن الأكفاني في تقسيم العلوم و ترتيبها على أساس شرف كل علم و فضله بين العلوم ، حيث تتفاوت العلوم ، و ترتب تصاعدياً و ترتقي حتى تصل إلى أشرفها الذى يقع في قمة التصنيف ، و هي عادة العلم الإلهي ، أو قد يكون علم الكلام، أو علم التصوف ، حسب نظرة كل مصنف و تقييمه لشرف العلم ، و شرف العلم قد يكون حسب الغاية أو الحاجة أو الموضوع . (١٣) ويقدم ابن الأكفاني تقسيمه العلوم بمقدمة يوضح فيها مراتب العلوم المختلفة و نصيبها من الشرف ، فيرى أنه على الرغم من اشتراك العلوم كلها في الشرف ، إلا أن هذا الشرف يختلف من علم إلى آخر ، فمن العلوم ما يكون الشرف فيه بحسب الموضوع كالطب ، فإن موضوعه بدن الإنسان ، وبعضها بحسب الغاية مثل علم الأخلاق ، فإن غايته معرفة الفضائل الإنسانية، و منه ما هو بحسب الحاجة إليه كالفقه، ومنها ما يجتمع فيه كل هذه الأمور، مثل العلم الإلهي ، فإن موضوعه شريف، وغايته فاضلة ، و الحاجة إليه مهمة. (١٤) ومن مبادىء ترتيب العلوم حسب الشرف تقسيمها إلى مقاصد (١٥) ووسائل . (١٦) و الأولى أشرف من الثانية . و في الترتيب تتقدم الوسائل على المقاصد لكونها آلة و مقدمة للقاصد . (١٧)

و هذا ما يذهب إليه الغزالي في أن نسبة العلم إلى غيره من جهة كون غيره مقدمة له أو تتمة له . (١٨) وعلى هذا الأساس جاء تقسيم ابن الأكفاني للعلوم وترتيبها ، ففرق بين قسمين من العلوم، الأول ما يكون مقصوداً لذاته، وهي العلوم الحكمية التي تعد مقاصد ، و الثاني ما لا يكون مقصوداً لذاته ، و يكون آلة لغيره من العلوم ، و هو ما يعرف بالوسائل ، و لذلك فهي تتقدم على العلوم الحكمية .

و يستمر في التقسيم و الترتيب حسب الشرف ، فما كان آلة لغيره يقسمه قسمين : علم الأدب ، و علم المنطق . و في الترتيب يتقدم علم الأدب على المنطق ، لكونه يدرس ما نصل به إلى الإحاطة بالمعاني (و هو علم المنطق) من اللفظ والخط. ويقول ابن الأكفاني : " إنما ابتدأت به لأنه أول أدوات الكمال ، و لذلك من عرى عنه لم يهتم بغيره " (١٩) ، فعلم الأدب هو الوسيلة الأولى الممهدة لدراسة

بقية العلوم ، و من ثم عده المدخل الذى ينفذ إلى دراسة العلوم الأخرى ، و ثنى بعلم المنطق لاشتماله على القوانين التى تعصم الذهن من الخطأ ، و من هنا فعلى الدارس التسلح به لدراسة العلوم الأخرى ، و يتماثل هذا الترتيب مع ما جاء فى إحصاء العلوم للفارابى ، حيث بدأ بعلوم اللسان (علوم الأدب) ، و ثنى بالمنطق باعتبارهما آلتين ووسيلتين لما يأتى بعدهما من العلوم. وينتقد ابن الأكفانى الفارابى و ابن سينا والطوسى لاعتبارهم المنطق آلة لغيره من العلوم لا علماً فى نفسه .

و يرى ابن الأكفانى أن كون المنطق آلة لغيره لا ينفي كونه علماً فى نفسه ، و هذا يعد نظرة متقدمة من ابن الأكفانى لعلم المنطق . ثم ينتقل إلى العلوم الحكمية التى هى المقاصد فتقسم إلى قسمين : حكمة نظرية ، و الغاية منها الوصول إلى المعرفة ذاتها . و القسم الثانى : الحكمة العملية ، و الغاية منها وصول الإنسان إلى الخير باقتفاء الفضيلة و اجتناب الرذيلة ، و هى نفس الغاية عند ابن سينا، ومن قبله أرسطو ، و لكن ابن سينا ينطلق بمفهوم الخير من منطلق إسلامى ، فيجعله خيراً دنيوياً وأخروياً . (٢٠) و يتابع ابن الأكفانى أرسطو و الفارابى و ابن سينا و الطوسى فى ذكر الأقسام الثلاثة للعلم الطبيعى ، و لكن يختلف الترتيب ، فيأتي العلم الإلهى فى البداية لأنه يمهد الذهن للعلم الطبيعى والرياضى بما يشمله من مبادىء للعلوم ، ويثنى بالعلم الطبيعى مباشرة بعد الإلهى لارتباط مباحثه مباشرة به ، و هذا ما يقوله ابن الأكفانى ، و بالنسبة للعلم الإلهى فإنه يمهد الذهن لمباحثه (يقصد العلم الطبيعى) ولذلك قدم عليه فى التعليم . ثم العلم الرياضى لاعتماد علمى الهندسة و الهيئة على بعض مبادىء العلم الطبيعى لتعامله مع مواد حسية ، مثل الخطوط و الأجسام فى الهندسة و الأجرام العلوية و السفلية فى علم الهيئة لاشتراكهما فى مبدأ الكيف ، أى الحركة و التغير التى نجدها فى الأصل الأول من العلم الطبيعى . و يسير تقسيمه للحكمة العملية متدرجاً من الخاص إلى العام فيقسمها إلى ما يكون خاصاً بشخص واحد ، و هو علم الأخلاق ، و غير الخاص ، و إنما يتم بالشركة التى تكون بحسب اجتماع منزلى ، فهو علم تدبير المنزل ، أو بحسب اجتماع مدنى ، و هو الأعم ، فيكون علم السياسة .

و يتناول ابن الأكفانى فى كل قسم من الأقسام الأساسية بالتفريع إلـــى علـــوم أصلية و علوم فرعية ، و يفرق بينهما على أساس الموضوع ، فالعلم الأصلى يتنـــاول موضوعاً كلياً أو ما يمثله من الموضوع العام ، أما العلم الفرعى فيمثـــل موضوعـــاً جزئياً من الموضوع الكلى ، فمثلاً يعد موضوع علم الطب موضوعاً جزئيـــاً (بـــدن الإنسان) ، و هو مندرج تحت موضوع العلم الطبيعى الذى يتناول موضوعاً كلياً هـــو الأجسام المادية بشكل مطلق و لواحقها . و على هذا الأساس يفرع كـــل قســـم إلـــى موضوعات أصلية ثم موضوعات فرعية ترتيب بطريقـــة منطقيـــة . فيبـــدأ بـــالعلوم الأدبية(٢١) فيقسمها و يرتبها فى تسلسل منطقى مستنداً إلى مبدأ اعتماد العلم اللاحق على السابق ، فيقسمها إلى قسمين : علوم تعتمد على اللفظ و علوم تعتمد على الخط ، و الأولى تسبق الثانية لأن اختراع اللفظ و الكلمة سبق اختراع الكتابة ، والكتابة علـــم يعرف به أحوال حروف الهجاء التى يتركب منها اللفظ ، و من ثم فهى لاحقة علـــى العلوم التى تتناول اللفظ لاعتمادها عليها . و يقسم الموضوعات التى موضوعها اللفظ إلى ثلاثة أنواع ، الأول : علوم تعتمد على اللفظ المفرد ، و يمثله علوم اللغة فى علـم اللغة والصرف ، و الثانى فى المركبات اللفظية . و تضم علوم المعانى والبيان و علم البديع وعلم العروض و علم القوافى . و الثالث ما يعتمد على اللفظ المفرد و المركـب و يمثله علم النحو . وهنا نلاحظ التقسيم المنطقى للأنواع الثلاثة ، كما جـــاء تسلســل العلوم معتمداً على مبدأ الاعتماد ، أى أن كل علم يخدم تابعه فهو مبنى على ســـابقه ، و فى الوقت نفسه هو موضوع بحث للعلم السابق له ، فنجد ابن الأكفانى يوضح فـــى كل علم يعرضه احتياج هذا العلم إلى سابقه ، و ارتباطه بالعلم اللاحق عليه ، فيذكرـــ مثلاً ـــ أن علم المعانى يحتاج إلى اللغة و التصريف ، و هى العلوم السابقة عليـــه ، وعلم النحو، و هو العلم اللاحق عليه ، و هذا ما سوف يتناوله البحث بتوضيـــح فـــى عرض العلوم الأدبية العشرة . وقد نادى '' أوجست كونت '' فى القرن التاسع عشـــر بمبدأ التسلسل ، و بنى عليه تصنيفه الوضعى، ولكنه اقتصر على أن لكل علم مبنـــى على سابقه و ليس على تابعه ، و زاد عليه '' سبنســـر *Spancer*(١٨٢٠ـــ١٩٠٣) '' بأن كل علم يخدم تابعه ، و فى الوقت نفسه موضوع بحث للعلم السابق له . (٢٢)

و يبدأ ابن ألأكفانى العلوم بعلم اللغة الذى يعد علماً عاماً لا يعتمد على غيره ، و إنما تعتمد بقية العلوم عليه ، فموضوعه مفردات الألفاظ من حيث دلالتها على معانيها ، و يثنى بعلم الصرف لبحثه فى اللفظ المفرد من حيث بنية الكلمة . و هنا نلاحظ اعتماد علم الصرف بشكل مباشر على ما فى علم اللغة من الألفاظ ، و هذا ما يذكره ابن الأكفانى فى احتياج علم الصرف إلى علم اللغة والقوافى، ثم على علم المعانى ، و هو الأول فى المجموعة الثانية و العلوم الأدبية التى تبحث فى الألفاظ المركبة ، فمكانه مناسب لأنه يعد أفضل العلوم الأدبية لأن به يعلم إعجاز القرآن الكريم الموصول للفوز بسعادة الدارين . (٢٣) و هنا يراعى الترتيب حسب فضيلة العلم و شرفه ، كما يراعى مبدأ الاعتماد من حيث اعتماده على ما سبقه من علم اللغة و الصرف ، و اعتماد علم البيان (العلم اللاحق له) عليه ، فيقول محمد بن عمر الجركسى : '' يقدم علم المعانى على علم البيان لكونه منه بمنزلة المفرد من المركب، لأن رعاية المطابقة التى هى ثمرة علم المعانى معتبرة فى علم البيان مع شىء آخر وهو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كالتعبير عن اتصاف زيد بالكرم بزيد كثير الرماد '' . (٢٤) ثم علم البديع الذى يأتى فى ترتيبه الطبيعى لأنه يعتمد على كل ما سبقه من العلوم الأدبية ، فيذكر ابن الأكفانى أن علم البديع يحتاج إلى علوم اللغة والنحو و التصريف و المعانى و البيان و الاستكثار من مختار الشعر . و هو يقدم كل هذه العلوم الأدبية على ما بعدها لأنها وسائل إلى فهم كتاب الله المنزل و كلام الرسول ــ عليه الصلاة و السلام ــ ، و هنا نلاحظ استخدام مبدأ شرف العلوم وفضيلتها فى تقديم العلوم السابقة على العلوم اللاحقة لها .

و يعرض للعلوم الخاصة بالشعر و يبدأ بالعروض ثم القوافى ، و ذلك على عادة الكتاب فى علوم اللغة و الأدب فى دراسة علم القوافى و معالجته بعد العروض ، و لكونه متصلاً بعلم العروض و أجزاء منه ، و كما يذكر الجركسى من أن عادة العروضيين قد جرت بذكر علم القوافى بعد العروض لكون أحدهما شبكاً بالآخر.(٢٥)

يعرض القسم الثالث من العلوم التى تختص بالألفاظ و هو علم النحو الذى يأتى فى ترتيبه المنطقى لكونه يتناول اللفظ المفرد و المركب معاً ، ثم يعرض لعلوم الخط و يبدؤها بعلم الكتابة، ويثنى بعلم القراءة، و ذلك لتوقف الثانى على الأول،

فالقراءة تتبع الكلمات المكتوبة نظماً و نطقاً ، فهى إذن تعتمد على الكتابة، وهو ما يخص العلم السابق لها ، كما يتلازم علما الكتابة و القراءة فى غاية واحدة ، و هى معرفة دلالة الخط على اللفظ، ومن هنا كانت معالجة علم القراءة تالية لعلم الكتابة .

و يقسم المنطق تقسيماً تساعياً مبتدئاً بالمدخل و منتهياً بالسوفسطيقى ، فجعل الشعر و الخطابة تسبقان السوفسطيقى مختلفاً عن ابن سينا الذى اتبع التقسيم التساعى للمنطق ، فجاء السوفسطيقى سابقاً للشعر و الخطابة .

و بعد الانتهاء من العلوم التى تعد وسيلة و آلة لغيرها يبدأ بالعلوم التى هى المقاصد و يبدؤها بالعلم الإلهى لكونه أشرف العلوم ، و العلم الأعلى من علوم الحكمة النظرية على اعتبار أنه يقع فى أعلى الموجودات فيسيران بالعلوم تصاعدياً للوصول إلى الذات الإلهية . و يفرق ابن الأكفانى بين أصول هذا العلم و فروعه و الأصول منها ما هو مأخوذ من الفلسفة اليونانية مثل الأول و الثانى والرابع الذى يفرع منه فروع العلم الإلهى و كلها تمثل علوم الشريعة الإسلامية (٢٦) التى يقسمها إلى ثمانية فروع. و يحدد ابن الأكفانى فلسفته و نظريته فى تقسيم العلوم الشرعية ، فهى إما متعلقة بالنقل ، أو لفهم المنقول ، أو لتقريره و تشييده بالأدلة ، أو باستخراج الأحكام المستنبطة . فهو هنا يحدد أربعة وسائل يسير عليها فى تقسيمه للعلوم الشرعية، فالعلوم النقيلة منها ما نزل على الرسول بواسطة الوحى ، و هى '' علم القراءات''، و منها ما صدر عن الرسول ، و هى '' علم رواية الحديث ''، والثانى لفهم المنقول، فمنها ما هو متعلق بكلام الله تعالى ، و هو '' علم تفسير القرآن الكريم ''، و إما متعلق بكلام الرسول ، و هو '' علم دراية الحديث '' ، و الثالث للتقرير فيختص به ثلاثة علوم : إما للآراء ، و هو '' علم أصول الدين '' ، و إما للأفعال ، و هو '' علم أصول الفقه '' ، و إما لما يستعان به على التقرير ، و هو '' علم الجدل '' ، والرابع لمعرفة الأحكام المستنبطة ، و هو '' علم الفقه '' .

و يلاحظ ترتيب العلوم على أساس شرف الموضوع ، فيقدم ما يختص بكلام الله '' القرآن الكريم '' على ما يختص بكلام الرسول '' الحديث '' ، كما يقدم ما هو خاص بإثبات وحدانية الله '' علم أصول الدين '' على ما يختص بالعبادات '' علم الفقه '' . و قد جاء تقسيمه هذا على أساس شكلى منهجى أكثر منه على أساس

موضوعى ، فأدى به إلى الفصل بين موضوعات وثيقة الصلة ، مثل علم القراءات الخاص بعلوم القرآن ، و هو أوثق اتصالاً بالتفسير منه بعلم رواية الحديث . والأخير أوثق اتصالاً بعلم دراية الحديث ، كما أنه أخر علم أصول الدين الذى يأتى فى معظم التصانيف من جهة شرفه فى قمة العلوم الشرعية لاتصالها بالبحث فى الذات الإلهية . و كان من الأفضل أن تسير علوم الشريعة الإسلامية لتحافظ على مبدأ تجاور الموضوعات المتشابهة ، فيبدأ بعلم أصول الدين ، ثم علم القراءات ، ثم علم التفسير ، ثم علم رواية الحديث ، ثم علم دراية الحديث ، ثم علم أصول الفقه ، ثم علم الفقه ، ثم علم الجدل .

ثم يأتى العلم الطبيعى (٢٧) فى المرتبة الثانية من الحكمة النظرية ، و كان من الأفضل ، أى يثنى بالعلوم الرياضية باعتبارها العلم الأوسط ، كما حدد فى بداية تقسيمه للحكمة النظرية ، و يفرق بين الأصول و الفروع لهذا العلم ، و فى عرضه للأصول يتابع أرسطو و من اتبعه من الفلاسفة المسلمين أمثال الفارابى و ابن سينا والطوسى فى إيراد ثمانية أجزاء هى نفسها كتب أرسطو فى هذا العلم، وهو يسير بها تصاعدياً للوصول إلى أعلى الموجودات و هو الإنسان و ما ينسب إليه من موضوعات النفس و الحركة و الإدراك و النوم و اليقظة . و يقرر فى الأصول الأساس الذى يبنى عليه دراسة الأجسام الطبيعية من التعرف على أحوال الأجسام وموادها و صورها ، و التفريق بين الجسم البسيط و المركب ، و العام ، و هو ما يشمل البسيط و المركب معاً . فالأجسام البسيطة : أحكام النجوم والطلسمات ، والأجسام المركبة : علم السيميا و الكيميا و الفلاحة ، و ما يكون بذى النفس العاقلة وهى العلوم المتعلقة بالإنسان ، و هى علم الطب و ما يماثله عند الحيوان من علم البيطرة و البيزرة ، و ما يخص أحوال الإنسان من علم الفراسة ، و علم تعبير الرؤيا ، ثم العام ، و هو علم السحر .

و يلاحظ أن تقسيمه لفروع العلم الطبيعى أساسه شكلى منهجى ، و لكن جاء ترتيبه للفروع على أساس موضوعى متبعاً مبدأ شرف العلم و فضيلته فبدأ بمجموعة العلوم التى تخص الإنسان مبتدئاً بعلم الطب لشرف موضوعه ، وهو البحث عن بدن الإنسان من جهة ما يصح و يمرض ، و يثنى بعلم البيطرة و البيزرة لما بينهما من

تناسب حيث يتناول أجسام الحيوانات و الطيور من جهة الصحة والمرض ، فهو للحيوان كالطب للإنسان ، و يستكمل الموضوعات الخاصة بالإنسان ، و يتدرج بها من الذى يعالج أحواله الظاهرة الدالة على أحواله الباطنة ، و هو علم الفراسة ، ثم ما يخص نفسه فى حالة غيبته عن جهة ، وهو " علم تعبير الرؤيا " ، ثم علم أحكام النجوم لشرف موضوعها عما يليها من العلوم لتعلقها بالأجرام السماوية ، و هو متأثر بنظرة أرسطو لها باعتبارها تقع فى ذروة سلم الموجودات ، ثم يتناول العلوم المتعلقة بالسحر ، و يبدؤها بالعلم العام و هو السحر الذى يتناول الأجسام البسيطة و المركبة ، و يتبعه بالعلوم المرتبطة به ، و المتفرعة عنه ، و هى علم الطلسمات الذى أخره عن علم أحكام النجوم بالرغم من تعلقهما بالجسم البسيط ، إلا أن موضوع علم الطلسمات يرتبط بعلم السحر لأن مبادئه و أسبابه مأخوذة من علم السحر . و يتبعه علم السيميا لارتباطه أيضا بعلم السحر ، و يأتى فى آخر العلوم الطبيعية علم الكيمياء الذى جرت العادة فى التصانيف العربية الإسلامية على ذكره بعد علوم السحر . و أغلب الظن أن رفض بعض العلماء له و اعتباره تابعا لعلوم السحر مما أدى إلى وضعه فى آخر التصانيف ، كما عند ابن النديم و الخوارزمى ، ثم استمر الوضع لهذا العلم بتأخيره إلى آخر العلوم ، سواء عند معالجة فروع العلم الطبيعى أو معالجة العلوم العقلية ككل . و يضيف ابن الأكفانى علما جديدا و هو علم الفلاحة ، و يضعه بعد علم الكيميا ، و كان من الأفضل أن يلحق به علم البيطرة و البيزرة ، فقد جرت عادة الكتاب على معالجة الموضوعين معا ، و هذا واضح من كتاب " الفلاحة " لابن العوام الذى يعالج فيه علم البيطرة و البيزرة . (٢٨)

و يأتى ترتيبه لفروع العلم الرياضى (٢٩) مختلفا عمن سبقه ، فيبدأ بعلم الهندسة لما لها من اتصال مباشر بالعلم الطبيعى لاستمدادها بعض المبادىء منه ، ويقدمها على بقية الأقسام الأساسية للعلم الرياضى لأنه يمهد الذهن لدراسة بقية الأقسام الرياضية بما تكسبه من حدة و نفاذ و ترويض للفكر ، و يستفاد من علومه الفرعية فى بقية العلوم الرياضية من علم الهيئة و الحساب و الموسيقى . و يثنى بعلم الهيئة بعد الهندسة لكونه آلة لعلم الهيئة . ويقدمه على بقية العلوم الرياضية وذلك لشرف موضوعه لما جاء فى التنزيل الإلهى من الحث على النظر فى هذا العلم

وموضوعاته و للاحتياج إليه فى ضبط أحوال الأزمة المتعلقة بالعبادات و المعاملات، و يليه فى الشرف علم الحساب لدخوله فى حساب بعض المعاملات الشرعية ، مثل حساب الدور و الوصايا ، و قد قدمه على علم الموسيقى باعتباره آلة لها ، فعلم الموسيقى يعتمد على الأعداد المتناسبة ، كما أنه يعد آخر العلوم الرياضية فى الشرف لانحصار منفعته فى اللذة و السرور ، و فى كل قسم من الأقسام الرياضية يفرق بين الأصول و الفروع ، و يأتى ترتيب الفروع فى كل قسم حسب منهج معين يقوم على أساس وجود فكرة معينة متضمنة فى كل علم ، و قد أسماها كل من '' هويل ودوف'' (ق١٩م) : الطبيعة الجوهرية للعلوم . (٣٠) فيقسم فروع علم الهندسة على نهج يفرق فيه بين العلوم على أساسين ، أحدهما عن إيجاد المطلوب من الأصول الكلية لعلم الهندسة ، و الثانى الباحث عما ينظر إليه ، أو لا ينظر إليه. والأخير يتناول موضوعات علم عقود الأبنية ، ثم علم المناظر ، ثم ما يخص المنظور إليه إن اختص بانعكاس الأشعة ، و هو علم المرايا المحرقة ، و الباحث عن إيجاد المطلوب فى الأصول الكلية يقسم شكلياً بدوره إلى قسمين : الأول من جهة التقدير ، فإن اختص بالنقل فهو علم مراكز الأثقال ، و إن كان ثابتاً فهو علم المساحة . و الثانى من حيث إيجاد الآلات أو ما يستخدم الآلات . و الأخير هو علم إنباط المياه . أما العلوم الخاصة بالآلات فيفرق بينها على أساس نوع الآلة ، فإما أن تكون تقديرية أو غير تقديرية ، و التقديرية تقسم بدورها إلى قسمين : آلات ثقيلة ، و هو علم جر الأثقال ، أو زمانية و هى علم البنكامات ؛ أى الآلات المقدرة للوقت ، التى ليست تقديرية ، وهى إما آلات حربية أو آلات روحانية .

و يفرق بين الأصول فى علم الهيئة و الفروع ، و يرتب الأخير على أساس فكرة متضمنة لكل علم ، فيفرق بين العلوم على أساس حساب الأعمال ، أو ما يتوصل إليها بالآلات ، فالأول إن اختص بالكواكب المتحيرة فهو علم الزيجات والتقاويم ، و إن اختص بتقدير الأزمنة فهو علم المواقيت . أما ما يتوصل إليه بالآلات فيقسم على أساس نوع الآلات ، فإن كانت آلات رصدية فهو علم كيفية الأرصاد ، و إن كانت آلات شعاعية فهو علم تسطيح الكرة ، و إن كانت آلات ظلية فهو علم الآلات الظلية .

و يستمر استخدامه للمنهج القائم على فكرة معينة فى ترتيب فروع علم الحساب على أساس التفريق بين البحث عن الأعداد المعلومة و الأعداد االمجهولة ، فالأول منها يقسم إلى قسمين ، ما يبحث فى الأعداد مجردة ، و هو علم الحساب المفتوح ، أو ما يتقيد برقوم خطية ، و هو علم حساب التخت و الميل . و الثانى يقسم على أساس تناسب الأعداد أو عدم تناسبها ، فالأول إن كان غير محدد بعدد معين من الأعداد فهو علم الجبر و المقابلة ، و إن اختص بأربعة أعداد متناسبة فهو علم حساب الخطأين ، و الثانى إما يخص الدور و هو علم الدور و الوصايا ، أو علم حساب الدرهم و الدينار ، و على هذا الأساس يتم ترتيب فروع علم الحساب .

القواعد و المفاهيم التصنيفية التى عكسها تقسيم ابن الأكفانى للمعرفة

تميز تقسيم ابن الأكفانى للمعرفة بالمنطقية و الترابط بين أقسامه ، فقد عكس عدداً من العلاقات التصنيفية ، بل تضمن عدداً من المفاهيم التى نادى بها مصنفو العصر الحديث ، و من هذه العلاقات :

- **علاقة الاشتمال و التبعية** التى سارت عليها كل الأقسام الرئيسية فى تصنيفه ، حيث قسم المعرفة إلى أقسام رئيسية ، مثل تقسيمه للعلوم كمقاصد ، و كآلة ، وكل منهما بدوره قسمه إلى أقسام رئيسية ، فالمقاصد ميز بين قطاعين كبيرين للمعرفة، و هما معرفة نظرية و أخرى عملية ، و تناول كلاً منهما بالتقسيم ، فالمعرفة النظرية إلى قطاعاتها الثلاثة ، و كل قطاع منها إلى عدد من الأقسام الرئيسية ، و كل قسم مقسم إلى أصول و فروع .
- **علاقة تساو** ، و قد عكس تصنيفه نماذج متعددة أدت إلى وقوف علوم متباينة فى موضوعاتها على صف واحد لا ندرجها تحت أمر ثالث يضمهم ، فنجد علم الطب الذى يتناول بدن الإنسان، وعلم أحكام النجوم الذى يتناول الأجرام السماوية، وعلم السحر وعلم الكيمياء ، فبالرغم من التباين بينهم إلا أنهم يشتركون فى معالجة موضوع واحد هو الجسم الطبيعى موضوع العلم الأعم الذى يضمهم و هو العلم الطبيعى ، و من هنا وجدت علاقة التساوى أو التناسب بينهم .

و ظهر فى تصنيف ابن الأكفانى عدد من مبادىء التصنيف التى نادى بها مصنفو الغرب فى القرنين التاسع عشر و العشرين ، و من هذه المبادىء :

- مبدأ تسلسل العلم الذى نادى به '' كونت '' فى القرن التاسع عشر ، على أساس أن كل علم بنى على سابقه ، و ليس على تابعه ، و زاد عليه '' سبنسر '' بأن كل علم يخدم تابعه ، و في الوقت نفسه هو موضوع بحث للعلم السابق له . (٣١) و قد طبق ابن الأكفانى هذا المبدأ فى ترتيب علومه
- اتبع ابن الأكفانى منهجاً فى ترتيب العلوم المتفرعة عن الأقسام الرئيسية فى تصنيفه ، يقوم على أساس الفكرة المتضمنة فى كل علم ، و التى أصبحت من المبادىء المهمة فى تصنيف القرن التاسع عشر ، و أول من نادى بضرورة اتباع هذا المبدأ كل من '' ويليام هويل '' و قد أسماها الطبيعة الجوهرية لكل علم ، وهى الفكرة المتضمنة فى كل علم ، و'' دوف '' الذى أسماها الهدف الأسمى للعلم ، فمثلاً المنطق يعتمد على الشخصية ، و الحساب يبنى على الرقم ، و الجبر على الكمية ، وعلى هذا الأساس جاء تسلسل العلوم عند كل منهما كالآتى : (٣٢)

تصنيف و يليام هويل		تصنيف دوف	
العلم	الفكرة المتضمنة	العلم	الفكرة أو الهدف الأسمى
الهندسة	الفراغ أو الفضاء	المنطق	الشخصية
الحساب	الرقم	الحساب	الرقم
الجبر	العلامة	الجبر	الكمية
الفلك	الحركة	الهندسة	الفراغ أو الفضاء
الاستاتيكا	القوة	الاستاتيكا	القوة
الديناميكا	الشىء	الديناميكا	الحركة
الاستاتيكا	القصور الذاتى	السمعيات	الصوت
الهيدروجية	الضغط المتدفق	البصريات	الضوء
الديناميكا	الوسيط	المغناطيسية	القوة الممغنطة
الهيدروجية	النوعيات	الكيمياء	الألفة
السمعيات	المادة		
البصريات	التشابه		
الكيمياء			
علم البلورات			

و قد حدد ابن الأكفانى الفكرة التى يتضمنها ، و التى على أساسها يقسم العلوم و يرتبها ، فيقسم العلوم الأدبية على أساس علوم تبحث فى الألفاظ ، و أخرى فى الخط ، ثم يقسم العلوم الباحثة فى الألفاظ إلى علوم تبحث فى الألفاظ المفردة ، و ثانية تبحث فى الألفاظ المركبة ، و ثالثة تجمع بين الاثنين ، و هذا ما ذكر فى عرض العلوم الأدبية . كذلك فى تقسيم فروع العلم الطبيعى و ترتيبها ، أو العلوم الرياضية ، فمثلا علم الحساب ترتب علومه على أساس الفكرة المتضمنة لكل علم كالآتى : (٣٣)

العلم	الفكرة
الحساب المفتوح	العدد المعلوم المجرد
حساب التخت و الميل	العدد المعلوم المقيد برقوم خطية
الجبر و المقابلة	المجهولات
حساب الخطأين	أعداد متناسبة
الدور و الوصايا	الدور
الدرهم و الدينار	

و قد أطلق " هويل " على عملية إبراز الأفكار المحتواة فى كل علم " الجانب الموضوعى فى التصنيف " ، و هو ما أكد عليه مصنفو القرن التاسع عشر . (٣٤) وقد أشار حاجى خليفة إلى هذا الجانب الموضوعى ضمن القواعد التى ذكرها للتصنيف فى كتابه كشف الظنون ، و عبر عنها بقوله : "إن اسم كل علم موضوع بإزاء مفهوم إجمالى شامل له " . وقد سار تصنيف ابن الأكفانى على هذا المبدأ ، فذكر لكل علم موضوعه و مبادئه و غرضه ومنفعته ، فهو مثلا يعرف علم الهندسة بأنه علم يعرف منه أحوال المقادير ولواحقها، وأوضاع بعضها عند بعض ونسبها ، و يحدد موضوعه ، وهو المقادير، ومنفعته أن يكتسب الذهن حدة و نفاذا ، و يروض الفكر . (٣٥) وهذا ما يتبعه فى كل علم .

يعد مبدأ تجاور الموضوعات المتشابهة ، أو مبدأ الترابط من أهم الخصائص التجديدية فى التصانيف العربية الإسلامية، و هو من أهم المبادىء التى بنى عليها " بليس " تصنيفه البيبليوجرافى. وقد تميز تصنيف ابن الأكفانى باتباع هذا المبدأ الذى سار عليه تصنيفه منذ البداية ، فقد تقاربت العلوم المتشابهة فى تصنيفه ، سواء على مستوى

يعد مبدأ تجاور الموضوعات المتشابهة ، أو مبدأ الترابط من أهم الخصائص التجديدية فى التصانيف العربية الإسلامية، وهو من أهم المبادىء التى بنى عليها '' بليس '' تصنيفه البيبليوجرافى . و قد تميز تصنيف ابن الأكفانى باتباع هذا المبدأ الذى سار عليه تصنيفه منذ البداية ، فقد تقاربت العلوم المتشابهة فى تصنيفه ، سواء على مستوى الأقسام الرئيسية أو الفرعية ، فعلى مستوى الأقسام الرئيسية جمع معالجة علمى اللغة و الأدب متجاورين تحت تسمية علم الأدب ، كذلك فروع العلم الطبيعى، فعلى الرغم من التقسيم الشكلى الذى أشار إليه عند التقديم لها إلا أن ترتيبها فى المعالجة جاء على أساس موضوعى ، حيث عمل على أساس تجاور الموضوعات المتشابهة ، فتجاورت الموضوعات التى تتناول الإنسان ، مثل الطب و الفراسة و علم تعبير الرؤيا ، كما تجاورت علوم السحر مع السحر والطلسمات وعلم السيميا .

و من أهم المبادىء التى بنى عليها '' بليس '' تصنيفه البيبليوجرافى مبدأ التفريع الذى يعنى تداعى الموضوعات الأصغر من الموضوعات الأكبر بنفس القدر من المنطقية و التسلسل الموجود فى الروابط بين الموضوعات الكبيرة ، و أسماه '' بليس '' التداعى بالخصوصية ، و هو يشبه إلى حد كبير ما جاء به '' سبنسر '' من مبدأ التسلسل الذى كان امتداداً لمبدأ التسلسل الذى نادى به ''كونت''، وتعنى هذه الفكرة أنه على الرغم من وجود عدد من الموضوعات الصغيرة تتساوى فى الدرجة إلا أن بعضها يعتمد فى وجوده على تلك الموضوعات الأخرى .

و إذا بحثنا على خريطة تقسيم المعرفة عند ابن الأكفانى وجدنا لهذه الفكرة تطبيقاً فى أكثر من موضع نسوق منها ترتيبه لفروع علم العدد الذى يذكر أن فروعه ستة ، و هى على الترتيب : الحساب المفتوح ، و حساب التخت و الميل ، و حساب الجبر و المقابلة ، و حساب الخطأين ، و حساب الدور و الوصايا ، و حساب الدرهم و الدينار ، فبالرغم من وجود هذه الموضوعات الستة على صف واحد ، و تساويها فى الدرجة إلا أن ذكر بعضها لاحقاً لعلم سابق عليه يعود إلى اعتماده على نتائج الموضوع السابق عليه ، فهو يقدم العلوم التى تعتمد على الأعداد المعلومة مبتدئاً بالعلم الذى يعتمد على الأعداد المجردة ، و هو علم الحساب المفتوح ، ثم يليه ما يعتمد عليه ، و هو حساب التخت و الميل الذى يبحث فى الأعداد المعلومة متقيداً

برقوم خطية ، ثم تأتى العلوم التى تبحث فى المجهولات لاستخراج المعلومات ، فهى تعتمد على ما يتضمنه علم الحساب المفتوح من تناسب الأعداد ، فالأول إن كان غير محدد بعدد معين من الأعداد المتناسبة ، فهو علم الجبر و المقابلة ، و إن تحدد بأربعة أعداد متناسبة فهو علم حساب الخطأين ، ثم ما لا يعتمد على التناسب ، و هو علم الدور و الوصايا ، ثم علم حساب الدرهم و الدينار .

تقييم محاولة ابن الأكفانى التصنيفية

- ينطلق ابن الأكفانى بتصنيفه من منطلق عربى إسلامى ، حيث بدأ تقسيمه للعلوم بالعلوم العربية متمثلة فى علوم الأدب التى جعلها المنفذ لدراسة ما يليها من العلوم سواء الشرعية أو العقلية ، كما جعل العلم الإلهى بما يتضمنه من العلوم الشرعية المستمدة من الدين الإسلامى هو بداية الحديث فى العلوم الحكمية التى هى المقاصد من العلوم .
- استخدم ابن الأكفانى المنهج النقدى فى تقييم العلوم أو الكتب ، فنراه يقسم الكتب إلى مبسوطة و مختصرة و متوسطة ، كما ينقد المادة العملية ، كما فى حديثه عن علم دراية الحديث ، فيقول : '' الكتب المنسوبة لهذا العلم تقريب التيسير للنواوى ، و علوم الحديث للحاكم ، و الكفاية للخطيب بن بكر بن ثابت ، إنما هى مداخل و ليست كتباً كافية لهذا العلم '' . و فى حديثه عن كتب علم الهيئة يقول : '' و من المبسوطة القانون المسعودى لأبى الريحان البيرونى ، و شرح المجسطى للتبريزى ، و هذه الكتب تتوقف على علم الهندسة ، لأن مقدمات براهينها هندسية''. ويقيم كتاب القانون لابن سينا بقوله : '' فهو الذى أخرج الطب من التلفيق إلى التهذيب والترتيب ، و هو أجمع الكتب و أبلغها لفظاً وأحسنها تصنيفاً'' .

و يعرض ابن الأكفانى لموضوع الفرق الإسلامية و الفرق اليهودية والمسيحية ضمن علوم العلم الإلهى ، و لكنه لا يحدد لها مكاناً محدداً ضمن علوم الشريعة ، فلم يفرعها عن علم النواميس كما فعل مع بقية العلوم الشرعية ، و لا من الأقسام الأصلية للعلم الإلهى، ويرجع السبب فى ذلك إلى عدم اعتراف أهل السنة بوجهة نظرهم ، فالإسلام عندهم هو الإسلام السنى فقط ، و ما عداه هرطقة . كما لم يكن التأليف فيها

مقصوداً و إنما جاء إيراد آرائهم للرد عليها و مناقشتها ، و من هنا كانت الكتابة عن هذه الفرق إلزاماً من قبل الكتاب و ليس عملاً مقصوداً . (٣٧) و لذلك كانت إشارة ابن الأكفانى لها لوجود إنتاج فكرى يتحدث عنها، و من هنا ذكرها و عرف بها ، ولكنه لم يستطع أن يحدد لها مكاناً ضمن العلوم الدينية ، سواء فقهية أو خاصة بعلوم القرآن أو الحديث . و على الرغم من متابعة ابن الأكفانى من سبقه من المصنفين فى وضع علم الكيمياء لاحقاً لعلوم السحر ، و ما يتبعه هذا من شبهة اقتراب مفهوم البعض له من اشتماله على جوانب سحرية و بطلانه ، إلا أن معالجة ابن الأكفانى لهذا العلم بعدت به تماماً عن هذا المفهوم ، بل كانت معالجة تنم عن مدى تقدم هذا العلم على زمن ابن الأكفانى و إحاطة ابن الأكفانى بحدود هذا العلم و مفاهيمه ومنافعه، فهو يشير إلى نفع هذا العلم و تأثيره فى أعمال الطب ، و استخدام مركباته فى علاج أمراض خطيرة كالصرع و البرص و الجذام ، و هذا ما نجده فى اعتماد علم الصيدلة الحديث على الكيمياء فى إنتاج أدوية مركبة لعلاج العديد من الأمراض ، و بخاصة الأمراض الخطيرة .

مميزات تصنيف ابن الأكفانى و عيوبه

يعد تصنيف ابن الأكفانى أكمل التصانيف التى وصلتنا من القرن الثامن الهجرى لتمثله لمعظم علوم عصره ، سواء العربية و الشرعية أو العلوم الأجنبية ، و تميز تصنيفه بالحفاظ على الوحدة الموضوعية ، فتجمعت عنده الموضوعات ذات الصلة مثل علوم اللغة و الأدب و علوم الخط ، و هذا ما افتقرت إليه بعض التصانيف الغربية المشهورة ، مثل تصنيف '' بيكون '' الذى فصل علوم اللغة و الخط والبلاغة عن العلوم الأدبية الأخرى ، و اعتبرها أدوات لتوصيل العلوم و المعارف ، و لكن كانت نظرة ابن الأكفانى لها أكثر تقدماً فقد اعتبرها علوماً و فى الوقت نفسه أدوات ، ولذلك وضعها فى مكان صحيح فى بداية تصنيفه باعتبارها مقدمة لدراسة ما بعدها من العلوم ، و ما يوجه لـ '' بيكون '' من نقد ينسحب على تصنيف '' ديوى '' الذى فصل علم اللغات عن الأدب .

وقد إتجه المصنفون فى القرن التاسع عشر إلى التمييز بين العلوم البحتة والتطبيقية ، و ممن قاد هذا الاتجاه '' الكسندر بين *Alexander Bain* '' و ''

جوبلو *Gobolot* '' . (٣٨) و قد قام '' أوجست كونت '' في ١٨٣٠م بالتمييز بين فئتين من العلوم ، الأولى أسماها '' العلوم العامة أو التجريدية'' التي تهدف إلى استخلاص القوانين المنظمة للظواهر . و الثانية '' العلوم الحية أو الوصفية '' التي تقوم على تطبيق القوانين على الكائنات الفعلية . (٣٩) و قد وضح هذا الاتجاه عند ابن الأكفاني ، سواء في العلوم الطبيعية أو الرياضية ؛ ففي أصول العلم يرسخ النظريات و المبادىء ، و في الفروع نجد الاتجاه التطبيقي ، فمثلاً في العلم الطبيعي يذكر في الأصول علم الحيوان ، و في الفروع علم البيطرة و البيزرة ، و في علم الهندسة من أقسام العلم الرياضي يحدد في الأصول القوانين و في الفروع الجانب التطبيقي ، فيقول عند تعداده لفروع علم الهندسة : '' و أما العلوم المتفرعة عليه فهي عشرة : علوم عقود الأبنية ، و ... '' . (٤٠) و ذلك لأنه إما أن يبحث عن إيجاد ما يبرهن عليه في الأصول الكلية بالفعل ، و هنا إشارة إلى القوانين والنظريات التي احتوتها الأصول التي عرضها لعلم الهندسة و ما يعرضه من الفروع هو الجانب التطبيقي لها . كما يذكر عن علم الزيجات و التقاويم ، وأنه فرع من فروع علم الهيئة. (٤١) كما يتعرف منه مقادير الكواكب السيارة ، منتزعاً من الأصول الكلية ، و هنا يشير إلى اعتماد هذا العلم على النظريات و القوانين التي احتوتها العلوم الأصلية فهو العلم التطبيقي لها . و إذا كنا نجد في تصنيف ابن الأكفاني تطبيقه لمفاهيم تصنيفية نادى بها مصنفو القرن التاسع عشر إلا أن تصنيفه قد تميز بعدم الفصل بين الجانب النظري و التطبيقي ، و هذا ما أخذ على بعض التصانيف الغربية الشهيرة ، مثل تصنيف بيكون الذي فرق إثنين : الموضوعات التي تنتمي إلى مجال معرفي واحد فيعالج التاريخ الطبيعي بعيداً عن علم الطبيعة و قوانين الطبيعة . بعكس الأنصاري الذي عالج موضوعات العلم الطبيعي سواء ما يتصل بالقوانين أو العلوم التطبيقية لها متجاورة ، فلم يقفز بعلم الفلاحة (الزراعة) في مكان بعيد عن علم النبات على خريطته التصنيفية ، و هذا ما يؤخذ على '' ديوي '' الذي فصل علم النبات عن علم الزراعة ، كما فصل غيره من العلوم ذات الصلة القوية عن بعضها . و جاءت معالجة ابن الأكفاني لعلم الهيئة بعيدة عما لحق به من ارتباط بعلم التنجيم ،

و الاستدلال به على المستقبل ، و عالجه معالجة موضوعية مبرزا أهميتـه بالنسبة للعلوم الشرعية .

و على الرغم من المميزات الكثيرة لتصنيف ابن الأكفاني إلا أن هناك بعض المآخذ ، منها :

- عدم إشارته لبعض العلوم المهمة في عصره ، و منها علم التاريخ الذى كان يعد من العلوم التى تعتمد عليها العلوم الشرعية ، فكان لها بمثابة الوسيلة ، أو الآلـة ، و إذا كان الأنصارى فى بداية تصنيفه قد فرق بين ما هو آلة لغيره ، و ما هـو علم فى نفسه ، فكان من الأحرى به ذكر هذا العلم ضمن العلوم الآليـة كمقدمـة للعلوم الشرعية نظرا لتقدم هذا العلم على زمن ابن الأكفاني و زيادة عدد الكتـب المؤلفة فيه .
- أنه ذكر علوما و لم يحدد لها مكانا على خريطته التصنيفية ، مثل : علم الفـرق الإسلامية الذى أسهب فى الحديث عنه ضمن عرضه للعلم الإلـهى دون تحديـد مكان مناسب على خريطته التصنيفية
- ذكره لعلم الرمل ضمن فروع العلم الطبيعى على الرغم من عدم الإشارة إليه فى فروع العلم الطبيعى .
- ذكره للعلوم الباطلة ، و هى علوم السحر ضمن العلم الطبيعـى ، و كـان مـن الأفضل لرجل يؤمن بالتجربة و أهميتها أن يتنحى بتصنيفه عن مثل هذه العلـوم ، و أغلب الظن أن ابن الأكفاني يرصد و يسجل العلوم الموجودة ذات الإنتـاج الفكرى العقلى ، فهو لا ينتقى من بين العلوم ما يعرض أو لا يعـرض ، و لكنـه يسجل الواقع الفعلى لعلوم عصره مما يميز تصنيفه بالواقعية .

تصنيف ابن الأكفانى انعكاس للحياة الفكرية فى عصره

اتسم العصر الذى عاش فيه ابن الأكفاني بأنه عصر تأليف الموسـوعات ، و لذلك جاء كتابه : '' إرشاد القاصد إلى أسـنى المقـاصد '' نموذجـا للموسـوعات الصغيرة ، قسم فيها المعرفة البشرية مع التعريف بكل علـم ، و معالجتـه معالجـة موجزة مستوفاة لجميع جوانب الموضوع مع إعطاء قائمة بيبليوجرافية بالكتب المؤلفـة فى كل علم .

و قد عكس تصنيف ابن الأكفانى مدى تقدم العلوم فى عصره بما أضافه من علوم عديدة مشتقة فى مختلف أقسام المعرفة ، و بخاصة العلوم العقلية ، مثل : علم عقود الأبنية على فروع علم الهندسة ، و علم تسطيح الكرة ، و علم المواقيت ، وعلم الآلات الظلية على فروعه علم الهيئة ، و أضاف على فروع علم الحساب علم حساب التخت و الميل ، و علم الدور و الوصايا ، و علم حساب الدرهم و الدينار، كما أضاف علم الفلاحة ، و علم الرمل ، و علم البيطرة ، و البيزرة ، و علم السيميا. كما أن ذكر علم الآلات الحربية فى فروع علم الهندسة يعد نتاجاً للحروب المتعددة التى خاضتها الأمة الإسلامية حتى عصر ابن الأكفانى . و يظهر تأثير البيئة الإسلامية على مجموعة العلوم العملية فى تصنيفه ، حيث يشير إلى السيرة النبوية كأفضل مثال يحتذيه الإنسان فى حياته العملية ، سواء كان ذلك على المستوى الشخصى أو الأسرى أو المدنى .

تصنيف ابن الأكفانى بين التأثير و التأثر

استوعب ابن الأكفانى فى تصنيفه كل ما جاءت به التصانيف السابقة عليه ، و لكنه لم يقف عند حد النقل ، و إنما سار على فلسفة خاصة به فى عرض العلوم و ترتيبها ، كما أضاف العديد من العلوم المشتقة إلى الأقسام المعرفية فى تصنيفه لم يشر إليها أحد من قبله ، و هذا ما اتضح من قبل ، و يمكن تحديد التصانيف التى أخذ عنها فيما يلى : يعد الفارابى و ابن سينا من أكثر المصنفين اللذين تأثر بهم ابن الأكفانى ، و نقل عنهما الكثير ، سواء كان ذلك فى طريقه التقسيم أو فى تعريفات العلوم .

تأثره بالفارابى

اختلف الباحثون فى مدى تأثر ابن الأكفانى بالفارابى ، ذكر عثمان أمين فى مقدمة كتاب إحصاء العلوم أن كتاب '' إرشاد القاصد '' قد استفاد فبعضهم يرى أن ابن الأكفانى قد استعرض إحصاء العلوم شيئاً غير قليل بالإضافة إلى اتفاق المقدمة عند كل منهما فى نقاط كثيرة بينما يفند البعض الآخر هذه المقولة، بالإضافة إلى أن ابن الأكفانى قد أحاط بعدد أكبر من عدد العلوم التى تم تناولها فى الإحصاء (٤٣) وإذا كان هذا الرأى صحيحاً إلا أن ابن الأكفانى قد استفاد كثيراً من الفارابى ، ففى

مقدمته تناول تقريباً كل النقاط التي تناولها الفارابي في مقدمته ، بل إنه أحياناً يتناول نفس الألفاظ و العبارات ، و من الأمثلة على ذلك ، يقول ابن الأكفاني عن الأمور التي يستفيد منها أي قارىء لكتابه '' أن يقايس بين العلوم فيعلم أيها أفضل و أشرف، و أيها أتقن و أوثق و أيها أوهن و أوهى'' (٤٤) وعن هذا الأمر نجد نفس العبرة و نفس الألفاظ عند الفارابي فيقول '' و بهذا الكتاب يقدر الإنسان أن يقايس بين العلوم فيعلم أيُها أفضل و أيها أنفع ، و أيها أتقن و أوثق و أقوى ، و أيُها أوهن و أوهى وأضعف '' (٤٥)

كما تشابه ابن الأكفاني مع الفارابي في الابتداء بعلم الأدب الذي أسماه الفارابي علم اللسان ، كما اتفق كل منهما على اعتباره آلة و وسيلة لتحصيل غيره من العلوم ، و قد جاءت فروع هذا العلم متشابهة عند كل منهما ، و إن اختلفت التسميات ، فعلم اللغة عند ابن الأكفاني أطلق عليه الفارابي علم الألفاظ المفردة ، و علم التصريف عند ابن الأكفاني أطلق عليه الفارابي علم قوانين الألفاظ المفردة ، و علم النحو عند الأكفاني هو علم قوانين أطراف الأسماء ، و الكلم عندما تركب ، كما ذكر الاثنان علم قوانين الكتابة ، و علم قوانين القراءة ، و قد عالج الفارابي في علم الأشعار الأقسام التي عالجها ابن الأكفاني نفسها ، و هي علم البديع و علم العروض وعلم القوافي ، و هكذا نجد الاتفاق بينهما في فروع علم الأدب و إن اختلف الترتيب ، و تميز ابن الأكفاني باستخدام ألفاظ محددة واضحة تطلق على كل علم مع توسع ابن الأكفاني في شرح كل علم شرحاً مبسطاً واضحاً و إعطاء تعريف العلم و حدوده ومنفعته و الإشارة إلى أهم الكتب المؤلفة فيه ، و هذه هي إضافة ابن الأكفاني في إعطاء صورة للإنتاج الفكري في عصره ، و لذلك انتمى تصنيفه إلى التصنيف البيبليوجرافي ، بينما اعتبر تصنيف الفارابي تصنيفاً فلسفياً .

و قد تابع ابن الأكفاني الفارابي أيضاً في ذكر علم المنطق بعد علم الأدب واعتبره آلة للعلوم ، و لكن نظرة ابن الأكفاني لهذا العلم كانت أكثر تقدماً لاعتباره علم المنطق علماً في نفسه و آلة لغيره من العلوم ، مثل علم الهندسة الذي يعد علماً في نفسه و آلة لعلم الهيئة . و يذكر ابن الأكفاني تسعة أقسام لعلم المنطق ، بينما يقصره الفارابي على ثمانية فقط لاغياً المدخل .

تأثره بابن سينا

يعد ابن سينا من أكثر المصنفين الذين تأثر بهم ابن الأكفانى فى الجزء الثانى من تصنيفه الخاص بعلوم الحكمة ، و من جوانب تأثره بابن سينا تعريفاته للحكمة النظرية و العملية و الغاية من كل منهما ، فيقول ابن الأكفانى فى تعريف الحكمة النظرية : '' تكون بحصول الاعتقادات اليقينية فى معرفة الموجودات و أحوالها '' (٤٦) و يعرفه ابن سينا بأنه الغاية من العلم النظرى هو حصول الاعتقاد اليقينى بحال الموجودات التى لا يتعلق و جودها بفعل الإنسان و يكون المقصود هو حصول رأى فقط '' (٤٧) و هنا نلاحظ التوافق التام بين التعريفين بل الاتفاق فى الألفاظ و الغاية التى تنحصر فى الوصول إلى المعرفة لذاتها عند كل منهما . كذلك يتفق تعريف كل منهما للحكمة العملية فيقول ابن الأكفانى : '' يكون بتزكية النفوس باقتنائها الفضائل و اجتنابها الرذائل '' . (٤٨) و يذكر ابن سينا بقوله :'' المقصود فيها حصول صحة رأى فى أمر يحصل بكسب الإنسان ليكتسب ما هو الخير منه فلا يكون المقصود حصول رأى فقط بل حصول رأى لأجل عمل ، و غاية العملى هو الخير '' . (٤٩) و يتفق معنى التعريفين فى حصول الخير من وراء الحكمة العملية و لكن يكمن الاختلاف بينهما فى القدرة اللغوية حيث يتفوق الأكفانى على ابن سينا فى المقدرة اللغوية حيث يصل للمعنى بعبارة قوية مختصرة سهلة تنفذ للغرض بسهولة . و يتبع ابن الأكفانى التقسيم التساعى للمنطق كما فعل ابن سينا حيث يبدأ مثله بالمدخل ويشير إلى كتب أرسطو و الفارابى و ابن سينا فى علم المنطق و هذا دليل على معرفته بتصانيفهم و تأثره بهم سواء بالنقل المباشر أو بالفكرة . و يظهر بوضوح تأثر ابن الأكفانى بتقسيم ابن سينا لأقسام الحكمة النظرية من حيث التفريق بين أصول العلم وفروعه ، وقد اتفقت الأصول عند كل منهما إلى حد كبير سواء فى العلم الإلهى أو فى العلم الطبيعى ، مع بعض الاختلافات البسيطة ؛ ففى العلم الإلهى يدمج ابن الأكفانى فروع العلم الإلهى عند ابن سينا فى اصول العلم مثل علم المعاد كما اتفقت أصول العلم الطبيعى اتفاقاً تاماً ، و ترد عند كل منهما إلى أسماء كتب أرسطو .

و قد نقل ابن الأكفانى عن ابن سينا فروع العلم الطبيعى و العلوم الرياضية ، و إن زاد عليها كثيراً : فمثلاً تبلغ فروع العلم الطبيعى عند ابن سينا سبعة بينما تصل

إلى أحد عشر علماً عند ابن الأكفانى ، و يذكر ابن سينا علماً واحداً مفرعاً عن علم الهيئة ، بينما يذكر ابن الأكفانى خمسة علوم فرعية فى علم الهيئة ، كما ينقل ابن الأكفانى تعريفات كثيرة من العلوم عن ابن سينا ، و منها : تعريفه لعلم الطب و علم الكيمياء و علم الهندسة و غيرها من العلوم .

تأثره بالخوارزمى

نقل عن الخوارزمى علم الآلات الروحانية الذى أشار إليه الخوارزمى فى الفصل الثانى من الباب الثامن من المقالة الثانية تحت عنوان '' حركة الماء '' (٥٠) وصفة الأوانى العجيبة و ما يتصل بها من صنعة الآلات المتحركة لذاتها ، ويشير ابن الأكفانى إلى الآلات التى ذكرها الخوارزمى و أعطى وصفاً لها ، و منها السرج والقطارة ، و قدح العدل ، و الجور الذى أسماه الخوارزمى بجام العدل.(٥١)

تأثره بجابر بن حيان

يظهر تأثره بجابر بن حيان فى عرضه لعلم الكيمياء ، فيلخص تقريباً ما عرضه جابر عن هذا العلم فى السباعية أو الحدود ، مستخدماً ألفاظه عن هذا العلم من التدبير و تقسيم التدبير إلى الجوانى والبرانى والعقاقير المستخدمة فى التدبير ، وفى نهاية حديثه يشير إلى كتب ابن حيان فى هذا العلم .

ثانياً : تأثير ابن الأكفانى فيمن بعده

تأثر بكتاب '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ''العديد من العلماء والمصنفين الذين أتوا بعد ابن الأكفانى ، و منهم السيوطى فى كتابه '' إتمام الدراية لقراء النقاية '' ، و طاشكبرى زادة فى كتابه '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة ''، كما تأثر به التهانوى فى كتابه '' كشاف اصطلاحات الفنون '' ، و سوف يتم التعرض لهم فى الصفحات القادمة من البحث . كما تأثر به الفيروزآبادى ، حيث استعان بجزء كبير فى هذه الموسوعة فأثبته عند حديثه عن عدد من الموضوعات فى بداية كتابه الشهير '' بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز '' ، و فى هذه الموضوعات التى تناولها تشابهت مع ما ورد فى كتاب '' إرشاد القاصد '' فى فضل العلم و أنواعه و مراتبه و شروط التعلم والتعليم، والقول فى حصر العلوم، و لكنه لم يشر إلى ابن الأكفانى و كتابه . (٥٢) و ممن تأثروا به أيضاً القلقشندى فى كتابه

''صبح الأعشى فى صناعة الإنشا '' ، فقد ورد فصل بعنوان المقصد الثانى فى ذكر العلوم المتداولة بين العلماء و المشهور من الكتب المصنفة فيها و مؤلفاتهم ، و بقراءة دقيقة لهذا الفصل يتضح أنه تلخيص دقيق لكتاب إرشاد القاصد لابن الأكفانى ، فقد أخذ منه أسماء العلوم . (٥٣) و تعريفاتها أحياناً و ذكر أمثلة الكتب نفسها التى وردت عند ابن الأكفانى ، و قد أشار القلقشندى نفسه إلى أنه نقل عن إرشاد القاصد ، فقد ذكر فى أكثر من موضوع ، قال فى إرشاد القاصد ، كما كتب حاجي خليفة فى كتابه كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون متحدثاً عن الكتاب بقوله '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد للشيخ شمس الدين محمدج بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى الأكفانى السنجارى المتوفى سنة أربع و تسعين وسبعمائة مختصر أوله الحمد لله الذى خلق الإنسان و فضله .. إلخ ، ذكر فيه أنواع العلوم و أصنافها و هو ما أخذه مفتاح السعادة لطاشكبرى زادة . و جملة ما فيه ستون علماً منها عشرة أصلية و سبعة نظرية ، و هى : المنطق و الإلهى و الطبيعى و الرياضى بأقسامه ، و ثلاثة عملية ، و هى السياسة والأخلاق و تدبير المنزل ، و ذكر فى جملة العلوم أربعمائة تصنيف.(٥٤)

كما نقل حاجي خليفة عن ابن الأكفانى عن مقدمته بعض الأفكار بثها فى بعض موضوعات مختلفة منها عند حديثه عن التعليم " ما ورد عنده فى المقدمة فى الباب الرابع فى فوائد منثورة فى أبواب العلم ، فقد صنف العلوم إلى علوم مقصودة للذات ، و علوم هى آلة ووسيلة لهذه العلوم كالعربية و المنطق ، و هذا ما جاء عند ابن الأكفانى فى حصر العلوم.(٥٥) .

المنهج المتبع فى تصنيف ابن الأكفانى

حصر ابن ألأكفانى العلوم و المعارف فى نوعين اثنين ، و هما : علوم مقصودة لذاتها و هى المقاصد ، و علوم غير مقصودة لذاتها ، و إنما آلة لغيرها ، وهى الوسائل ، ثم قسم كلاً منهما إلى علوم رئيسية عامة ، و كل علم منها قسم إلى عدة علوم يتفرع منها علوم أصلية و علوم فرعية ، و هو بذلك ينتقل من العلم العام إلى الخاص مستخدماً المنهج الاستنباطى .

يقسم ابن الأكفانى العلم من علم كلى إلى علم جزئى ، و يستمر التـــدرج فـــى التقسيم ليصل إلى الصف السادس ، و يوضح الجدول التالى عدد العلوم علـــى كـــل صف و مستوى التفريع لها .

تصنيف الأنصارى	صف أول	صف ثان	صف ثالث	صف رابع أجزاء أصلية	صف خامس علوم فرعية	صف سادس علوم فرعية	اجمالى
" إرشاد	مقصودة لذاتها	حكمة نظرية	علم طبيعى	٨	١١		١٩
القاصد إلى			علم إلهى	٦	٨		١٢
أسنى		حكمة عملية	علم رياضى	هندسة	١٠	١٠	٢٠
المقاصد "			سياسة	هيئة	٤	٥	٩
		أدب	أخلاق	عدد	٢	٦	٨
	غير مقصودة	منطق	تدبير المنزل	موسيقى	٥		٥
	لذاتها		١٠				١٠
			٩				٩
إجمالى	٢=٢	٤	٢٥	١٨	٣٠	٢١	٩٨

جدول رقم (٩) : يوضح توزيع الرتب و الفروع فى تصنيف ابن الأكفانى

قسم الأنصارى المعرفة البشرية إلى نوعين ، هما علوم مقصـــودة لذاتـــها ، وعلوم غير مقصودة لذاتها ، و هى تقف على الصف الأول من التصنيف ، ثم يتنـــاول كلاً منهما بالتقسيم ، فالأول قسمه إلى حكمة نظرية و حكمة عملية . و الثانى قســـمه إلى المنطق و الأدب ، و هذه العلوم الأربعة تقف على الصف الثانى من التصنيـــف ، ثم يتناول كل علم عام من هذه العلوم الأربعة بالتقسيم ، فقسم الحكمة النظريـــة إلـــى ثلاثة أقسام ، هى العلم الإلهى ، و الرياضى و الطبيعى . و الحكمة العملية إلى ثلاثـــة أقسام ، هى : السياسة و الأخلاق و تدبير المنزل ، و هذه العلوم الستة تقـــف علـــى الصف الثالث ، و لا يعطى أى تقسيم من علوم الحكمة العملية على الصف الرابـــع أو الخامس ، و هذا يعود إلى انتمائها إلى العلوم الاجتماعية التى يكون نمو علومها أبطـــأ من العلوم البحتة و التطبيقية و البيولوجية ، و هى التى تمثل فروع الحكمة النظريـــة ، حيث يتابع تقسيم العلم الطبيعى إلى ثمانية أجزاء أصلية تقف على الصف الرابع ثـــم يفرعها أحد عشر علماً فرعياً تقف على الصف الخامس . كما يفرع من العلم الإلـــهى ستة أجزاء أصلية تقف على الصف الرابع ، ثم يقسمها إلى ثمانية علوم فرعية تمثـــل

علوم الشريعة الإسلامية تقف على الصف الخامس ، و لا يتابع التقسيم فى كل من العلم الطبيعى و الإلهى إلى الصف السادس . و يقسم العلم الرياضى إلى أربعة علوم عامة تقف على الصف الرابع ، ثم يتناول كل منها بالتقسيم إلى عدد من الأجزاء الأصلية ، ثم العلوم الفرعية ، فيقسم علم الهندسة إلى عشرة أجزاء أصلية تقف على الصف الخامس ، و عشرة علوم فرعية تقف على الصف السادس . و يقسم علم الهيئة إلى أربعة أجزاء أصلية ، تقف على الصف الخامس ، ثم يفرعها إلى خمسة علوم فرعية تقف على الصف السادس . ويقسم علم العدد إلى جزئين أصليين ثم يفرعها إلى ستة علوم فرعية تقف على الصف السادس . ويقسم علم الموسيقى إلى خمسة علوم أصلية تقف على الصف الخامس ، و لا يعطى منها أى تفريع . و من هنا يبلغ عدد العلوم المفرعة من العلم الرياضى ست و أربعون علماً ، منها أربعة على الصف الرابع ، و واحد و عشرون على الصف الخامس ، و واحد و عشرون على الصف السادس ، و هذا يدل على مدى نمو العلم الرياضى و تقدمه على عهد الأنصارى .

و يلاحظ التفاوت فى أعداد العلوم المفرعة فى أقسام العلم الرياضى ، فترتفع فى علم الهندسة لتصل إلى عشرة أجزاء أصلية ، و عشرة علوم فرعية ، و هذا دليل على تقدم هذا العلم و الاهتمام به ، كما يليه علم الهيئة حيث يبلغ عدد العلوم الأصلية أربعة و الفرعية خمسة ، و هذا دليل على اهتمام العرب بهذا العلم لمنفعته فى تحديد مواقيت الصلاة ، و تحديد بدايات الشهور العربية ، كما أن الرحلات التى قام بها العرب ، و المؤلفات العديدة التى وضعت لوصف البلاد ، سواء المعمور منها من أراضى الدولة الإسلامية أو من بلاد العجم . و يبلغ عدد العلوم الأصلية و الفرعية من علم العدد ثمانية ، منها علمان أصليان ، و ستة علوم فرعية ، معظمها ينتمى إلى علم الجبر و المقابلة ، مثل علم الدرهم و الدينار و علم حساب الخطأين ، و منها ما أوجدته الحضارة العربية الإسلامية ، مثل حساب الدور والوصايا ، ثم علم الموسيقى الذى تقدم كثيراً على يد المسلمين ، و لهم فيه المؤلفات العديدة، ولذلك يزيد عدد العلوم المفرعة ليصل إلى خمسة علوم . أما النوع الثانى من العلوم فهى العلوم غير المقصودة لذاتها ، فقد قسمها إلى علمين كبيرين ، هما : علم الأدب والمنطق ، التى وقفت على الصف الثانى ، ثم فرع فى كل منهما عدداً من العلوم تقف على الصف

الثالث فبلغت العلوم المفرعة فى علم الأدب عشر موضوعات ، و العلوم المفرعة عن علم المنطق تسع موضوعات ، و لم يزد التفريع أكثر من ذلك ، و بذلك يبلغ عدد العلوم على الصف الأول علمين ، و عدد العلوم على الصف الثانى أربعة علوم ، وعلى الصف الثالث خمساً و عشرين علماً ، وعلى الصف الرابع ثمانية عشر علماً، وعلى الصف الخامس ثلاثين علماً ، و على الصف السادس واحداً وعشرين علماً . وبذلك يبلغ إجمالى عدد العلوم المفرعة من الصف الأول ثمانية وتسعين علماً . و من ذلك نخرج بعدد من الملاحظات ، منها :

- زيادة نمو فروع علوم الحكمة النظرية بعلومها الثلاثة الأساسية لتقف فى علمين على الصف الخامس ، و فى العلم الرياضى على الصف السادس .
- وقوف علوم الحكمة العملية على الصف الثالث بنفس علومها التى أشار إليها كل المصنفين السابقين عليه ، و لم يحدث أى نمو فى علومها .
- يقف المنطق عند الصف الثالث بنفس فروعه التى وجدت عند أرسطو ، التى أشار إليها من سبقه من المصنفين العرب دون وجود أى نمو فى فروع علومه .
- يقف علم الأدب عند الصف الثالث أيضاً ، و لكن يحمد لابن الأكفانى إدراجه علم الأدب ، والإشارة إلى فروعه فى خطته التصنيفية .
- يلاحظ تفاوت التفريعات من علم لآخر ، سواء العلوم الأصلية أو الفرعية ، و ذلك حسب اتساع كل علم و نضجه بما يعطيه من معلومات أو يفرزه من علوم تتفرع عنه .

التماسك و الاتساق فى خطة ابن الأكفانى التصنيفية

يلاحظ على خطة ابن الأكفانى التنظيم التام فى عرض العلوم ، فهو يعرضها فى رتب ، و بعد الانتهاء من كل رتبة ينتقل إلى الرتبة التى تليها ، و هو يسير فى ترتيب العلوم بشكل منتظم و محكم دون إحداث أية قفزات مخلة بهيكل خطته التصنيفية ، و هو يسير فى المعالجة من العلم العام إلى الأقل عمومية ، فعند معالجته الحكمة النظرية مثلاً فإنه ينتقل من الأقسام العامة ، و هى الطبيعى و الإلهى والرياضى ، إلى العلوم الأصلية المفرعة منها إلى العلوم الفرعية دون القفز فى المعالجة من علم لآخر ، لذلك تحقق فى خطته التماسك التام لموضوعاته ، فلا يشعر

القارىء لخطته بأى خلل أو اضطراب فى عرض العلوم ، و يرجع ذلك إلى سعة الأنصارى العلمية ، و تمكنه من فروع المعرفة البشرية بكل جزئياتها . و قد اختلفت التفريعات فى كل علم ، سواء فى عدد علومها الأصلية أو الفرعية ، كذلك لم يتساو عدد صفوف التفريع فى كل علم ، و لذلك لم يكن هناك اتساق أو تناسق فى عرض فروع كل علم فى خطته .

و يعد هذا التصنيف لبنة جديدة فى علم التصنيف أضافت الكثير إلى خطط التصانيف العربية ، سواء كان ذلك من حيث شمولها لفروع المعرفة البشرية فى عصرها أو من حيث طريقة التقسيم الجديدة التى اتخذها لنفسه الأنصارى فى تقسيم العلم أو من حيث مقدماته الرائعة التى تقر نظريات جديدة فى علم التربية ، و ما جاء فى نهاية رسالته من شرح للألفاظ الغامضة التى وردت فى تصنيفه ، و لذلك تعد خطته من أبرز الخطط التصنيفية التى بعدت عن التقليد الأرسطى ، و انطلقت من معطيات الحضارة العربية الإسلامية .

و ننتقل إلى تصنيف آخر أضاف به صاحبه إلى علم التصنيف جديداً ، و هو تصنيف ابن خلدون الذى يرجع إلى القرن الثامن الهجرى .

ثالثاً : تصنيف ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)

جاء تصنيف العلوم عند ابن خلدون (٥٦) فى الفصل الرابع من الباب السادس فى مقدمته ، تحت عنوان " فى أصناف العلوم الواقعة فى العمران لهذا العهد " ؛ أى عهده .

أثر الحياة السياسية و الاجتماعية فى تصنيف ابن خلدون

يمثل القرن الثامن الهجرى الذى عاش فيه ابن خلدون ثمرة الحضارة العربية الإسلامية التى تم نضجها و بلغت غايتها فى العصور الإسلامية . و يعد هذا القرن من الناحية السياسية من أسوء القرون التى مر بها الإسلام ، فقد جاء هذا القرن عقب سقوط الخلافة العباسية ببغداد على أيدى المغول ، كما شهد تحفز الأسبان للقضاء على الدولة الإسلامية فى الأندلس التى كان يحكمها بنو الأحمر الذين كانوا يتنافسون على الحكم فيما بينهم . أما فى المغرب العربى فكان التنافس الشديد بين الحكام و الولاة ؛ فبعد انقراض دولة الموحدين منذ القرن السابع للهجرة انقسم المغرب ثلاثة أقسام يحكم

كل قسم منها اسرة حاكمة ، فبنو مرين فى المغرب الأقصى (مراكش) ، و بنو عبد الواد فى المغرب الأوسط (الجزائـــر) ، و بنـو حفـص فــى المغــرب الأدنـــى (تونس).(٥٧)

و قد تميز مجتمع ابن خلدون بظاهرة التباين الصارخ بين أقصى أنواع البداوة و أقصى أنواع الحضارة ، و قد أدى هذا التباين إلى حدوث فوضى سياسية ، فقد كان الولاة في المغرب يستعينون بهؤلاء البدو و البربر فى تحقيق أطماعـــهم ، و كـــانت حملاتهم حملات هدم و تخريب مما أدى إلى تتابع ظهور الدول و الإمارات . و كانت الحروب الصليبية فى الشرق تدمى جراحه ، و جحافل التتار تـــهدده . (٥٨) و كـــان لهذا المجتمع المضطرب المشحون بالأحداث أثره فى الإنتاج الفكرى ، فقد غلبت روح جمع المصنفات الضخمة و تدوينها خوفاً من ضياعها بعد هجمات التتار و غـــيرهم ، وكان هذا يهدد التراث العربى الإسلامى ، و قد اتضح أثر ذلك عند ابن خلدون فـــى تصنيفه ، حيث حرص على أن يضمن مقدمته كل ما انتهى إليه و توفر لديه من علوم العصر ، فحاول تجميعه فى مقدمته خوفاً من ضياعه ، و اختفـــاء ذكـــره . كمـــا أن الأحداث الكثيرة التى مرت بالدولة الإسلامية ، و دخول ابن خلدون فى معترك الحياة، كان له أثره فى إبداعه لفلسفة علم الاجتماع و فلسفة علم التاريخ .

تصنيف ابن خلدون

ينتمى تصنيف ابن خلدون إلى المدرسة الأولى فى التصنيف ، و هى التى تتبع التقسيم الفلسفى للعلوم ، و قد جاء ترتيبه للعلوم عاكساً مرتبة العلوم ؛ أى نسبته إلى غيره من العلوم عند التحصيل لكى يقدم أو يؤخر ، فهو يرتب العلوم حسب تدرجها فى الدراسة، ومن ثم فهو يحقق ما نادى به '' بليس '' فى القرن العشرين من ضرورة اتفاق التصنيف مع المنهج التربوى التعليمى . (٥٩)

الهدف من تصنيف ابن خلدون

لم يصرح ابن خلدون بهدف معين من تقسيم العلوم فى الفصل الخاص بأصناف العلوم الواقعة فى العمران ، بل عمد مباشرة إلى توضيح الأساس الذى يقوم عليه تقسيم العلوم ، و اتجه إلى بيان أقسامها و فروعها ، ثم تناول كل علم بالتعريف به والحديث عنه ، و لهذا فالهدف الرئيسى تصنيف العلوم .

خطة تصنيف ابن خلدون

جاء تصنيف ابن خلدون العلوم على النحو التالى : (٦٠)

العلوم النقلية الوضعية :

- العلوم اللسانية
  - علم اللغة
  - علم النحو
  - علم البيان
  - علم الأدب
- الشرعيات
  - العلوم القرآنية
    - القراءات
    - رسم القرآن
    - التفسير
  - علوم الحديث
    - الناسخ و المنسوخ

الفلاحة

العلم الإلهى

العلوم العددية أو العلم الرياضى أو علوم التعاليم

الأرثماطيقى

معرفة خواص الأعداد

صناعة الحساب

الجبر و المقابلة

المعاملات و تصريف الحساب فى المعاملات ؛ أى علـــم المعدود

علم الفرائض (حساب المواريث)

الهندسة

الهندسة العامة

هندسة الأشكال الكرية

الأشكال المخروطية

علم الحيل

علم المساحة

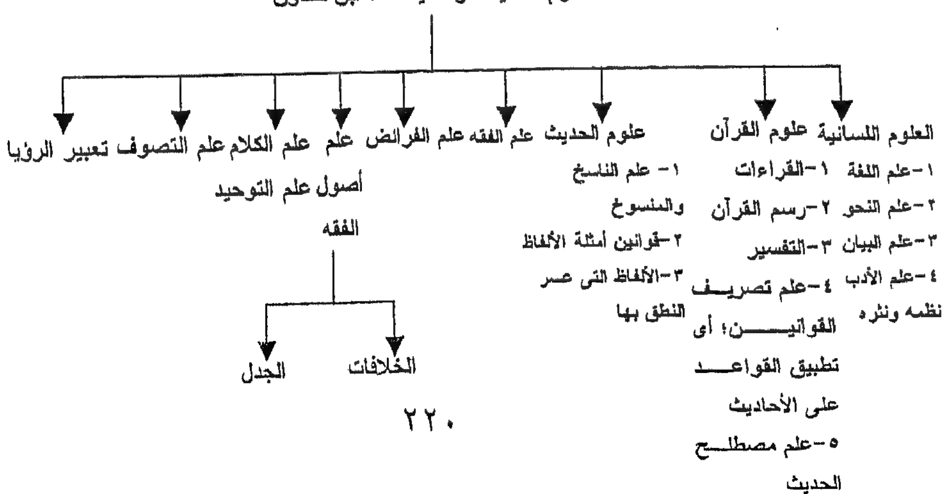
المناظر

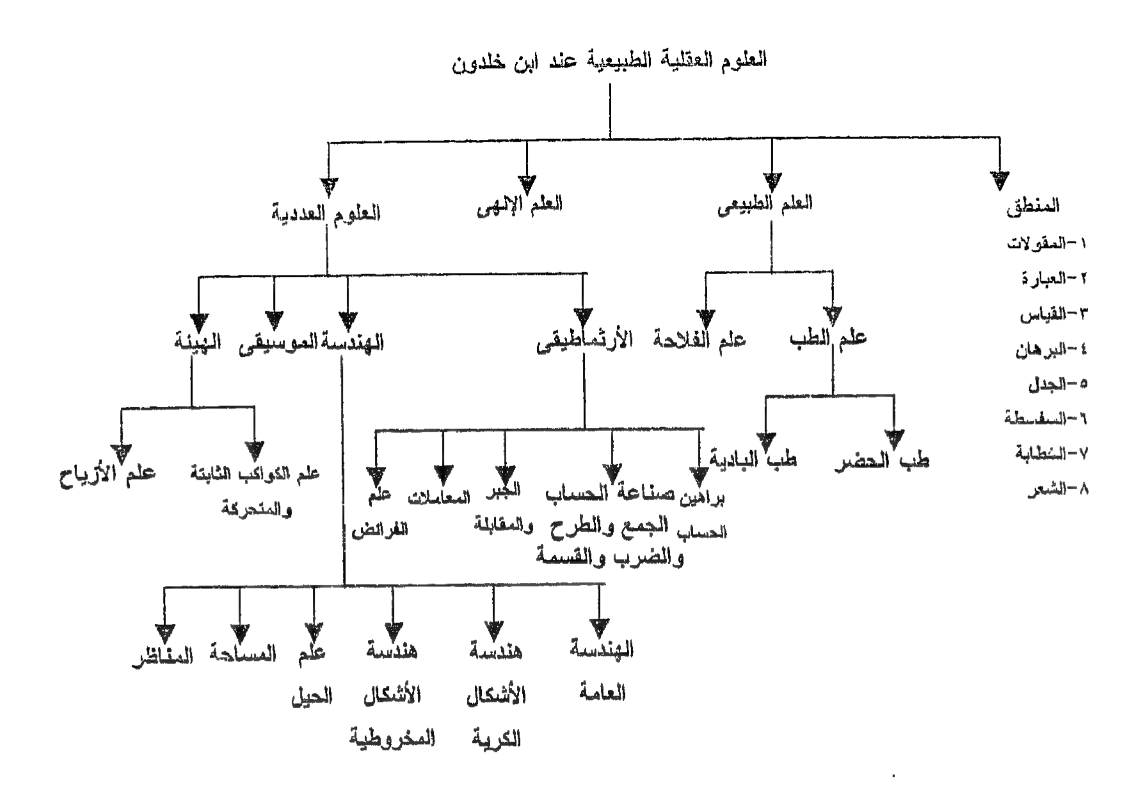
الموسيقى

علم الهيئة

الأزياح

الأحكام النجومية .





منطق تصنيف العلوم عند ابن خلدون

يقسم ابن خلدون العلوم التي يخوض فيها البشر إلى نوعين :

- الأول : طبيعي يهتدى إليه الإنسان بفكره .
- الثاني : نقلي يؤخذ عمن وضعه .

و من هنا فهو يتبنى القسمة الثنائية للمعرفة ، حيث يقسمها إلى قطاعين كبيرين ، الأول منها يختص بالعلوم العقلية التي يهتدى إليها الإنسان بفكره و مداركه البشرية ، و يتناول موضوعاتها و البحث عن براهينها معتمداً على عقله ليصل إلى تمييز الصواب من الخطأ فيها . والثاني يختص بالعلوم النقلية الوضعية التي لا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول . و من هنا فهو يجعل أساس التقسيم عنده موضوعياً ، فالتمييز بين العلوم على أساس علوم تبحث في موضوعات الشريعة، و علوم تبحث في موضوعات الفلسفة و الحكمة بالمعنى العام . و يشير ابن خلدون في ترتيب العلوم من جهة شرف العلم و مرتبته بين العلوم لمعرفة أي العلوم

يقدم فى التحصيل ، و أيها يؤخر ، و لذلك فهو يقدم العلوم النقلية لاشتمالها على الشرعيات المستندة إلى الكتاب و السنة، وهى بذلك تصون الفكر من الوقوع فى معاطب الفلسفة . و تشتمل العلوم النقلية عند ابن خلدون على العلوم الشرعية من الكتاب و السنة ، و ما يتبعها من علوم اللسان العربى الذى هو لسان الأمة و به نزل القرآن الكريم . و يقدم العلوم اللسانية على العلوم الشرعية لتوقف الثانية على الأولى، فالعلوم اللسانية وسيلة لفهم العلوم الشرعية . و تتدرج العلوم اللسانية من علم اللغة باعتباره أعم العلوم التى لا تعتمد على غيرها ، بينما تعتمد عليه بقية العلوم الأخرى ، و يثنى بالنحو لأن موضوعه من الأول (اللغة) ، فموضوعه الكلمات العربية من حيث الإعراب و البناء . و يأتى علم البيان فى المرتبة الثالثة بعد النحو لتوقفه على علم اللغة و النحو ، فيقول عنه : '' هذا العلم حادث فى الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ و ما تفيده ، و يقصد بها الدلالة عليه من المعانى ''. ومن ثم فهذا العلم متمم لكمال الكلام بعد كمال الإعراب ، فمعنى علم البيان هو المنطق الفصيح المعبر عما فى نفس الإنسان ، و لا يتأتى ذلك إلا بعد سلامة الإعراب (النحو) . و يشتمل هذا العلم على البحث عن ثلاثة أصناف : علم البلاغة و الاستعارة و الكناية و علم البديع . و يأتى علم الأدب فى نهاية العلوم اللسانية لأنه ثمرته ، فهو الإجادة فى فنى المنظوم و المنثور على أساليب العرب، وهذا يعنى استفادته من كل ما تقدم من علوم اللغة و النحو والبيان ، بالإضافة إلى ما ينتفع به من متون العلوم الشرعية (القرآن الكريم و الحديث الشريف)، وانتفاع العلوم الشرعية منه ، فقد كان بعض المفسرين يفسرون آيات القرآن الكريم بالشعر العربى ، كما فعل ابن عباس – رضى الله عنه – و لذلك يقف الأدب فى مرحلة وسطى بين علوم اللغة التى تسبقه ، و علوم الشريعة التى تلحقه ، و هذا استخدام لمبدأ تبادل الاعتماد فى التصنيف . (٦١)

و فى ترتيب ابن خلدون العلوم الشرعية اتبع منهجاً جيداً عند التقديم لها ، ولكنه غيّر ترتيب بعض العلوم عند المعالجة المفصلة ، فهو يرى أن العلوم النقلية تؤخذ من الكتاب و السنة بالنص أو الإجماع أو الإلحاق ، و من ثم ترتب العلوم الشرعية على النحو التالى : ما يخص الكتاب ، و هو علوم القرآن الكريم ، و ما

يتناول ألفاظ القرآن ، و هو علم التفسير، و ما يتناول نقله و روايته بالإسناد إلى الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ و قراءاته ، و هو علم القراءات ، ثم ما يخص السنة ، و هو علم الحديث ، ثم الإجماع و الإلحاق ، و هو ما يتناول بقية العلوم الشرعية التى منها ما ينظر فى الأدلة الشرعية (القرآن ز السنة و الإجماع و القياس) من حيث تؤخذ منها أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين ، و هو علم أصول الفقه ، ثم تأتى الثمرة ، و هى التكاليف التى يكلف البشر بأدائها ، و هو ما يخص علم الفقه ، ولما كانت تلك التكاليف منها البدنى و منها القلبى ، و هو المختص بالعقائد الإيمانية ، والاعتقاد بصفات الله ، فهذا علم الكلام ، و يأتى بعد علم الكلام علم التصوف ، و قد جاء بعد العلوم السابقة لأنه وفق تعبيره من العلوم الحادثة فى الملة ، فهو ليس من العلوم التى يحتاج إليها المسلم فى معرفة التكاليف . و هذا ما يذكره فى تقديم العلوم الشرعية ، وقد عدل مواضع بعض العلوم ، و ذلك عند العرض ، ففى علوم القرآن قدم علم القراءات و علم رسم المصحف على علم التفسير ، و هذا ترتيب أصوب من الأول لأن علم القراءات و علم رسم المصحف بمثابة إقامة النص ، و إقامة النص تسبق الفهم و التفسير . (٦٢) و هو ما يخص علم التفسير . و قدم علم الفقه على علم أصول الفقه ، و الأصل أن يعكس الترتيب ، فعلم أصول الفقه هو العلم بالقواعد التى يتوصل بها إلى الفقه . و عليه ينبنى علم الفقه ، فهو بمثابة التمهيد و التقديم لعلم الفقه، و من ثم لم يوفق فى هذا التعديل . و هو هنا يرتب العلوم من جهة شرفها ومرتبتها بين غيرها من العلوم ، فقدم علوم القرآن لتناولها كتاب الله ، ثم علوم الحديث لتناولها الأحاديث النبوية الشريفة ، و أفعال الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ و هو ما يأتى بعد القرآن الكريم من جهة الشرف ، ثم أصول الفقه و الفقه لاعتمادهما على الكتاب والسنة باعتبارهما دليلين أصليين فى أصول الفقه ، و هما مصدرا الأحكام فى الفقه . ويأتى علم الكلام بعد الحديث عن الفقه باعتباره متمما لعمل الفقه ، فبينما يقوم علم الفقه بحاجات القوة العملية فى الإنسان ، يقوم علم الكلام بحاجات القوة النظرية فيه ، و سعادة الإنسان فى الدارين تكون بكمال قوته النظرية و العملية . و يرى ابن خلدون أن بداية علم الكلام ترجع إلى بداية الانحراف فى العقيدة ، و لذلك نشأ للرد على المبتدعة و المنحرفين فى الاعتقادات . (٦٣) ومن هنا أخره عن جميع العلوم

الشرعية ، على عكس مصنفين آخرين يقدمونه على بقية العلوم الشرعية لتوقفها عليه، والتوقف هنا توقف اعتقاد ، لأن الاعتقاد بوحدانية الله تعالى و نبوة الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ وغيرها من العقائد الإسلامية يسبق أى شيء آخر في الإسلام. كما يرجع تقديمه لبحثه في أسمى المعلومات عن ذات الله تعالى و صفاته وأفعاله، وهذا ما نجده عند السيوطي و التهانوى .

ثم ينتقل إلى الصنف الثانى من العلوم، وهو العلوم العقلية التى بعددها بسبعة علوم ، فيعرض أولاً طريقة القدماء فى الترتيب ، ثم يعقب عليها بطريقته في ترتيبها، فيذكر أن أصول العلوم الفلسفية سبعة ، و يأتى ترتيبها على النحو التالى : المنطق ، وهو المقدم منها باعتباره العلم الذى يعصم الذهن من الخطأ ، لاشتماله على القوانين التى يعرف منها الصحيح من الخطأ ، و هو بذلك آلة لما يليه من العلوم. ثم علم العدد الذى يتناول موضوع المقدار باعتباره كماً مجرداً ، ثم علم الهندسة الذى يتناول المقدار باعتباره كماً مشخصاً فى الخطوط و السطوح و الحجوم، حيث يعرف علم الهندسة بأنه '' العلم الذى ينظر فى المقادير إما المتصلة كالخط والسطح و الجسم ، وإما المنفصلة كالأعداد '' . (٦٤) و هنا يلاحظ الترتيب المنطقى في تقديم علم الحساب على الهندسة لاشتراك الهندسة مع الحساب فى معالجة موضوع واحد ، و هو المقدار ، و لكن من وجهتى نظر مختلفة ، ثم علم الهيئة لاعتماده على الهندسة (السابقة له) ؛ حيث يستخدم الهندسة فى البرهنة على حركات الكواكب و أشكال وأوضاع أفلاكها، ويأتى علم الموسيقى (٦٥) آخر العلوم الرياضية باعتباره علم تأليفى بين النسبة الكمية فى العدد و النسبة الكيفية فى علم الهندسة . وبعد العلوم الرياضية يذكر العلم الطبيعى باعتباره العلم الذى ينظر فى المحسوسات من الأجسام ، ثم العلم الإلهى باعتباره العلم الذى ينظر فى الأمور التى وراء الطبيعة ، و يستند في ترتيب العلم الطبيعى و الإلهى إلى الترتيب الأرسطى الذى يقدم العلم الطبيعى على العلم الالهى ، و يشير ''كولبه'' إلى أن هذا الترتيب يرجع إلى أن مصنفي كتب أرسطو كانوا قد وضعوا بحوثه و دراساته الفلسفية العامة بعد دراساته في العلوم الطبيعية ، و لما كانت الأخيرة تعرف باسم الطبيعة فقد أطلقوا على الأخرى اسم ما بعد الطبيعة . (٦٦)

القواعد و المفاهيم التى عكسها تصنيف ابن خلدون

اعتمد ابن خلدون فى عرضه لتصنيفه على ما يعرف بالسند الأدبى ، فقد قام بتجميع العلوم التى عرضها فى تصنيفه من واقع الأنشطة الثقافية و الفكرية الفعلية للبيئة الإسلامية ، و ذلك عن طريق مسح العلوم الموجودة فعلاً ، سواء كانت جزءاً من النظام التعليمى العام أو مسجلة فى الكتب ، و هذا ما نجده بوضوح من خلال استعراضه لتاريخ العلم و تطوره ، و أهم الكتب المصنفة فيه . و قد اعتمد ابن خلدون فى تصنيفه على السند الأدبى الذى وضح بجلاء فى العنوان الذى وضعه لتصنيفه : '' فصل فى أصناف العلوم الواقعة فى العمران لهذا العهد '' . وهو إلى جانب اعتماده على السند الأدبى عرض تصنيفه فى إطار فلسفى بما يتوافق مع النظام التعليمى السائد على وقته ، الذى تمثل فى إبرازه للعلوم الشرعية و ما يساندها من العلوم العربية ، ثم العلوم العقلية ، التى كان يأتى تدريسها لاحقاً للعلوم الشرعية . وإذا كان'' ويليام هالم '' فى القرن العشرين قد نادى بضرورة الاعتماد على السند الأدبى . (٦٧) و جاء '' بليس '' بينادى بوجوب الربط بين السند الأدبى و التصنيف الفلسفى بحيث يأتى التصنيف متوافقاً مع الإجماع العلمى التعليمى بحيث تتداعى جزئيات المعرفة فى تسلسل منطقى متفقاً مع الطريقة التعليمية التى تدرس بها العلوم . (٦٨) فلا شك فى أن ابن خلدون قد حقق ما نادى به '' بليس '' فى القرن العشرين .

و ميَّز ابن خلدون فى تصنيفه بين الجانب النظرى و الجانب التطبيقى للعلم ، و هذا ما ظهر فى موضوعى الطب و الفلاحة ، حيث سمى الجانب النظرى علماً ، وهو ما ينطوى على مباحث عقلية ، و الجانب التطبيقى صنائع ، و هى التطبيق العملى للعلم ، و هذا ما قدمه '' كونت *August Conte* '' فى تصنيفه للمعرفة ، الذى سمى بالتصنيف الوضعى ، حيث ميز بين العلوم البحتة و العلوم التطبيقية ، فالعلوم البحية تقوم علىدراسة القوانين للظواهر ، و العلوم التطبيقية هى تطبيق القوانين التى قالت بها العلوم البحتة على ما يوجد فى الكون من حولنا . (٦٩)

و تميز تصنيف ابن خلدون بالمنطقية ، فقد اشتمل على العديد من العلاقات التصنيفية ، و منها :

- **علاقة الاشتمال و التبعية** ، و تعنى تفريع الموضوع الخاص من الموضوع العام، و هذا ما سارت عليه الأقسام الرئيسية فى تصنيفه ، حيث قسم المعرفة إلى قطاعين كبيرين تدرج من كل منهما عدد من الأقسام الرئيسية التى بدورها فرعت إلى أقسام فرعية اندرجت تحتها ، مثل علوم القرآن الكريم ، التى هى قسم من العلوم النقلية ، و التى بدورها فرعت إلى عديد من العلوم الخاصة ، مثل : علم القراءات و علم رسم المصحف و علم التفسير . كذلك علم التعاليم كقسم من العلوم العقلية ، و الذى قسم إلى عدد من الأقسام الرئيسية : الحساب و الهندسة و الهيئة و الموسيقى ، و كل منها قسم إلى عدد من العلوم الفرعية الخاصة .
- **علاقة تساو** ، أى أن هناك أوجه اختلاف بين العلمين ، و لكن توجد أوجه تشابه بينهما ، مما يجعلهما يقفان على صف واحد مندرجين تحت علم عام يضمهما ، وقد تمثلت تلك العلاقة بين علمى الطب و الفلاحة ، فعلى الرغم من التباين بينهما لاختلاف موضوع كل منهما ، فهو فى علم الطب بدن الإنسان ، و فى الفلاحة النبات ، إلا أنهما يتشابهان من جهة دراستهما الجسم الطبيعى ، و هو موضوع العلم الطبيعى ؛ أى العلم العام الذى يندرجان تحته . كذلك علما الحساب و الهندسة اللذان يشتركان فى دراسة المقدار و يختلفان فى أن المقدار فى علم الحساب كم مجرد ، و فى الهندسة كم مشخص فى السطوح و الخطوط ، و هما بالتالى يندرجان تحت أمر ثالث ، هو العلم الرياضى .
- يعد مبدأ **الترابط أو التجاور** من المبادىء المهمة التى نادى بها '' بليس '' فى القرن العشرين، والتى بنى عليها تصنيفه الببليوجرافى . وقد كان تصنيف ابن خلدون مثل غيره من التصانيف العربية الإسلامية التى سارت على هذين المبدأين، فمبدأ الترابط الذى يعنى جمع المجموعات المتشابهة معاً تمثل فى تجاور علوم اللغة و الأدب و جمعهما فى معالجة واحدة مع التمييز بين كل منهما، و هذا ما افتقرت إليه بعض النظم الغربية ، مثل تصنيف بيكون الذى فرق بين علوم الأدب و اللغة ، كما وقع ديوى فى الأمر نفسه ، فقد فرق بين علوم اللغة والأدب، وعالجهما فى موضعين متباعدين فى تصنيفه . كما تجاورت علوم الأدب مع العلوم الشرعية، وبالرغم من اختلاف الموضوعات إلا أن ارتباطهما واعتماد كل

منهما على الآخر جعلهما متجاورين . كما عالج موضوعات العلم الرياضى متجاورة . و كذلك فى العلم الطبيعى لم يفصل معالجة العلوم النظرية عن الجانب التطبيقى لتجاور الجانب النظرى للعم مع الجانب التطبيقى له ، واتضح ذلك فى موضوعى طب و الفلاحة .

تقييم محاولة ابن خلدون فى تصنيفه

توجد بعض الملاحظات على تصنيف ابن خلدون للمعرفة :

- اقتران العلوم العربية بالعلوم الشرعية تحت تسمية واحدة هى العلوم النقلية ، وهذا يعكس نشأة العلوم العربية لخدمة العلوم الشرعية ، فهو يجعلها وسيلة و آلة لها ، و لذلك تتقدم العلوم العربية العلوم الشرعية فى الترتيب .
- جعل خطته التصنيفية خطة عامة تصلح أن تتبعها أية أمة ، و يتضح ذيك من خلال نظرته للعلوم النقلية التى يرى أنه على الرغم من أنها تخص الأمة الإسلامية إلا أن كل أمة لا بد فيها من مثل هذه العلوم الدينية و العلوم اللسانية كل حسب شريعته ، و من ثم فإن لكل أمة خصوصيات تمثل فكر الأمة و ثقافتها يمكنها إبرازه فى خطتها التصنيفية مع العلوم الأخرى المشتركة بين الأمم المختلفة، وهذا ما فعله ابن خلدون فى إبراز العلوم النقلية التى تخص الأمة الإسلامية، وألحق بها العلوم العقلية التى تشترك فيها كل الأمم ، و إذا ما استعرضنا العديد من خطط التصنيف الحديثة سوف نجدها تبرز خصوصيات أمتها، فتصنيف ديوى يبرز الدين المسيحى الذى يدين به ، كما يبرز اللغة الإنجليزية التى يتحدث بها ، و الأدب الأمريكى الذى ينتمى إليه . كما أن التصنيف الروسى يبدأ بالماركسية اللينينية باعتبارها عقيدة السوفيت حلت عندهم محل الدين . و فى فرنسا و بعد الثورة تحول المجتمع إلى مجتمع علمانى بعد أن كان مسيحياً ، و من ثم عارض '' كامى *Camus* '' وضع المسيحية على رأس التصنيف ، و هى الطريقة التى كانت متبعة قبل ذلك . (٧٠)
- إقرار نظرية مهمة تربط ربطا أساسيا بين العلم و الحضارة ؛ بين ازدهار العلوم و كثرة العمران – فى نهاية كلامه عن العلوم النقلية – فهو يرى أنه لا تقدم للعلم إلا حينما تزدهر الحضارة و تكثر الصنائع، ويؤكد هذا على حقيقة تاريخية تشير

إلى كساد العلوم فى الغرب مع رواجها فى الشرق على عصره ، و يرجع هذا الكساد إلى تناقص العمران فيه ، و انقطاع سند العلم و التعليم ، أما الازدهار فيرجع إلى كثرة كل ذلك .

- عدم وجود إقفال واضح لتصنيفه مما جعل العديد من الباحثين يقع فى حيرة من ذكر علوم الذكر والشعوذة و الطلسمات و علم أسرار الحروف و علم الكيمياء بعد العلم الإلهى ، فبعضهم يستبعدها من تصنيفه . (٧١) و بعضهم يرى أنها جزء من تصنيفه ، مثل عبد الرحمن مرحبا الذى أخذ عليه إلحاق هذه العلوم بالعلوم العقلية و إفراده لها فصولا طويلة من مقدمته لا تتناسب مع قيمتها العلمية و فائدتها وشرورها للعمران ، و لكنه يرى أن ابن خلدون يسجل كل العلوم الواقعة فى العمران بصرف النظر عن جواز هذه العلوم من عدمه ، أو حلها أو حرمتها ، باعتبار حصره للعلوم هو عمل تصنيفي ، و على المصنف أن يسجل و يرصد كل العلوم فى عصره ، لا أن يكون ناقدا أو مستبعدا لبعضها (٧٢) و يسانده فى هذا الرأى الدكتور عبد الوهاب أبو النور . (٧٣) ولكن الباحثة تساند الرأى القائل باستبعادها ، لعدة اعتبارات منها : أن ابن خلدون عند تعداده للعلوم العقلية لم يشر إليها مطلقا كأحد أقسام العلوم العقلية ، و إنما أوضح فى التقديم أن العلوم العقلية سبعة ، كما حدد ترتيبها و أشار إلى فروعها التى لم يكن فيها أية علوم سحر أو غيرها ، وعندما ذكر تلك العلوم لم يحدد انتمائها إلى أى قطاع معرفى ، وبخاصة اتجاه معظم التصانيف التى ذكرتها إلى اعتبارها من فروع العلم الطبيعى، كما تلاحظ الباحثة أنه لم يذكر كل العلوم العقلية ، و إنما اقتصر على العلوم التى تتخذ الحقيقية الدينية و تتكامل مع علوم الدين الإسلامى ـــ و هذه نقطة سوف يتعرض لها البحث فيما بعد ـــ و من ثم فقد أغفل علوما عقلية مثل علوم الحكمة العملية وعلمى التاريخ و العمران ، و هما علمان ركز ابن خلدون فى مقدمته على وضع الأساس لهما و إقرارهما ، كما أغفل علم الجغرافيا ، حيث تلحقه التصانيف العربية ضمن فروع علم الهيئة ـــ الذى ذكره ـــ كما أغفل ذكر فروع كثيرة للعلم الطبيعى و اقتصر على علمى الطب لما له من شرف حفظ بدن الإنسان ، و علم الفلاحة لتوفير غذائه ، مما ساعد الإنسان على أداء العبادة و تحصيل العلوم

الشرعية ، و لو كان عمله التصنيفي يقوم على حصر كل العلوم ــ كما يذهب إلى ذلك عبد الرحمن مرحبا ــ لكان من الأولى ذكر كل تلك العلوم السابقة ، و من هنا فإن ابن خلدون يقف بتصنيفه عند العلم الإلهى كآخر العلوم العقليه ، و يرجع ذكره لها بعد الانتهاء العلوم العقلية السبعة التى حددها كنوع من التسجيل والرصد التاريخى بما يتناسب مع درجة شيوعها و انتشارها فى المغرب ، فهى حقيقة اجتماعية قائمة ، و مظهر من مظاهر الحياة فى المجتمعات المتخلفة ، وبخاصة أنه يقدم فى مقدمته علما جديدا قائما على دراسة المجتمع و ظواهره، ومن ثم فابن خلدون ينكرها كفرع للعلوم العقلية و يعدها من العلوم الباطلة ، وحدد ذلك فى التفكير السنى لابن خلدون الذى لا يعترف بتلك العلوم و لا يعتبرها علوما بالمرة.

و من الملاحظات الإجمالية على تصنيف ابن خلدون تعريف العلم و حدوده وتاريخه و السبب وراء وجود العلم ، و هذا ما يوضحه فى علم القراءات و التفسير ، كما يؤرخ لمن كان له الباع و اليد الطولى فى ترسيخ العلم ، و أشهر الكتاب لهذا العلم و الكتب التى صنفت فيه . و من أمثلة ذلك ما نجده فى قوله عن علم التفسير : " و من أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب كشاف الزمخشرى من أهل خوارزم بالعراق . (٧٤)

- تغير موضع بعض العلوم عن موضعها فى تصانيف أخرى سابقة عليه ، مثل : علم تعبير الرؤيا الذى ذكره كآخر العلوم الشرعية مستندا إلى رؤيا يوسف ــ عليه السلام ــ و أحاديث الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ عن الرؤيا الصالحة ، ولكن يرد ذكر هذا العلم ضمن فروع العلم الطبيعى فى التصانيف الأخرى ، وتدخل مباحث هذا العلم فى موضوع علم النفس .
- التمييز بين الصنائع و العلوم ، فالعلوم تنطوى على مباحث عقلية ، و الصنائع هى التطبيق العملى لهذه العلوم ، و هذا ما ذكر فى موضوع الطب و الفلاحة ، ولكن عند المعالجة لم يقدم تمييزا واضحا بين صناعة الطب و علم الطب ، بل إن التعريفات التى يضعها لكل منهما تكاد تكون متطابقة ، و هذا ما يخص الفلاحة كصناعة و كعلم .

يلاحظ نضج تصنيف ابن خلدون للعلوم الشرعية و النقلية ، و تمكنه من الإحاطة بموضوعاتها ، و نقل تلك المقدرة فى عرضه للعلوم العقلية ، و عدم الإحاطة بكل علومها و فروعها ، فنجده يغفل بعض العلوم العقلية المهمة ، كما يغفل العديد من فروع العلوم التى ذكرها مثل : العلم الطبيعى الذى لم يذكر سوى علمين فقط من علومه .

مميزات تصنيف ابن خلدون و عيوبه

- ذكر ابن خلدون علوما لم تشر إليها التصانيف السابقة عليه ، و منها علم التصوف فى نهاية العلوم الشرعية ، و على الرغم من أن الاتجاه إلى التصوف و ممارسته بدأ مع العصر العباسى الأول ، لكن لم يرد ذكره عند غيره من المصنفين ، و قد يرجع ذلك إلى أن التصوف بدأ عبادة ثم تطور علما بعد أن دونت الكتب فيه كما فعل القشيرى و السهروردى و الغزالى ، و من هنا عد من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة الإسلامية . و علم رسم المصحف كأحد فروع علوم القرآن الكريم . و علم أصول الفقه ، و علم الخلافيات ، كفرع من علم أصول الفقه ، وعلم التوحيد .
- يشير إلى موضوعات جديدة فى علم الطب لم يشر إليها غيره من المصنفين ، فمنها علم وظائف الأعضاء ، كما يلحق بعلم الطب علوما جديدة تخص كل عضو من أعضاء جسم الإنسان ، فهناك علم طب العيون ، وهذا ما نجده فى العصر الحديث منه تصنيف المكتبة الوطنية الطبية بأمريكا (N.L.M) ، حيث يقسم علم الطب إلى فروع ، كل فرع يشير إلى طب أحد أعضاء جسم الإنسان ؛ فنجد طب العيون ، و الطب الباطنى ، و طب الأنف و الأذن و الحنجرة ، و هكذا ...
- يعد ابن خلدون من أوائل المصنفين الذين ميزوا بين علوم اللغة و علوم الأدب ، ففصل علوم اللغة عن العلوم الأدبية ، فقد حدد العلوم الأدبية فى المنتج من فنى المنظوم و المنثور ، و المقصود الشعر و النثر ، و هو ما تعرف به العلوم الأدبية فى العصر الحديث .

ومن عيوب التصنيف لدى ابن خلدون :

- ساد الاضطراب مواضع عديدة فى تصنيفه ، و من مظاهر هـذا الاضطـراب : ترتيب العلوم النقلية عند التقديم لها ، فاختلف عن ترتيبها عند المعالجة ، و هـذا أوضحه البحث من قبل . كذلك عند التقديم للعلوم العقلية يقدم علم المنطـق علـى سائر العلوم العقلية الأخرى ، و لكن عند المعالجة يقدم العلوم الرياضية بفروعـها الأربعة ، ثم علم المنطق دون إعطاء تفسير لذلك . ومن مظاهر الاضطراب أيضا ذكره لعلم الفرائض مرتين : الأولى كأحد فروع علم الفقه ، ثم عاد فذكره كـأحد فروع علم الحساب ، و كان يمكن الاكتفاء بالإشارة إلى استفادته من علم الحسـاب دون الحاجة إلى التكرار .
- عدم وضوح حدود العلوم فى ذهنه ، فلا يميز تمييزا واضحا بين علم الحسـاب المجرد و صناعة الحساب ، كما أنه يدخل علم الجبر و المقابلة ضمن فروع علـم الأرثماطيقى ، على الرغم من تقدم هذا العلم على زمن ابن خلدون ، مما أوجـب معه أن يكون علما مستقلا عن علم الحساب (الأرثماطيقى). كما لا يفرق تفريقـا واضحا بين الهندسة العامة وهندسة الأشكال الكروية والمخروطية، كما يجعل علـم المناظر جزءا من العلوم الهندسية ، بالرغم من أن علـم المنـاظر (البصريـات) أقرب إلى العلم الطبيعى، وهو يعد فى العصر الحديث مـن موضوعـات علـم الطبيعة (الفيزياء) ، إلا أن دراسة هذا العلم تحتاج إلى علمى العدد و الهندسة.
- يتعرض بالحديث عن علم التوحيد فى منتصف حديثه عن علم الكلام دون إعطـاء عنوان محدد وواضح له ، ثم يستكمل الحديث عن علم الكلام ، و كان من الأفضل إبراز كل منهما فى عنوان مستقل دون إحداث هذا التداخل بينهما .

تصنيف ابن خلدون و علاقته بموقفه الفلسفى

يشير الباحثون إلى أن النظرية الخلدونية الاجتماعية يدور محورها حول فكرة الصراع بين البداوة و الحضارة ، و يرجع ذلك إلى ما يميز به مجتمع ابن خلدون من تباين شديد بين الحضارة والبداوة . (٧٥) و قد انعكس هذا فى تقسيمه لعلم الطب إلـى طب الحضر و طب البادية موضحا ارتباط صناعة الطب الحضرى بوفرة الحضـارة والترف ، و ما له من أثر على صحة الإنسان ، و قيام طب البادية علـى التجربـة المتوارثة عن المشايخ و العجائز .

تعد فلسفة ابن خلدون هى الفلسفة الجوانية (٧٦) التى سيطرت على تفسيراته لعلم التاريخ ، كما سيطرت على ألفاظه و تعبيراته باستخدام لفظ الجوانى . و قد انعكست تلك الفلسفة على تعريف ابن خلدون لعلم التصوف ، فهو يقول : '' التصوف رعاية حسن الأدب مع الله فى الأعمال الباطنة و الظاهرة بالوقوف عند حدوده ، مقدما الاهتمام بأفعال القلوب ، مراقبا خفاياها '' . (٧٧) ومن هنا فهو يقرر أن هناك باطنا و ظاهرا ، و أن الصوفية هم أهل الباطن الذين ينشدون الحقيقة فى باطن الأمور و ليس ظاهرها .

تصنيف ابن خلدون انعكاس للبيئة الثقافية

يعكس تصنيف ابن خلدون النظام التربوى التعليمى فى الإسلام ، حيث كان طالب العلم يبدأ باشرف العلوم ، و هى العلوم الشرعية ، و ما يحتاج إلى تعلمه من علوم اللسان العربى ، ثم يعرج فى الدراسة بعد ذلك إلى العلوم العقلية ، و يلاحظ على عرض العلوم فى تصنيفه تطرقه إلى مباحث تربوية و عمرانية ، و معلومات عن العلم و التعليم ، و أسباب ارتقاء العلوم و انحطاطها ، كما يتطرق إلى مناقشة نظرية عن حركة الترجمة و تقسيم العلوم ، و كلها معلومات تؤرخ للحياة العقلية عند المسلمين و يظهر بوضوح تأثير الفكر الإسلامى على تصنيف ابن خلدون ، حيث انطلق بتصنيفه من العقيدة الإسلامية ، فبدأ تصنيفه بالعلوم الشرعية ، و ما يتعلق بها من علوم اللسان العربى ، كما جاء عرضه للعلوم العقلية مساعدا للعلوم الشرعية ، ومدعما للحقيقة الدينية ، و يظهر هذا جليا فيما ذكره من علوم عقلية تخدم الحقيقة الدينية، و منها علم الأرثماطيقى بما يشمله من علم براهين الحساب ، و الجمع والتفريق بما لهما من فائدة فى التعرف على كيفية توزيع غنائم الحرب أو تصريف الحسابات فى المعاملات المدنية من عمليات البيع و الشراء أو الزكاة . و من فروع علم الأرثماطيقى علم الفرائض الذى سبق و ذكره كفرع لعلم الفقه و ما له من فائدة فى توزيع المواريث . كما جاء ذكره لعلم الهيئة باعتباره علم ينظر فى حركات الكواكب الثابتة و المتحركة ، و البرهنة على أن مركز الأرض مباين لمركز فلك الشمس ، و هذا العلم له فائدة جليلة للمسلمين فى التعرف على أوقات الصلاة و اتجاه

الكعبة و القبلة للمصلين . كما ذكر علم الأزياج من فروع علم الهيئة ، لما له من فائدة كبيرة فى تحديد الأيام و التواريخ و بداية الشهور العربية .

و على نفس الخط الذى اتبعه لنفسه من ذكر العلوم العقلية بخدمة الحقيقة الدينية نجد معالجته لعلم الفلاحة منطلقا بها من المفهوم الإسلامى ، فيذكر أن القدماء درسوا هذا العلم بطريقة عامة جدا بالنظر إلى النبات و عملية غرس النبات و ثمره والصفات النباتية الخاصة به ، و تشابه صفاتها مع الأجرام السماوية و الصفات النباتية الخاصة به ، و تشابه صفاتها مع الأجرام السماوية ، و هو ما يدخل فى باب السحر ، و لكن عندما نظر المسلمون إلى هذا العلم و ما اشتمل كتاب الفلاحة النبطية حذفوا كل ما يتعلق بالسحر و اقتصروا على ما يخص النبات من جو غرسه وعلاجه.(٧٨) وتشير معالجته هذه لعلم الفلاحة إلى أن جميع العلوم يفترض أنها تتكامل مع النظرة الإسلامية لعلم التصنيف لتحقق الهدف العام للعلوم الإسلامية و هو خدمة الحقيقة الدينية.

و قد جاءت معالجته للعلم الإلهى متأثرة بالفكر الإسلامى ، حيث بعد به عن المفهوم الأرسطى ، و أشار إلى قضية مهمة أثيرت فى الفكر الإسلامى ، و هى اختلاط موضوع علم الكلام بالإلهيات . وأوضح السبب وراء ذلك أن المتكلمين دعاهم أهل الإلحاد فى معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية ، فاحتاجوا للرد عليهم إلى جنس معارضتهم ، مما استدعى استخدام الفلسفة و المنطق فى تدعيم الحقائق الدينية، و هو يشير إلى اختلاط مفهوم العلمين عند المتأخرين ، سواء كان ذلك فى الوضع أو فى التأليف .

تصنيف ابن خلدون بين التأثير و التأثر

تأثر ابن خلدون بطريقة الخوارزمى فى القسمة الثنائية للعلوم حيث ميز بين العلوم النقلية و العلوم العقلية ، و لكنه أعطى لهذه العلوم صفة العمومية فلم يجعل العلوم النقلية وقفا على الأجانب كما سماه الخوارزمى و إنما مشتركة بين الأمم المختلفة . أما العلوم النقلية فبالرغم من اختصاص أمة العرب بها إلا أن الأمم الأخرى عندها ما يماثلها . كما ظهر تأثره بابن سينا من خلال استشهاده الدائم بكتبه

في أكثر من موضع في تصنيفه ، و منها كتاب '' الإشارات '' عند عرضــــه للعلـــم الطبيعي ، و كتاب '' الشفاء '' في عرضه لعلم المنطق .

و تأثر حاجي خليفة في كتابه '' كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون '' بتصنيف ابن خلدون ، حيث نقل عنه تقسيمه للعلوم في (المنظر الأول مـــن البـــاب الرابع في فوائد منثورة من أبواب العلم) ، فهويقول : '' و اعلم أن العلوم المتداولـــة في الأمصار على صنفين : صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره ، و هي علـــوم الحكمة الفلسفية ، و صنف نقلي يأخذه عمن وضعه ، و هـــذه هـــي العلـــوم النقليـــة الوضعية ، و كلها مستندة إلى الخبر عن الوضع الشرعي و لا مجال فيها للعقـــل إلا في إلحاق الفروع في مسائلها بالأصول '' . و يستمر في نقل المقدمة التي كتبها ابـــن خلدون في بداية الفصل الخاص بتقسيم العلوم . و قد نقل حاجي خليفة عن ابن خلدون مقدمة الفصل الخاص بتقسيم العلوم كلها بنفس الألفاظ التي استخدمها ابـــن خلـــدون ، وذلك في التعبير أو ذكر العلوم الإسلامية وتقسيماتها . (٧٩) كما تأثر السيوطي بـــابن خلدون في وصفه الذي ضمنه كتاب '' إتمام الدراية لقراء النقاية '' ، و هذا ما سوف يوضحه البحث عند عرض تصنيف السيوطي .

تأثر ابن خلدون بالحضارات السابقة

يبعد تقسيم ابن خلدون تماما عن تصنيف العلوم لدى اليونان ، سواء من حيـــث التقسيم أو ترتيب العلوم أو المنهج الذي اتبعه أو حتى في عرضـــه لأســـماء العلـــوم وموضوعاتها ، بل إنه يعد ممثلا للبيئة الفكرية العربية الإسلامية مكتشفا خصائصها . ويخدم تصنيفه ، سواء للعلوم النقلية أو العقلية ، مبدأ واحـــدا هـــو الحقيقـــة الدينيـــة الإسلامية . ولذلك يبعد تصنيفه عن الاتجاه التجريدي التقليدي لتصنيف أرســـطو ، أو غيره من فلاسفة اليونان أو الحضارات الأخرى . و يتبنى اتجاها تجديديا سواء مـــن حيث التقسيم إلى علوم نقلية وعلوم عقلية ، أما من حيث التجديد في طريقة العـــرض لكل علم فهو يشير إلى تاريخ العلم ، و يحاول تجريده من أفكار السحر و التنجيـــم ، وهذا ما كان واضحا عند عرضه لعلم الزراعة ، و لذلك فإن تصنيفه هو امتداد للفكـــر الإسلامي بكل أبعاده الأصيلة .

المنهج فى تصنيف ابن خلدون

يرى ابن خلدون استخدام القياس بالنسبة للعلوم النقلية ، حيث يربط الجزيئات بالكليات ، و هو بذلك يتجاهل المعطيات التجريبية التى تستند إليها العلوم ، فهو يرى أن العلوم النقلية الوضعية كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعى ، و لا مجال فيها للعقل إلا فى إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول ، لأن الجزيئات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلى بمجرد وضعه ، و لكنه يحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي . و يرى أن أصل العلوم النقلية كلها هى الشرعيات من الكتاب و السنة .(٨٠) أما العلوم العقلية فيمكن أن يقف عليها الإنسان بفكره ، و يهتدى إلى موضوعاتها بمداركه البشرية ومسائلها و أنحاء براهينها و وجوه تعليمها ، حتى يقف بصره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها ، من حيث هو إنسان و فكر . فهو هنا يقر استخدام العقل و الفكر بالنسبة للعلوم العقلية ، و يسير ابن خلدون فى تقسيم العلوم فى تصنيفه على منهج استنباطى يسير فيه من أقسام عامة إلى أقسام خاصة ؛ أى يندرج من الكليات إلى الجزئيات .

مستوى المعالجة فى تصنيف ابن خلدون

يقسم ابن خلدون العلوم مباشرة دون الإشارة إلى هدف معين من وراء وضع هذا التقسيم ، فيقسم العلوم إلى صنفين ، الأول : العلوم الطبيعية ، و هى العلوم الحكمية الفلسفية . و الثانى : العلوم الوضعية النقلية ، و هى العلوم الشرعية ، ويلحق بها علوم اللسان العربى . ثم يقسم كل نوع من هذه العلوم إلى كليات تندرج تحتها الجزئيات ، و هو فى تقسيمه لا يعطى علوما أصلية و أخرى فرعية ، و إنما التقسيم يسير من علوم كلية إلى جزئياتها ، و العلوم المفرعة لا يعطى لها تسمية معينة ، فلا يطلق عليها علوما أصلية أو فرعية أو جزئيات أو أقساما . و يوضح الجدول التالى تقسيمات العلوم لدى ابن خلدون على الصفوف :

تصنيف ابن خلدون	الصف الأول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس	الإجمالى
كتاب " العبر وديوان المبتدأ و الخبر "	العلوم النقلية الوضعية	العلوم اللسانية	٤	—		
		العلوم الشرعية	علوم القرآن	٣		
			علوم الحديث	٥		
			علم الفقه	٣	٢	
			علم الكلام	—		
			علم التوحيد	—		
			علم التصوف	—		
			علم تعبير الرؤيا	—		
			٨	—		
	العلوم العقلية	المنطق	الطب	٢		
		العلم الطبيعى	الفلاحة			
				—		
		العلم الإلهى	الأرثماطيقى	٥		
		العلم الرياضى	الهندسة	٦		
			الموسيقى	—		
			علم الهيئة	٢		
الإجمالى	٢=٢	٦	٢٥	٢٦	٢	٥٩=

جدول رقم (١٠) يوضح تقسيمات العلوم لدى ابن خلدون على الصفوف

يقسم ابن خلدون المعرفة إلى صنفين هما : علوم نقلية وضعية ، و علوم حكمية فلسفية ، يقفان على الصف الأول للمعرفة ، ثم يتناول كل منهما بالتقسيم ، فيقسم العلوم النقلية إلى نوعين ، هما : العلوم اللسانية و العلوم الشرعية ، و تقف على الصف الثانى . و العلوم الحكمية الفلسفية إلى أربعة علوم ، هى : المنطق والعلم الطبيعى و العلم الإلهى و العلم الرياضى . وبذلك تبلغ جملة العلوم المفرعة على الصف الثانى ستة علوم . ثم يتناول بعض العلوم التى على الصف الثانى بالتفريع فيفرع العلوم الشرعية إلى سبعة علوم تقف على الصف الثالث ، و بعضها يفرع منها علوما تقف على الصف الرابع ، و منها علم القرآن الذى يفرع عنه ثلاثة علوم . ويفرع من علوم الحديث خمسة علوم ، و من علم الفقه ثلاثة علوم ، و بذلك يبلغ إجمالى العلوم المفرعة على الصف الرابع أحد عشر علما . و يبلغ عدد العلوم المفرعة على الصف الخامس علمين مفرعين من علم أصول الفقه ، و بذلك يبلغ

إجمالى العلوم المفرعة من العلوم النقلية ستة و عشرين علما ، يصل التفريع من العلوم الحكمية الفلسفية إلى الصف الرابع ، و ذلك فى علوم الرياضيات ، و إلى الصف الثالث فى فروع علم المنطق ، و العلوم المفرعة من العلم الطبيعى تقف على الصف الثالث ، و يبلغ إجمالى العلوم المفرعة من العلوم العقلية ثلاثة و ثلاثين علما .

التماسك و التناسق فى تصنيف ابن خلدون

بعدت خطة تصنيف ابن خلدون عن صفة التماسك بين موضوعاتها ، فمن حيث الشكل ساد الاضطراب فى ترتيب العلوم ، سواء عند التقديم أو عند المعالجة ، فى أكثر من موضع ، و هذا ما أوضحه البحث ، و على الرغم من عدم وجود التماسك بين الموضوعات من حيث الشكل إلا أننا نلاحظ وجود التناسق و التكامل فى العلاقات المتداخلة بين العلوم النقلية و العقلية ، و النابع من الوحدة الموضوعية لخدمة هدف التصنيف ، و هو الحقيقة الدينية ، فنلاحظ ــ كما بينا سابقا ــ أنه ركز على عرض العلوم العقلية التى تخدم الدين .

رابعا : تصنيف السيوطى (ت ٩١١هـ)

وضع الشيخ جلال الدين السيوطى (٨١) أربعة عشر علما ضمنها كتابه النقاية، ثم شرحه بتفصيل أكثر ، و سمى الشرح : " إتمام الدراية لقراء النقاية " الذى ضم تقسيم السيوطى للعلوم .

تصنيف السيوطى من واقع كتابه

ينتمى تصنيف السيوطى إلى المدرسة الأولى فى التصنيف التى تعتمد على الطريقة النظرية فى بناء التصنيف على حسب تصوره للعلوم و نظرته إلى أهميتها وشرفها .

الهدف من كتاب السيوطى

ضمن السيوطى كتابه مجموعة العلوم التى يحتاجها الطلاب و يتوقف عليها كل علم دينى ، وقد اقتضى ذلك بيان ترتيب العلوم عند تحصيلها ، كما أحاط كتابه بكل المعلومات التى وردت فى الكتب المشهورة عن هذه العلوم حتى لا يحتاج الطالب إلى كتب أخرى . (٨٢) و من ثم فقد جاء كتابه ليحقق عدة مقاصد ، هى : وضع

تصوره فى تقسيم العلوم و ترتيبها ، لذا فهو كتاب تصنيفى . و مساعدة طلاب العلم على الإحاطة بكل دقائق العلوم الأربعة عشر ، لذا فهو كتاب تعليمى . و لما كان الكتاب شرحا للعلوم الأربعة عشر ، الواردة فى النقاية بشكل تفصيلى ، فهو كتاب موسوعى . و قد جاءت خطته التصنيفية على النحو التالى :

أصول الدين

القسم الأول

معرفة الله

صفات الله

الرسالة

النبوة

أمور المعاد

القسم الثانى

تفضيل الأنبياء على الملائكة

أفضل البشر من الرجال

أفضل البشر من النساء

التفسير : القرآن الكريم

المقدمة

نزول القرآن الكريم

المكى

المدنى

الحضرى

السفرى

النهارى

الليلى

الصيفى

الشتائى

المعانى

المعانى المتعلقة بالأحكام

العام الباقى على عمومه

العام المخصوص

العام الذى أريد به الخصوص

ما خص من الكتاب و السنة هو جائز

ما خص من الكتاب و السنة

المجمل ما لم تتضح دلالته

المؤول ما ترك ظاهره لدليل

المفهوم

موافق

مخالف

المطلق

المقيد

الناسخ

المنسوخ

المعانى المتعلقة بالألفاظ

الفصل (ترك العطف)

الوصل (استخدام العطف)

الإيجاز

الإطناب

المساواة

القصر

الأسماء

علم الحديث

السند

المتن

الخبر

متواتر

آحاد

مشهور

عزيز

غريب

صحيح

حسن

مرجح

شاذ

محكم

منكر

ناسخ

منسوخ

متابع

المعلق

المرسل

المعضل

المنقطع

المدلس

الموضوع

المتروك

المنكر

المعلل

المدرج

المضطرب

المصحف

المختلط

المرفوع

الموقوف

المقطوع

الموافق

المساواة

المصافحة

النزول

رواية القران

المديح

الأكابر عن الأصاغر

سابق و لاحق

متفق و مفترق

مؤتلف و مختلف

متشابه

الأداء

طبقات الرواة

بلدان الرواة

أحوال الرواة

مراتب الرواة

الأسماء و الكنى و الألقاب للرواة

أدب الشيخ و الطالب

سنن التحمل و الأداء

كتاب الحديث

سماع الحديث

تصنيف علم الحديث

علم أصول الفقه

الكتاب

السنة

الإجماع

القياس

مباحث الكتاب

الاستصحاب

الاستدلال

حال المستدل

علم الفقه

علم الفرائض

قدر المواريث

كيفية قستمها

موانع الإرث

الوارثون

الوارثات

الفروض ؛ أى الأنصاب المقدرة فى كتاب الله

علم النحو

الاسم

الفعل

الحرف

المرفوعات

المنصوبات

المجرورات

الجزم

علم التصريف

الأوزان

المصدر

الصفات

الزيادة

الحذف

الإبدال

الإدغام

علم الخط

رسم اللفظ

الابتداء و الوقف

الحروف الزائدة

الحروف الناقصة

الحروف الموصولة

الحروف المفصولة

البدل (حروف البدل)

علم المعانى

الاسناد الخبرى

المسند إليه

المسند

متعلقات الفعل

القصر

الإنشاء

الوصل و الفصل

الإيجاز و الإطناب

علم البيان

- دلالة اللفظ على تمام ما وضع له
- دلالة اللفظ على جزئه
- دلالة اللفظ على لازمه الخارج عنه

علم البديع

- المطابقة
- المقابلة
- متشابه الأطراف
- المزاوجة بين معنيين
- التقديم و التأخير
- التورية
- الجمع و التفريق
- التجريد
- حسن التعليل
- تأكيد المدح بما يشبه الذم
- تأكيد الذم بما يشبه المدح
- الجناس
- التضمين
- الاقتباس من القرآن و الحديث
- التلميح (الإشارة إلى قصة أو شعر)
- تبعية اللفظ للمعنى
- التأنق فى الابتداء
- التأنق فى الانتهاء

التشريح

- الجمجمة
- اليد

العنق

الرجل

الغضروف

العصب

الوتر

العضل

العروق

الغشاء

الجلد

الشعر

الظفر

قرع الدماغ

العين

الأذن

اللسان

القلب

حجاب الصدر

المعدة

الأمعاء

الكبد

المرارة

الطحال

الكليتان

المثانة

الأنثيان

الرحم

الطب

العناصر الأربعة المكونة للجسم : النار و الهواء و الماء و التراب

الغذاء

الأعضاء

تشخيص المرض

الأمور الضرورية لحياة الإنسان

الاعتدال فى النوم و اليقظة و الحركة

ارتباط فصول السنة بصحة الإنسان

الطفل

قانون معالجة الأهم من المرضى عند اجتماع أكثر من مرض

قانون معالجة المطيع من المرضى لظهور ثمرة العلاج لديه

قانون فى الطب لكل داء له دواء إلا السأم و الموت و الهرم .

صفات الطبيب المعالج

صفات معلم الطب

صفات طالب علم الطب

علم التصوف

مراقبة الله

مراقبة أحوال الناس

استحضار ثلاثة أصول فى نفس الإنسان

لا نفع و لا ضرر

الإنسان عبد مرقوق لله

الدنيا زائلة فانية

الإيمان بالله و صفاته

الإيمان بالملائكة و الكتب و الرسل

محبة النبى و اتباع سنته

ترك الربا و النفاق

أداء الفرائض و النوافل

يتناول السيوطى فى تصنيفه أربعة عشرعلما تدور حول العلوم الشرعية والعلوم العربية، وقد اتخذ منهجا فى ترتيبها يقوم على أساس شرف العلم . و هو فى تقسيمها يفرق بين المقاصد من العلوم ، و هى العلوم الشرعية أو الدينية ، والوسائل أو الآلات بالنسبة للعلوم الشرعية ، و التى تمثلت فى مجموعة العلوم العربية . و يقدم المقاصد على الوسائل لأن الأولى أشرف من الثانية ، ثم يسير فى ترتيب العلوم فيقدم الأشرف فالأشرف . و يبدأ بعلم أصول الدين لأنه أشرف العلوم على الإطلاق ، لأنه علم يبحث فيه عن الأمور التى يتوقف عليها صحة الإيمان ، و يكمن شرف هذا العلم فى موضوعه و غايته ، فموضوعه أعم الأمور و أعلاها ، حيث يتناول أشرف المعلومات التى هى مباحث ذات الله و صفاته و أفعاله ، و غايته هى أشرف الغايات، فهى اليقين التام بالله تعالى ، و من هنا فكل العلوم الشرعية الأخرى من تفسير وحديث و فقه متوقفة عليه . (٨٣) و ثنى بعلم التفسير لأنه أشرف العلوم الشرعية الثلاثة لبحثه عن أحوال القرآن الكريم من جهة نزوله و آدابه و ألفاظه ومعانيه ، وكل ما يتعلق به ، فشرف هذا العلم يعود إلى شرف موضوعه (القرآن الكريم) ، و يلى علم التفسير فى الشرف علم الحديث لأن موضوعه هو ذات النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من حيث إنه نبى . (٨٤) فهو علم يشتمل على كل ما نقل عن الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة ، كما يعرف منه أحوال السند و المتن من صحة و ضعف . ثم علم أصول الفقه الذى يقدمه على الفقه لابتناء الفقه عليه ، فهو العلم بالقواعد التى يتوصل بها إلى الفقه ، حيث يبحث فى هذا العلم عن أحوال الأدلة الأربعة ، و هى : الكتاب و السنة و الإجماع و القياس ، من حيث إيصالها إلى الأحكام الشرعية العملية ، و هى ما يشتمل عليه الفقه ، و من ثم فعلم أصول الفقه اشرف من علم الفقه لأن أصول الفقه بمثابة الأصل لعلم الفقه الذى يعد فرعا له ، و كما يقول السيوطى : '' الأصل أشرف من الفرع '' . (٨٥) و يليه علم الفرائض الذى يعد فرعا من فروع علم الفقه ، و من ثم فهو يذكره بعد علم أصول الفقه .

و يبدأ فى مجموعة العلوم العربية التى هى بمثابة الآلات للعلوم الشرعية ، ويبدؤها بعلم النحو ، و يثنى بعلم التصريف ، و يعقب السيوطى بقوله : " و إن كان اللائق بالوضع العكسى ". (٨٦) أى يقدم علم الصرف على النحو ، و هذا ما اتبعته معظم التصانيف الأخرى السابقة عليه : الفارابى و الأنصارى . و موضوع العلمين واحد ، و هو الكلمات العربية ، و لكن النحو يتناولها من حيث ما يعرض لها من الإعراب و البناء ، و أما الصرف فيتناولها من حيث صورها و هيئاتها العارضة لها. ويذكر الشيخ الجركسى أن الصرف هو أم العلوم ، أما النحو فهو أبوها . و قد شبه علم الصرف بالأم التى تلد الأولاد ، لأن هذا العلم يلد الكلمات التى هى قوالب العلوم من حيث تصرفه فى أبنية اللغة العربية . (٨٧) و من هنا كان فضله على غيره من العلوم ، و من ثم قدمته التصانيف العربية على علم النحو . أما السيوطى فيقدم النحو على الصرف لأن الحاجة إلى علم النحو اقوى و أهم ، لأن به يتوصل إلى باقى العلوم العربية ، و يصون اللسان عن الخطأ ، و يستعان به على فهم القرآن الكريم و الأحاديث النبوية . و يلى علم النحو و الصرف علم الخط لأن كلا من علمى النحو و الصرف يبحث فى اللفظ من جهة النطق به ، و علم الخط يبحث فى اللفظ من جهة رسمه ، و لما كان النطق يسبق الرسم كان تقديم علمى النحو والصرف على علم الخط .

و بعد أن انتهى من علوم اللغة تناول علوم البلاغة التى يبدؤها بعلم المعانى ، و يقدمه على علم البيان لتوقف الثانى على الأول ، فالعلمان يبحثان فى موضوع واحد، و هو الكلام العربى ، و لكن علم المعانى يبحث فى أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال ، أما علم البيان فهو إلى جانب رعاية المطابقة لمقتضى الحال يبحث فى شيء آخر ، و هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة . و المقصود بالطرق المختلفة طرق أداء اللفظ الثلاث من الحقيقى أو المجاز أو الكناية . ويلى علم البيان علم البديع ، و يذكر السيوطى أنه أخر علم البديع عن علمى المعانى و البيان لأنه تابع بالنسبة إليهما . (٨٨) فعلم البديع علم يعرف به وجود تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال – و هو ما يشمله علم المعانى – و وضوح الدلالة – و هو ما يشمله علم البيان – فعلم البديع ليس جزءا

من علم البلاغة ، بل هو تابع له . (٨٩) بينما يعد علمي المعاني و البيان من أقسام علم البلاغة ، و من ثم أخر علم البديع عنهما . و يرى السيوطي أن هذه العلوم إلى جانب كونها آلات للعلوم الدينية فهي أيضا لمعالجة اللسان الذي هو عضو من الإنسان، ومن ثم أعقبه بما يصلح البدن كله ليقوى على تحصيل العلوم الدينية من علمي التشريح و الطب ، و قدم التشريح على الطب لأن الأول يبحث في ذات البدن الإنساني ، بينما الثاني يبحث في الأمور العارضة على بدن الإنسان من الأمراض .

و ينهي العلوم التي يعرضها بعلم التصوف . (٩٠) و يذكره بعد علم الطب لأن الطب يعالج الأمراض الظاهرة الدنيوية ، بينما يعالج علم التصوف الأمراض الباطنة الأخروية . و قد تناول السيوطي كل علم من الأربعة عشر علما معرفا كلا منهما مع إعطاء الأجزاء المكونة لكل علم بتفصيل شديد .

القواعد و المفاهيم التي عكسها تصنيف السيوطي

حرص السيوطي في عرض علومه على مبدأ الترابط بين الموضوعات ، أو علاقة التجاور ، فعالج العلوم الدينية إلى جانب بعضها ، ثم علوم اللغة من النحو والصرف و الخط ، ثم علوم البلاغة . كما ظهرت علاقة التبعية و الاشتمال ، فنجده يقسم كل علم إلى أجزاء صغيرة تندرج تحت العلم العام الذي يضمها ، فهو بذلك يندرج من الكلي إلى الجزئي ، أو من العلم العام إلى الخاص .

استخدم السيوطي قاعدة من قواعد التصانيف الحديثة و هي الإحالة ، و ذلك عندما ذكر أن المتواتر (أحد أنواع علم الحديث) سيأتي ذكره في علم أصول الفقه ، فهنا يشير إلى مكان آخر لمعالجة الموضوع على خريطته التصنيفية ، و هذا يدل على وعيه التام بالعلوم و تعريفاته ، و الارتباطات بين المواضيع . وعلى الرغم من أن تقسيم العلوم عند السيوطي مستند على تصوره في تقسيم العلوم وترتيبها الذي قام على أساس شرف العلم ، إلا أن عرضه للعلوم و تقسيماتها الجزئية نابع من السند الأدبي ، فقد قام السيوطي بمسح للكتابات التي تمت في الموضوع و طريقة المؤلفين في التقسيم و التجزييء ، فنجده يشير دائما إلى أهم الكتب التي صنفت في العلم و تجزييء العلم فيها ، و أنه قام بالإضافة و التوسع ، و هذا ما نجده في إشارته إلى كتاب " مواقع

العلوم من مواقع النجوم '' لجلال الدين البلقيني ، في علم التفسير ، و أنه أخذ منه وزاد عليه . (٩١)

ملاحظات على تقسيم السيوطي للعلوم.

- اتسم عرض السيوطي للعلوم في تصنيفه بالموسوعية ، فهو يعرض كل علم بشرح مستفيض ، مبتدئا بتعريف العلم ، و حدوده ، ثم يقسمه إلى موضوعات جزئية صغيرة .
- يأتي تقسيم السيوطي للعلوم إقرارا للمنهج التربوي التعليمي السائد عند المسلمين ، فهو يقول : '' إذا اجتمع عند الشيخ دروس قدم الأشرف فالأشرف ، ثم رتبها '' . (٩٢) فترتيبه للعلوم متفق مع ترتيب تحصيل طلاب العلم لها .
- يؤرخ السيوطي للمنهج التربوي التعليمي عند المسلمين في ثنايا عرضه للعلوم ، موضحا القواعد المهمة في التعليم ، و يتضح هذا بجلاء في عرضه لعلم الطب ، حيث يحدد صفات معلم الطب وطالبه .

المميزات و العيوب في تقسيم السيوطي للعلوم

- مما يتميز به تصنيف السيوطي أنه يذكر علوما لم تشر إليها التصانيف السابقة عليه ، مما يدل على مدى تقدم العلوم على عصره : الأقسام التي يذكرها كفروع لعلم الطب ، مثل : علم طب الأطفال ، و علم النساء و النبض و تشخيص المرض الذي يعد من أهم عناصر العلاج .
- و مما يؤخذ على تصنيف السيوطي أنه يذكر بعض العلوم التي تفرع من علوم أخرى أعم منها على الصف نفسه الذي يذكر عليه العلم الأصلي ، مثل : علم الفرائض الذي يعد من فروع علم الفقه على الصف نفسه الذي يقف عليه علم الفقه. وكذلك علم التشريح الذي يعد من فروع علم الطب إلا أنه يجعله على صف واحد مع علم الطب ، بل يقدمه عليه ، على الرغم من حرصه على مبدأ تجاور العلوم إلا أنه فصل علم التصوف الذي يعد من العلوم الشرعية أو الدينية عن مجموعة العلوم الدينية، و أخر معالجته في آخر التصنيف ، و مرد ذلك أن ترتيبه للعلوم جاء على أساس تصوره لها و لأهميتها و شرفها . كما أنه لم يذكر سوى علمين فقط من العلوم العقلية ، و هما علما التشريح و الطب ، و أغفل بقية العلوم العقلية الأخرى ، بالرغم

من أن منها علوما متعددة تخدم العلوم الشرعية الدينية ، مثل : علم الحساب لحساب المواريث ، و علم الهيئة بفروعه للتعرف على أوقات العبادة و تحديد بداية السنة الهجرية و الشهور العربية ، و يرجع إغفاله لبقية العلوم العقلية و اقتصاره على العلوم الشرعية و العربية و علمى الطب و التشريح من العلوم العقلية لاتقانه لها ومعرفته بها ، أما بقية العلوم الأخرى فلا علم له بها ، و هذا ما يعترف به ، حيث يذكر أنه تبحر فى سبعة علوم ، هى : التفسير و الحديث و الفقه و النحو و المعانى والبيان و البديع ، ودون هذه السبعة فى المعرفة علم أصول الفقه و علم الجدل والتصريف ، ودونها
الإنشاء و الترسل والفرائض ، و دونها علم الطب ، أما علم الحساب فهو أعسر شيء عليه و أبعده عن ذهنه .(٩٣)

تصنيف السيوطى انعكاس للبيئة الثقافية الفكرية

- جاء تصنيف السيوطى ممثلا تمثيلا صادقا للحياة الفكرية الإسلامية ، و ملخصا لكل ما توصل إليه الفكر العربى الإسلامى من العلوم التى تعد من معطيات الدين الإسلامى ، و هو يسير فى عرضه للعلوم لخدمة الحقيقة الدينية الإسلامية ، لذلك اقتصر على مجموعة العلوم العربية و الدينية ، و جاء عرضه لعلم الطب باعتباره العلم الذى يحفظ صحة بدن الإنسان ليقوى على تحصيل العلوم الشرعية وممارسة العبادات المفروضة عليه .
- اتسمت معالجة السيوطى للعلوم فى تصنيفه بالمعالجة الموسوعية انعكاسا للاتجاه الفكرى فى عصره الذى تميز بوضع الأعمال الموسوعية التى تعمل على تجميع المعلومات من الكتب المختلفة و حصرها فى عمل واحد ، و هذا ما هدف إليه السيوطى ؛ أن يضع علما يجمع فيه ما ورد فى الكتب المشهورة بحيث لا يحتاج المطلع عليه إلى كتاب غيره فى هذه العلوم . و يرى بعض الباحثين أن فى عمل السيوطى الموسوعى فكرا تجديديا للتصنيف العربى الإسلامى ، عمل على أن يستوعب فيه مختلف العلوم المعاصرة لزمانه .

المنهج المتبع فى تصنيف السيوطى

اعتمد السيوطى فى تقسيم العلوم و تجزيئها على المنهج الاستنباطى ، و هو يسير فى تقسيم العلم متدرجا من الكليات إلى الجزئيات ؛ أى من العلم العام إلى العلم الخاص .

تصنيف السيوطى بين التأثير و التأثر

وضع السيوطى تقسيمه للعلوم بشكل مختلف تماما عمن سبقه من المصنفين ، فقد ركز فقط على العلوم الشرعية و العربية ، و لذلك جاء تصنيفه ممثلا تمثيلا صادقا للحياة الفكرية الإسلامية العربية ، وملخصا لكل ما توصل إليه الفكر العربى الإسلامى من العلوم التى كانت من معطيات الدين الإسلامى ، و قد تأثر فى بعض علومه بمن سبقه ، مثل ابن خلدون فى العلوم الشرعية من حيث الانتهاء بعلم التصوف كآخر العلوم الشرعية ، كذلك جعل علم الفرائض علما يقف على نفس صف علم الفقه ، حيث إنه مفرع منه . و قد جاء ترتيب العلوم متوافقا تماما مع ابن خلدون فيما عدا علم الكلام (أصول الدين) الذى بدأ السيوطى به تصنيفه ، بينما ذكره ابن خلدون فى وسط العلوم الدينية . كما صرح السيوطى بتأثره بتقسيم البلقينى لعلم التفسير فى كتابه '' مواقع العلوم من مواقع النجوم '' ، و أنه نقل عنه العلوم نفسها مع الزيادة عليها .

و تأثر طاشكبرى زادة بتقسيم السيوطى للعلوم الشرعية و التفريعات الخاصة بكل علم ، و هذا ما أكده حاجى خليفة من أن طاشكبرى زادة قد نقل عن السيوطى فروع علم التفسير . (٩٥)

هل تأثر السيوطى بتصنيف أرسطو للعلوم ؟

انطلق السيوطى بتصنيفه من منطلق عربى إسلامى ، سواء كان ذلك فى المنهج أو فى عرض العلوم التى ذكرها فى تصنيفه منكرا لعلوم الفلسفة و المنطق ، متجاهلا العلوم العقلية فيما عدا علمى التشريح و الطب ، ولذلك جاء تصنيفه بعيدا تماما عن الفكر الأرسطى ، أو أى فكر حضارى سابق ، و إنما تبنى اتجاها تحديثيا حيث صمم تصنيفه فى إطار واحد لخدمة الحقيقة الدينية ، و من ثم اختلف مع تصنيف أرسطو كليا ، سواء فى الهدف أو فى طبيعة العلوم المعروضة فى تصنيفه أو فى طريقة التقسيم .

مستوى المعالجة فى تصنيف السيوطى

- يبدأ السيوطى تصنيفه بتوضيح الهدف منه ، ثم يتناول علومه بالتقسيم مع بيان السبب وراءه، وهذا ما لم نجد٠ عند غيره من المصنفين السابقين .
- يقسم العلوم إلى أربعة عشر علما متناولا كل علم بالتقسيم إلى موضوعات صغيرة تندرج تحته ، و هو فى تقسيمه لكل علم لا يعطى أقساما أصلية و أخرى فرعية عن الأقسام الأصلية ، أو يقسمها إلى أقسام عامة ثم علوم أخص تتفرع منها، وإنما التقسيم يكون مباشرا من العلم العام الأساسى إلى الجزئيات التى تندرج تحته فقط ، ولذلك نجد أن التصنيف عنده يقف عند الصف الثانى ، و فى النادر من يزيد إلى الصف الثالث أو الرابع ، و لكن نلاحظ الزيادة الهائلة فى تفريعات بعض العلوم .

ويوضح الجدول التالى أعداد التفريعات فى كل علم والصف الذى تقف عليه العلوم فى تصنيفه :

تصنيف السيوطى	علوم أساسية	التفريعات			الإجمالى
	صف أول	صف ثان	صف ثالث	صف رابع	
كتاب " إتمام الدراية لقراء النقاية "	علم أصول الدين	٢	٨	—	١٠
	علم التفسير	٥	٣٤	٢١	٦٠
	علم الحديث	١٤	٤١	—	٥٥
	علم أصول الفقه	٨	—	—	٨
	علم الفقه	—	—	—	—
	علم الفرائض	٦	—	—	٦
	علم النحو	٧	—	—	٧
	علم التصريف	٧	—	—	٧
	علم الخط	٧	—	—	٧
	علم المعانى	٨	—	—	٨
	علم البيان	٣	—	—	٣
	علم البديع	١٨	—	—	١٨
	علم التشريح	٢٨	—	—	٢٨
	علم الطب	١٥	—	—	١٥
	علم التصوف	٩	٣	—	١٢
الإجمالى	١٥=١٥	١٢٩	٨٦	٢١	٢٤٤ =

جدول رقم (١١) يوضح توزيع العلوم على الصفوف و أعدادها على كل صف

- بلغ إجمالى عدد العلوم الأساسية على الصف الأول خمسة عشر علما بالرغم من أنه ذكر أنها أربعة عشر علما ، ذلك لأنه أدمج معالجة علم الفقه مع علم أصول الفقه دون تمييز واضح ، و لذلك اعتبرها أربعة عشر علما .
- بلغ عدد العلوم المفرعة عن الصف الثانى ١٢٩ علما ، و يلاحظ التفاوت فى أعداد العلوم المفرعة عن كل علم رئيسى ، حيث ترتفع إلى ٢٨ علما مفرعا عن علم التشريح ، و يأتى بعدها علم البديع ، و تبلغ العلوم المفرعة عنه ١٨ علما . ثم علم الطب ، حيث يبلغ عدد العلوم ١٥ علما . و من علم الحديث ١٤ علما . و تتقارب العلوم المفرعة من علم أصول الفقه و علم الفرائض ، حيث تبلغ فى الأولى ثمانية ، و الثانية ستة . كما تتقارب العلوم المفرعة عن العلوم العربية ، فتبلغ سبعة فى كل من النحو و التصريف و الخط ، و ترتفع إلى ثمانية فى علم المعانى ، و تقل إلى ثلاثة فى علم البيان ، و لا يعطى أى تفريعات عن علم الفقه، و أحيانا يطلق على تلك اللعلوم المفرعة كلمة أبواب ، كما فى علم أصول الفقه ، فيقسمه إلى سبعة أبواب ، و علم المعانى حيث يقسمه إلى ثمانية أبواب ، وأحيانا يطلق عليها أقساما ، كما فى علم أصول الفقه ، حيث يقسمه إلى قسمين ، و فى أحيان أخرى لا يعطى لها أية تسمية ، بل يقول : "و منها" ، كما فى علم الحديث ، أو يعرضها دون الإشارة إلى أية تسمية ، كما فى علم الطب أو التشريح، و أحيانا يطلق عليها أنواع ، كما فى علم التفسير ، حيث يقسمه إلى مقدمة وخمسة و خمسين نوعا .
- يبلغ إجمالى العلوم على الصف الثالث ستة و ثمانين علما ، و هى العلوم المفرعة عن علم أصول الفقه ، حيث تبلغ ثمانية ، و من علم التفسير حيث تبلغ أربعة وثلاثين علما ، و من علم الحديث حيث تبلغ واحدا و أربعين علما ، و من علم التصوف ثلاثة علوم . و يلاحظ أن التفريع يصل إلى الصف الثالث من العلوم الشرعية فقط ، و ذلك لاهتمام السيوطى بها و تركيزه عليها و على تقسيمها وإيضاحها .
- يبلغ إجمالى العلوم على الصف الرابع واحدا و عشرين علما مفرعا عن علم التفسير ، و بذلك تبلغ جملة العلوم المفرعة عن علم التفسير ستين علما ، بالرغم

من أنه يذكر أنها مقدمة و خمسة وخمسون علما . و بذلك يبلغ إجمـــالى العلـــوم المفرعة عن العلوم الأساسية ٢٤٤ علما .

التماسك و التناسق

تميز تصنيف السيوطى بتماسك البناء ، فلم تحـــدث قفـــزات مخلـــة بهيكلـــه التصنيفى ، و إنما سار فى عرض العلوم بطريقة منتظمة ، فبعد الانتهاء من عـــرض كل علم بفروعه ينتقل إلى العلم الذى يليه . كما تميز بالتناسق و التناغم بيـــن العلـــوم التى ذكرها ، و التى سارت لخدمة هدف واحد ، و هو خدمة الدين الإسلامى الـــذى تمثل فى مجموعة العلوم الدينية .

هوامش الفصل السادس

١ــ يعد نصير الدين الطوسي أحد الأفذاذ القلائل الذين ظهروا في القرن السابع الهجري، فقد ولد في طوس عام ٦٠٧هـ الموافق سنة ١٢٠١م ، و توفي في بغداد ٦٧٢هـ الموافق ١٢٧٣م . لمع في الدرس و الابتكار، وكانت له مكانة مقدمة عند الخلفاء، وصاحب رأي لديهم ، و لكن الحياة لم تسر معه على هذا المنوال ، فقد حقد الحاقدون عليه مما أدى إلى دخوله السجن ، و في السجن أنجز أكثر مؤلفاته في الرياضيات ، وهي التي خلدته و جعلته عالما بين العلماء ، و مع استيلاء هولاكو على بغداد أفاد الطوسي كثيرا ، حيث أصبح حرا طليقا ، و استطاع أن يكسب منزلة عالية عند هولاكو ، و استغل الأموال التي كانت تحت تصرفه فأنشأ مكتبة كبيرة ، وبنى مرصد مراغة الذي اشتهر بآلاته و مراصده ، كما برع الطوسي في علم الفلك، وأضاف إضافات مهمة ، منها استنباط براهين جديدة لمسائل فلكية عويصة . كما انتقد كتاب المجسطي واقترح نظاما جديدا للكون أبسط من النظام الذي وضعه بطليموس . كما أن له مؤلفات قيمة في الرياضيات ، و يعد كتابه شكل القطاع من أجلها ، و قد ترجم إلى اللاتينية ، كما أن له كتبا أخرى في معالجة نظريات الجبر والهندسة ، و وضع كتبا في الحكمة و الجغرافيا و الطبيعيات و الموسيقى و التقاويم والمنطق والتنجيم والأخلاق و البصريات ، كما ترجم بعض كتب اليونان و انتقدها و علق عليها : قدري حافظ طوقان . مرجع سابق . ــ ص ص ٢٢٢ ــ٢٢٥ .

٢ــ الطوسي ، نصير الدين . رسالة فصل في بيان أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز ــ من كتاب عباس سليمان . تصنيف العلوم بين نصير الدين الطوسي و ناصر الدين البيضاوي . ــ دراسة و تحقيق . ــ الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٤م . ــ ص ص٦٩ــ٧٧ .

٣ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ص ٧١ــ٧٦ .

٤ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ٢٥ .

5- Vickery .B.C.- op cit P162.

٦ــ عباس سليمان . مرجع سابق . ــ ص ٥٢ .

7- Vickery . B.C. op cit .-P162 .

8- Jevons, W.S. the principles of science . - London .Macmillan , 1974.-P40 .

٩ـ ابن الأكفانى ، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى ، شمس الدين أبو عبد الله، ولد بسنجار ، و هى بلدة فى العراق ، فى أواخر القرن السابع الهجرى ، و عاش إلى حوالى منتصف القرن الثامن الهجرى ، و قد رحل إلى مصر طالبا العلم ، واتخذها مقرا لسكناه ، فى فترة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذى أنشأ هو ومماليكه حوالى ثمانية و عشرين مسجدا فى مصر و الشام ، قام بالتدريس نخبة من الأساتذة و الشيوخ . و تميز عصره بالاستقرار السياسى ، و بالرخاء الاقتصادى ، فلجأ العديد من العلماء و الشيوخ إلى مصر هربا من المغول فى العراق و الشام ، كما لجأ إلى مصر عديد من علماء الأندلس هربا من بطش الفرنجة ، و من بلاد المغرب هربا من عدم الاستقرار فيها ، و أكرمت مصر هؤلاء العلماء و رتبت لهم الأرزاق التى تكفل لهم عيشة كريمة ، كما قاموا بالتدريس ، و منهم من تولى القضاء . و يرجع إلى أولئك العلماء الفضل فى إثراء الحياة الحضارية و الثقافية فى عصر الأكفانى ، و لا شك أن لهذا الاستقرار السياسى و الرخاء الاقتصادى و النهضة الحضارية و الثقافية أثرا كبيرا فى تكوين العقلية الفكرية و اثقافية لابن الأكفانى الذى أحاط بمعظم علوم عصره ، و اشتهاره و اتقانه لمهنة الطب التى زاولها و مارسها بالمارستان المنصورى ، كما اتقن علوم الحكمة و الهندسة و الحساب و الهيئة ، وكانت له تصانيف كثيرة فى هذه العلوم ، كما كان مستحضرا للتواريخ و الأخبار ، حافظا للأشعار ، بارعا فى الأدب متمكنا منه ، و له تصانيف كثيرة فيه ، و له معرفة بأصول الخط المنسوب ، و كان غاية فى معرفة الأصناف من الجواهر والقماش و الآلات و أنواع العقاقير و الحيوانات ، و له اليد الطولى فى الروحانيات والطلاسم ، و له مؤلفات عديدة فى مختلف العلوم ، و منها / '' اللباب فى الحساب '' ، و '' نخب الذخائر فى معرفة الجواهر '' ، و '' غنية اللبيب عند غيبة الطبيب'' ، و '' كشف الدين فى أمراض العين '' ، و '' روحة الألبا فى أخبار الأطبا '' ، و '' الدر النظيم فى أحوال العلوم و التعليم '' ، و '' نهاية القصد فى صناعة الفصد '' ، و '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' . و قد توفى ابن

الأكفانى حوالى ٧٤٩هـ ـــ ١٣٤٨م : الصفدى ، صلاح الدين خليل . الوافى بالوفيات . ـــ بيروت ، ١٩٨٩م . ـــ ج٢ ص ص ٢٦ـ٢٧ .

١٠ـ ابن الأكفانى ، محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصارى . إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد فى أنواع العلوم . ـــ ص ص ٩١ـ٩٢ .

١١ـ عثمان أمين . مقدمة كتاب إحصاء العلوم للفارابى . ـــ ص ١٦ .

١٢ـ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ـــ ص ٩٣ .

١٣ـ محمد أبو عليان الشافعى . كتاب اللؤلؤ المنظوم فى مبادىء العلوم . ـــ القاهرة . ـــ المطبعة الحسينية ، د . ت . ـــ ص ٨٢ .

١٤ـ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ـــ ص ١٦ .

١٥ـ المقاصد هى العلوم التى تطلب فيها المعرفة لذاتها ، أو لمنفعة عملية ، مثل العلوم الشرعية ، و موضوعات الحكمة النظرية و العملية .

١٦ـ الوسائل هى العلوم التى تستخدم كآلة و مقدمة لغيرها من العلوم ، مثل علوم اللغة و الأدب أو المنطق .

١٧ـ محمد أبو عليان الشافعى . مصدر سابق . ـــ ص ٨٣ .

١٨ـ الغزالى ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى (ت ٥٠٥هـ) . فاتحة العلوم / جمع محمد أمين الخانجى . ـــ القاهرة : ـــ المطبعة الحسينية ، ١٣٢٢هـ . ـــ ص ٢٥ .

١٩ـ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ـــ ص ١٠٩ .

٢٠ـ ابن سينا ، أبو على الحسين بن عبد الله . رسالة فى أقسام العلوم العقلية . ـــ ص ٧٣ .

٢١ـ العلوم الأدبية العشرة : انظر تعريفاتها فى القائمة الخاصة بتعريفات العلوم فى الملحق .

22- Vickery . B.C. Clssification and indexing in science .-P166 .

٢٣ـ محمد بن عمر الجركسى . رسالة فى مقدمات العلوم ترى الناظر لها للمفهوم والمنطوق . ـــ د.م : المؤلف ، ١٣١١هـ . ـــ ص ٢٤ .

٢٤ـ المصدر السابق : ص ٢٢ .

٢٥ـ محمد بن عمر الجركسى . مصدر سابق . ـ ص ٥٢ .

٢٦ـ علوم الشريعة الإسلامية : انظر التعريفات الخاصة بعلوم الشريعة الإسلامية في القائمة الخاصة بتعريفات العلوم بالملحق .

٢٧ـ العلم الطبيعى : انظر التعريفات الخاصة بالعلم الطبيعى و فروعه في القائمة الخاصة بتعريفات العلوم بالملحق .

٢٨ـ نفس المصدر السابق . ـ ص ١٧٣ .

٢٩ـ العلم الرياضى : انظر التعريفات الخاصة بالعلم الرياضى و تفريعاته بالقائمة الخاصة بتعريفات العلوم بالملحق .

30- Vickery . B.C. Op cit .-P167 .
31- Ibid .- P 166.
32- Ibid.- P 167.

٣٣ـ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ـ ص ١٩٦ .

34- Vickery . B.C. Op cit .-P169.

٣٥ـ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ـ ص : ١٩٠ .

٣٦ـ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ـ ص ١٦٠ ، ٢٠٢ ، ١٧٢ .

٣٧ـ عبد الوهاب أبو النور . التصنيف البيبليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى : دراسة في منهج إعداد نظم التصنيف مع تطبيقه في إعداد نظام تصنيف للدين الإسلامى . ـ القاهرة . ـ دار الثقافة ، ١٩٧٣ . ـ ص ٨٢

38- Vickery . B.C. Op cit .-P165 .

٣٩ـ بريل ، ليفى . مرجع سابق . ـ ٤٩ .

٤٠ـ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ـ ص ١٩٠ .

٤١ـ نفس المصدر السابق . ـ ٢٠٥ .

53- Sayers , W.C. Berwick . Amanual of classification for libraries and bibliographers. P 109 .

٤٢ـ عثمان أمين . مقدمة إحصاء العلوم للفارابى . ـ ص ١٦ .

٤٣ـ عبد المنعم محمد عمر . مقدمة كتاب " إرشاد القاصد " . ـ ص ص ٤٣ـ٤٤ .

٤٤ـ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ـ ص ٩٢ .

٤٥ـ الفارابى . إحصاء العلوم . ـ ص ٤٤ .

٤٦ــ ابن الأكفاني . مصدر سابق . ــ ص ١٠٦ .

٤٧ــ ابن سينا . رسالة في أقسام العلوم العقلية . ــ ص ٧٣ .

٤٨ــ ابن الأكفاني . مصدر سابق . ــ ص ١٠٦ .

٤٩ــ ابن سينا . مصدر سابق . ــ ص ٧٣ .

٥٠ــ الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف . مصدر سابق . ــ ص ١٤٣ .

٥١ــ جام العدل ، أو قدح العدل ، هو إناء يعمل ، و تركب فيه أنبوبة فوق أنبوبة ، وتكون العليا مثقوبة ، و أسفل الإناء مثقوب ، فإذا كان ما فيه من الشراب دون رأس الأنبوبة السفل ثبت ، و إذا علا انصب الشراب من الثقب الذي في أسفل الإناء ، و لم يبق منه إلا مقدار يبقى من الأنبوبة : الخوارزمي . مفاتيح العلوم . ــ ص ١٤٤ .

٥٢ــ الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب الشبراوي (٧٢٩ــ٨٠٣هــ) . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . ــ القاهرة . ــ لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٥٧م . ــ ج ١ ص ص ٤١ــ٥٤ .

٥٣ــ القلقشندي ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٢١/١٤٢٨م) . صبح الأعشى في صناعة الإنشا . ــ القاهرة . ــ دار الكتب ، ١٩٣٨م . ــ ج ١ ص ص ٤٦٧ــ٤٧٩.

٥٤ــ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله . مصدر سابق . ــ ص ٦٦ .

٥٥ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ع ٤٧ .

٥٦ــ ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن عثمان بن هانيء بن الخطاب بن كريب بن معديكرب بن الحارث ، فهو سليل أسرة عربية عريقة من اليمن. ولد في تونس عام ٧٣٢هــ ــ ١٣٣٢م ، و تلقى تعليمه على أبيه و نفر من العلماء في تونس ، فحفظ القرآن الكريم ، و درس الحديث و الفقه و اللغة و النحو ، ثم توسع في الأدب و المنطق و علوم الفلسفة . كما اشتغل بخدمة الدولة حينا ، وركب الأسفار حينا آخر ، فتولى منصب ديوان الرسائل عند أبي الحسن الكريني سلطان مراكش عام ٧٥٢هــ ، كما ذهب عند بني مرين في فاس عام ٧٦٠هــ ، ثم عند بني الأحمر في غرناطة و الأندلس عام ٧٦٤هــ ، و عاد إلى تونس عام ٧٨٠هــ . وفي عام ٧٨٩هــ انتقل إلى القاهرة ، و انقطع فيها للتدريس حينا و للقضاء حينا

آخر . كما مثل فى بلاط النصرانى الفارس فى إشبيلية ، و حضر فى بلاط تيمورلنك فى دمشق . من ذلك فقد خاض ابن خلدون غمار السياسة متعرضا لمحنها وتقلباتها ، و هذا ما بصره بتجارب الحياة العامة و الخاصة ، مما كان له التأثير على تفكيره . وقد بقى فى معترك الحياة السياسية إلى أن بلغ الخامسة و الأربعين فمل هذه الحياة ورغب عنها ، و قضى بقية حياته فى العلم و الدرس ، و قد تجلت عبقريته فى ابتكاره لفلسفة الاجتماع وفلسفة التاريخ . و توفي فى القاهرة فى عام ٨٠٨هـ : دى بور . مرجع سابق . ـ ص ص ١٤٣ـ١٤٥ .

٥٧ـ أحمد أمين . ظهر الإسلام . ـ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣م . ـ ج ٣ ص ص ٤٢ـ٤٥ .

٥٨ـ محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . ـ ص ص ١٤٦ـ١٥٠ .

59- Vickery, B.C. - P 168.

٦٠ـ ابن خلدون . مصدر سابق . ـ ص ص ٣٧٩ـ٤٣٣ .

٦١ـ عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة . ـ ص ٩٨ .

٦٢ـ عبد الوهاب أبو النور . التصنيف البيبليوجرافى لعلوم الدين الإسلامى . ـ ص ١١٨ .

٦٣ـ ابن خلدون . مصدر سابق . ـ ص ٤٠٠ .

٦٤ـ نفس المصدر السابق . ـ ص ٤٢٣ .

٦٥ـ اعتبر المصنفون العرب المسلمون علم الموسيقى أحد فروع العلم الرياضى باعتباره علما تأليفيا بين النسبة الكمية فى العدد و النسبة الكيفية فى الهندسة ، و لنفهم ذلك لا بد من توضيح ماهية النسبة الكمية ، و ما هية النسبة الكيفية فى الهندسة ، فالنسبة الكمية أو العددية هى تفاوت ما بين عددين مختلفين بالتساوى ، مثال : ١ ، ٢، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، و هكذا ، فالتفاوت بينهما ٢ ، ٢ . و على هذا القياس تبنى سائر النسب العدد ، و مرد هذه النسبة بين العددبن أنه إذا أخذ نصف كلى واحد منهما (العددين) و جمع يكون ناتج الجمع عدداً أوسط بينهما ، فمثلا ٣ ، ٤ التفاوت بينهما رقم ١ ، فإن أخذ نصف ٣ ، و هو ١,٥ ، و نصف الأربعة رقم ٢ ، و

جمع الرقمين يكون ٣,٥ ؛ أى عدد يقف بين ٣ ، ٤ . و على هذا القياس تكون النسبة العددية . أما النسبة الكيفية فى الهندسة فهى قدر أحد العددين المختلفين عند العدد الآخر ، مثال ذلك ٤ ، ٦ ، ٩ ، فهذه الأرقام هى فى نسبة هندسية ، و ذلك أن نسبة ٤ إلى ٦ كنسبة ٦ إلى ٩ ؛ أى أن النسبة ٢ : ٣ ، و بمعنى آخر أن العدد ٤ ثلثا العدد ٦ ، و العدد ٦ ثلثا العدد ٩ ، و إذا عكست كانت نسبة ٩ : ٦ هى نسبة ٦ إلى ٤ ، لأن ٩ مثل ٦ ، و نصفها . كذلك العدد ٦ مثل ٤ و نصفها ، و هكذا فإن أى أرقام مثلها تعد فى نسبة هندسية . أما النسبة التأليفية (الموسيقى) المركبة من نسبة عددية و نسبة هندسية ، مثال ذلك : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ فإن ٦ الحد الأعظم و ٣ الحد الأصغر ، و ٤ الحد الأوسط . و يعد الرقمان ١ ، ٢ التفاضل بين الحدود ، لأن التفاضل بين ٦ ، ٤ هو ٢ ، و التفاضل بين ٤ و ٣ هو ١ ، و هذا التفاضل الذى هو ٢ : ١ كنسبة الحد الأعظم ٦ إلى الحد الصغر ٣ ؛ أى أن النسبة بينهما ٢ : ١ ، وبالعكس ، فإن نسبة ٣ إلى ٦ كنسبة ١ : ٢ ، و ٢ هى التفاوت بين ٤ ، ٦ ، وبطريقة أخرى فإن نسبة ١ : ٢ كنسبة ٢ : ٤ كنسبة ٣ : ٦ . و عكس ذلك فإن نسبة ٦ : ٣ كنسبة ٤ : ٢ كنسبة ٢ : ١ ، و هذا ما يعرف فى سائر النسب العددية ، فإذا أخذ مثلا ٤ و جمع على نصف ٢ يصبح الناتج ٣ ، و هو العدد الأوسط بينهما ، كذلك مع ٣ ، ٦ فإذا أخذ نصف ٣ و نصف ٦ أصبح الناتج ٤,٥ ، و هو يقف بين الاثنين . أما النسبة الهندسية فإنها تظهر فى نسبة ٦ : ٤ كنسبة ٣ : ٢ ، و عكس ذلك نسبة ٢ : ٣ كنسبة ٤ : ٦ ؛ أى أن ٦ مثل ٤ و نصفها ، و كذلك ٣ مثل ٢ ونصفها، و عند العكس فإن ٢ ثلثا ٣ ، و ٤ ثلثا ٦ . و من هنا يتضح كيف تصبح النسبة تأليفية من نسبة عددية و هندسية و مركبة منهما . و من هذه النسبة استخراج تأليف النغم والألحان : إخوان الصفا . رسائل إخوان الصفا / تصحيح خير الدين الزركلى . ــ القاهرة . ــ المطبعة العربية ، ١٩٢٨م . ــ ص ص ١٨٣ــ١٨٥ .

٦٦ــ كولبه ، أزفلد . المدخل إلى الفلسفة / ترجمة و تعليق أبو العلا عفيفى . ــ القاهرة . ــ ط ٣ . ــ مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ١٩٥٥ . ــ ص٢٤.

67- Langridge , Derer.- P110 .

٦٨ـ شعبان عبد العزيز خليفة . التصنيف العشرى القياسى للمكتبات المدرسية والعامة . ـ ص ٩٢ .

٦٩ـ بريل ، ليفى . مرجع سابق . ـ ص ٤٨ :

٧٠ـ انظر كل من أحمد بدر و محمد فتحى عبد الهادى . مصدر سابق . ـ ص٣١، ٣٥ . و عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين في تنظيم المعرفة . ـ ص ٦٦ .

٧١ـ محمد على أبو ريان . مرجع سابق . ـ ص ١١٦ .

٧٢ـ محمد عبد الرحمن مرحبا . مرجع سابق . ـ ص ص ١٥٨ـ١٥٩ .

٧٣ـ عبد الوهاب عبد السلام أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين في تنظيم المعرفة . ـ ص ٩٢ .

٧٤ـ ابن خلدون . مصدر سابق . ـ ص ٣٨٤ .

٧٥ـ عبد الرزاق المكى . مرجع سابق . ـ ص ١٥٤، ٢٥١ .

٧٦ـ الفلسفة الجوانية ، هى فلسفة تنظر إلى المخبر و لا تقف عند المظهر ، وتلتمس الباطن دون أن تنقع بالظاهر ، و تفحص عن الداخل بعد ملاحظة الخارج . و تلتفت دائما إلى المعنى و إلى القيمة و إلى الروح من وراء اللفظ و الحس و الظواهر . أو هى بالمعيار الفلسفى الاصطلاحى فلسفة تستكنه الجوهر من وراء الأعراض ، فتبحث عن الماهية من وراء المظاهر . و عمادها أن الحقيقة يجب أن تلتمس فيما وراء المظهر الخارجى و الوجود العيانى . و هذا الماوراء هو المعنى الأول من معانى الجوانى من حيث مقابلته لمعنى البرانى .

٧٧ـ ابن خلدون . المقدمة . ـ ص ٤١٠ .

٧٨ـ ابن خلدون . مصدر سابق . ـ ص ٤٣٥ .

٧٩ـ حاجى خليفة . مصدر سابق . ـ ج١ ع.

٨٠ـ ابن خلدون . مصدر سابق . ـ ص ٣٨٠ .

٨١ـ السيوطى : ولد الشيخ جلال الدين السيوطى عام ٨٤٩هـ ، فى عهد دولة المماليك البرجية (ترجع نشأة هؤلاء المماليك إلى أن المنصور قلاوون أكثر من شرائهم و جعلهم فى أبراج القلعة ، فسموا البرجية ، تميزا لهم عن المماليك البحرية الذين اقاموا

في جزيرة الروضة . نشأ السيوطي يتيما ، ثم دفع إلى حفظ القرآن الكريم فحفظه و هو دون الثامنة من عمره ، و شرع في الاشتغال بالعلم و سنه خمس عشرة سنة ، فأخذ الفقه عن جماعة من الشيوخ ، و أخذ الفرائض عن العلامة الشيخ شهاب الدين الشارمساحي . و قد أجيز للتدريس و عمره سبع عشرة سنة . وتصدر للإفتاء وعمره اثنتان و عشرون سنة . و أملى الحديث و عمره ثلاث وعشرون سنة . يذكر السيوطي أنه تبحر في علوم سبعة ، هي : التفسير و الحديث والفقه و النحو و المعاني و البيان و البديع ، ودون هذه العلوم السبعة في المعرفة أصول الفقه و الجدل والإنشاء و الترسل و الفرائض و القراءات و الطب . و كان علم الحساب أعسر شيء على ذهنه . و قد تولى السيوطي مناصب متعددة ، و له مؤلفات عديدة ، من أولها : شرح الاستعاذة و البسملة ، ثم توالت مؤلفاته في مختلف العلوم ، فكان من أهمها في علوم القرآن الكريم : الإتقان في علوم القرآن . و الدر المنثور في التفسير المأثور . و في علوم الحديث : كشف المغطا في شرح الموطا . و في الفقه : الأزهار الغضة في حواشي الروضة . و قد توفي السيوطي عام ٩١١هـ .

٨٢-منى عبد الوهاب حمودة. صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي .- القاهرة: مطبعة دار التأليف، ١٩٦٥ .- ص ٤ ، ١٠ ، ١٨ .

ـ السيوطي . إتمام الدراية القراء النقاية . ـ د . م . ـ الميرزا الشيرازي ، ١٣٠٩ . ـ ص ٢ .

٨٣ـ على الصالحي المالكي . مصدر سابق . ـ ص ص ٣٠ـ٣١ .

٨٤ـ نفس المصدر السابق . ـ ص ص ٩١ـ٩٢ .

٨٥ـ السيوطي . مصدر سابق . ـ ص ٤ .

٨٦ـ السيوطي . مصدر سابق . ـ ص ٤ .

٨٧ـ الجركسي ، محمد بن عمر . مصدر سابق . ـ ص ٢٢ .

٨٨ـ السيوطي . مصدر سابق . ـ ص ٤ .

٨٩- الجركسي ، محمد بن عمر . مصدر سابق . ـ ص ٢٩ .

٩٠ـ علم التصوف : بدأ هذا العلم كعبادة متمثلا في الزهد ، و يرجع تاريخه إلى جماعة من الصحابة الأوائل أطلق عليهم اسم أهل الصفوة ، و هم فريق من الأنصار

والمهاجرين ، فرغت أيديهم من كل شيء و امتلأت قلوبهم بحب الله ، و قد بنى لـــهم رسول الله ــ صلى الله عليه و سلم ــ قباء في مؤخرة مسجد المدينـــة ليقيمـــوا فيـــه وينقطعوا للعبادة . و قد عكفوا على العبادة بشوق و لذة و لهفة . و يعد هـــؤلاء هـــم الرعيل الأول من رجال التصوف ، و كانت حياتهم هي المثل الأعلى الذى اســـتهدفه رجال التصوف في العصور الإسلامية اللاحقة ، ثم تطور الزهد إلى مدارس للعبادة ، ثم الزهد المنظم في مدارس البصرة و الكوفة و بغداد و الشام و مصر و خراســـان ، وأنتجت هذه المدارس النظريات المختلفة في الخوف و الحب الإلهي مســـتندة علـــى مناهج الإلهام و الوجد و الفيض الإلهي ، و تكون التصوف كعلم في القرنين الثـــالث والرابع الهجريين مقابل الحديث و الفقه ثم الكلام ، ثم ما لبث أن وضع أبـــو حـــامد الغزالي علم التصوف في صورته السنية النهائية : عبد الرزاق المكي . الفكر الفلسفي عند ابن خلدون . ــ ص ص ٢٨٨ــ٢٨٩ .

٩١ــ السيوطي . مصدر سابق . ــ ص ٢٢ .

٩٢ــ نفس المصدر السابق . ــ ص ٤ .

٩٣ــ السيوطي . حسن المحاضرة . ــ ص

94- Abdul Al Majid Al Najjar . op cit .- P83 .

٩٥ــ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع١٨ .

الفصل السادس

التصانيف العربية الإسلامية

فى العصر العثمانى

مقدمة

ازدهرت الحياة الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية فى استانبول بالرغم من الاضمحلال الذى سيطر على بقية العالم الإسلامى ، و ذلك يرجع إلى السياسة التى انتهجها الخلفاء العثمانيين فى مقر الخلافة ، حيث استقدموا أمهر الصناع و التجار والحرفيين و كل الآثار و التحف ، كما عملوا على نقل كل ما احتوته المكتبات إلى استانبول ، و بذلك تجمعت فى مكتباتها خلاصة نتاج الحضارة العربية الإسلامية ، فلا غرو أن أعظم التصانيف العربية الإسلامية خرجت على يد علماء أتراك ، نذكر منهم طاشكبرى زادة و كتابه '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' ، و الشروانى و كتابه '' الفوائد الخاقانية '' ، وحاجى خليفة و كتابه '' كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون '' ، و غيرهم ممن أثروا المكتبة الإسلامية العربية بإنتاجهم الفكرى . و قبل أن نعرض لنماذج التصنيف فى تلك الحقبة ينبغى أن نطل إطلالة سريعة على أهم مظاهر الحياة السياسية و الاجتماعية و العلمية التى سادت هذا العصر ، و التى كان لها تأثيرها الكبير فى تلك التصانيف .

الحياة السياسية فى الدولة العثمانية

يرجع تاريخ الدولة العثمانية إلى مطلع القرن الرابع عشر الميلادى ، الثانى عشر الهجرى ، بعد القضاء على دولة الروم السلاجقة وموت آخر سلاطينها علاء الدين العثمانى عام ١٣٠٧م ، والمؤسس الأول لهذة الدولة هو عثمان بن أرطغرل ، وقد كان ولده يعمل لحساب السلطان السلجوقى علاء الدين ، وبعد وفاته خلفه ابنه عثمان الذى اعتنق الإسلام وتبعه سائر الأتراك فى إقطاعية عثمان التى تقع فى الشمال الغربى للأناضول (آسيا الصغرى) ، و التابعة فى ذلك الوقت لدولة الروم

السلاجقة ، ثم استقل عثمان بهذه الإقطاعية التى أطلق عليها اسم الامارة بعد غـزوات المغول على دولة الروم السلاجقة . وبعد نهاية هذه الدولة أخذ يوسع إمارتـــه علــى حساب الإمارات الأخرى المجاورة له و الدولة البيزنطية ، و استطاع ابنه أورخان أن يستولى على مدينة بروس التى أطلق عليها اسم بورسة أو بورصة وأصبحت عاصمة جديدة للأتراك العثمانيين ، و تولى بعد ذلك غزوات الأتراك العثمانيين فـــى أوروبـــا فاستولوا على ما تبقى من الدولة البيزنطية ثم بلغاريا . وتوالت انتصارات العثمـــانيين فى أوروبا إلى أن جاء محمد الثانى الملقب (بالفاتح) واستطاع فتح القسطنطينية عـام ١٤٥٣م فأصبحت عاصمة الدولة العثمانية وتحول اسمها الى إسلامبول ، و حرفـــت بعد ذلك إلى إستانبول . (١) وقد كانت توسعات العثمانيين الحربية كلها متجهة إلـــى أوروبا . و يعد السلطان سليم الأول أول السلاطين العثمانيين الذين اتجهوا إلى التوسع فى بلاد المسلمين وضمها للإمبراطورية ، فبدأ بالحدود الشرقية لبلاد الفـــرس حيـث كان الصفويون يحكمون هذه المنطقة فانتصر عليهم فى عام ١٥١٤م وضم أجـــزاء كبيرة فى شمال العراق إلى الإمبراطورية . واحتل تبريز ثم اتجه للاســـتيلاء علــى الأراضى المملوكية فسقطت سوريا بعد معركة مرج دابق سنة ١٥١٦م ، ودخل مصر بعد هزيمة المماليك فى معركة الريدانية فى ٢٢ يناير عام ١٥١٧م ، ثم جاءه زعمـاء القبائل البدوية فى شبه الجزيرة العربية معلنين الولاء للدولة العثمانية ، وانتقلت خلافة المسلمين إلى سليم الأول بعد أن تنازل له عنها آخر الخلفاء العباسيين وهـــو الخليفـــة المتوكل ، وجاء بعده ابنه سليمان الملقب بالقانونى ، و الذى عمل على توسيع رقعـــة الإمبراطورية العثمانية فاستولى على جزيرة رودس عام ١٥٢٢م ، وبلغراد ثم المجـر عام ١٥٢٦م ، ثم استولى على العراق كلها عام ١٥٣٣م ، وعمل بعد ذلك على دعـم أسطوله فى البحر الأحمر و الخليج الفارسى و المحيط الهندى . وتمكن مـــن طـرد البرتغاليين من مسقط عام ١٥٥٢م وتمت تصفية جميع المواقع البرتغالية على طـــول شواطىء البحر الأحمر . و أصدر سليمان مجموعة من القوانيـــن المنظمـــة لشـئون الدولة من الداخل و لذلك لقب بالقانونى ، و توفى عام ١٥٦٦م فى أثناء قيادته لإحدى الحملات العسكرية على نهر الدانوب . و يعد سليمان القانونى آخر عظماء السـلاطين العثمانيين . (٢)

الحياة الإجتماعية و العلمية فى الدولة العثمانية

ساد المجتمع الطبقى الدولة العثمانية ، و ميز الباحثون أربع طبقات اجتماعيـــة ؛ وهى : طبقة الحكام العسكريين ، و طبقة الأحرار ، و طبقة العبيد . و الطبقة الحاكمة هى أفراد الأسرة السلطانية الحاكمة ، أما طبقة الأحرار فهى السواد الأعظم فى الدولة العثمانية الذين ولدوا مسلمين من أسر مسلمة و قد انحصــر عملــهم فــى التدريــس والقضاء و الزراعة و الحرف . أما طبقة العبيد فهى العبيد الذين يجلبون إلى الدولــة عن طريق الشراء أو الهدايا أو الضريبة أو كأسرى حرب ، و فى أغلب الأحيان كان العسكريون من طبقة العبيد . و قد تنوعت عناصر الســكان داخــل الإمبراطوريــة العثمانية و تباينت ، فإلى جانب العرب كان هناك الأتــراك و الأكــراد و التركمــان والشراكسة و الصرب و المجريون و البلغار والكروات و القبارصة والكريتيــون . و كما ضمت الدولة ألسنة متعددة منها العربيـــة و التركيــة واليونانيــة و المجريــة ، بالإضافة إلى لغات ميتة مثل السريانية و اللاتينية و العبرية . كما تعــددت الديانــات فوجد المسلم بمختلف مذاهبه ، و المسيحى و اليهودى ، و أنتج هذا التعدد العنصــرى أو الدينى أو اللسانى ثقافات متباينة داخل الدولة العثمانية . و يشير الدكتــور شــعبان خليفة إلى أن هذا الطابع العالمى للدولة العثمانية مع حريـــة التنقــل داخــل أرجــاء الإمبراطورية قد أتاح فرصة ذهبية للعلماء فى التأثير و التأثر بمختلف الثقافــات التى أحيطت بهم . (٣)

أما عن الجانب العلمى فقد اتخذت الدولة العثمانية مــن الديــن ســتاراً لكــل توسعاتها ، كما كان دافعاً للعديد من أعمالها ؛ فقد عمل العثمانيون على إنشاء المساجد فى كافة أرجاء الإمبراطورية وتحويل الكنائس إلى مساجد ، كما شــجعوا التصــوف والحركات الصوفية لما كان له تأثيره على فكر العلماء الذين عملوا على خدمة هــدف واحد هو الحقيقة الدينية و رفع شعار الإسلام . و قد ازدهرت الحركة العلميـــة فــى إستانبول ازدهاراً كبيراً و بخاصة بعد أن نقــل إليــهم ســليم الأول جميــع العلمــاء و الحرفيين المهرة و التجار و التحف و الكتب من سوريا و مصر و الحجاز وغيرها من البلاد فانتقلت الحركة العلمية إلى إستانبول ، و أصبح كل هذا متاحاً أمام العلمــاء

والباحثين في هذه الدولة و ساعد على ازدهار الحركة العلمية تشجيع آل عثمان للعلماء و الأدباء ، و إنشاء المدارس و المعاهد الدينية والكليات ، مثل كلية الفاتح والمدارس الثمانى . كما أنشئت العديد من المكتبات التى زخرت بما جلب إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، فتجمع بها التراث الإسلامى ، بالإضافة إلى المؤلفات التاريخية و الجغرافية عن بلاد الترك . كما انتشرت اللغة التركية انتشاراً عظيماً فى شبه جزيرة البلقان و المناطق المجاورة لها ، و ظهر العديد من الشعراء العظام مثل : دانى و باقى و فضولى . كما ظهر كتاب و ناشرون أمثال : ابن كمال و جلال زاده و مصطفى بك و مجدى أفندى . (٤)

أولاً : تصنيف طاشكبرى زادة (ت ٩٦٨هـ)

تضمن كتاب " مفتاح السعادة و مصباح السيادة " التصنيف الخاص بطاشكبرى زادة . (٥) ويعد هذا الكتاب موسوعة فى تاريخ العلوم العربية و الأدب العربى .

تصنيف طاشكبرى زادة من واقع كتاب مفتاح السعادة و مصباح السيادة

ينتمى تصنيف طاشكبرى زادة إلى المدرسة الثالثة فى التصنيف ، و هى نفس المدرسة التى ينتمى إليها تصنيف ابن الأكفانى ، و هى تجمع بين الجانب الفلسفى فى عرض العلوم و التعريف بحدود كل علم ، و السند الأدبى ، حيث تعرف بأهم الكتب فى كل علم ، و لذلك فإن تصنيفه لم يقم على أساس تقسيم الكتب، و إنما قسم العلوم حسب تصوره الفلسفى للمعرفة ، مع التعريف بأهم الكتب . و هو بذلك قد حقق ما نادى به " بليس " فى القرن العشرين من ضرورة الربط بين الطريقة المنطقية العلمية والطريقة الببليوجرافية العملية ، بحيث يتوافق التصنيف مع الإجماع العلمى التعليمى ؛ أى أن تدرج جزئيات المعرفة و تسلسلها المنطقى يتوافق مع الطريقة التعليمية التى تدرس بها العلوم فى الكليات . (٦)

الهدف من كتاب مفتاح السعادة و مصباح السيادة لطاشكبرى زادة

أن الهدف الرئيسى من تأليف طاشكبرى زادة هذا الكتاب هو تقديم دليل دراسى لكل طالب علم لمساعدته فى تحصيل العلوم وبيان طرق التحصيل . فقد قدم المؤلف لكتابه بأربع مقدمات فى العلم و التعليم و شروطه(٧) تعد تمهيدا لما أراده لكتابه من الوصول به ليكون دليلا دراسيا ، و قد عمد المؤلف إلى تسجيل المؤلفات فى كل علم مع توضيح قدرها و أهميتها ، و التعريف بالمؤلفين لتحقيق هدف تربوى تعليمى ، أن يكونوا قدوة و مثلا أعلى فيحتذى بهم ، و قد تم ذلك كما يقول المؤلف فى كل عمل أصلا و فرعا ؛ معنى ذلك أن المؤلف قصد إلى تقسيم العلوم إلى علوم عامة تتفرع منها علوم جزئية ، و كل منها يشير إلى الكتب المصنفة فيها و أسمائها ومؤلفيها ، و من هنا فقد جاء الكتاب ليكون كتابا فى تصنيف العلوم ، و كتابا ببليوجرافيا ، و كتاب تراجم ، و دليلا دراسيا لكل طالب علم .

خطة طاشكبرى زادة فى التصنيف

سارت خطة طاشكبرى زادة التصنيفية على النحو التالى :

الدوحة الأولى : فى بيان علوم الخطية ، و فيها مقدمة و شعبتان :

المقدمة : فى فضيلة الخط و بيان الحاجة إليه و كيفية وضعه .

الشعبة الأول : فى العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية .

علم أدوات الخط

علم قوانين الكتابة

علم تحسين الحروف

علم كيفية تولد الخطوط عن أصولها

علم ترتيب حروف التهجى

الشعبة الثانية : فيما يتعلق بإملاء الحروف المفردة

علم تركيب أشكال بسائط الحروف

علم إملاء الخط العربى

علم خط المصحف

علم خط العروض

الدوحة الثانية : فى علوم تتعلق بالألفاظ ، و فيها مقدمة و عدة شعب :

المقدمة :

الشعبة الأولى : فيما يتعلق بالمفردات

علم مخارج الحروف

علم اللغة

علم الوضع

علم الاشتقاق

علم الصرف

الشعبة الثانية : فيما يتعلق بالمركبات

علم النحو

علم المعانى

علم البيان

علم البديع

علم القوافى

علم قرض الشعر

علم مبادىء الشعر

علم الإنشاء

علم مبادىء الإنشاء و أدواته

علم المحاضرة

علم الدواوين

علم التواريخ

الشعبة الثالثة : فى فروع العلوم العربية

علم الأمثال

علم وقائع الأمم و رسومهم

علم استعمالات الألفاظ

علم الترسل

علم الشروط و السجلات

علم الأحاجى و الأغلوطات

علم الألغاز

علم المعمى

علم التصحيف

علم المقلوب

علم الجناس

علم مسامرة الملوك

علم حكايات الصالحين

علم أخبار الأنبياء

علم المغازى و السير

علم تاريخ الخلفاء

علم طبقات القراء

علم طبقات المفسرين

علم طبقات المحدثين

علم سير الصحابة و التابعين

علم طبقات الشافعية

علم طبقات الحنفية

علم طبقات المالكية

علم طبقات الحنابلة

علم طبقات النحاة

علم طبقات الحكماء

علم طبقات الأطباء

الدوحة الثالثة : فى علوم باحثة عما فى الأذهان من المعقولات ، و فيها مقدمة وشعبتان :

المقدمة :

الشعبة الأولى : فى علوم آلية تعصم عز الخطأ فى الكسب

علم المنطق ، و يسمى علم الميزان

الشعبة الثانية : فى علوم تعصم عن الخطأ فى المناظرة و الدرس

علم آداب الدرس

علم النظر

علم الجدل

علم الخلاف

الدوحة الرابعة : فى العلم المتعلق بالأعيان

المقدمة :

الشعبة الأولى : فى العلم الألهى

العلم الألهى

الشعبة الثانية : فى فروع العلم الألهى

علم معرفة النفوس الإنسانية

علم معرفة الملائكة

علم معرفة المعاد

علم إمارات النبوة

علم مقالات الفرق

علم تقاسيم العلوم

الشعبة الثالثة : فى العلم الطبيعى

الشعبة الرابعة : فى فروع العلم الطبيعى

علم الطب

علم البيطرة

علم البيزرة

علم النبات

علم الحيوان

علم الفلاحة

علم المعادن

علم الجواهر

علم الكون و الفساد

علم قوس قزح

علم الفراسة

علم تعبير الرؤيا

علم أحكام النجوم

علم السحر

علم الطلسمات

علم السيمياء

علم الكيمياء

الشعبة الخامسة : فى فروع العلم الطبيعى ، و فيها عدة عناقيد

علم التشريح

علم الكحالة

علم الأطعمة و المزورات

علم الصيدلة

علم طبخ الأشربة و المعاجين

علم قلع الآثار من الثياب

علم الجراحة

علم الفصد

علم الحجامة

علم المقادير و الأوزان المستعملة

فى علم الطب

علم الباه

العنقود الأول : فى فروع علم الطب

العنقود الثانى : فى فروع علم الفراسة .

علم الشامات و الخيلان

علم الأسارير

علم الأكتاف

علم قيافة الأثر ، و يسمى علم العيافة

علم قيافة البشر

علم الاهتداء بالبرارى و الأقفار

علم الريافة

علم استنباط المعادن

علم نزول الغيث

علم العرافة

علم الاختلاج

العنقود الثالث : فى فروع أحكام النجوم

علم الاختيارات

علم الرمل

علم الفال

علم القرعة

علم الطيرة و الزجر

العنقود الرابع : فى فروع السحر

علم الكهانة

علم النيرنجات

علم الخواص

علم الرقى

علم العزائم

علم الاستحضار

علم دعوة الكواكب

علم الفلقطيرات

علم الإخفاء

علم الحيل الساسانية

علم كشف الدك و إيضاح الشك

علم الشعبذة و التخيلات

علم تعلق القلب

علم الاستعانة بخواص الأدوية و المفردات

الشعبة السادسة : فى العلوم

الرياضة

علم الهندسة

علم الهيئة

علم العدد

علم الموسيقى

الشعبة السابعة : فى فروع الهندسة

علم عقود الأبنية

علم المناظر

علم المرايا المحرقة

علم مراكز الأثقال

علم جر الأثقال

علم المساحة

علم إنباط المياه

علم الآلات الحربية

علم الرمى

علم التعديل

علم البنكامات

علم الملاحة

علم السباحة

علم الأوزان و الموازيين

علم الآلات المبنية على ضرورة عدم الخلاء

الشعبة الثامنة : فى فروع علم الهيئة

علم الزيجات و التقاويم

علم كتابة التقاويم

علم حساب النجوم

علم كيفية الأرصاد

علم الآلات الرصدية

علم المواقيت

علم الآلات الظلية

علم الأكر

علم الأكر المتحركة

علم تسطيح الكرة

علم صور الكواكب

علم مقادير العلويات

علم منازل القمر

علم الجغرافيا

علم مسالك البلدان و الأمصار

علم معرفة البرد و مسافاتها

علم خواص الأقاليم

علم الأدوار و الأكوار

علم القرانات

علم الملاحم

علم مواسم السنة

علم مواقيت الصلاة

علم وضع الأسطرلاب

علم عمل الأسطرلاب

علم وضع ربع الدائرة المجيب و المقنطرات

علم ربع الدائرة

علم آلات الساعة

الشعبة التاسعة : فى فروع علم العدد

علم حساب التحت و الميل

علم الجبر و المقابلة

علم حساب الخطأين

علم حساب الدور و الوصايا

علم حساب الدرهم و الدينار

علم حساب الفرائض

علم حساب الهواء

علم حساب العقود

علم أعداد الوفق

علم خواص الأعداد المتحابة و المتباغضة

علم التعابى العددية فى الحروف

الشعبة العاشرة : فى فروع علم الموسيقى

علم الآلات العجيبة

علم الرقص

علم الغنج

الدوحة الخامسة : فى الحكمة العملية

الشعبة الأولى : فى علم الأخلاق

الشعبة الثانية : فى علم تدبير المنزل

الشعبة الثالثة : فى علم السياسة

الشعبة الرابعة : فى فروع الحكمة العملية

علم رسم كتابة القرآن فى المصاحف

علم آداب كتابة المصحف

المطلب الثانى : فى فروع علم الحديث

علم شرح الحديث

علم أسباب ورود الحديث و أزمنته و أمكنته

علم ناسخ الحديث و منسوخه

علم تأويل أقوال النبى ــ صلى الله عليه و سلم ــ .

علم رموز أقوال النبى ــ صلى الله عليـــه و ســـلم ــ و إشاراته .

علم غرائب لغات الحديث

علم دفع مطاعن الحديث

علم تلفيق الأحاديث

علم أحوال رواة الأحاديث

علم طب النبى ــ صلى الله عليه و سلم ــ .

المطلب الثالث : فى فروع علم التفسير

علم معرفة المكى و المدنى

علم معرفة الحضرى و السفرى

علم معرفة النهارى و الليلى

علم معرفة الصيفى و الشتائى

علم معرفة الفراشى و النومى

علم معرفة الأرضى و السماوى

علم معرفة أول ما نزل

علم معرفة سبب النزول

علم معرفة ما نزل على لسان بعض الصحابة

علم معرفة ما تكرر نزوله

علم معرفة ما تأخر حكمه عن نزوله و ما تأخر نزولـــه عن حكمه

علم معرفة ما نزل مفرقا و ما نزل جمعا

علم معرفة ما نزل مشيعا و ما نزل مفردا

علم معرفة ما نزل على بعض الأنبياء و ما لم ينزل منـــه على أحد قبل النبى – صلى الله عليه و سلم – .

علم معرفة كيفية إنزال القرآن الكريم

علم معرفة أسمائه و أسماء صوره

علم معرفة جمعه و ترتيبه

علم معرفة عدد سوره و آياته و كلماته و حروفه

علم معرفة حفاظه و رواته

علم معرفة العالى و النازل من أسانيده

علم معرفة المتواتر و المشهور و الآحاد و الموضـــوع و المدرج

علم معرفة بيان الموصول لفظا المفصول معنى

علم معرفة الإمالة و الفتح و ما بينهما

علم معرفة الإدغام و الإظهار و الإخفاء و الإقلاب

علم معرفة المد و القصر

علم معرفة تحقيق الهمزة

علم معرفة كيفية تحمل القرآن

علم معرفة آداب تلاوته و تاليه

علم معرفة جواز الاقتباس و ما جرى مجراه

علم معرفة غريب القرآن

علم معرفة ما وقع فيه بغير لغة الحجاز

علم معرفة ما وقع فيه من غير لغة العرب

علم معرفة الوجوه و النظائر

علم معرفة معانى الأدوات التى يحتاج إليها المفسر

علم معرفة إعرابه

علم معرفة قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر

علم معرفة المحكم و المتشابه

علم معرفة مقدم القرآن و مؤخره

علم معرفة عام القرآن و خاصه و مجمله و مبنيه

علم معرفة ناسخ القرآن و منسوخه

علم معرفة مشكل القرآن و موهم الاختلاف و التناقض

علم معرفة مطلق القرآن و مقيده

علم معرفة منطوق القرآن و مفهومه

علم معرفة وجوه مخاطباته

علم معرفة حقيقة ألفاظ القرآن و استعاراته

علم معرفة كنايات القرآن و تعريضاته

علم معرفة الحصر و الاختصاص

علم معرفة الإيجاز و الإطناب

علم معرفة الخبر و الإنشاء

علم معرفة بدائع القرآن الكريم

علم معرفة فواصل الآى

علم معرفة فواتح السور

علم معرفة خواتم السور

علم معرفة مناسبة الآيات و السور

علم معرفة الآيات المشتبهات

علم معرفة إعجاز القرآن الكريم

علم معرفة العلوم المستنبطة من القرآن الكريم

علم معرفة أمثال القرآن الكريم

علم معرفة أقسام القرآن الكريم

يبدأ طاشكيرى زادة كتابه بأربع مقدمات ، الأولى : فى بيان فضيلة العلم والتعليم . و الثانية : فى شرائط المتعلم وو ظائفه . و الثالثة : فى وظائف المعلم . والرابعة : فى بيان النسبة بين طريق النظر و طريق التضحية . و تعد المقدمات الثلاث الأولى تلخيصا أمينا للمنهج التربوى عند علماء المسلمين متضمنة مبادىء علمية و أسس منهجية تعد عماد المنهج التربوى . كما تضمنت آداب الفتيا و آ داب القضاء . وقد ساعد المؤلف فى كتابة هذه المقدمات قيامه بالتدريس فترة طويلة تقوب من ربع قرن فى المدارس المختلفة ، كذلك توليه القضاء فترة من الزمن ، و من ثم فهذه المقدمات تعد نتاج الممارسة العملية لمهنتى التدريس و القضاء اللتين مارسهما طاشكبرى . و يلاحظ تشابه هذه المقدمات الثلاث مع المقدمات التى ذكرها الأنصارى فى بداية كتابه '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' ، حيث بدأ هو الآخر بالحديث عن التعليم و التعلم و شروطهما . و يلاحظ التوسع فى عرض الموضوع و التمكن بالإضافة إلى ما تطرق إليه طاشكبرى من آداب الفتيا و القضاء ، فإذا كان طاشكبرى قد استفاد من طريقة ابن الأكفانى فى البدء بهذه المقدمات ، إلا أن معالجته لها جاءت عن خبرة عملية و ممارسة فعلية لخصها فى هذه المقدمات . و تعكس المقدمة الرابعة نزعة المؤلف الصوفية بحكم نشأته و تربيته الدينية فى بيت علم و دين ، و هذا ما انعكس على صفاته الخلقية و العلمية ، و بالتالى على تصنيفه .

و بعد المقدمات الأربع يتطرق إلى مقدمة فى بيان حصر العلوم فى الإجمال ، و هو يوضح فيها طريقته فى تقسيم الكتاب ، حيث قسم المادة العلمية إلى سبع درجات فى طرفين (أى قسمين) : الطرف الأول أو القسم الأول يشمل ست دوحات ، و الطرف الثانى يشمل الدوحة السابعة ، ثم يقسم كل منهما إلى شعب ، و كل شعبة إلى عدد من العلوم .

و قد جاء تقسيم طاشكبرى زادة للعلوم يحكمه منطق معين وفلسفة محددة كان المؤلف واعيا بها تماما . (٨) حيث يرى أن المعرفة تنحصر فى أربعة مجالات رئيسة : ما يتعلق بالخط و الأبجديات ، و عبر عنها بـ (الكتابة) ، و ما يتعلق بالألفاظ أو اللغة ، و هى وسيلة التخاطب ، وعبر عنها بـ (العبارة) ، و ما يتعلق

بتقويم العقل و إرشاده الى طريقة صياغة المعانى ، و عبر عنها بـ (الأذهان) ، و ما يتعلق بالعلوم الحكمية و العلوم الشرعية ، و عبر عنها بـ (الأعيان) . واعتبر المجالات الثلاثة الأولى علوما الية و وسائل للعلوم المتعلقة بالأعيان . و على هذا الأساس قسم العلوم إلى سبع دوحات ، يعد كل منها فى بيان أصل من الأصول السبعة، و يرتب هذه الأصول على أساس أن كل سابق منها وسيلة إلى اللاحق عليه ؛ فخصص الدوحة الأولى للعلوم الخطية ، و قدمها على الدوحة الثانية فى الألفاظ على اعتبار أن الكتابة وسيلة لضبط اللغة ، كما أن الخط أفضل من الألفاظ لأن اللفظ يفهم الحاضر الذى يسمعه بينما الخط يفهم الحاضر الذى سمع والغائب من خلال قراءته . وتعد الدوحة الثانية (فى الألفاظ) وسيلة للدوحة الثالثة المتعلقة بالأذهان ، ويمثلها علم المنطق الذى هو للمعانى ومن هنا فالألفاظ وسيلة لتكوين المعنى وصياغته . كما أن الدوحة الثالثة بمثابة العلوم الآلية المعنوية التى تعصم الذهن عن الخطأ سواء كان ذلك فى البحث أو فى الدراسة أو فى المناظرة أو فى الدرس ، و من هنا فهى وسيلة للعلوم المتعلقة بالأعيان ، و هى تبحث فى اتجاهين هما : البحث على ما يقتضيه الشرع ، و هى العلوم الشرعية . و هو يقدم العلوم الحكمية على العلوم الشرعية لأسبقيتها فى التدوين و البحث ، فالاعتبار هنا للفارق الزمنى وليس لشرف العلم كما وجد عند السيوطى أو ابن الأكفانى . و يفرق فى العلوم الحكمية بين نوعين : علوم نظرية تبحث فى الموجودات الخارجية ، و علوم عملية تختص بالتشريعات البشرية لتنظيم حياة الأشخاص ، و على هذا الحال العلوم الشرعية التى تبحث فى قواعد التشريعات الإلهية ، فيقدم الحكمة العملية على العلوم الشرعية على أساس أسبقيتها فى التدوين . (٩) و تأتى الدوحة السابعة فى علوم التصفية ، التى يراها ثمرة العمل بكل ما تقدم من العلم ، و يعطى فى كل دوحة مقدمة توضح مجال العلوم التى تشمل عليها ، و تفسيرا بطريقة تقسيمها التى وردت بها ، ثم يقسم كل دوحة إلى عدد من الشعب ، وكل شعبة إلى عدد من العلوم . ويتدرج فى عرض الشعب أو العلوم بشكل منطقى ، و أحيانا يوضح سبب تقديم بعض الشعب عن الأخرى ، أو تقديم بعض العلوم على غيرها و أحيانا لا يقدم تفسيرا ؛ فالدوحة الأولى تتدرج فيها الشعب بطريقة منطقية ، فيبدأ بالعلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية ، التى تتضمن مجموعة

الأدوات و القوانين التى يحتاج إليها عند الكتابة ، ثم تأتى السعبة الثانية فيما يتعلق بعملية الكتابة نفسها (و فيما يتعلق بإملاء الحروف) ، و يرتب شعب الدوحة الثانية وعلومها ترتيبا منطقيا موضحا فلسفته فى هذا الترتيب فى مقدمة هذه الدوحة ، و ذلك على اعتبار الحاجة فى تميز اللغة العربية من غيرها من اللغات من حيث عدد حروفها وكيفية نطقها ، و من هنا بدأ بعلم مخارج الحروف ، ثم التعرف على كيفية وضع الكلمة للدلالة على المعنى ، و هو مايعرف بعلم اللغة ، ثم يأتى البحث عن اشتقاقات الكلمة وما يطرأ عليها من تبديل الحروف الأصلية أو الزائدة بعضها من بعض وهو ما يخص علم الاشتقاق والصرف. وهذه العلوم السابقة تتناول البحث عن المفردات اللغوية ، و من ثم بدأ الشعبة الأولى من الدوحة الثالثة فيما يتعلق بالمفردات ، ثم ينتقل إلى العلوم التى تتعلق بالمركبات ، و ليس المقصود بها الكلمة كلفظ و لكن مجموعة الكلمات المكونة لجملة، و هنا نلاحظ التدرج المنطقى لعرض شعب الدوحة الثانية ، و تتدرج علوم الشعبة الثانية تدرجا منطقيا من حيث اعتماد اللاحق على السابق ، حيث يبدأ بعلم النحو المتعلق بكيفية الإعراب لما له من فائدة فى تجنب الخطأ فى تطبيق التراكيب العربية على المعانى الوضعية ، وتتضح أهميته فى اعتماد علوم البلاغة اللاحقة عليه لتناولها التراكيب اللغوية و الألفاظ من حيث دلالتها على المعنى ، ثم ينتقل إلى العلوم الأدبية التى تتناول الشعر و النثر ، و يرى ما تتضمنه الشعبة الأولى والثانية فى جملة أصول العلوم العربية ، و تأتى الشعبة الثالثة فى فروعها . ويتناول فى الدوحات الثالثة و الرابعة و الخامسة علوم الأوائل ، التى يبدأها بعلم المنطق باعتباره المدخل إلى العلوم الفلسفية و الحكمة ، و هو ما تتناوله الدوحتان اللاحقتان ، ثم تأتى الدوحة الرابعة فى الحكمة النظرية ، و يقسمها بمنطق المصنفين السابقين عليه مثل الفارابى و ابن سينا و الطوسى وابن الأكفانى ، و ذلك من حيث بحثها عن الموجودات فى ثلاثة اتجاهات ؛ فالقسم الأول يبحث فى أمور مجردة عن المادة وهو العلم الأعلى أو العلم الالهى . و القسم الثانى يبحث فى أمور يصح تجردها عن المادة فى الذهن فقط ، و من هنا فهو لايتجرد عن المادة كلية ، وهو ما يعرف بالعلم الأوسط ، أو العلم الرياضى . و القسم الثالث يبحث عن طبائع الأجسام الطبيعية ، و من هنا فهو يبحث فى أمور مادية فى الذهن و فى الخارج و هو

ما يسمى بالعلم الأدنىأو العلم الطبيعى ، وهذه العلوم هى أصول الحكمة النظرية ، و يأتى ترتيبها بتقديم العلم الإلهى لشرفه ثم العلم الأوسط ثم العلم الأدنى . (١٠) و لكنه عند العرض قدم العلم الطبيعى (العلم الأدنى) على العلم الأوسط ، وهو العلم الرياضى ، و ذلك تحقيقا لمبدئه فى عرض العلوم من حيث أن العلم السابق وسيلة إلى العلم اللاحق عليه ؛ فالعلم الإلهى يمهد الذهن لباحث العلم الطبيعى من حيث بحثه فى مبادىء العلوم و بيان مقدماتها و مبادئها ، كما أن العلم الطبيعى يمهد للعلم الرياضى من حيث استمداد العلم الهندسى وعلم الهيئة بعض مبادئها من العلم الطبيعى ، حيث إن معلوماتهما الحسية تتمثل فى شكل مادى سواء كان مجسما فى الهندسة أو فى جسم طبيعى فى علم الهيئة مثل الأجرام السماوية. (١١) و يأتى تقسيم كل أصل من علوم الحكمة النظرية إلى عدد من الشعب تصل إلى ست شعب ؛ فيقسم العلم الإلهى إلى شعبتين الأولى فى العلم الأصلى والثانية فى العلم الفرعى ، و يخصص للعلم الطبيعى ثلاث شعب من الثالثة إلى الخامسة ، الأولى منها فى أصول العلم الطبيعى ، و الثانية فى الفروع ، و الثالثة فى فروع الفروع ، و هنا نلاحظ التسلسل المنطقى فى ترتيب الشعب . ويخصص الشعب من السادسة فى أصول العلم الرياضى ، و من الشعبة السابعة إلى العاشرة فى فروع العلم الرياضى ، وتعرض الدوحة الخامسة (علوم الحكمة العلمية) فى أربع شعب، الثلاث الأولى منها فى أصول الحكمة العملية ، و الشعبة الرابعة فى فروعها ، و إن كان يقصرها على فروع علم السياسة فقط . وتأتى الدوحة السادسة فى الجزء الثانى من العلوم الباحثة ، و هى العلوم الشرعية . و يبنى ترتيبها على أساس شكلى منهجى كما فعل ابن الأكفانى تماما ، بل إنه ينقل ألفاظ عبارته نفسها ، فيقول إن العلوم الاعتقادية إما متعلقة بالنقل ، أو فهم المنقول أو تقرير وتشيد بالأدلة ، أو استخراج الأحكام المستنبطة . (١٢) ومن ثم فقد جعل الترتيب على أساس طريقة الواسطة التى انتقل بها العلم ، لا على أساس الموضوع و المحتوى ، فجعل ما يخص النقل ، أى العلوم التى وصلت عن طريق الرواية ، و هى : علم القراءات ، ورواية الحديث ، وما يخص فهم المنقول ، أى العلوم التى تستخدم الدراسة ، و هى : علم التفسير ، و علم دراسة الحديث ، وما يخص التقرير ، أى العلوم التى تقوم على الأدلة معا ، و هى: علم أصول الدين ، و علم أصول الفقة ، ثم

ما تقوم على استخراج الأحكام ، و هو :علم الفقة ، و فى النهاية علم التصوف الـــذى يقوم على السلوك ؛ أى التطبيق العملى لما سبقه من العلوم الشـــرعية ، و هـــو مـــا تضمنته الدوحة السابعة .

و يتضح مما تقدم أنه لم يحافظ على مبدأ تجاور الموضوعات المتشابهة أو ذات الوحدة الموضوعية ، ففصل علم القراءات الخاص بعلوم القرآن ، و هو أوثق اتصـــالا بالتفسير منه بعلم رواية الحديث ، وعلم رواية الحديث أوثق اتصـــالا بعلـــم دراســـة الحديث منه بعلم التفسير . كما أنه أخر علم أصول الدين الـــذى يـــأتى فـــى معظـــم التصانيف – من جهةشرفه – فى قمة العلوم الشرعية الإسلامية ، و فى الوقت نفســـه قدمه على علم أصول الفقه الذى يعد بمثابة العلم الخاص من العلم العام .

و قسم الدوحة السادسة إلى ثمانى شعب ، اختصت السبعة الأولـــى بـــأصول العلوم الشرعية، و خصص الثامنة فى فروع العلوم الشرعية السبعة .

القواعد و المفاهيم فى تصنيف طاشكبرى زادة

يعد تصنيف طاشكبرى زادة نموذجا متكاملا للتصانيف العربية الإســـلامية ، وقد تمثلت فيه العديد من القواعد و المفاهيم التصنيفية التى أقرها المصنفون العـــرب المسلمون ، كما امتلأ تصنيفه بالعديدمن المواضع التى تعطى أمثلة علـــى ابتكاراتـــه التصنيفية التى أقرها و استخدمها مصنفو العصر الحديث . و قد برز فـــى تصنيفـــه العديد من العلاقات بين العلوم ، و منها :

- **علاقة التساوى** التى وجدت لها نماذج متعددة فى تصنيفه ، و منها ما ورد مـــن علوم الشعبة الثانية فى الدوحة الثانية ، مثل علم النحو ، و علم المعانى ، و علـــم العروض ، التى تبحث فى موضوع واحد هو الألفاظ العربية ، و لكن الأول يبحث فى أحوال الكلمات العربية إعرابا و بناء ، و الثانى من حيث مطابقة اللفظ العربى لمقتضى الحال ، و الثالث فى أحوال الأوزان المعتبرة فى الشـــعر ، و فـــى الوقت نفسه تتبع علما أعلى ، هو علم اللغة .
- **علاقة اشتمال وتبعية** ، و يطلق عليها '' بليس '' اسم التفريع الذى يعنى تـــدرج الموضوعات الأصغر فى الموضوعات الأكبر بنفس القدر من المنطقية و التسلسل الموجود فى الروابط بين الموضوعات الأكبر . (١٣) و هذا ما اتبعه طاشكبرى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زادة فى عرض العلوم فى تصنيفه التى صارت متدرجة من العلم الكلى إلى العلم الجزئى ؛ فقد قسم المعرفة إلى سبع لوحات تمثل الأقسام الرئيسية فى المعرفة ، ثم تتدرج من الدوحة إلى عدد من الشعب تمثل العلوم الأصلية ، ثم فروع من شعب العلوم الفرعية ، و قد يستمر فى التفريع إلى فروع الفروع كما فى تقسيمه لعلوم العلم الطبيعى .

- **علاقة ترابط** ، و هى من العلاقات التى نادى بها '' بليس '' ، و تعنى جمع المجموعات المتجانسة معا ، حيث توجد بينها علاقات قوية . (١٥) و قد عمل طاشكيرى زاد' على تجاوز الموضوعات المتشابهة ، مثل تجاور علوم الكتابة واللغة و الأدب فى الدوحتين الأولى و الثانية ، كما تجاورت العلوم البحتة وتطبيقاتها ، مثل العلوم الأصلية للعلم فى الشعبة السادسة ، التى تعد بمثابة العلوم النظرية و العلوم المفرعة عنها ، و التى تدخل فى نطاق العلوم التطبيقية فى الشعب التالية لها من الدوحة السادسة ، كذلك معالجة العلوم الشرعية و علوم التصفية متجاورة فى الدوحتين السادسة والسابعة .

و من الأمور الأخرى التى تمثل ابتكارات طاشكبرى زادة فى التصنيف ، والتى أقرها مصنفو العصر الحديث : اتباعه مبدأ التفصيل الشديد و التصنيف الدقيق ، و هو من المبادىء التصنيفية المقررة فى العصر الحديث ، فقد عرف العلم وموضوعه وغايته و الحكايات التى وردت حوله . و اتباعه مبدأ التسلسل الذى نادى به '' كونت '' فى القرن التاسع عشر ، الذى أخذه عنه '' بليس '' و أسماه : '' التداعى بالخصوصية '' . (١٥) و يعنى هذا المبدأ أن العلوم تسير فى ترتيب متسلسل يقلل من التعميم ليزيد من التعقيد ، فكل علم في تصنيفه يبنى على العلم السابق ، أى أن كل علم خادم للعلم التابع له ، و و سيلة له . و على هذا الأساس يتم التدرج للعلوم الأساسية فى تصنيف كونت . و إذا ما قارنا هذا المبدأ بما عند طاشكبرى زادة فإن طاشكيرى زادة قد صرح باستخدام هذا المبدأ فى بداية تصنيفه فى عبارة موجزة دون أن يعطى لهذا المبدأ تسمية ، فهو يقول : '' إعلم أن للأشياء وجود فى أربع مراتب فى الكتابة و فى العبارة و فى الأذهان و فى الأعيان ، و كل سابق منها وسيلة إلى اللاحق ، لأن الخط دال على الألفاظ ، و هذه ما فى

الأذهان.(١٦) و من هنا يحدد طاشكيرى زادة المجالات الرئيسية للمعرفة ، و يرى أنها تسير فى ترتيب متسلسل من حيث أن كل علم فيها خادم للعلم التابع له ، وكل علم مبنى على العلم السابق له ، لذالك بدأ بأعم العلوم المتمثل فى الخط ثم الألفاظ التى تعد أكثر تعقيدا و المبنية على الخط ، ثم الأكثر تعقيدا و هو المتعلق بالعقل و تنظيم الفكر ، والذى يعتمد أساسا على الألفاظ لأنها تؤدى إلى تكوين المعانى الخاصة به ، ثم هو بدوره يؤدى إلى بقية العلوم التابعة له لاستخدامها قوانين الفكر ، و من ثم فقد سبق طاشكيرى زادة المصنفين الغربيين بعدة قرون فى تطبيق مبدأ من أهم مبادىء التصنيف فى العصر الحديث ، و طبقه تطبيقا متقنا على ترتيب العلوم فى تصنيفه . وهذا يدل على أن جذور الأسس الفلسفية للتصنيف فى العصر الحديث قد وجدت عند المصنفين العرب و المسلمين .

و يعد الجانب الموضوعى من الأمور التى تناولها مصنفو القرن التاسع عشر، فيذكر '' فيكرى *Vickery* '' أن القاعدة الموضوعيةكانت محور مناقشات واهتمامات مصنفى القرن التاسع عشر ، وقد أشار فيكرى إلى محاولة الفارابى تقسيم العلوم نسبة إلى ماتشمله من مادة علمية و ما تتضمنه من أفكار موضوعية . وكما أشرنا من قبل من اعتماد الأنصارى على الجانب الموضوعى فى عرض علومه ، وقد أكد حاجى خليفة على الجانب الموضوعى استخدام المصنفين العرب له، و هذا ما نجده عند طاشكيرى زادة الذى عرض لكل علم محددا تعريفه بدقة ، وموضحا حدوده الموضوعية من حيث المبادىء التى يعتمد عليها ، أو الغاية منه ، أو مدى علاقته بغيره من العلوم و استفادته منها ، كما نجده فى أكثر من موضع يرسم حدود الموضوع بدقة بحيث يفصله تماما عن غيره من العلوم ، و هذا ما نجده فى علم الاشتقاق ، و توضيحه الفروق الدقيقة بينه و بين علم الصرف ، و ما وقع للكتاب من اشتباه لهذا العلم حتى درجوه ضمن علم الصرف . (١٧)

ومن الوسائل التى استخدمها مصنفو العصر الحديث للربط بين الموضوعات (الإحالات) ، وقد امتلأ تصنيف طاشكبرى زادة بمواضع متعددة استخدم فيها الإحالة للربط بين الموضوعات سواء كانت إحالة سابقة تدل على ربط الموضوع بماسبقه أو إحالة لاحقة لربط العلم بموضوع أو علم لاحق عليه . و اذا كان مصنفو العصر

الحديث يستخدمون لها ألفاظا مقننة مثل : انظر أو انظر أيضا ، فإن طاشكبرى عبر عنها بمفهوم إجمالى ليفيد إحالة القارئ إلى المكان المحدد لوجود الموضوع أو العلم . وقد هدف من وراء استخدامها إلى مقاصد منها : توضيح الأماكن الأخرى فى التصنيف لمعالجة العلم ، لأنه يعد الأفضل ، أو الإشارة إلى معالجة العلم من وجهة نظر مختلفة تؤدى به إلى أن يكون أيضا من فروع علم آخر . ومن الأمثلة على ذلك:

- علم خط المصحف ، فى الشعبة الثانية من الدوحة الأولى ، يقول عنه : " إن كان من فروع علم الخط – من حيث كونه باحثا عن نوع من الخط – لكنا نبحث عنه فى علوم تتعلق بالقرآن الكريم . (١٨) و يعيد معالجته مرة أخرى بتسمية مختلفة : علم رسم كتابة القرآن فى المصاحف ، وذلك فى الطلب الأول من الشعبة الثامنة فى الدوحة السادسة ، وهناك أيضا يشير إلى أنه من علوم تتعلق بالألفاظ .
- علم خط العروض ، فى الشعبة الثانية من الدوحة الأولى ، يقول عنه : " و إن كان من أنواع علم الخط ، ولكن لما كان من فروع علم العروض أيضا أخرنا تفضيله وتفصيل ما فيه من المصنفات إلى هناك " . (١٩)
- علم حساب الفرائض ، فى الشعبة التاسعة من الدوحة الرابعة : يذكره ضمن فروع علم الحساب ، و يشير إلى معالجته بشكل مفصل ضمن فروع العلوم الشرعية ، وبالبحث عنه نجده ضمن فروع علم الفقه ، فى المطلب السابع من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة .
- علم إعداد الوقت ، فى الشعبة التاسعة من الدوحة الرابعة : يذكره ضمن فروع علم الحساب ، ويشير إلى أنه من فروع علم الخواص ، و إذا بحثنا عن علم الخواص نجده يشير إلى علم الوقف فى علم الخواص الروحانية ، فى المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة .

و من الأمثلة على استخدامه حالة النظر المخصصة التى تشير إلى المكان المستخدم فعلا لمعالجة الموضوع :

- علم معرفة الإمالة و الفتح و ما بينهما ، و علم معرفة الإدغام و الإظهار و الإخفاء و الإقلاب ، فى المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، حيث يقول : " كل هذه مفصلة فى علم القراءة فليعلم من كتبها " . (٢٠)
- علم معرفة علم القرآن و خاصه و مجمله و مبينه ، فى المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، فيقول عنه : " و مباحث هذا العلم فى علم الأصول ، و من أتقنها سهل عليه معرفتها فى الآيات القرآنية " . (٢١)
- علم معرفة مرسوم الخط و آداب كتابته ، فى المطلب الثالث من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، فيقول عنه : " و هذا العلم قد ينتج من فروع علم القراءة أيضا ، و قد فصلناه هناك فلا نعيده ، إذ التكرار مما يعاب عند أولى الألباب " . (٢٢)

و يلاحظ عدم معالجة هذه العلوم فى مواضعها التى يذكرها ، و إنما يشير إلى المكان الأساسى الذى يعالج فيه العلم .

و من الأمثلة على إحالة انظر ما يقوله عن علم الزهد و الورع فى المطلب الرابع من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة : " و لما كان هذا العلم نتيجة علم الحديث و ثمرته جعلناه من فروعه " . (٢٣) ثم يشير إلى أنه سوف يعالجه فى الطرف الثانى من الرسالة مع العلوم الكشفية ، و بالبحث عن هذا العلم فى الدوحة السابعة نجده فى الأصل الرابع من الشعبة الرابعة من الدوحة السابعة تحت مسمى : فى العصى و الزهد .

كما وجدت فى تصنيف طاشكبرى زادة إحالة عمياء ؛ ففى علم إملاء الخط العربى ، فى الشعبة الثانية من الدوحة الأولى ، يقول : " هذا العلم من حيث حصول الحروف بالآلة من أنواع علم الخط ، و من حيث دلالتها على الألفاظ من فروع علم العربية ، و سنعرف تفاصيلها هناك " . (٢٤) وبالبحث عنه فى فروع العلوم العربية لانجد له ذكرا .

و قد تضمن تصنيف طاشكبرى زاده مواضع أخرى متعددة ، تظهر على جوانب جديدة من إبتكاراته فى التصنيف ، و منها : استخدام مبدأ التحليل و التركيب ، و هو ما نادى به " رانجاناثان " فى العصر الحديث ، الذى يتلخص - كما وضعه

رانجاناثان – فى تحليل الموضوع إلى عناصره و إعطاء كل عنصر فى الموضوع رقمه المناسب من القوائم ، ثم إعادة تركيب هذه العناصر معا لتكوين رقم التصنيف المركب باستعمال علامات الربط المناسبة للتعبير عن الموضوع ، حيث يسجل الخصائص العامة التى يطلق عليها الأوجه ، ثم يتم ربط أرقامها للتعبير بدقة عن موضوع الوثيقة . و قد حصرت هذه الأوجه فى خمسة مفاهيم أساسية هى : الشخصية و المادة و الطاقة و المكان و الزمان . و كل وجه من هذه الوجوه يركب إلى الموضوع عن طريق علامات ترقيم تستعمل كمؤشر وجهى . (٢٥) و هذا التحليل الذى جاء به '' رانجاناثان '' نجد ما يماثله عند طاشكبرى زادة الذى حصر العلوم فى أربع مراتب و هى : الخط و الألفاظ و الأذهان ؛ أى قوانين الفكر ، والأعيان ، و هى العلوم البحتة و التطبيقية . و قسم علومه – على هذه المراتب – إلى سبع درجات ، كما اعتمد فى عرض علومه على التحليل و تجزئة العلوم ، ثم إعادة ربط الموضوعات مع بعضها لتخليق علوم جديدة . و إذا كان تصنيف الكولون يستخدم الرموز فى التعبير عن الموضوعات و الربط بينها فإن طاشكبرى زادة يستخدم اللفظ للربط بين الموضوعات ، و يزخر تصنيفه بالأمثلة العديدة على عملية تحليل الموضوع حسب المراتب التى حددها للعلوم و إعادة ربطها ، و منها :

- علم إملاء الخط العربى الذى يحلله إلى الخط و الألفاظ ، فيقول عن هذا العلم : '' من حيث حصول الحروف بالآلة فهو من أنواع علم الخطوط ، و من حيث دلالتها على الألفاظ فهو من فروع العلوم العربية '' . (٢٦)
- علم الشروط و السجلات ، الذى يحلله إلى اللفظ و الأعيان ، و يقول عنه : '' أنه من حيث اللفظ يعد من فروع علم الإنشاء ، فى الدوحة الثانية المتعلقة بالألفاظ ، و من حيث اعتبار مدلوله فهو من فروع علم الفقه ، فى الدوحة السادسة المتعلقة بالأعيان .
- علم الريافة الذى يذكره فى موضوعين مختلفين ؛ فقد جعله من فروع علم الفراسة . (٣٧) من حيث معرفة وجود الماء فى جوف الأرض ، و جعله مرة أخرى من فروع علم الهندسة (٢٨) من حيث حفر الأرض و إخراج الماء على وجه الأرض .

و من النماذج التى تدل على اعتماد طاشكبرى زادة فى عرض علومه على التحليل و التركيب : فصله بين علم المعادن و علم استنباط المياه ، فذكر علم المعادن فى الشعبة الرابعة ضمن فروع العلم الطبيعى ، بينما ذكر علم استنباط المياه فى الشعبة الخامسة من فروع العلم الطبيعى تاليا لعلم الريافة ، وبرر ذلك بقوله : '' إن مبادئه و آلاته قريبة من علم الرياقة '' . (٢٩)

علم الخواص الروحانية الذى يذكره ضمن فروع علم التفسير من العلوم الشرعية ، و لكنه يحلله فى أكثر من مجال فيقول : '' إن هذا العلم يمكن جعله فى فروع علم الحساب من حيث ترتيب الأعداد ، و أيضا من فروع علم الهندسة من جهة تعديل الأعداد أو الحروف فى الجداول الوقفية ، ولكن لما أمكن جعله من خواص الحروف باعتبار جعل الوقف حرفيا ذكرناه فى علم الحروف التى هى من خواص القران''.(٣٠)

ومن هنا فقد أعطى للعلم أكثر من تحليل ، و ركبه مع علوم أخرى ليخلق علوما جديدة ، ليكون مرة من فروع علم الحساب ، ومرة أخرى من فروع علم الهندسة ، وثالثة من فروع علم التفسير .

ومن الأمثلة أيضا إلى عملية التحليل و التركيب : ذكره لعلم التاريخ ضمن علوم الشعبة الثانية للدوحة الثانية ، و فصله عن علم المغازى و السير ، و علم حكايات الصالحين ، و علم تاريخ الخلفاء ، و علم سير الصحابة و التابعين . والملاحظ أن هذه العلوم جميعا تدور حول مضمون واحد هو علم التاريخ ، و لكنه لم يجعلها فروعا لعلم التاريخ ، و لكنه قسمها مع ما يناسبها من العلوم الأخرى مستخدما فى ذلك التحليل و التركيب ، فألحق علم المغازى و السير بفروع العلوم العربية ، فى الشعبة الثالثة للدوحة الثانية . كما ألحقه أيضا ضمن فروع علم الحديث ، فى المطلب الرابع من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة . و استدل على ذلك بقوله : '' هذا و إن أمكن عده من فروع علم التاريخ لكن لما كان ثبوتها بالأحاديث و الآثار جعلناه من فروع علم الحديث '' . (٣١) وقد ذكر بقية العلوم الأخرىضمن فروع العلوم العربية و أشار أنها فروع لعلم التاريخ .

و قام طاشكبرى زادة بتحليل عناصر علم النجوم ، ثم تركيبه في عناصر أخرى ، مكونا بذلك موضوعات جديدة ، حيث فصل علم النجوم عن علم أحكام النجوم ، كما فصلهما عن علم حساب النجوم على النحو التالي : ذكر في الشعبة الخامسة تحت العنقود الثالث فروع أحكام النجوم ، و نوه إلى أن أحكام النجوم تختلف عن علم النجوم ، لأن علم النجوم يعرف بالحساب ، فيكون من فروع العلم الرياضي، بينما علم أحكام النجوم يعرف بدلالة الطبيعة على الآثار ، فيكون من فروع العلم الطبيعي . (٣٢) أما علم حساب النجوم فذكره في الشعبة الثامنة تحت فروع علم الهيئة ، و شرح ذلك بقوله : " هذا و إن كان من فروع علم العدد إلا أنه من جهة توقف التقويم عليه ، صار من فروعه أيضا " . (٣٣)

و يتوج طاشكبرى زادة ابتكاراته التصنيفية بجعله عملية تقسيم العلوم علما قائما بذاته ، حدد تعريفه بدقة تقترب من مفهومه الحديث وقد سبق الإشارة إلى هذا الأمر في الفصل الأول من الكتاب.

تقييم محاولة طاشكبرى زادة التصنيفية

يلاحظ على تصنيف طاشكبرى زادة ما يلي :

١-أن الاتجاه العام في تصنيفه اتجاه تربوي تعليمي ، وضع لخدمة العملية التعليمية ، و لذلك نرى أن تدرج العلوم في تصنيفه قد جاء لخدمة هذا الاتجاه ، فقد بدأ بالعلوم التي تعد أدوات العملية التعليمية و التحصيلية ، فبدأ بعلوم الخط وتبعها بالعلوم اللغوية والأدبية التي تعد مدخلا و وسيلة لدراسة العلوم الحكمية و الشرعية ، ثم علم المنطق الذي يمد طالب العلم بالقواعد و القوانين التي تعد الذهن لدراسة ما بعده من العلوم وفهمها . (٣٤)

٢-كما يسير عرض العلوم في تصنيفه لخدمة الحقيقة الدينية ، حيث خصص الدوحتين الأخريين للعلوم الدينية ولم يبدأ بهما ، كغيره من المصنفين قبل الخوارزمي. كما جعل الدوحة السابعة في علوم المكاشفة (التصوف) التي هي بمثابة ثمرة العمل، بعد تحصيل العلوم السابقة عليها .

٣- قدرته وتمكنه من العلوم و الإحاطة بحدودها ، و بخاصة العلوم العربية ، فيفرق بدقة بين علم اللغة و علم الصرف و علم الاشتقاق ، وهذا الأخير يحدد مكانا واضحا دقيقا له بعد علم اللغة وقبل علم الصرف ، بل ينقد كل من يدرج هذا العلم في موضوع علم الصرف كما في شروح مفتاح العلوم للسكاكي ، ويوضح أن السبب في ذلك يرجع إلى عادة الكتاب في تدوين هذا العلم في كتب الصرف و قلة الكتابة فيه منفردا ، ولذلك توهم البعض أنه من موضوعات علم الصرف . (٣٥)

٤- إلحاق علم التاريخ بالعلوم العربية في الدوحة الثانية المتعلقة بالألفاظ ، و يعكس ذلك نشاة علم التاريخ باعتباره الة و وسيلة للعلوم الدينية لارتباط الحاجة بالكتابة فيه بالرواية عن الرسول ــ صلى الله عليه و سلم ــ و أصحابه . كما أن رواية الحديث قد اقتضت البحث في السير و الأنساب للتأكد من الشخصيات التي يسند إليها رواية الحديث ، و من ثم فهو مثل العلوم العربية التي هي الأخرى الة و وسيلة لفهم العلوم الدينية ، و لذلك أدرجه في العلوم العربية ، وكان الأفضل فصله عنها في دوحة مستقلة ، وخاصة أنه توسع في تفريع علومه لتصل إلى خمسة عشر علما .

٥-نظرته المتقدمة للعلوم ، فقد ذكر علوما أصبحت من علوم العصر الحديث ، و إن لم يدرك نسبتها إلى العلم الأصلي لها مثل : علم قيافة البشر من فروع علم الفراسة ، الذي سمي بهذا الاسم لكون صاحبه يتتبع بشرات الإنسان وجلوده ، وما يتبع ذلك من هيئات سائر الأعضاء ويقول : " إن مبنى هذا العلم ما ثبت في المباحث الطبيعية من وجود المناسبة و المشابهة بين الولد ووالديه . (٣٦) و يدخل هذا العلم في موضوعات علم الطب في العصر الحديث ، فعن طريق تحليل أنسجة الإنسان و جلده يمكن إثبات نسبة الطفل لأبيه .

و من العلوم التي تدل على نظرته المتقدمة للعلوم : علم مواسم السنة ، الذي جعله أحد فروع علم الهيئة ، و يعد من موضوعات علم العادات و التقاليد في العصر الحديث . كذلك علم الرقص الذي جعله أحد فروع علم الموسيقى لارتباط أداء الحركات الراقصة بالنغمات و الموسيقى .

و هذا العلم يفرع في العصر الحديث من قسم الفنون ، و من ثم تعد نظرة طاشكبرى زادة له متقدمة لجعله علما ، كما أن اعتباره أحد فروع علم الموسيقى قد

قرب بمفهومه من نظرة العلم الحديث له . ويؤخذ عليه اعتباره علم الغنج علما ، وعده أحد فروع علم الموسيقى ، و إن كان يعد أحد الوسائل المستخدمة في علاج العجز الجنسى ، و من ثم كان من المفروض معالجته مع علم الحياة .

المميزات و العيوب فى تصنيف طاشكيرى زاده

يتميز طاشكبرى زادة فى تصنيفه بعدة مميزات منها :

- ذكر الأسباب التى جعلته يقسم بعض العلوم بطريقة معينة ؛ ففى آخر مقدمة بعض الدوحات يشير إلى طريقة تقسيم العلوم الأصلية أو الفرعية ، كما فى الدوحة الثانية : فى علوم تتعلق بالألفاظ ، و فى الدوحة السادسة : فى العلوم الشرعية ، فهو يوضح الأساس الذى سار عليه فى تقسيم العلوم . (٣٧) و قد يوضح السبب فى تقسيم بعض العلوم الفرعية كما فى إلحاقه بعض العلوم فى أواخر علم التفسير و يبرر ذلك بقوله : '' و إعلم أن ها هنا بعض العلوم رأيت درجها فى علم التفسير أحسن و أولى لأن لها تعلقا بالحروف التى هى نواتج السور ، لأن لها خواصا لايطلع عليها إلا متكلمها ، و هى هذه . (٣٨) ثم ينص عليها .
- النص على الأسماء الأخرى المحتملة للموضوع ، كما فى علم العدد ، حيث يشير إلى التسمية الأخرى له و هى علم الحساب .
- أحيانا يورد علوما لاحقة لعلوم أخرى ، بالرغم من وجود التباين بينهم ، و لكنه يوضح السبب لذلك كما فى ذكره لعلم استنباط المعادن فى الشعبة الخامسة – وفصله عن علم المعادن فى الشعبة الرابعة الذى يتصل به موضوعيا – بعد علم الريافة ، مبررا ذلك بقوله : '' إن مبادئه و آلاته قريبة من علم الريافة '' .(٣٩)
- يراجع نفسه – أحيانا – فى تقسيم العلوم و أماكنها ، فقد يرتب علما فى مكان ما، و عندما يرى مكانا أنسب لهذا العلم سرعان ما يوضح مكانه الجديد ، مثل : علم مخارج الألفاظ الذى ذكره ضمن علوم الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة تحت فروع العلوم الشرعية . (٤٠) و استدرك قائلا : '' إن علم مخارج الألفاظ ربما يجعل من فروع علم الألفاظ المعالجة الواحدة لعلم اللغة و علم الأدب فى الدوحة الثانية ، فيما يتعلق بالألفاظ ، مع تمييزه بين حدود علوم الكتابة و علوم اللغة

و علوم الأدب ، و هذا ما افتقدته بعض التصانيف الغربية المشهورة مثل تصنيف بيكون الذى فصل علوم الكتابة و البلاغة و اللغة عن علوم الشعر ، كما فصل الشعر عن التاريخ الأدبى فلم يحقق مبدأ تجاوز الموضوعات المتشابهة ، و هذا ما أكده '' سايرز '' حيث أشار إلى الصعوبة العملية فى استخدام تصنيف بيكون الذى تمثل فى فصل موضوعات عن بعضها تنتمي إلى قطاع معرفي واحد ، فعالج التاريخ الأدبى داخل علم التاريخ بعيدا عن علم الشعر . و ما نجده عند بيكون نجده فى تصنيف ديوى العشرى ، أوسع التصانيف البيبليوجرافية انتشارا فى العصر الحديث .

و يعد تصنيف طاشكبرى زادة من أكمل التصانيف العربية ، فقد استوعب كل ما سبقه و زاد عليه ، فأضاف علوم متعددة ، كما تميز بأن له منهجا تصنيفيا بمفهوم العصر الحديث ، و هذا ما دفع حاجي خليفة إلى امتداحه ، حيث يقول : '' إنه أحسن الجميع ، يقصد جميع التصانيف التى سبقته والتى عرضها فى كتابه ''كشف الظنون '' . و قد أعطى حاجي خليفة تلخيصا للعلوم و تقسيمها عند طاشكبرى زادة ، و لكنه نقد طاشكبرى زادة ، و سجل عليه بعض المآخذ و منها : عدم استيعابه الأقسام فى كثير من المباحث التى أفردت بالتدوين ، و إدخاله فى فروع علم ما ليس فيه . (٤١) و قد تمثل ذلك فى إهمال ذكر فروع علم أصول الدين الذى يعد من أهم أقسام العلوم الشرعية ، كما أغفل ذكر أقسام المنطق التسعة ، و لم يشر إلى الأصل التاسع من الشعبة الأولى فى الدوحة السابعة ، وانتقل إلى الأصل العاشر مباشرة . كما أسقط المطلبين الثامن و التاسع من الأصل الخامس فى الشعبة الثانية من الدوحة السابعة .

و من عيوب تصنيفه حديثه عن مباحث و موضوعات باعتبارها علوما ، وهذا ما نجده فى فروع الفروع للعلم الطبيعى ، كما فى العنقود الرابع فى فروع علم السحر ، فيذكر موضوعات ومباحث لاتعدو علوما ، و يعتبرها علوما ، مثل علم العزائم و علم تعلق القلب و علم الرقى، وغيرها ، كما فى فروع علم التفسير أيضا .

و من الأمثلة على إدخال طاشكبرى زادة فى فروع علم ما ليس فيه :

- ذكره علم الأطعمة و المزورات ، و علم قلع الآثار من الثياب ، و علم تركيب أنواع المداد ، فى فروع علم الطب ، و هى بعيدة تماما عن أن يكون من فروعه ، و خاصة العلمين الأخيرين ، فهما أقرب لعلم الكيمياء .
- ذكره علوم النظر و الجدل و الخلاف فى الشعبة الثانية من الدوحة الثالثة ، ثم أعادتها مرة أخرى تحت فروع علم أصول الفقه فى المطلب السادس من الدوحة السادسة ، و كان من المفروض أن توضع تحت فروع علم أصول الدين لأنها أقرب إليه .
- عدم التحديد الواضح لأسماء العلوم الأصلية التى تتفرع عنها الفروع ، فذكرها فى المطلب الثانى من الدوحة السادسة ، فى فروع العلم الحديث ، ثم ذكر فى المطلب الرابع من الدوحة السادسة ، فى فروع العلم الحديث ، و لم يوضح أن المطلب الثانى فى فروع رواية الحديث و المطلب الرابع فى فروع دراية الحديث، و ذلك حسب توزيع الأصول فى الشعب الخاصة بالدوحة السادسة . ويلاحظ أنه ذكر علم شرح الحديث كفرع لعلم رواية الحديث ، على الرغم من أنه يعد من فروع علم دراية الحديث ، كما أن الفروع التى ذكرها تحت علم دراية الحديث فى المطلب الرابع من الشعبة السادسة تبعد تماما عن الموضوع و تقترب من موضوعات الصوفية .

و من عيوبه أيضا : إشارته لعلوم لانجد لها مكانا على خرطته التصنيفية ، مثل إشارته إلى أن علم الاستعانة بخواص الأدوية و المفردات من فروع علم خواص الأدوية ، و بالبحث عن علم خواص الأدوية لا نجد له مكانا على خريطته التصنيفية . و تكراره ذكر بعض العلوم فى أكثر من موضع مثل : علم الفرائض الذى ذكره مرة لفرع علم الحساب ، و أعاد ذكره مرة أخرى كأحد فروع علم الفقه . و كذلك علم الشروط و السجلات الذى ذكره كفرع لعلم الإنشاء ، ثم عاد و ذكره كفرع لعلم الفقه . كذلك علم مخارج الألفاظ الذى ذكره كفرع لعلم الألفاظ فى الدوحة الثانية ثم عاد وذكره مرة أخرى فى فروع علم القراءة فى الدوحة السادسة . و كما كان هناك تكرار لذكر بعض العلوم نجد تكرارا لبعض الحكايات فى أكثر من موضع ، كما فى روايته

عن كنيسة بلاد الروم التى تكررت تحت علم الخواص و علـم الاستعانة بخـواص الأدوية و المفردات فى العنقود الرابع من الشعبة الخامسة من الدوحة الرابعة .

ومن عيوبه أيضا : عدم التزامه بطريقة واحدة فى تعريف العلوم ، فبعضـها يذكر تعريفه و غايته و موضوعه و الكتب المصنفة فيه ، مثل : علم النحـو و علـم البديع ، و بعضها يقتصر على تعريفه فقط ، مثل : علم القرعة و علم تعلق القلـب وعلم التعديل . و ذكره لعلوم بلا كتب على الرغم من أن تصنيفه قائم على تصنيـف الكتب ، مثل : علم الاختلاج و علم الحجامة و علم الفصد .

تاثير البيئة الثقافية على تصنيف طاشكبرى زاده

يعد طاشكبرى زادة نتاجا لأسرته و مجتمعه العام ، فقد عاش حياته فى ظـل ازدهار الإمبراطورية العثمانية التى بلغت أوجها فى عهد سـليمان القـانوني آخـر السلاطين العظام للدولة العثمانية . و قد إنحدر طاشكبرى زادة من أسرة ذات علم أبـا و جدا و عما وخالا ، وهم الذين تولوا تربيته و نشأته و تعليمه و اشتغلوا بـالعلم الدينى و العلوم العربية ، و هذه العلوم هى التى سادت الدولـة العثمانيـة عمومـا ، وطغت عليها لدرجة تصوف بعض السلاطين و شغفهم بالأدب و الشعر . و قد تركت خصائص أسرته التى تميزت بالورع و التدين و العلـم بصماتـها علـى شـخصية طاشكبرى زادة الذى تصوف هو الآخر كما تخصص فى تدريس علوم الدين و اللغة . (٤٢)

و قد كان للطابع العام الذى ساد الدولة العثمانية أثره علـى طاشـكبرى زادة حيث جمعت هذه الدولة بين صفات عديدة انعكست على مجتمعها ، فقد كـانت دولـة عسكرية وجهت جل اهتمامها إلى الجانب العسكرى الذى طغى على طبيعة المجتمع ، و إلى جانب ذلك كانت دولة دينية ، حيث حرص السلاطين على إضفاء الطابع الدينى على دولتهم فشجعوا التصوف و تولوا الطرق الصوفية ، ومن ثم حظى رجال الديـن والعلم فى الدولة بالاهتمام و التشجيع ، و كان منهم طاشكبرى زادة . كما كانت دولـة إقطاعية طبقية دكتاتورية ، ومن أهم ما اتصفت به أنها كانت دولة علميـة ، فنتيجـة التوسعات العظيمة و الفتوحات المترامية الأطراف ، فقد دخلت فى نطاق حكم الدولـة العثمانية شعوب مختلفة الجنسيات واللغات والثقافات و الديانات و العادات و التقـاليد .

و قد أتاح هذا الطابع العالمى حرية التنقل ، مما أتاح فرصة عظيمة للعلم و العلماء فى التأثر بكل هذه الثقافات الوافدة و التأثير فيها . ولاشك أن لتلك الخصائص التى تميز بها مجتمع طاشكبرى زادة و عصره أثرا فى تكوينيه العلمى والفكرى . و كما كان له تأثيره على المادة العلمية فى كتاب '' مفتاح السعادة ومصباح السعادة '' ، حيث قدم كتابه بأربع مقدمات تدور حول العلم و التعليم ، حيث صب فيها المؤلف خلاصة تجاربه فى التدريس ، بل ساعدت هذه المقدمات على بلورة المنهج التربوى التعليمى عند المسلمين خلال عشرة قرون .

كما كان لتصوف طاشكبرى زادة أثره فى عرض علومه التى جعلها فى ترتيب تصاعدى لخدمة الدين الإسلامى ، بل جعل ثمرة كل العلوم تنصب على علوم التصوف ، و بالتالى انتقلت إليها خلاصة الفكر العربى الإسلامى عبر عشرة قرون هجرية وامتلأت مكتباتها بكنوز الحضارة الإسلامية التى انتقلت إليها من مختلف الأقطار الإسلامية ساعدت طاشكبرى زادة على الحصر الشامل و الدقيق لفروع المعرفة البشرية التى تعد خلاصة الحضارة العربية الإسلامية ، و من ثم فقد وصل عدد العلوم فى تصنيفه فى الدوحات الست الأولى إلى ٣١٥ علما إضافة إلى المقدمات، بخلاف ما ورد فى الدوحة السابعة . ويعكس عرض العلوم و أعداد الكتب فى كل دوحة اتجاهات الإنتاج العلمى الفكرى فى عمر الحضارة العربية الإسلامية ؛ و قد عرضها الدكتور شعبان خليفة فى دراسة الببليومترية لكتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة . (٤٣) و التى جاءت على النحو التالى :

المجال	العلوم	الكتب		المؤلفون	
		العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
المقدمات	٤	١٣	%٠,٥٠	٩	%٨٣
الدوحة الأولى	٩	١٨	%٠,٥٠	١٢	
الدوحة الثانية	٤٥	٩٩٥	%٣٨,٧٠	٣٠٥	%٢٨,١٦
الدوحة الثالثة	٥	٧٣	%٢,٨٠	٣١	%٢,٨٦
الدوحة الرابعة	١٢٨	٢٣٢	%٩,٠٢	١٦٥	%١٥,٢٠
الدوحة الخامسة	٧	١٦	%٠,٦٢	١٥	%١,٣٨
الدوحة السادسة	١٢١	١٢١٤	%٤٧,٢	٥٣٧	%٤٩,٥٨
الدوحة السابعة	٢٠٥	١٠	%٠,٣٩	٩	%٠,٨٣
الجملة	—	٢٥٧١	%١٠٠	١٠٨٣	%١٠٠

و يتضح من الجدول السابق أن العلوم الدينية تأتى على قمة العلوم الأخرى سواء كان ذلك من حيث أعداد العلوم المفرعة منها ، أو من حيث أعداد الكتب ، أو من حيث أعداد المؤلفين فيها ثم يليها العلوم العربية ، و تأتى مجموعة العلوم العقلية فى المرتبة الثالثة ، و هذا يؤكد على أن تصنيفه جاء لخدمة علوم الدين الإسلامى الذى أفاض فى تعريفها أو حصر الكتب المؤلفة فيها .

تصنيف طاشكبرى زاده بين التأثر و التأثير

أولا : التأثر

يعد ابن الأكفانى بكتابه '' إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد '' من أوائل المؤلفين الذين أثروا فى طاشكبرى زادة ، و بالمقارنة بين كتاب '' مفتاح السعادة '' و كتاب '' إرشاد القاصد '' سوف نلاحظ الشبه الكبير بينهما فى العديد من المواضع، و منها : تشابه المقدمات الثلاثة عند طاشكبرى زادة التى تدور عن العلم و فضله وشرفه ، و شروط المعلم و المتعلم و الآداب التى يتحلى بها كل منهما ، مع المقدمات التى وردت فى تصنيف الأنصارى . (٤٤) فقد بدأ هو الآخر بالحديث عن التعليم والتعلم و شروطهما ، و لكن يلاحظ التوسع عند طاشكبرى زادة فى العرض بالإضافة إلى ما تطرق إليه من آداب الفتيا و القضاء ، و هذا يرجع إلى الفارق الزمنى فى عمر الحضارة الإسلامية الذى يصل إلى حوالى قرنين من الزمان ، بالإضافة إلى ممارسة طاشكبرى زادة مهنتى التدريس و القضاء اللتين جعلتاه أكثر تمكنا من ابن الأكفانى . و ما ذكره الأنصارى من القول فى حصر العلم ، حيث قسم العلوم إلى مقصودة لذاتها ، وغير مقصودة لذاتها ، ثم تناول كل منهما بالتقسيم ، نجده يتشابه مع ما ذكره طاشكبرى زادة فى مقدمته فى بيان حصر العلوم على الإجمالى ، التى أوضح فيها نظرته وفلسفته فى تقسيم العلوم ، كما يلاحظ تشابه الخط العام فى تقسيم العلوم عند كل منهما . فالدوحة الأولى عند طاشكبرى زادة هى الكتابة (علم الخط) و الدوحة الثانية فى (العبارة) ذكرهما ابن الأكفانى فى القسم الأول من العلوم غير المقصودة لذاتها ، و هو ما يتوصل به إلى المعانى من اللفظ و الخط و هو علم الأدب . و الدوحة الثالثة عند طاشكبرى زادة فى علوم باحثة عما فى الأذهان من المعقولات و فرع منها الشعبة الأولى (فى المنطق) و الشعبة الثانية (فى علوم

تعصم عن الخطأ فى المناظرة و الدرس) ، و إذا ما نظرنا إلى ما يقابلها عند ابن الأكفانى وجدنا القسم الثانى من العلوم غير المقصودة بذاتها ، و هو علم المنطق الذى يمثل الشعبة الأولى عند طاشكبرى زادة ، أما ما ذكر فى الشعبة الثانية من الجدل فقد ذكره ابن الأكفانى مع العلم الإلهى . و الدوحة الرابعة عند طاشكبرى زادة (فى العلم المتعلق بالأعيان) ، و قسمها إلى العلم الإلهى و العلم الطبيعى و العلم الرياضى، و إذا ما نظرنا إلى ما يقابلها عند ابن الأكفانى وجدناه فى القسم الأول من مجموعة العلوم المقصودة لذاتها ، و هى الحكمة النظرية التى قسمها – أيضا – إلى ثلاثة العلم الإلهى و العلم الطبيعى و العلم الرياضى . و تتطابق الدوحة الخامسة (فى الحكمة العملية) عند طاشكبرى زادة مع القسم الثانى من العلوم المقصودة لذاتها، و هى الحكمة العملية ، حيث قسمت عند كل منهما إلى : الأخلاق و تدبير المنزل والسياسة ، وزاد طاشكبرى زادة بما ذكره من فروع الحكمة العملية فى الشعبة الرابعة . و الدوحة السادسة (فى العلوم الشرعية) عند طاشكبرى زادة يقابلها عند ابن الأكفانى أنواع العلوم الشرعية التى فرعها من علم النواميس بالتسلسل نفسه ، و بالفلسفة نفسها ، التى على أساسها تم التدريب والتسلسل للعلوم الشرعية دون ذكر الفروع عند ابن الأكفانى . و الدوحة السابعة عند طاشكبرى زادة (فى علوم الباطن أو علوم التصفية) التى ضمنها علم التصوف لانجد له ذكرا عند ابن الأكفانى ، و لكن ابن الأكفانى أشار إليها فى الغاية فى العلم العملى حيث قال عن الحكمة العملية : '' و الثانى يكون بتزكية النفس باقتنائها الفضائل و اجتنابها الرذائل '' . (٤٥) كما نقل طاشكبرى زادة عن ابن الأكفانى تقسيمات العلوم الأصلية أو الفرعية – مع الزيادة عليها – بنفس عناوينها و أمثلتها و تعريفاتها بنصها ، و لكنه يزيد عليها فى أعداد الكتب المدرجة و المترجمة لأصحابها و ذكر مؤلفاتهم .

و ظهر تأثر طاشكبرى زادة بكتاب '' إحصاء العلوم '' للفارابى ، فى الجزء الأول من كتابه ، و بخاصة الثلاث دوحات الأولى التى تماثلت مع الفصلين الأولين عند الفارابى . (٤٦) فما ذكره طاشكبرى زادة فى الدوحة الأولى (العلوم الخطية) و الدوحة الثانية (فى العبارة) يناظرها عند الفارابى الفصل الأول فى علوم اللسان . كما اتبع طاشكبرى زادة طريقة تقسيم الفارابى لعلوم اللغة و الأدب

إلى ما يتعلق بالمفردات و ما يتعلق بالمركبات ، حيث قسم طاشكبرى زادة الدوحة الثانية (المتعلقة بعلوم اللغة و الأدب) إلى ثلاث شعب : الأولى فيما يتعلق بالمفردات ، و الثانية : فيما يتعلق بالمركبات . و الدوحة الثالثة (فى العلوم المتعلقة بالأذهان) التى قسمها طاشكبرى زادة إلى شعبتين : الأولى فى (المنطق) و الثانية (فى علوم تعصم عن الخطأ فى المناظرة و الدرس) ، التى تضمنت علم الجدل يقابلها عند الفارابى الفصل الثانى (فى علم المنطق الذى ضم فى فروعه علم الجدل) .

و قد ذكر طاشكبرى زادة كتاب إحصاء العلوم للفارابى (فى الشعبة الأولى من الدوحة الرابعة) حيث وصفه بقوله : '' و صنف كتابا شريفا فى إحصاء العلوم و التعريف بأغراضها ، لم يسبق إليه أحد ، ولا ذهب أحد مذهبه ، و لا يستغنى عنه أحد من طلاب العلم '' . (٤٧) و من هذه العبارة يتضح اطلاعه على هذا الكتاب و الإفادة منه .

و تأثر طاشكبرى زادة بكتاب '' الفهرست '' لابن النديم ، حيث تماثلت الدوحة الأولى (فى العوم الخطية) و الدوحة الثانية (فى العبارة) مع المقالات الثانية و الثالثة و الرابعة عند ابن النديم التى خصصها لعلوم الخط و اللغة و الأدب . (٤٨) و جعل علم التاريخ فى المقالة الثالثة بين علم اللغة والأدب ، و هذا ما فعله طاشكبرى زادة ، حيث ألحق علوم التاريخ مع الدوحة الثانية المتعلقة بالعلوم العربية فى اللغة و الأدب . وتأثر طاشكبرى زادة بالخوارزمى و كتابه '' مفاتيح العلوم '' ، فقد نقل عنه بعض العلوم وتعريفاتها ، مثل علم الآلات المبنية على عدم الخلاء .

كما نقل طاشكبرى زادة عن رسالة أقسام العلوم العقلية لابن سينا تعريف ابن سينا لعلم المنطق و العلم الطبيعى و الرياضى ، و بعض الفروع فى كل من العلم الطبيعى و العلم الرياضى ، و قد أشار إلى رسالة ابن سينا بعد تعريفه لعلم تقاسيم العلوم ، و قد وصفها بقوله : '' و صنف ابن سينا فى هذا العلم رسالة تطبيقية''.(٤٩)

و نقل عن السكاكى بعض أقسام الشعبة الأولى والثانية من الدوحة الثانية ، مثل علوم المعانى و البيان و البديع و الاشتقاق والصرف ، و يشير إلى كتاب '' مفتاح العلوم '' للسكاكى ومعالجته لهذه العلوم . (٥٠)

و نقل عن الطوسى تعريفه لعلم المنطق والعلم الطبيعى و العلـــم الريـــاضى وبعض الفروع فى كل من العلم الطبيعى و العلم الرياضى . و قد أشار إلـــى بعـــض أعماله كما فى علم المعادن ، حيـــث يقـــول : '' و لا أنفـــع وأجمـــع مـــن تـــأليف الطوسى''.(٥١)

و تأثر طاشكبرى بكتاب '' الإتقان فى علوم القـــرآن '' للســيوطى . (٥٢) وكذلك بكتابه '' إتمام الدراية لقراء النقاية '' الذى ضمنه مـــا ورد فـــى كتـــاب '' الإتقان '' من فروع علم القرآن (٥٣) ، فقد نقل عنه اثنين وسبعين علما من فـــروع علم التفسير ، بالإضافة الى مانقله عنه من فروع العلوم العربية ، وبعض فروع علـــم الحديث . و هذا ما أكده حاجى خليفة حيث يقول : '' فأورد فى فروعـــها مـــا أورده كذكره فى فروع علم التفسير ما ذكره السيوطى فى الاتقان '' . (٥٤)

و يعد كتاب '' إحياء علوم الدين '' للغزالى مصدرا أساســـيا اعتمـــد عليـــه طاشكبرى زادة فى إعداد الجزء الثالث من كتابه الخاص بالطرف الثانى من الرسالة فى العلوم الكشفية ، فالملاحظ أن رءوس الموضوعات ، وتقسيم الشعب فى الدوحـــة السابعة ، يماثل التقسيم الموجود عند الغزالى . كما أن المقدمات الثلاثة مـــن الجـــزء الأول من كتاب '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' : (فى بيان فضيلـــة العلـــم و التعليم و التعلم ، وشرائط المتعلم ووظائفه و وظائف المعلم) ، هى اختصار الجـــزء الاول من كتاب إحياء العلوم للغزالى . (٥٥) وهذا ما أكده حاجى خليفة ، حيث يقول: '' جعل الطرف الثانى من الكتابة فى بيان العلوم المختلفة بالتصفية التى هـــى ثمـــرة العمل بالعلم فلخص فية كتاب الإحياء للإمام الغزالى '' . (٥٦)

ثانيا : التأثير

أثر كتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) لطاشكبرى زادة فى كل المصنفين تقريبا الذين اتنوا من بعده ، ومنهم : حاجى خليفة فىكتابه (كشـــف الظنـــون عـــن أسامى الكتب والفنون) ، حيث نقل عنه تعريفات العلوم بنصها فى كثير من مواضـــع كتابه ، و أيضا العديد من عناوين الكتب . و حسن صديق خان فى كتابـــه '' أبجـــد العلوم '' ، فقد نقل عنه كثيرا من التعريفات والعبارات فى الجزء الثانى من كتابـــه الخاص بموضوعات العلوم ، وقد ذكر فى الجزء الأول مـــن الكتـــاب فـــى الفصـــل

الخامس ببيان تقسيم العلوم المرنة وما يتعلق بها تقسيم طاشكبرى رادة للعلـــوم (٥٧) فى كتاب '' مفتاح السعادة ومفتاح السيادة '' .

كما تأثر بكتاب '' مفتاح السعادة ومصباح السيادة '' كل من الشروانى فــــى كتابه '' الفوائد الخاقانية '' والتهانوى فى كتابه '' كشاف اصطلاحـــات الفنـــون '' وسوف تتعرض الباحثة لمدى هذا التأثير عند معالجة كل منهما .

هل تأثر تصنيف طاشكبرى زاده بتصنيف أرسطو ؟

عكس تصنيف طاشكبرى زادة مدى ما بلغته الثقافة العربية الإسلامية من تقدم و ازدهار ، و إذا ما عقدنا مقارنة بين تصنيف طاشكبرى زادة و تصنيف أرســـطو سوف يظهر التباين الشديد بين التصنيفين :

- تصنيف طاشكبرى زادة تقسيم للمعرفة يعتمد على السند الأدبى ، أما تصنيـــف أرسطو فهو تصنيف فلسفي مجددا للمعرفة .
- اتبع طاشكبرى زادة التقسيم السباعى للمعرفة بينما اتبع تصنيف أرسطو التقســـيم الثلاثى للمعرفة .
- اقتصر تصنيف أرسطو على العلوم الحكمية ، سواء النظرية بأقسامها الأصليـــة الثلاث أو الحكمة العملية بأقسامها الأصلية الثلاث ، بينما نجد التوســـع المفصـــل لفروع المعرفة عند طاشكبرى زادة فاشتمل تصنيفه على مجالات معرفيـــة لـــم يتطرق إليها أرسطو ، و هى مجموعة العلوم الخطية و اللغوية و الأدبيـــة ، و العلوم الشرعية الإسلامية التى تعد نتاج الحضارة العربية الإسلامية، بالإضافة إلى مجموعة العلوم العقلية و التى شملتها الدوحة الرابعـــة (فـــى العلـــوم المتعلقـــة بالأعيان) ، و هى فى العلوم الحكمية النظرية ، التى قسمها إلى الأقسام الأصلية ، كما عند أرسطو إلى العلم الإلهى و العلم الطبيعى و العلـــم الريـــاضى ، و لكـــن يلاحظ التوسع الشديد فى الأقسام الأصلية لهذه العلوم وتفريعاتها . كذلك الدوحـــة الخامسة فى (الحكمة العملية) التى قسمها إلى نفس الأقسام الثلاثة عند أرسـطو ، و هى الأخلاق و تدبير المنزل و السياسة ، وزاد عليها قسما رابعا يشمل فـــروع الحكمة العملية التى تعد نتاج الحضارة العربية الإسلامية .

- اختلفت معالجة طاشكبرى زادة للأقسام الرئيسية للحكمة العملية التى انطلقت من المفهوم الإسلامى العربى عن معالجتها عند أرسطو .
- اعتبر أرسطو المنطق خارج نطاق العلوم ، و نظر إليه باعتباره آلة لغيره من العلوم ، بينما اعتبره طاشكبرى زادة علما فى نفسه يشمل قوانين الفكر التى تعصم الذهن عن الخطأ ، كما نظر إليه باعتباره وسيلة للعلوم المتعلقة بالأعيان .

و من هنا ندرك الفروق الواضحة بين التصنيفين ، و نخرج من ذلك بنتيجة مؤداها أن تصنيف طاشكبرى زادة نتاج للفكر العربى الإسلامى بكل معطياته ، ويبعد تماما عن الفكر الأرسطى فى التصنيف .

منهج طاشكبرى زادة فى تصنيفه

اعتمد طاشكبرى زادة فى تقسيمه للعلوم على المنهجين الاستنباطى و الاستقرائى ، و هما جناحا المنهج العلمى ، فالمنهج الاستنباطى يعمل على تقسيم المعرفة إلى مجالات معرفية رئيسية تسمى
أقساما رئيسية ، ثم يتدرج بها فى التقسيم إلى أقسام أصغر فأصغر ، و هى الفروع . و هذا المنهج الذى أشار إليه طاشكبرى زادة فى تعريف علم تقاسيم العلوم ، علم التصنيف ، هو المنهج الأساسى الذى اعتمد عليه فى تقسيم العلوم فى تصنيفه إلى سبع دوحات تمثل الأقسام الرئيسية العامة ، و تدرج منها إلى الشعب التى تعد الأقسام الأصلية التى تندرج تحتها ، ثم أعاد تقسيم العلوم الأصلية للشعب إلى علوم فرعية أصغر وهكذا ، و من ثم فهو ينتقل من العلم الكلى إلى العلم الجزئى . و قد أشار طاشكبرى زادة نفسه إلى أن هذا المنهج يعد الطريقة الأسهل و الأيسر من الطريقة الثانية ، و هو المنهج الاستقرائى الذى يقوم على البدء بجزئيات العلوم وضم بعضها إلى بعض عن طريق التشابه ؛ أى الصلات الموضوعية ، و التوصل فى النهاية إلى الأقسام الرئيسية . و هذا المنهج هو الطريقة الحديثة التى اصطنعها فراداان البريطانى.(٥٨)

و قد استخدم طاشكبرى زادة الطريقة الثانية ، فنجده يذكر فروع العلم الواحد فى عدة أماكن متفرقة ، وفى النهاية يعود ويجعل لها رأسا للموضوع المركب ؛ معنى ذلك أنه يحاول التخصيص والتحليل الشديد ، ثم التركيب ، لغلق موضوعات جديدة ،

و هذا هو المتبع فى المنهج الاستقرائى . وقد امتلأ تصنيفه بالنماذج المتعددة التى تدل على استخدامه لهذا المنهج ، و منها : ذكره فروع علم التاريخ فى الشعبة الثالثة من الدوحة الثانية ضمن فروع العلوم العربية ، و أشار إلى أنها تعد فروعا لعلم التاريخ . و فى ذلك تحليل لجزئيات الموضوع ، ثم ربطها بالعلم الكلى الذى تنتمى إليه .

كما تعددت فى تصنيفه الأمثلة الدالة على استخدام المنهج الاستقرائى فى ربط العلم الجزئى بالكلى ومنها : ما ذكره من العلوم الفرعية فى الشعبة الثالثة ، التى تعد علوما جزئية للعلوم الكلية فى الشعبة الثانية من الدوحة الثانية ، و منها علم الأمثال الذى يعد من فروع علم اللغة . وعلم وقائع الأمم ورسومهم ، وعلم مسامرة الملوك ، اللذان يشير إلى أنهما من فروع علم المحاضرات و التوريخ . و علم استعمالات الألفاظ ، و علم الألغاز ، اللذان يعدان من فروع علم البيان . وعلم الترسل الذى يعد من فروع علم الإنشاء . وعلم الأحاجى و الأغلوطات ، الذى يشير إلى أنه من فروع علم اللغة و الصرف و النحو . كذلك يعد كلا من علمى التصحيف ، والمقلوب ، من فروع علم البديع .

مستوى المعالجة

بدأ طاشكبرى زادة كتابه بأربع مقدمات تضمنت مناهج التربية عند المسلمين بالإضافة إلى اداب الفتيا و القضاء ، وفى المقدمة الرابعة وضع الهدف من وراء كتابه ، كما أوضحناه سابقا ، ثم أتبع ذلك بحصر العلوم على الإجمال ، موضحا منهجه فى ذلك . ثم شرع فى عرض تقسيمه للعلوم التى تمثلت فى تقسيمها إلى سبع دوحات ، ثم تقسيم كل دوحة إلى عدد من الشعب ، وكل شعبة تقسم إلى عدد من العلوم ، أو إلى عدة عناقيد ، أو إلى مطالب . و لذلك لانجد التوحيد فى أسلوب التقسيم ، كما لا نجد التوازن فى عدد العلوم المفرعة من كل دوحة ، و هذا ما سوف تظهره الجداول التالية :

اللوحات	الصف الأول		الصف الثانى	الصف الثالث
	المقدمات	الشعب	العلوم المفرعة	العلوم المفرعة
اللوحة الأولى	١	الشعبة الأولى	٥	
		الشعبة الثانية	٤	
اللوحة الثانية	١	الشعبة الأولى	٥	
		الشعبة الثانية	١٢	
		الشعبة الثالثة	٢٦	
اللوحة الثالثة	١	الشعبة الأولى	١	
		الشعبة الثانية	٤	
اللوحة الرابعة	١	الشعبة الأولى	١	
		الشعبة الثانية	٦	
		الشعبة الثالثة	١	
		الشعبة الرابعة	١٧	
		الشعبة الخامسة	عنقود أول	١٢
			عنقود ثان	١١
			عنقود ثالث	٥
			عنقود رابع	١٤
				٤٢
		الشعبة السادسة	٤	
		الشعبة السابعة	١٥	
		الشعبة الثامنة	٢٧	
		الشعبة التاسعة	١٠	
		الشعبة العاشرة	٣	
اللوحة الخامسة	١	الشعبة الأولى	١	
		الشعبة الثانية	١	
		الشعبة الثالثة	١	
		الشعبة الرابعة	٤	
اللوحة السادسة	١	الشعبة الأولى	١	
		الشعبة الثانية	١	
		الشعبة الثالثة	١	
		الشعبة الرابعة	١	
		الشعبة الخامسة	١	
		الشعبة السادسة	١	
		الشعبة السابعة	١	
		الشعبة الثامنة	المطلب الأول	٧
			المطلب الثانى	١٠
			المطلب الثالث	٨١
			المطلب الرابع	٦
			المطلب الخامس	—
			المطلب السادس	٤
			المطلب السابع	٥
				١١٣
الإجمالى	٦	٢٩	١٥٥	١٥٥

جدول رقم (١٢) يوضح توزيع المقدمات و الشعب و العلوم المفرعة من الدوحات الست الأولى و بيانها على الصفوف

الصف الأول	المقدمة	الشعبة الأولى		الشعبة الثانية		الشعبة الثالثة		الشعبة الرابعة	
الصف الثانى	—	الأصول		الأصول		الأصول		الأصول	
الصف الثالث	—		المطالب		المطالب		المطالب		المطالب
	١	الأول	٦	الأول	٤	الأول	١٠	الأول	١٠
		الثانى	—	الثانى	٦	الثانى	٦	الثانى	١١
		الثالث	—	الثالث	٥	الثالث	٣	الثالث	٥
		الرابع	٦	الرابع	٨	الرابع	١	الرابع	٧
		الخام	٥	الخام	٩	الخامس	٦	الخام	٦
		س	٥	س	٣	السادس	٢	س	٧
		الساد	٧	الساد	٤	السابع	٦	الساد	٤
		س	١٠	س	٣	الثامن	١٦	س	—
		السابع	—	السابع	٤	التاسع	٧	السابع	٢
		الثامن	٦	الثامن	—	العاشر	٣	الثامن	٣
		—		التاسع				التاسع	
		التاسع		العاشر				العاشر	
الإجمالى	١	٩	٤٥	١٠	٤٦	١٠	٦٠	١٠	٥٥
إجمالى الأصول	٣٩								
إجمالى المطالب	٢٠٦								

جدول رقم (١٣) يوضح توزيع المقدمة و الشعب و الأصول و المطالب للدوحة السابعة على الصفوف

يتضح من تحليل الجدولين السابقين عدة أمور :

- بلغ عدد العلوم المفرعة من الدوحات الست الأولى ثلاثمائة وعشرة .
- بلغ عدد المطالب فى السابعة مائتين وستة ، وعدد الأصول تسعة وثلاثين .
- يلاحظ عدم استخدام كلمة علم فى الدوحة السابعة إلا إحدى عشرة مرة فى الشعبة الأولى ؛ ستة منها تسبق مسمى بعض الأصول ، و خمسة منها تسبق بعض المطالب .
- بلغت المقدمات سبعا ؛ حيث قدم لكل دوحة بمقدمة .
- بلغ عدد الشعب ثلاثا وثلاثين شعبة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و تظهر الجداول عدم التزام طاشكبرى زادة بطريقة واحدة فى عرض العلوم؛ ففى الدوحات الثلاث الأولى فرع العلوم من الشعب ، و هنا التزام بالطريقة المنطقية التى سارت عليها التصانيف الفلسفية ، مثل تصنيف كل من : ابن سينا و الفارابى . و فى الدوحة الرابعة اتخذ طريقة جديدة ؛ فقد أورد فى الشعبة علما ، ثم فرع فروعه فى الشعبة التى تليها . و إذا كانت هناك فروع للفروع فصلها فى الشعبة التالية لها (كالشعبة الخامسة) ، و سمى فروع الفروع بالعناقيد . و فى الدوحة الخامسة جعل لكل شعبة علما ، وجعل الشعبة الأخيرة (الشعبة الرابعة) لتفريغ فروع كل الدوحة . و الملاحظ أن تلك العلوم هى فروع الشعبة الأخيرة ، و هى علم السياسة . وفى الدوحة السادسة جعل تحت كل شعبة من الشعب السبع الأولى علما ، و فى الشعبة الثامنة فرع فروعا لكل علم تحت مسمى جديد هو المطالب ، و فى الدوحة السابعة سمى فروع الشعب بمسميات جديدة هى الأصول ثم فرع من الأصول المطالب .

و يظهر عدم التوازن ، سواء كان ذلك فى عدد الصفحات التى يستغرقها عرض العلوم فى الدوحات ، فمنها ما يحتل صفحات قليلة كالدوحة الاولى و الدوحة الخامسة ، و بعضها احتل جزءا كاملا كالدوحة السادسة و الدوحة السابعة . أو فى أعداد الشعب داخل كل دوحة ، فمنها ما يضم شعبتين كالدوحة الأولى ، و منها ما يضم عشر شعب كالدوحة الربعة . أو فى أعداد العلوم المفرعة داخل كل دوحة فمنها ما يضم خمسة علوم كالدوحة الثالثة ، و منها ما يصل الى مائتين وستة كالدوحة السابعة . ويلاحظ أن ترتيب الدوحات من حيث عدد العلوم المفرعة فى ترتيب تصاعدى كالتالى :

الدوحة الثالثة	(علوم المنطق)	٥ علوم
الدوحة الخامسة	(الحكمة العلمية)	٧ علوم
الدوحة الأولى	(العلوم الخطية)	٩ علوم
الدوحة الثانية	(علوم تتعلق بالألفاظ)	٤٣ علما
الدوحة الرابعة	(الحكمة النظرية)	١٢٦ علما
الدوحة السادسة	(العلوم الشرعية)	١٢٠ علما
الدوحة السابعة	(علوم التصفية)	٢٠٦ علوم

و يظهر هذا الترتيب ارتفاع أعداد العلوم المفرعة من العلوم الشرعية و علوم التصفية ، وهذا يدل على اهتمام طاشكبرى زادة بالتفصيلات الدقيقة لهذه العلوم ، ويرجع ذلك إلى غلبة نزعته الصوفية . كما يلاحظ ارتفاع أعداد العلوم المفرعة من الحكمة النظرية التى أصبحت تمثل فى العصر الحديث العلوم البحتة و التطبيقية ، وهذا دليل على مدى تقدمها فى الحضارة الإسلامية . و يلاحظ عدم التوازن فى التفريعات الداخلية للشعب ؛ فقد بلغ عدد العلوم المفرعة من المطلب الثالث فى الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة (علم التفسير) واحدا وثمانين علما ، بينما لايعطى أى تفريع فى المطلب الخامس من نفس الشعبة و الدوحة (علم أصول الدين) ، مما يوحى بالتفصيل الشديد جدا فى ناحية و الإجمال فى ناحية أخرى . كذلك ما نجده فى الدوحة الرابعة من تفصيل العلم الطبيعى الذى ورد فى الشعبة الخامسة ، بالرغم من عدم وجود التفصيل الزائد للتفريع فى غيره من العلوم ، و يظهر ذلك مدى نمو هذا العلم و الاهتمام بعلومه وفروعه .

توزيع العلوم المفرعة على الصفوف

أولا : التصنيف الشكلى

- تقف العلوم المفرعة فى تصنيف طاشكبرى زادة إلى الصف الثالث ، و ذلك فى الدوحة الرابعة والسادسة و السابعة ، بينما لا يزيد التفريع فى الدوحات الأخرى عن الصف الثانى ، و بذلك يبلغ ما هو موجود على الصف الأول أربعين ؛ منها سبع مقدمات وثلاث وثلاثون شعبة . و على الصف الثانىتسعة عشر ، وعلى الصف الثالث ثلاثمائة و واحدا و ستين .
- يستخدم مسميات مختلفة للدلالة على الصفوف ، فعلى الصف الأول نجد المقدمات و الشعب ، وعلى الصف الثانى نجد العلوم المفرعة من الشعب ، كما فى الدوحات الأولى والثانية و الثالثة والخامسة ، و العناقيد كما فى الشعبة الخامسة من الدوحة الرابعة ، و المطالب كما فى الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، والأصول كما فى الدوحة السابعة . وعلى الصف الثالث يستخدم العلوم المفرعة فى كل الدوحات ، فيما عدا الدوحة السابعة فيستخدم مسمى مطالب .

ثانيا : التصنيف الموضوعى

نلاحظ اختلاف الصورة تماما ؛ فنجده يستخدم فروع شعبة كتفريع للشعبة السابقة لها ، وبذلك تختلف توزيعات الصفوف ؛ ففي الدوحة الرابعة نلاحظ أن الشعبة الثانية هى فى فروع العلم الإلهى الذى يوجد فى الشعبة الأولى ، إذن تقع العلوم المفرعة من الشعبة الثانية بذلك على الصف الثالث ، بينما تقع العلوم المفرعة من الشعبة من الشعبة الأولى على الصف الثانى . و الشعبة الرابعة هى فروع الفروع للشعبة الثالثة ، وبذلك تكون الشعبة الثالثة على الصف الثانى ، و العلوم المفرعة من الشعبة الرابعة على الصف الثالث ، و العلوم المفرعة من الشعبة الخامسة على الصف الرابع . كما نجد أن الشعب السابعة و الثامنة و التاسعة والعاشرة هى فروع لعلوم الشعبة السادسة ، و لذلك تكون العلوم المفرعة من الشعبة السادسة على الصف الثانى ، بينما بقية العلوم المفرعة من الشعبة السابعة إلى العاشرة على الصف الثالث. وهذا ما نجده في الدوحة السادسة ؛ حيث تعد علوم الشعبة الثامنة فروعا للشعبة السابعة التى تسبقها ، و بذلك تكون فروع العلوم من الشعبة على الصف الثالث ، بينما فروع العلوم من الشعب السبعة التى تسبقها على الصف الثانى . و من هنا نجد أن تفرعات العلوم عند طاشكبرى زادة تصل إلى الصف الرابع ، ولا يتوقف فقط إلى الصف الثالث كما يظهر التصنيف الشكلى الذى يسير عليه .

الاتساق و التماسك

يتميز تصنيف طاشكبرى زادة من الناحية الموضوعية بالاتساق و التماسك بين أقسامه ، فيتدرج فى عرض علومه لخدمة هدف وحقيقة نابعين من الفكر الإسلامى ، و تلك الحقيقة الدينية و ما يصل به الإنسان إلى السعادة الأبدية ، و لذلك بدأ بالعلوم التى تعد أدوات تحصيل العلوم ، مبتدئا بالخط وعلومه ثم الألفاظ وما تبعها من علوم ، ثم العلوم التى تستكشف المفاهيم العقلية ، و التى تحمى العقل من الخطأ ، و هو المنطق ، و العلوم التى تحمى من الخطأ فى المناقشات ، وهذا تمثل فى الدوحات الثلاث الأولى . ثم ينتقل إلى العلوم العقلية بشقيها النظرى و العملى ، وما اشتملت عليه من علوم تتكامل مع بعضها لخدمة الدين ، فمنها ما هو نابع من معطيات

الحضارة العربية الإسلامة ، و هذا ما نجده بارزا فى فروع الشعبة الثانية فى الدوحة الخامسة ، وما اشتملت عليه من علوم لخدمة الدين ، سواء كان ذلك فى تحديد مواقيت الصلاة ، أو فى علم الفرائض كفرع من فروع علم الحساب ، و هو لتوزيع المواريث . و من هنا جعل دراسة العلوم العقلية هى المساعدة لفهم العلوم الشرعية ، أو مساعدتها و مساعدة الإنسان على أداء واجباته الدينية ، التى حددها فى العلوم الشرعية بأقسامها ، وما نراه من الترابط و الاقتراب بين معالجة الموضوعات ، كما يظهر فى تقسيمات علوم القرآن وعلوم الحديث و الفقه . ثم يتنقل إلى ثمرة هذا العمل وتحقيق السعادة الأبدية فى الدوحة السابعة التى اشتملت على علوم التصفية . ولايعد تصنيف طاشكبرى زادة تصنيفا تجريديا فلسفيا ، ولكننا نجده ملتزما بهدف واحد نابع من البيئة و العقيدة الإسلامية ، وهو تحقيق التعاليم الدينية ، و لذلك كان هذا هو الأساس الفلسفى الذى حدد البناء العام لتصنيفه ، و مكان مختلف العلوم داخل هذا البناء .

و من ناحية التصنيف الشكلى نجد بعض الملاحظات على اتساق الموضوعات وتماسكها ، منها :

- تكراره لبعض العلوم حيث يذكر العلم تحت شعبة فى دوحة ما ، ثم يعيده مرة أخرى فى شعبة أخرى و دوحة مختلفة ، دون إضافة أى جديد ، مثل علم الفرائض الذى ذكره كفرع لعلم الحساب

ثم أعاد ذكره مرة أخرى كفرع لعلم الفقه .

- لم يسر على نمط منطقى فى عرض تفريعات العلوم ، ففى الدوحة السادسة يعرض للأقسام العامة للعلوم الشرعية متتالية فى الشعب السبعة الأولى ، ثم يتناول كل علم منها بالتفصيل فى مطالب الشعبة الثامنة . بينما نجد التصانيف المنطقية لا تفصل بين العلم و فروعه ؛ فهى تعرض للعلم العام وتفريعاته مباشرة معه فى المعالجة .
- وضع تفريعات علم تحت علم علم آخر ، كما حدث فى ذكر فروع الشعبة الثانية من الدوحة الثانية (العلوم التى تعصم من الخطأ فى المناظرة و الدرس) ، ومنها النظر و الجدل وعلم الخلاف ، وأعاد هذه العلوم بعينها فى المطلب السادس من

الدوحة السادسة فى فروع علم أصول الفقه ، علما بأن الأقرب لها علم أصول الدين الذى لم يذكر تحته علوما .

- عدم تفريقه بين الموضوعات ، و ظهر ذلك في المطلب الثاني و في المطلب الرابع من الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة (فروع علم الحديث) ، فلم يوضح أن المطلب الثانى لفروع رواية الحديث ، والمطلب الرابع لفروع دراية الحديث ، كما وزعها فى الشعبة الثانية و الشعبة الرابعة من الدوحة السادسة . و هو هنا لا يفرق بين العلمين ؛ فقد فرع عن رواية الحديث علم شرح الحديث ، و هو من علوم الدراية ، كما أن فروع الدراية تتصل بعلوم الصوفية أكثر من علوم الدراية.
- ظهر عدم الاتساق فى عدم الالتزام بطريقة واحدة فى عرض العلوم ؛ ففى الدوحات الأولى يفرع العلوم مباشرة من الشعب ، أو يفرع العلوم من الشعب تحت مسمى مطالب ، كما فى الشعبة الثامنة من الدوحة السادسة ، أو تحت مسمى عناقيد ، كما فى الشعبة الخامسة من الدوحة الرابعة ، أو يسير على نمط آخر بتسمية فروع الشعب أصولا ، ثم يفرع من الأصول مطالب .
- ظهر عدم الاتساق فى عدم التوازن ، سواء كان ذلك فى أعداد الشعب و فروع العلم داخل الدوحات أو فى حجم الدوحات نفسها ، فمنها ما يقع فى صفحات قليلة و منها ما تطول صفحاته ليحتل جزءا كاملا من الكتاب .

هذا ويعد تصنيف طاشكبرى زادة أكمل التصانيف العربية التى أفرزتها الحضارة الإسلامية سواء كان ذلك من حيث اكتمال المعالجة ، أو من حيث عدد العلوم التى عرضها ، أو من حيث الاتجاهات التجديدية التحديثية التى أبرزها فى تصنيفه ، و هذا ما شهد به مفكرو عصره و القرون اللاحقة عليه و كتاب العصر الحديث .

و ننتقل إلى القرن الحادى عشر ، و هو من القرون التى شهدت عظمة الدولة العثمانية ، و قد أفرز عددا من التصانيف ، سوف نتناول واحدا من أشهرها ، و هو " الفوائد الخاقانية " للشروانى .

ثانيا : تصنيف الشرواني (ت ١٠٣٦هجرية)

يعد القرن الحادى عشر من القرون التى شهدت عظمة الدولة العثمانيـــة ، وقد أنتج هذا القرن العديد من الأعمال الفكرية المهمة ، وما يهمنا من تلــك الأعمـــال عملان ، هما : كتاب '' كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون '' لحاجى خليفـة ، و كتاب '' الفوائد الخاقانية '' للشروانى . و قد نظر العديد من الباحثين إلى العمليـن على أنهما من الكتب التى قدمت تصنيفا للعلوم . (٥٩) و لكن الباحثة تخرج كتــاب '' كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون '' عن كونه عملا تصنيفيا لانتمائـــه إلــى البيبليوجرافيات الحصرية ، فقد رتب مؤلفه العلوم فيه متبعا منهج الفهرس القاموسى ، حيث جمع عناوين الكتب المدرجة و أسماء المؤلفين و أسماء العلوم فى ترتيب هجائى واحد بعكس الطريقة التى تتبعها الكتب التصنيفية التى ترتب العلوم وفق خطة تصنيفية لتصور المعرفة البشرية ، فتقسم العلوم إلى قطاعات معرفية تمثل أقســاما رئيســية تتدرج منها أقسام أخرى تعد فرعية لها ، و هكذا . أو تتبع طريقة أخرى تقوم علــى تجميع العلوم الجزئية لتصل إلى العلم الكلى الذى تنتمى إليه ، و هذا لا يحــدث فــى ترتيب العلوم عند حاجى خليفة . و حسب تعريف التصنيف الذى يقوم علـــى جمــع الأشياء المتشابهة ، و فصل الأشياء غير المتشابهة ، لا نستطيع تطبيقه على طريقـــة الترتيب التى اتبعها حاجى خليفة ، لأنها تعمل علـــى فصـــل الأشـــياء المتشـــابهة لا تجميعها؛ فمثلا إذا ما بحثنا تحت حرف الحاء سوف نجده يذكر علم الحديث ، ثم علـم الحروف الذى ينتمى إلى علم السحر ، ثم علم حكايات الصالحين الذى ينتمى إلى علـم التاريخ ، ثم علم الحكمة ؛ أى مجموعة العلوم الفلسفية . (٦٠) و هذه العلـــوم التـــى ذكرت متتابعة نظرا للترتيب الهجائى لا نجد أى تشابه بينها ، فكل منها ينتمـــى إلـــى قطاع معرفى بعيد تماما عن الآخر . و من ثم فإن كتاب '' كشف الظنون '' لحــاجى خليفة لا يعد عملا تصنيفيا ، و تتضح صلة حاجى خليفة بالعملية التصنيفية باعتبـــاره واحدا من الذين وضعوا قواعد لتصنيف الكتب بالمعنى الذى نستعمله اليوم . و من ثـم فإننا سنركز هنا على دراسة كتاب '' الفوائد الخاقانية '' للشروانى حيث نجــد فيــه ترتيبا منظما للعلوم يسير وفق خطة تصنيفية محددة .

تصنيف الشرواني (٦١)

ضمن الشرواني كتابه الفوائد الخاقانية تقسيمه للعلوم ، و الذى انتهى من وضعه عام ١٠٢٣هجرية . و ينتمي هذا الكتاب إلى المدرسة الأولى في التصنيف ، و هي المدرسة الفلسفية ، حيث بنى تصنيفه بطريقة نظرية ، فجاء وفق تصوره للمعرفة ، و كانت طريقته فريدة في تقسيم المعرفة ، فقد جاءت لتحقق هدفه الضمني، هو توصيل مفاهيم معينة إلى السلطان الذى أهداه كتابه .

الهدف من كتاب الفوائد الخاقانية

كان للشرواني في كتابه هدفان ، أحدهما ضمني تمثل فيما أراد توصيله إلى السلطان من تعاليم و إرشادات في تنظيم شئون السلطنة و الرعية ، و هدف صرح به في قوله : " و جعلته وسيلة لغفران الله و رضوانه ، و لينتفع به المضلين ، و يجعله ذخرا ليوم الدين ، فإنه ليس قصدي من ذلك إلا إفادة الطلاب ، و تذكرة الأصحاب". (٦٢) و يتضح من هذه العبارة أن الهدف من وراء تأليفه هذا الكتاب هدف تعليمي لخدمة الطلاب ، فجاء كتابه محتويا على العلوم التى يدرسها الطلاب ، و هدف ديني يتمثل في خدمة الإسلام ، مما له تأثيره على طريقة تقسيم العلوم وترتيبها . و من ثم فقد جاء كتابه ليكون موسعة تعرف بالعلوم ، و تفيض بالحديث عنها . و قد عمد إلى تقسيم العلوم وفق تصوره للمعرفة ليتمشى مع تحقيق هدفه في عرض العلوم لإفادة الطلاب و خدمة الدين و توصيل تعاليم معينة إلى السلطان .

و قد جاء مخططه في تقسيم المعرفة على النحو التالي :

العلوم الشرعية

علم التفسير

علم القراءة

علم الحديث

علم أصول الحديث

علم الكلام

علم أصول الفقه

علم الفقه

علم التصوف

علم الخلاف

العلوم العربية -

علم اللغة

علم الصرف

علم الاشتقاق

علم النحو

علم المعانى

علم البيان

علم البديع

علم العروض

علم القافية

علم الخط

علم قرض الشعر

علم إنشاء النثر

العلوم العقلية

علم المنطق

علم آداب البحث و المناظرة

علم حكمة الأشراف

علم الحكمة الطبيعية

علم الحكمة الإلهية

علم الهيئة

علم خواص الأقاليم

علم الهندسة

علم الحساب

علم الجبر و المقابلة

علم الأرثماطيقى
علم المساحة
علم الأبعاد و الأجرام
علم الموسيقى
علم السماء و العالم
علم الأكر
علم التشريح
علم الطب
علم المناظر
علم النجوم
علم الأصطرلاب
علم التعبير
علم الفراسة
علم المزاجيان
علم الصنعة
علم الكون و الفساد
علم الآثار العلوية
علم الأخلاق
علم تدبير المنزل
علم السياسة
علم آداب الملوك

و قد ضمن الشروانى كتابه (الفوائد الخاقانية) ثلاثة و خمسين علما لتكـون موافقة لعدد حروف اسم السلطان الأحمد خانية ، و هو السلطان أحمد بـن السـلطان الغازى أبى الفتح محمد بن السلطان صاحب العزم مراده خلد الله ذكره .

و تكمن فلسفته فى تقسيمه إلى ما أراد توصيله إلـى السـلطان مـن تعـاليم وإرشادات فى طريقة الحكم ، مهد إليها بمجموعة من العلوم تؤهل السـلطان للقيـام بمهام حكمه ، و من هنا جاء تقسيم العلوم إلى أقسام معرفية كل منها يمثل جزء ا مـن أجزاء جيش السلطان ، فقسم كتابه إلى خمسة أجزاء :

خصص المقدمة فى ماهية العلم و ما يتصل به ، و تقسيمه إلى أنواعه . و الأجـزاء الأربعة الأخرى لأقسام العلوم : فالقلب للعلوم الشرعية ، و الميمنة للعلوم العربيـة ، والميسرة للعلوم العقلية ، و الساق لعلم آداب الملوك .

و يسير الشروانى فى ترتيب أقسام العلوم حسب شرف العلم ، و يقـدم علـم على آخر باعتباره وسيلة للاحق . و من ثم فهو يقدم العلوم الشرعية علـى العلـوم العربية باعتبار الأولى أشرف من الثانية ، و يقدم العلوم العربية على العلوم العقليـة لشرفها ، و باعتبارها وسيلة لتحصيل جميع العلوم ، فمن لم يعلم اللغة فلا سبيل لـه إلى تحصيل العلوم . و كل هذه العلوم مقدمة على علم آداب الملوك لاحتياج هذا العلم إلى كل ما سبقه من العلوم ، فلقيام الملك بسياسة الرعية عليه أن يعلم علوم الشريعة و العلوم العربية و بعضا من العلوم العقلية .

و فى ترتيب الشروانى لفروع كل علم يستخدم مبدأ شرف العلم ، أو اعتبـار العلم وسيلة للعلم اللاحق ؛ فترتب العلوم الشرعية حسب شرف العلم ، لذلـك يقـدم علوم القرآن من التفسير و القراءة على علوم الحديث . و يقدم علوم الحديث على بقية العلوم الدينية الأخرى . و يقدم علم الكلام على الفقه لأهميته و توقف علم الفقه عليه ، فعلم الكلام يبحث فى ذات الله و صفاته ، و من ثم فالاعتقاد يسبق التكليف الذى يشمله علم الفقه . و يقدم علم أصول الفقه على الفقه لأنه العلم بالقواعد التى يتوصل بها إلى الفقه ، و من ثم يبنى عليها الفقه ، و من هنا كان تقديمه علم الفقه . ثـم يـأتى علـم

التصوف فى نهاية العلوم الشرعية باعتباره من العلوم الحادثة فى الملة الإسلامية ، و ليس من العلوم التى يحتاج إليها المسلم فى معرفة الأمور المكلف بها .

و يقسم الشروانى العلوم العربية إلى اثنى عشر علما . يظهر فيها تمييزه بين علوم اللغة و العلوم الأدبية و علوم الخط ، و يرتبها ترتيبا منطقيا مبتدئا بعلوم اللغة التى يميز فيها بين العلوم المتعلقة باللفظ المفرد ، ثم العلوم المتعلقة بالمركب ، فيبدأ بعلم اللغة الذى يعد علما عاما حيث يتناول موضوعه مفردات الألفاظ من حيث دلالتها على المعانى ، ثم علم الصرف و علم الاستحقاق اللذين يبحثان فى اللفظ المفرد . ثم يتناول العلوم التى تتناول مركبات الألفاظ ، و يبدؤها بعلم النحو ثم علوم البلاغة التى يبدؤها بعلم المعانى لأنه يعد أفضل العلوم الادبية ، فبه يعلم إعجاز القران الكريم ، ويليه علم البيان لاعتماده عليه ، لأن رعاية المطابقة التى هى ثمرة علم المعانى معتبرة فى علم البيان مع شئ اخر و هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة . ثم علم البديع آخر علوم البلاغة ، لأنه العلم الذى يعرف به وجود تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، و من ثم فهو يأتى بعد المعانى و البيان . ثم يذكر علم القافية بعد العروض لكونه متصلا به ، كما جرت عادة العروضيين على ذكر علم القوافى لاحقا للعروض . و بعد الانتهاء من علوم البلاغة يذكر علم الخط لاحقا لعلوم اللغة ، لأن علم الكتابة علم يعرف به أحوال حروف الهجاء التى يتركب منها اللفظ ، و من ثم فهى لاحقة على علوم اللغة التى تتناول الألفاظ . ثم تتناول علوم الأدب من النظم (علم قرض الشعر) و النثر (علم إنشاء النثر) . ثم تأتى العلوم العقلية ، و يعرض فيها ثلاثين علما على الإجمال ، ثم تحديد الأصول منها و الفروع ، أو الأقسام الرئيسية و الفرعية ، و يبدؤها بعلم المنطق باعتباره آلة و وسيلة لغيره من العلوم ، ويشير إلى قول ابن سينا بأن علم المنطق هو خادم للعلوم ، وقول الفارابى بأن هذا العلم رئيس العلوم لنفاذ حكمته فيها ، ويعقب على ذلك بأن هذا العلم يعد وسيلة لغيره من العلوم . (٦٤) و من ثم جاء تقديمه على سائر العلوم العقلية . و يتبعه علم آدب البحث و المناظرة ، و هو بدوره يعد وسيلة لغيره من العلوم . ويعتبر الشروانى هذا العلم مثل علم المنطق خادما لغيره من العلوم ، لأن تزايد مسائل العلوم يوما بعد يوم ، وتفاوت مراتب الطباع و الأذهان لم ينج علما من التصادم ، و من هنا كان لابد من

قانون يعرف به مراتب البحث على وجه يتميز به المقبول عما هو مردود ، و هذا ما يفعله علم البحث والمناظرة ، و من ثم عد وسيلة لغيره ومن العلوم ، و من هنا ـ أيضا ـ جاء تقديمه على سائر العلوم العقلية . ثم يعرض لعلم حكمة الأشراف، وتقترب مباحث هذا العلم من علم التصوف ، و لا توجد ثمة علاقة بينه وبين العلوم العقلية ، و من هنا لم يكن موفقا فى إدراجه مع العلوم العقلية ، وكان من المفروض إلحاقه بالعلوم الشرعية .

و يبدأ الشروانى العلوم العقلية بالعلم الطبيعي ، و يتبعه بالعلم الإلهى ، و هذا الترتيب غير موفق ، وكان من الأفضل البدء بالعلم الإلهى ، ثم العلم الطبيعي ، لاقتراب العلم الإلهى من علم حكمة الأشراف .

و يسود الاضطراب عرضه لبقية العلوم العقلية ؛ فبالرغم من محاولة عوض العلوم المتشابهة معا إلا أن تسلسل العلوم غير منطقي ، حيث يبعد علم المساحة عن علم الهندسة ، و هو يعد من فروعه ، و يلحقه بعلوم الحساب . كذلك يبعد علم المناظر عن علم الهندسة ، و هو يعد من فروعه ، و يلحقه بعلم الطب . ويقدم علم الجبر و المقابلة على العلم الأرثماطيقى الذى يرتبط أكثر بعلم الحساب من علم الجبر و المقابلة . كما يبعد علم الأبعاد و الأجرام و علم الإسطرلاب و علم الأكر عن علم الهيئة ، وهى تعد من فروعه . ويؤخر فروع العلم الطبيعي عن علم الحكمة الطبيعية، كما يذكر أصولها ، وهى (علم الآثار العلوية وعلم الكون و الفساد) بعد ذكر الفروع. كما يبعد هذين العلمين عن علم السماء و العالم ، الذى يعد هو الآخر من أصول العلم الطبيعي .

قواعد التصنيف التى يستخدمها الشروانى

يعكس تصنيف الشروانى من العلاقات التصنيفية :

- **علاقة الاشتمال و التبعية :** فنجد العلوم تسير من العلم العام إلى العلم الخاص ، فيعرض لكل قسم رئيسى ، ثم يتدرج منه إلى العلوم الفرعية المتدرجة تحته ، مثل: العلوم الشرعية و فروعها المندرجة منها ، و العلوم العربية و العلوم المفرعة عنها .

• **علاقة تجاور:** فقد حاول الشروانى المحافظة على تجاور الموضوعات المتشابهة ، وإن لم يوفق مع بعض العلوم . و من الأمثلة على تجاور الموضوعات المتشابهة : تجاور علوم الطب و التشريح ، وتجاور علوم الحكمة العملية : علم الاخلاق و السياسة وتدبير المنزل .

تقييم محاولة الشروانى التصنيفية

- يعرض الشروانى فى الجزء الأول من كتابه ، و هو المقدمة : ماهية العلم ، وأهميته ، و واجبات المعلم و المتعلم ، و هى المقدمات نفسها التى نجدها عند طاشكبرى زادة عن العلم و التعليم ، و ما يتصل بهما . ولكن الشروانى يضيف أنواع التقاب المعتبرة فى التصانيف العربية الإسلامية ، و قد نقلها عنه حاجى خليفة فى كتابه '' كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون '' .
- يتعرض الشروانى فى عرض العلوم فى تصنيفه إلى بعض القضايا المهمة التى أثيرت فى الحياة الفكرية الإسلامية ، فيناقش فى علم الكلام النزاع بين الأشاعرة و المعتزلة . كما يؤرخ لبعض العلوم ، ففى علم التصوف يعرض للأسباب التى دعت إلى نشأة هذا العلم .
- يعتمد الشروانى فى عرض علومه على السند الأدبى فيعرض للعلوم من خلال ما كتب حولها ، وبالاستناد إلى اطلاعه على بعض الكتب ، فيشير إلى كتاب '' مفتاح العلوم '' للسكاكى ، وآراء ابن سينا فى علم المنطق ، و آراء الفارابى .
- يغلب على عرض العلوم فى تصنيف الشروانى الصفة الموسوعية ، حيث يسهب فى عرض كل علم من مختلف جوانبه ، متعرضا لكل الآراء التى قيلت حوله ، مثل : علم المنطق ، وما يذكره من آراء ابن سينا و الفارابى و علماء الكلام .

المميزات و العيوب فى تصنيف الشروانى

تميز تصنيف الشروانى بتجاور بعض العلوم ، مثل : علوم الخط و اللغة و الأدب ، و معالجتها تحت قطاع معرفى واحد ، و هذا ما افتقرت إليه بعض التصانيف الحديثة ، مثل : تصنيف بيكون وتصنيف ديوى . و هذا ما أشارت إليه الباحثة من قبل عند معالجة التصانيف السابقة . بينما التزمت به تصانيف حديثة أخرى ، مثل :

تصنيف الكونجرس الذي جمع معالجة اللغة و الأدب معا تحت رمز واحـــد (*P*) .

وبالرغم مما تميز به تصنيف الشرواني ، فهو لا يخلو من بعض العيوب ، منها :

- ذكر علوم في غير موضعها الصحيح ، مثل : علم حكمة الأشراف الذى ذكـــره ضمن العلوم العقلية ، و لكن مباحث هذا العلم هي نفسها مباحث علم التصـــوف ، و من ثم كان يجب ذكره قريبا من علم التصوف .
- ذكر الفروع قبل الأصول ، مثل ذكره علم المزاجيان قبل علم الصنعة ، وكـــان من الواجب تقديم علم الصنعة عليه مراعاة لأصليته . كما قـــدم فـــروع العلـــم الطبيعي ، مثل : علم الطب و علم التعـــبير
- و علم الفراسة على أصوله ، و هي علم الكون و الفساد ، وعلم الآثار العلوية .
- باعد بين القسم الرئيسي وأصوله وفروعه ، مثل تباعد الحكمة الطبيعيـــة عـــن أصولها ، و هي علم السماء و العالم و علم الكون و الفساد و علم الآثار العلوية، عن فروعها ، مثل : علم الطب وعلم النحو وعلم التعبير ، و غيرها ، .
- فصل علم آداب الملوك عن علم السياسة ، و هو يعد من فروعها ، و خصصـــه بقسم خاص به بسبب الهدف الضمني في توصيل تعليمات و إرشـــادات معينـــة للسلطان ضمنها علم آداب الملوك .

تأثير البيئة الثقافية في تصنيف الشرواني

أخذت الدولة العثمانية – التي ينتمي إليها الشرواني – من الديـــن الإســـلامي شعارا لها ، و حاولت إضفاء الطابع الديني على كل مظاهر الحياة ، بل اتخذته ســـتارا لكل توسعاتها ، فحرصت على بناء المساجد في كافة أنحاء الأمبراطورية العثمانيـــة ، وتحويل الكنائس إلى مساجد ، و اتخاذ السلاطين الألقاب الدينية ، منها : حامي حمـــى الحرمين الشريفين ، و خادم الحرمين الشريفين . ومن أهم المظـــاهر الدينيـــة التـــي اتخذتها الدولة العثمانية تشجيع التصوف ، و تمويل الطرق الصوفية . كما اتجه بعض السلاطين إلى التصوف . (٦٥)

وقد انعكس هذا الاتجاه الديني على طريقة معالجة الشـــرواني للعلـــوم فـــي تصنيفه ، وقد اتضح ذلك في حشر حكمة الاشراف ضمن العلوم العقلية بالرغم مـــن ابتعاده تماما عن مجالها ، لأنه يحوي إقرار المبادىء التي يجب أن يتحلى بها العـــالم

من الزهد و الورع و التقوى التى تعصمه من الخطأ فى تحصيل العلوم العقلية . كما اتضح أيضا من خلال معالجة علوم الحكمة العملية : علم الأخلاق و علم تدبير المنزل و علم السياسة ، من مفهوم إسلامى ، و من واقع الحياة الإسلامية العربية ، و تعاليم الدين الإسلامى ، مبتعدا بها عن أى مفهوم أرسطى .

ومن مظاهر النزعة الدينية فى تصنيف الشروانى مقارنته وضع بعض العلوم العقلية بوضع بعض العلوم الدينية ، فهو يقول : '' إن الحكمة الإلهية و الطبيعية من العلوم العقلية بمنزلة الكلام من العلوم الشرعية '' . (٦٦) كما غلبت النزعة الصوفية فى معالجته التصنيفية فأطال الحديث عن علم التصوف ونشأته . كما جعل علم حكمة الأشراف من العلوم الفلسفية بمنزلة علم التصوف من العلوم الشرعية الإسلامية . (٦٧) و طريقة تحصيل هذا العلم تجمع بين طريقة أهل النظر والاستدلال و طريقة أهل الرياضة و المجاهدات ، و من ثم فقد جمع بين طريق العقل وطريق التصوف فى تحصيل هذا العلم .

و قد ذكر الشروانى العلم الإلهى مع العلوم العقلية ، متأثرا فى ذلك بتقسيم أرسطو للحكمة النظرية . و على الرغم من ذكر تعريف أرسطو نفسه لهذا العلم ، إلا أن معالجته للموضوع جاءت من منطق العقيدة الإسلامية . كما أشار إلى آراء المتكلمين و المتصوفين و الحكماء فى هذا العلم .

تصنيف الشروانى بين التأثر و التأثير

ظهر تأثر الشروانى بطاشكبرى زادة فى أكثر من موقع ؛ فقد نقل عنه ما أورده فى المقدمة من ماهية العلم و أهميته ، و أهم واجبات المعلم و المتعلم . و هذا ما ورد عند طاكشبرى زادة نفسه فى مقدمته لكتاب '' مفتاح السعادة و مصباح السيادة '' . كما نقل عنه العديد من تعريفاته العلوم ، مثل : تعريف علم الحكمة الطبيعية ، و علم المساحة ، و علم الجبر والمقابلة ، وغيرها . كما نقل عنه بعض العلوم ، مثل : علم آداب البحث و المناظرة ، الذى ألحقه بعلم المنطق ، و اعتبره آلة و وسيلة مساعدة لتحصيل غيره من العلوم . و هذا ما ورد عند طاشكبرى زادة حين ذكر علم البحث و المناظرة كأحد فروع الشعبة الثانية من الدوحة الثالثة فى (علوم تعصم الذهن عن الخطأ فى المناظرة و الدرس) . (٦٨) كما نقل عنه علم

الأصطرلاب الذى ذكره طاشكبرى زادة كأحد فروع علم الهيئة . و نقل عنـــه علـم آداب الملوك الذى ذكره طاشكبرى زادة كأحد فروع الحكمة العملية . (٦٩)

و تأثر الشروانى فى معالجته للعلوم العربية بتعريفــات السـكاكى و أقولــه وأمثلته التى ذكرها عن العلوم العربية ، ونقل عنه فقرات كثيرة وأشار بــالفعل إلــى النقل عنه ، بل نقده أحيانا فى بعض ما نقله عنه ، كما فى علم المعانى ؛ حيث نقــده فيما ذكره من شرح حول هذا العلم ، فقال معلقاعليها : '' لو كان المراد من التتبــع المعرفة المسببة عنه لكان الواجب أن يقول السكاكى : ليحترز به ، لا يحترز بالوقوف عليها . و ثانيها أن علم المعانى عبارة عن التعبير بالقواعد لا المعرفة المسببة عــن التتبع '' . (٧٠)

كما و نقل الشروانى عن ابن سينا آراءه و تعريفاته لعلم المنطق . كما نقل ـ أيضا ـ عن الفارابى آراءه وتعريفاته لعلم المنطق .

و قد أثر الشروانى فى بعض المصنفين بعده ، فقد تأثر حاجى خليفــة جلبــى بكتاب '' الفوائد الخاقانية '' ، فى أكثر من موقع ؛ فقد نقل عنه تقسيمات العلوم التــى ذكرها فى مقدمته . (٨٥) كما نقل عنه تعريفات بعض العلوم . و تأثر التهانوى فــى كتابه '' كشاف اصطلاحات الفنون '' بما نقله عن الشروانى من تقســيمات العلــوم المختلفة ، و بخاصة تقسيم العلوم إلى نظرى و عملى ، و مفهوم العملى . و تقســيمها إلى العلوم الآلية و غير الآلية ، و هو ما ورد فى المقدمة عند التهانوى . (٧١) كمــا نقل عنه بعض تعريفاته للعلوم .

هل تأثر تصنيف الشروانى بتصنيف أرسطو ؟

انطلق الشروانى بتقسيمه وعرضه للعلوم فى تصنيفه مــن مفــهوم عربــى إسلامى ، ومن ثم جاء تقسيمه مختلفا تماما عن تقسيم أرسطو للعلوم ؛ فقد اتخذ التقسيم الرباعى فى مقابل التقسيم الثلاثى عند أرسطو . وبدأ بالعلوم الشرعية ثم ثناها بــالعلوم العربية ، بينما لا نجد لهذه العلوم ذكرا عند أرسطو . كما أن عرض العلوم العقليــة وتقسيمها مختلفا تماما عما جاء عند أرسطو ، فقد عرض العلوم إجمــالا دون اتبــاع تقسيمها الى حكمة نظرية وعلمية ، و إن كان قد أشار إلى بعض العلوم متأثرا بتقســيم أرسطو ، مثل العلم الإلهى وعلوم الحكمة العملية ، و لكن جاءت المعالجة من مفــهوم

إسلامي عربي خالصة ، دون أى تأثير أرسطي إلا في تعريف العلم الإلهي . كما ذكر علوما كثيرة لا توجد عند أرسطو ، و هي من إنتاج الفكر العربي الإسلامي ، مثل علم الأكر وعلم الأصطرلاب وعلم البحث والمناظرة وعلم حكمة الأشراف .

منهج الشرواني في تصنيفه

سار الشرواني في عرض العلوم متدرجا من القسم الرئيسي وهو العلم العام إلى الفروع التي تعد علوما خاصة تندرج تحت العلم العام ، مستخدما في ذلك المنهج الاستنباطي .

مستوى المعالجة في تصنيف الشرواني

يقسم الشرواني الكتاب إلى خمسة أجزاء ، ويخص العلوم بأربعة أقسام فقط ، ويقسم كل قسم إلى عدد من العلوم الأصلية دون إعطاء تفريع أكثر ، ومن ثم تقف العلوم عنده على الصف الثاني ، و هذا ما سوف يوضحه الجدول التالي :

تصنيف الشرواني	الصف الأول	الصف الثاني	الإجمالي
من كتابه '' الفوائد الخاقانية ''	العلوم الشرعية العلوم العربية العوم العقلية الساق	١٠ ١٢ ٣٠ ١	
الجملة	٤=٤	٥٣	٥٣=



جدول (١٤) يوضح توزيع العلوم المفرعة من التصنيف الشرواني على الصفوف

و من استقراء الجدول السابق يتضح ما يلي :

- بلغ عدد العلوم المفرعة عند الشرواني ثلاثة وخمسين علما ، تقف كلها على الصف الثاني . وبلغ عدد العلوم على الصف الأول أربعة .
- يلاحظ تفاوت التفريع في كل علم عام ، ففي العلوم الشرعية بلغ عدد العلوم عشرة ، و في العلوم الأدبية اثنى عشر ، وفي العلوم الدينية اثنى عشر ، و في العلوم العقلية ثلاثين علما ، و جعل علم اداب الملوك علما قائما بذاته غير مفرع من أى قطاع من العلوم ، لما يمثله من اهمية .

• يلاحظ وقوف التفريعات إلى الصف الثانى ، و عدم إعطاء أية تفريعات من علوم الصف الثانى ، ويرجع ذلك لالتزامه بعدد معين من العلوم ليوافق عـدد حـروف أسماء السلطان ، و قد صرح هو نفسه بوجود علوم أكثر ، و هذا ما ذكـره عـن العلوم العقلية : و أما الميسرة ففى العلوم العقلية وهى كثيرة ، ولكن اعتبرنا مـن أصولها و أمهاتها نحو ثلاثين علما ، وهنا تصريح بالتزامه بذكر الأصـول مـن العلوم دون الفروع .

الاتساق و التماسك فى خطه تصنيف الشروانى

يلاحظ على خطة تصنيف الشروانى التماسك فى عرض الموضوعات ، وعدم وجود فقرات مخلة بالهيكل التنظيمى العام لخطته التصنيفية ، فهو يعرض كل قسم من أقسام العلوم و يتبعه بالفروع الخاصة به دون القفز من القسم الآخر . و قـد اختـل تماسك الموضوعات عنده فى عرض العلوم العقلية ، حيث وجدت بعـض الفقـرات التى لم تحقق تجاور العلوم المتشابهة ، فابتعدت فروع العلم الطبيعى عن علم الحكمـة الطبيعية ، كذلك تناثرت فروع علم الهيئة ولم يحدث تجميع لها .

و قد لوحظ من ناحية الاتساق عدم وجود توازن فى أعداد العلوم المفرعة عن كل علم ، فبينما تصل أعداد العلوم المفرعة من العلوم العقلية إلى ثلاثين علمـا نجـد علما واحدا قائما بذاته يمثل قسما واحدا دون وجود أية فروع له ، و هـو علـم آداب الملوك ، وكان من المفروض إلحاقه بالعلوم العقلية باعتباره أحد فروع علوم الحكمـة العملية ، و لكن التزامه بتقسيم العلوم كتقسيم جيش السلطان جعله يخصـص القسـم الخامس لهذا العلم مفردا لتضمنه الأمور التى يريد أن يوصلها للسلطان .

ويلاحظ الاتساق الموضوعى الذي يسير بالعلوم لتحقيق الهدف من تصنيفـه ، و هو الهدف الضمنى فى توضيح مفاهيم و تعاليم معينة للسلطان ؛ أى لتحقيق الـهدف التعليمى ، فجاء ترتيب العلوم متمشيا مع الاتجاه التربوى و التعليمى فى البدء بتعلـم العلوم الدينية ثم العلوم العربية ثم العلوم العقلية .

و يعد تصنيف الشروانى عملا مميزا ، فهو نتاج معطيات الحضارة العربيـة الإسلامية من فكر ، وما وصلت إليه من تقدم فى علومها .

و اذا انتقلنا إلى القرن الثانى عشر فإننا ننتقل إلى مكـــان آخـــر فـــى العـــالم الإسلامى و هو الهند ، ويلاحظ تأثير الدين الإسلامى و الثقافة العربية ، مما أدى إلـــى تكامل عمل التهانوى مع التصانيف العربية الإسلامية.

ثالثا : تصنيف التهانوى (ق ١٢ هـ)

يعد تصنيف التهانوى (٧٣) من التصانيف المتأخرة فى عمر الحضارة العربية الإسلامية ، ومن ثم نجد فيه إجمالا لما توصل إليه الفكر العربى المسلم . وقد وضـــع التهانوى تصنيفه فى مقدمة كتابه " كشاف اصطلاحات الفنون " . و قبل أن نقـــدم لمحاولة التهانوى التصنيفية كما عرضها فى كتابه ينبغى أن نعرض فى عجالة سريعة لملامح الحياة الثقافية الإسلامية فى الهند .

إن الثقافة الإسلامية فى الهند ليست وليدة هذا العصـــر ، و إنمـــا تـــأصلت جذورها أيام الغزنويين، فقد بنوا المعاهد العلمية التى كانت تعرف حينئذ بـــالمدارس ، و من أشهرها المدرسة التى أنشأها السلطان محمود الغزنى فى غزنة ، و كان يرحـــل إليها الطلاب من جميع أنحاء آسيا و إيران . و كان بلاط هذا السلطان مقصدا للعلمـــاء و المفكرين و الأدباء ، كالبيرونى و الفردوسى . كما كانت المكتبة التى أنشـــأها فـــى فناء المدرسة من أكبر المكتبات فى العالم الإسلامى . و من بعد غزنة انتقـــل مركـــز العلم إلى لاهور ، و منها إلى دلهى ، ثم تعددت البيئات العلمية فى الهند علـــى أثـــر تحول العلماء إلى عواصم المقاطعات بعد الغارة التى شنها تيمـــور ســـنة ١٣٩٨م ، فكثرت المدارس فى الحواضر ، و نمت دور العلم فيها . و من المدن التى ازدهـــرت فى تلك الحقبة مدينة جونبور التى لقبت فى عهد السلطان إبراهيم شاه المأمون بشيراز الهند . و اطردت الحركة العلمية فى عصر المغول ، و قد كـــان لأباطرتـــهم عنايـــة بالعلم و أهله ، فاستقدموا العلماء و أجزلوا لهم العطاء ، و كان ممن قدمـــوا أيـــام الأمبراطور الأكبر (٩٦٤ــ١٠١٤هــ) الميرفتح الله الشيرازى أحد نوابغ عصره فـــى العلوم العقلية و النقلية .

و إذا ذكرت العلوم الإسلامية فى هذا العصر ، فإنما تذكر بالأمبراطور العـــالم " أورنكزيب " الذى لقب بلقب عالمكير (١٠٦٩ــ١١١٩هــ) ، فقد حـــرص علـــى نشر الإسلام و عقيدة أهل السنة ، و كان يتولى التدريس بنفسه للطـــلاب . و مـــن

مآثره الفتاوى الهندية ، و هى من أشهر المطولات فى فروع الفقه على مذهب الحنفية، و تعرف بالفتاوى العالمكيرية نسبة إليه . (٧٣) و لعل التهانوى قد أدرك طرفا من عصر هذا الملك ، فقد وضع التهانوى كتابه سنة ١١٥٨هجرية .

تصنيف التهانوى

ينتمى تصنيف التهانوى إلى المدرسة الأولى فى التصنيف ، و هى المدرسة الفلسفية ؛ فقد بنى تصنيفه بطريقة نظرية حسب تصوره لترتيب العلوم وتدريجها تبعا لأهميتها .

الهدف من كتاب التهانوى كشاف اصطلاحات الفنون

يصرح التهانوى بأن الهدف من وضع كتابه أن يكون كتابا فى مصطلحات العلوم ، يهدف من وراء ذلك إلى إفادة الطلاب بالرجوع اليه . (٧٤) فقد رتب مفردات الكتاب ترتيبا هجائيا على طريقة الباب و الفصل مخصصا الباب للحرف الاول من الحروف الأصلية للكلمة و الفصل للحرف الأخير منها ، معرفا كل مصطلح تعريفا شاملا عند أهل كل صناعة تستخدمه ، فمثلا علم الأدب يأتى فى باب الألف فصل الباء الموحدة . و يتناوله من حيث كونه متعلقا باللغة العربية ، أو بعلم الأخلاق، أو عند الفقهاء ، و هكذا .

و قد تطلب الحديث عن مصطلحات كل علم الحديث عن العلم نفسه ، وتوضيح مكانته بالنسبة إلى غيره من العلوم ، و هذا ما جره إلى الحديث عن التقسيمات المختلفة للعلوم ، و التى حصرها فى سبعة أنواع من التقسيمات ، ليصل منها إلى التقسم الذى يراه مناسبا لتصنيف العلوم، وبذلك جاء كتابه ليكون قاموسا موسوعيا للتعريف بمصطلحات العلوم ، و هو ـ أيضا ـ كتاب فى تصنيف العلم .

وصف كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون) للتهانوى

يعد كتاب التهانوى كما جاء فى عنوان دراسة كشاف اصطلاحات الفنون كتاب فى المصطلح ، فهو فى هذه الناحية يتشابه مع كتاب الخوارزمى '' مفاتيح العلوم '' فهو يجمع مصطلحات العلوم المختلفة مع تقسيم هذه المصطلحات على ثلاثة فنون ، الفن الأول : فى مصطلحات العلوم العربية . و الفن الثانى : فى المصطلحات العلوم الشرعية . و الفن الثالث : فى مصطلحات العلوم الحقيقية ، و هو فى كل فن

يقسم المصطلحات إلى أبواب باعتبار أول الكلمة ، ثم فصول باعتبار آخرها . كما أنه كتاب فى تصنيف العلوم ، حيث قدم كتابه بمقدمة مهمة عرض فيها نظريته فى تصنيف العلوم المدونة و ما يتعلق بها ، ويضمنها تعريفا للعلوم المدونة ، كما يعطى السبب الفلسفى و المنطقى وراء تقسيمات العلوم ، و يعرض لأسس التقسيمات المختلفة ، و هى :

- التقسيم الأول : التقسيم المعرفى المعتاد إلى العلوم نظرية غير متعلقة بكيفية عمل، وعلوم عملية . ويشرح اختلاف إطلاق لفظى نظرى و عملى ، فيستعملان لمعان ، فتكون العلوم النظرية ، أى غير متعلقة بكيفية عمل سواء كان كنه هذا العمل ذهنيا كالمنطق أو خارجيا كالطب ، وهكذا يكون اللفظان فى تقسيم العلوم منطقيا . وقد يستعمل اللفظين فى تقيسم الحكمة ، فيكون العملى هو علم بما يكون وجوده بقدرتنا و اختيارنا ، والنظرى علم بما لايكون وجوده بقدرتنا واختيارنا . ويستخدم اللفظين في تقسيم الصناعات فتكون عملية يتوقف حصولها على ممارسة العمل ، أو نظرية ، أى لا يتوقف حصولها عليه ، و على هذا يكون علم الفقه و النحو و المنطق، و الحكمة العملية خارجة عن العملى إذ لا حاجة لحصولها إلى مزاولة الأعمال ، ولكن علوم الخياطة و الحياكة والحجامة تعد علوما عملية لتوقفها على ممارسة العمل و المزاولة .
- التقسيم الثانى : تقسيم العلوم إلى آلية أو غير آلية ، فهى إما أن تكون فى أنفسها آلة لتحصيل شيء آخر بل مقصودة بذواتها (أىّ غاية) ، و إما أن تكون آلة غير مقصودة فى أنفسها . والأولى تسمى غير آلية ، و الثانية آلية .
- التقسم الثالث : تقسيم العلوم إلى عربية و غير عربية .
- التقسيم الرابع : تقسيم العلوم إلى شرعية وغير شرعية .
- التقسيم الخامس : تقسيم العلوم إلى حقيقية وغير حقيقية .
- التقسيم السادس : تقسيم العلوم إلى عقلية و نقلية ، فالعقلية ما لا يحتاج فيها إلى النقل ، و النقلية خلاف ذلك .
- التقسيم السابع : تقسيم العلوم إلى العلوم الجزئية و غير الجزئية ، فالعلوم التى موضوعاتها أخص من موضوع علم آخر تسمى علوما جزئية ، كعلم الطب فإن

موضوعه – وهو الإنسان – أخص من موضوع العلم الطبيعي ، و التي موضوعاتها أعم تسمى بالعلم الأقدم ، لأن الأعم أقدم للعقل من الأخص ، فإن إدراك الأعم قبل إدراك الأخص . وهذا التقسيم لم يرد عند غيره من المصنفين السابقين عليه ، و هنا يظهر مناداته بالعلم الكلي الذى تتفرع منه العلوم الجزئية ، و كذلك يظهر التدرج بالعلم من الأعم إلى الأخص .

و يتناول التهانوى أيضا فى مقدمة كتابه ما أسماه القدماء بالرءوس الثمانية التى تحدد مكانة العلم و مرتبته بين غيره من العلوم ، وهذه الرءوس بمثابة الأسس التى يقوم عليها تحديد الأهمية التى تتطلب من القائم عليه دراسته و الكتابة فيه ، كما أنها توضح الأسس التى يقوم عليها تناول الكتب و العلوم المدونة بالشرح ، و هى :

١- الغرض من تدوين العلم أو تحصيله ؛ أى الفائدة المترتبة عليه لئلا يكون تحصيله عبثا فى نظره .

٢- المنفعة ، وهى ما يتشوقه الكل طبعا ، و هى الفائدة المعتد بها ليتحمل المشقة فى تحصيله .

٣- السمة : و هى عنوان الكتاب ليكون عند الناظر إجمال مايفصله العرض .

٤- المؤلف : و هو مصنف الكتاب ليركن قلب المتعلم إليه فى قبول كلامه .

٥- أنه من أى علم هو ، أى من اليقينيات أو الظنيات ، من النظريات أو العمليات ، من الشرعيات أو من غيرها ، ليطلب المتعلم ما يليق به من المسائل المطلوبة له .

٦- بيان مرتبته هو : أى بيان مرتبته فيما بين العلوم ، إما باعتبار عموم موضوعه أو خصوصه .

٧- القسمة : وهى بيان أجزاء العلوم و أبوابها ليطلب المتعلم فى كل باب فيها ما يتعلق به ، و لا
يضيع وقته فى تحصيل مطالب لا تتعلق به .

٨- الأنحاء التعليمية ، وهى أنحاء مستحسنة فى طريق التعليم ، و تنقسم إلى قسمين ، أحدهما : التقسيم ، و هو التكثير من فوق إلى أسفل ، أى من أعم إلى ما هو أخص ، كتقسيم الجنس إلى الأنواع ، و النوع إلى الأصناف ، و

الصنف إلى أشخاص . و الثانى : التحليل ، و هو عكسه ، أى التكثير من أسفل إلى فوق ؛ أى من أخص إلى ما هو أعم ، كتحليل زيد إلى الإنسان و الحيوان ، و تحليل الإنسان إلى الحيوان و الجسم .

و من تحليل الرءوس الثمانية تتضح لنا النظرة المتقدمة لدى المسلمين لتحديد قيمة العلم و قيمة الكتاب فى علم ما ، و هى أسس يعتد بها فى عصرنا الحالى ، و تستخدم أسسا لتقييم قيمة الكتاب ، و ما يحمله بين دفتيه من قيمة علمية ، و هذا ما يتضح فى الرأسين الثالث و الرابع ، حيث يذكر أن التسمية '' عنوان الكتاب '' يعد دلالة مباشرة على الحدود الموضوعية للمادة العلمية التى يحتويها الكتاب ، ويذكر فى الرأس الرابع '' المؤلف '' وهو مصنف الكتاب ، فثقة المتعلم فى مؤلف الكتاب تجعله يقبل كل ما يعرضه المؤلف من علم بين دفتى الكتاب ، وفى الرأس الخامس و هو تحديد نوع العلم و أى نوع من العلوم ينتمى إليه يجعل المتعلم يقبله أو لا يقبله حسب ما يطلبه من العلم ، و فى الرأس الثامن نجده يتعرض للمنهج المتبع فى التصنيف و هو التكثير من فوق إلى أسفل ، و الثانى التحليل الذى يتبع طريقة التكثير من أسفل إلى أعلى ، و هذا هو دقة التعريف الذى ذكره طاشكبرى زادة لعلم تقاسيم العلوم فى كتابة '' مفتاح السعادة '' و هما الطريقتان اللتان اتبعهما طاشكبرى زادة فى تصنيف العلوم فى كتابه .

تقسيم التهانوى للعلوم

يستعرض التهانوى خطته التصنيفية بعد ذكر الرءوس الثمانية فى تقسيم العلوم، فيقسم العلوم إلى ثلاث مجموعات رئيسية هى: العلوم العربية ، و العلوم الشرعية ، والعلوم الحقيقية . و يقسم كل مجموعة إلى عدد من العلوم الجزئية المفرعة منها ، و هى كالآتى :

العلوم العربية

علم اللغة

علم الصرف

علم الاشتقاق

علم النحو

علم المعانى

علم البيان

علم البديع

علم القافية

علم الخط

علم الشعر

علم إنشاء النثر

علم المحاضرات

علم التواريخ

العلوم الشرعية

علم الكلام (أصول الدين)

علم التفسير

علم القراءة

علم الإسناد

علم الحديث

علم أصول الفقه

علم الفقه

علم الفرائض

علم السلوك (علم الأخلاق)

العلوم الحقيقية

المنطق

المقدمات

التعريفات

بارى أرمينياس '' القضايا ''

القياس

الخطابة

البرهان

الجدل

المغالطة

الشعر

علم الحكمة

الحكمة العملية

الحكمة النظرية

الحكمة الطبيعية

الحكمة العملية

تهذيب الأخلاق ، أو علم الأخلاق

تدبير المنزل

السياسة المدنية

الحكمة النظرية

العلم الإلهى

الأمور العامة

إثبات الواجب و ما يليق به

إثبات الجواهر الروحانية

بيان ارتباط الأمور الأرضية بالقوى السماوية

بيان نظام الممكنات

كيفية الوحى و صيرورة المعقول محسوسا

علم المعاد الروحانى

العلم الرياضى

علم العدد أو علم الحساب

علم العدد النظرى

علم العدد العملى

علم الهندسة

علم عقود الأبينة

علم المناظر

علم المرايا المحرقة

علم مراكز الأثقال

علم المساحة

علم استنباط المياه

علم جر الأثقال

علم البنكامات

علم الآلات الحربية

علم الآلات الروحانية

علم الهيئة

علم الزيجات و التقاويم

علم المواقيت

علم كيفية الأرصاد

علم تسطيح الكرة

علم الآلات الظلية

علم الموسيقى

العلم الطبيعى

علم الطب

علم البيطرة و البيزرة

علم الفراسة

علم تعبير الرؤيا

علم أحكام النجوم

علم السحر

علم الطلسمات

علم السيميا

علم الكيميات

علم الفلاحة

علم السماء و العالم

علم النجوم

منطق تصنيف العلوم عند التهانوى :

يفرق التهانوى بين ثلاثة أنواع من العلـــوم : العلـــوم العربيـــة ، و العلـــوم الشرعية، العلوم الحقيقية . و هو بذلك يفصل و يميز العلوم العربية من العلوم الدينية، بخلاف العديد من التصانيف العربية السابقة التى أدمجت العلوم العربية مـــع العلـــوم الدينية تحت تسمية واحدة هى العلوم الشرعية .

و قد بدأ تصنيفه بمجموعة العلوم القومية ، و هى العلوم التى تمثل فكر الأمـــة الإسلامية و ثقافتها والتى تمثلت فى العـــلوم العربية و العـــلوم الشرعية ، و أتبعـــها بما أســـماه العـــلوم الحقيقية ، و هى العـــلوم العقلية التى تشترك فيها كل الأمـــم و لا تبدل بتبديل الأزمنة و القوميات .

و يبدأ فى ترتيبه بالعلوم العربية باعتبارها الآلات و الوسائل للعلوم الشـــرعية و ما بعدها من علوم ، و من ثم فقد طبق مبدأ الوسيلة مقدمة على المقصد ، ثم أتبعـــها بالعلوم الشرعية التى هى مقدمة على العلوم العقلية لشرفها ، ثم يتناول كل مجموعـــة من هذه العلوم بالتقسيم إلى مجموعة من العلوم الجزئية ،.و هو هنا يطبـــق التقســـيم السابع الذى يشير إلى التدرج من العلم العام إلى العلم الجزئى . ويسير فـــى ترتيبـــه للعلوم الجزئية المتفرعة من العلم العام بشكل منطقى معتمدا على مبدأ أن العلم السابق وسيلة إلى العلم اللاحق .

و وضع فى ترتيب مجموعة العلوم العربية منهجا يسير عليه فـــى الـــترتيب ، فيفرق بين الأصول منها و الفروع ، وفى الأصول يفرق بين العلوم التى تبحث فـــى المفردات و العلوم التى تبحث فى اللغة . فمجموعة العلوم التى تبحث فى المفـــردات يسير ترتيبها من العام إلى الخاص فيبدأ بعلم اللغة باعتباره علما عامـــا يبحـــث فـــى مفردات اللغة على الإطلاق ، و من ثم لا يعتمد على غيره ، و إنمـــا تعتمـــد العلـــوم اللاحقة عليه . و يثنى بعلم الصرف باعتباره يبحث فى مفردات اللغة من حيث بنيتـــها

أو صورها ، ومن ثم فهو يعتمد على المفردات اللغوية . و بعده علم الاشتقاق الـــذى يعد علما خاصا بعد علم الصرف باعتباره يبحث فى المفردات مـــن حيــث انتســاب بعضها إلى بعض بالكلمة الأصلية و فروعها المشتقة منها ، و بعد ذلك ينتقـــل إلـــى المركبات من الكلمات ، فيفرق بين المركبات المطلقة و المركبات الموزونة ، و يبــدأ بالمركبات على الإطلاق ، و يبدأ بعلم النحو الذى يبحث فى المركبـــات مـــن حيــث تأديتها للمعنى الأصلى ، ثم يزيد فى التخصص فيعرض لعلوم البلاغة مبتدئـــا بعلــم المعانى الذى يبحث فى المعانى الزائدة على أصل المعنى ، و هو ما يعرف بمطابقـــة اللفظ العربى لمقتضى الحال ، و يأتى بعده علم البيان الذى يبحث إلى جانب رعايـــة المطابقة لمقتضى الحال فى شيء آخر و هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فـــى وضوح الدلالة . و المقصود بالطرق المختلفة أداء اللفظ بطريقة حقيقية ومجازيـــة أو عن طريق الكناية . و يلى علم البيان علم البديع ، و يؤخر المصنفون علم البديع عـــن علمى المعانى و البيان لاعتماده على العلمين ، حيث يبحث فى وحوه تحسين الكلمـــة بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال (علم المعانى) و وضوح الدلالة (علم البيـــان) . ثم ينتقل إلى الكلام المركب فيذكر أن له وزنا ، و يبدؤه بعلم العروض ، و يثنيه بعلــم القوافى لأن الأول يعالج اللفظ المركب صاحب الوزن ، أى يختص بالأجزاء المتقدمـــة من الكلام المركب ، أما القوافى فتختص باللفظ المركب من حيــث لـــه قافيـــة ، أى يختص بأواخر حروف اللفظ المركب كما جرت عاده العروضيين على معالجة علـــم العروض سابقا لعلم القافية . ثم تأتى العلوم الفرعية و يبدؤها بعلم الخط فـــالخط هـــو محاولة نقل الظاهرة الصوتية السمعية (علم اللغة) إلى ظاهرة كتابية مرئية (علم الكتابة) ، و من ثم يأتى لاحقا لعلم اللغة . ثم يعرض لمجموعة العلوم الأدبيـــة مـــن الشعر و النثر ، و يقدم الشعر على النثر ، لأن تجميع الأشعار العربية سبق اهتمـــام العرب بالنثر وتجميع الرسائل و الخطب ، وغيرها من القطع النثرية . ثم يعرض لعلم التاريخ الذى يجعله من فروع العلوم العربية ، و يقدمه على العلوم الشرعية باعتبـــاره وسيلة إليها . و يأتى ترتيب العلوم الشرعية فيما بينها على أساس شرف العلم ، فيبــدأ بعلم الكلام لأنه أشرف العلوم الشرعية ، لبحثه فى ذات الله وصفاته وتعلقـــه بإثبـــات العقائد الدينية ، و من ثم فهو بعده رئيسا للعلوم الشـــرعية علـــى الإطـــلاق ، فـــهو

لايستخدم من علم شرعى اخر و إنما تتوقف عليه بقية العلوم الشرعية ، فهو بالنسبة للعلوم الدينية كنسبة علم المنطق للعلوم الفلسفية ، و من ثم قدمه على سائر العلوم الشرعية . (٩٠) ثم يثنى بعلم التفسير لأنه يليه فى الشرف باعتبار بحثه فى ألفاظ القران الكريم من جهة النطق و الأحكام و المعنى ، و يليه بعلم القراءة الذى يختص بكيفية النطق فقط ، وكان من الأفضل تقديم علم القراءة على علم التفسير لأن إقامة النص تسبق الفهم و التفسير . و قد يرجع تأخير علم القراءة على علم القراءة لأنه بمثابة العلم الخاص من العلم العام ، و من ثم يحقق التقسيم الذى ارتضاه لتصنيفه ، و هو السير من العلم الكلى إلى العلم الجزئى ، ثم يذكر ما يلى علم القرآن فى الشرف وهى علوم الحديث ، و يبدؤها بعلم الإسناد أو علم أصول الحديث ، و هو علم يبحث فيه عن صحة الحديث أو ضعفه ليعمل به أو يترك ، و من ثم فهو يسبق علم الحديث أو مايسمى علم رواية الحديث لأن الأخير يبحث فى أقول الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ و أفعاله ، و من ثم لابد من تقرير صحة هذه الأقوال أولا فى علم أصول الحديث ، ثم يأتى علم أصول الفقه ، و الفقه بعد علوم القرآن الكريم و الحديث لاعتمادهما على الكتاب و السنة باعتبارهما الدليلين الأصليين فى الفقه ، و هما مصدرا الأحكام فى الفقه ، و قد قدم علم أصول الفقه على الفقه باعتبار بحثه فى القواعد التى يتوصل بها إلى الفقه ، و من ثم فعلم الفقه ينبنى على علم أصول الفقه ، ثم يلى الفقه علم الفرائض الذى يعد بابا من أبواب الفقه ، و من ثم فقد أتى بالعلم الجزئى بعد العلم العام ، و هو علم الفقه . و ينهى العلوم الشرعية بعلم السلوك ، أى علم التصوف ، و قد أخره على كل العلوم الشرعية باعتباره ثمرة العلوم كلها و غايتها ، فإذا ما حصل الإنسان على علم التوحيد و الفقه و الشرائع ، و تعلم علم آفات النفس ، و تمكن من رياضتها ، و تجنب مكائد الشيطان و النفس ، تمكن من الوصول إلى علم المكاشفة ، و هو علم التصوف الذى يطلق عليه التهانوى علم السلوك . ثم تأتى العلوم الحقيقية ، وهى العلوم التى تشترك فيها كل الأمم و لا تتغير بتغير الملل و الأديان ، و يبدؤها بعلم المنطق باعتباره وسيلة إلى العلوم ، فهو من العلوم الآلية ، فهو فى نفسه غير مقصود ، و إنما المقصود منه تحصيل المجهول من العلوم ، حيث إن الغرض من تدوينه العلوم الحكمية ، و لذلك يقال عنه آلة قانونية تعصم مراعاتها

الذهن عن الخطأ فى الفكر ، و من ثم كان تقديمه على سائر العلوم العقلية . و يليه بعلم الحكمة و يقسمها إلى التقسيم المعرفي المعتاد إلى قسمين : علوم نظرية و علوم عملية ، ثم يتناول كل منهما بالتقسيم التقليدى ، فيقسم علوم الحكمة العملية إلى ثلاثة ، مبتدئا بالعلم الذى يخص مصالح شخص بانفراده ، ثم ما يخص الأسرة ، و هو علم تدبير المنزل ، ثم ما يخص الجماعة ، و هو علم السياسة . و يقسم الحكمة النظرية إلى أقسامها الثلاثة مبتدئا بالعلم الإلهى من حيث بحثه فيما لا يفتقر إلى المادة فى الوجودين الخارجي و الذهنى ، و من ثم فهو يأتى فى بداية العلوم النظرية لشرفه على العلم الرياضى و الطبيعى ، ثم يثنى بالعلم الرياضى لبحثه فى أصول ما يفتقد فى الوجود الخارجى إلى المادة ، ثم العلم الطبيعى لبحثه فى المادة فى الوجود الذهنى و الخارجى ، و من ثم أطلق عليه العلم الأدنى . و يرى التهانوى عدم أفضلية كل من العلم الرياضى أو الطبيعى على الآخر ، حيث أن كل واحد أفضل من الآخر من وجه، فالطبيعى أفضل من الرياضى من جهة أن موضوعه جسم طبيعى ، و هو جوهر بينما الرياضى كم ، و هو عرض و الجوهر أشرف من العرض ، كما أن العلم الطبيعى يشتمل على علم النفس وهو أم الحكمة ، و من ثم فهو يفضل الرياضى، بينما الرياضى يفضله من جهة أن الأحوال الخيالية غير متناهية القسمة ، فهى لا تقف عند حد ، و من ثم فهى أفضل ، كما أن الأمور الرياضية ألطف و ألذ و أتم من الأمور الجسمانية ، و من هنا لا يمكن تقديم أحدهما على الآخر من جهة الشرف . ثم يتناول كل قسم منها بالتفريع إلى مجموعة من العلوم الفرعية ، فيفرع العلم الطبيعى إلى عشرة علوم يبدؤها بعلم الطب لشرف موضوعه على سائر العلوم الطبيعية ، لبحثه فى بدن الإنسان ، ثم يلحقه بعلم البيطرة لأن الحال فيه بالنسبة للحيوانات ، كالحال فى الطب بالنسبة للإنسان . ثم يعرض للعلوم التى تخص الإنسان من علم الفراسة ثم علم تعبير الرؤيا . ثم يعرض لعلوم السحر من علم أحكام النجوم و السحر و الطلمسات و السيميا . و يقسم العلم الرياضى إلى أصوله الأربعة على أساس أن موضوعه الكم ، و الكم يقسم بدوره إلى قسمين: كم متصل و آخر منفصل ، فالكم المنفصل هو ما يكون مقدارا غير متعلق بشكل مادى ، و يقسم بدوره إلى قسمين : علم الحساب الذى يستخدم العدد على الإطلاق ، و إذا ما تألف من العدد نسبة سمى

علم الموسيقى ، أما الكم المتصل بشكل قد يكون ساكن مثل الخطوط و المجسمات فهو علم الهندسة ، و إذا كان الكم المتصل متحرك وهو ما يتعلق بحركة الكواكب والأفلاك سمى علم الهيئة . أما عند الترتيب فيأتى علم الحساب أو العدد فى بداية العلم الرياضى لشرف موضوعه و هو العدد المطلق الذى يعد من الأقسام الأولية للموجود الأول لإطلاق لفظ الواحد عليه و هو من العدد ، و من ثم عده البعض من العلم الإلهى ، و يلى علم الحساب علم الهندسة فى الشرف لأن شرفه بشرف أدلته التى هى البراهين اليقينية التى تكسب الذهن حدة و نفاذا و ترو فى الفكر . و لما كان شرف الموضوع يسبق شرف الأدلة قدم التهانوى علم الحساب على علم الهندسة ، ثم يلى علم الهندسة علم الهيئة، وهو مقدم على علم الموسيقى لشرف موضوعه ، و هو الجسم الطبيعى الذى يشرف العدد الذى هو موضوع علم الموسيقى ، لأن الجسم الطبيعى جوهر و العدد عرض ، و الجوهر أشرف من العرض ، و من هنا كان تقديم علم الهيئة على علم الموسيقى ، كما أن شرفه لأنه من العلوم التى تعد فرض كفاية لخدمة العلوم الشرعية ، و ذلك فى تحديد اتجاهات القبلة و أوقات الصلاة و تحديد بداية الشهور العربية و غيرها . ثم تناول كل علم من العلوم الأصلية بتفريعه إلى عدد من العلوم الجزئية .

قواعد التصنيف و مفاهيمه فى تقسيم العلوم عند التهانوى

التزم التهانوى بإبراز عدد من العلاقات التصنيفية التى ظهرت فى عرض العلوم فى خطته التصنيفية و هى :

- **علاقة اشتمال وتبعية :** و هذا ما اتضح فى أن العلوم الجزئية تتفرع من العلم العام الذى تندرج تحته ، مثل العلوم الجزئية المتفرعة من العلوم العربية ، كذلك التدرج فى تقسيم علم الحكمة إلى حكمة نظرية و أخرى عملية ، ثم التدرج فى تقسيم كل منها إلى عدة علوم أصلية ، ثم تقسيم كل علم أصلى إلى عدد من العلوم الفرعية .
- **علاقة تساو :** و هذا ما نجده فى وقوف عدد من العلوم على صف واحد توجد بينهم بعض الاختلافات ، و لكن هناك أوجه تشابه بينهم ، و هى فى الوقت نفسه تندرج تحت علم ثالث ، مثل علم الحساب و الهندسة ؛ حيث يبحثان فى موضوع واحد ، و هو الكم ، و لكن فى الحساب كم مجرد ، و فى الهندسة كم مشخص فى

سطوح أو خطوط و مثل علم الصرف و علم الاشتقاق ، فالعلمار يبحثان في اللفظ المفرد ، و لكن الصرف من حيث بنيته ، و الاشتقاق من حيث انتساب الألفاظ إلى بعضها بالأصلية و الفرعية ، و يندرجان في الوقت نفسه تحت العلوم العربية .

- **علاقة تجاور :** و هى من أسس التصنيف التى نادى بها " بليس " ، و التى أسماها علاقة ترابط ، وتعنى جمع المجموعات المتجانسة معا . و قد حاول التهانوى تطبيق هذه العلاقة فتجمعت علوم اللغة و الخط و الأدب تحت العلوم العربية ، كما تجاورت العلوم الدينية . و فى علوم الحكمة عمل على تجاور الموضوعات المتشابهة عند عرض العلوم الجزئية فتجاوزت العلوم التى تخص الإنسان مثل علم الطب و الفراسة و علم تعبير الرؤيا .

و برز فى تصنيف التهانوى ما يعرف فى التصنيف الحديث بالفئة المفضلة ؛ أى تقديم الموضوعات التى تهتم بها الأمة ، و التى تعكس فكر الأمة و ثقافتها . (٧٥) و هذا ما وضح عنده فى تقديم العلوم العربية و العلوم الشرعية على علوم الحكمة أو العلوم العقلية باعتبار أن هذه العلوم هى فكر الأمة العربية الإسلامية و ثقافتها .

تقييم محاولة التهانوى التصنيفية

يعتمد التهانوى فى عرض علومه و التعريف بها على السند الأدبى ؛ فهو يشير دائما إلى الكتب التى تناولت العلوم التى يعرضها أو التى حددت أقسام العلوم، مثل إشارته المستمرة لكتاب " إرشاد القاصد " لابن الأكفانى ، كما أن ترتيبه للعلوم يتبع المنهج التعليمى فى ترتيبه للعلوم من حيث البدء بمجموعة العلوم العربية ثم الشرعية ثم العقلية .

مميزات تصنيف التهانوى و عيوبه

من المميزات التى يتمتع بها تصنيف التهانوى :

- تميز التهانوى فى عرض علومه بالمنطقية التى سار عليها منذ بدء عرضه للعلوم إلى آخرها ، ولم يحدث الاضطراب إلا قليلا ؛ فقد التزم بمبدأ شرف العلم الذى بدا واضحا فى ترتيبه المنطقى للعلوم الشرعية كما التزم بمبدأ العلم السابق

وسيلة للعلم اللاحق ، وهذا ما انعكس في ترتيب العلوم العربية أو العلوم العقلية في تقديمه علم المنطق على سائر العلوم العقلية الأخرى .

- تميز بالأمانة العلمية في الإشارة إلى الكتب التي أخذ منها ، و تحديد ما أخـذه ، فهو يشير إلى تقسيم ابن سينا في علوم الحكمة ، أو تقسيم ابن الأكفـاني الـذي اقتبس منه في أكثر من موضع ، و هو أمر لم نجده عند غيره من المصنفين مثل طاشكبرى زادة الذي نقل الكثير عن ابن الأكفاني دون الإشارة إليه .
- المحافظة على تجاور الموضوعات المتشابهة مثل تجاور علوم اللغـة و الأدب ، و تمييزه و تحديده لعلوم البلاغة التي لم تصنفها تصانيف سابقة عليه .

و من المآخذ التي تؤخذ على تصنيف التهانوي :

- اعتبار بعض العلوم فروعا و هي أصول ، مثل علم الكتابة الذي اعتـبره مـن فروع العلوم العربية ، بينما هو يقف على صف واحد مع علم اللغة ، و كذلـك علم التواريخ .
- الاضطراب الواضح في بعض أجزاء تصنيفه الذي تمثل في ذكر علـم الطـب مرتين كفرع للعلم الطبيعي ثم أعاد ذكره مرة أخرى بعد الانتهاء مـن عـرض فروع العلم الرياضي .
- كما ذكر علم النجوم كفرع للعلم الطبيعي ضمن علم أحكام النجوم ثم أعاد ذكـره بعد عرض فروع العلم الطبيعي و الرياضي .
- ذكره الأصول بعد الانتهاء من عرض الفروع ، مثل ذكر علم السماء و العـالم بعد الانتهاء من فروع العلم الطبيعي و العلم الرياضي .

عدم الالتزام بطريقة واحدة في عرض العلم ؛ فعند عرضه لكل علم كان يذكر نقاطـا معينة مثل : تعريف العلم ، و موضوعه ، و مبادئه ، و مسائله ، و لكنه لم يلتزم بتلك النقاط في بعض العلوم ، مثل علم البيان ، فيذكر فقط : موضوع العلـم و تعاريفـه ، دون ذكر مبادئه و مسائله . كما يذكر في علم البديع الموضوع و التعريف فقط .

أثر الثقافة الإسلامية في تصنيف التهانوي

يرى بعض الباحثين أن محاولات تصنيف العلوم عند العرب المسلمين ترجـع أساسا إلى البيئة العربية ، و الواقع الحضاري الإسلامي ، أكثر مـن اسـتنادها إلـى

مؤثرات يونانية سابقة عليها . (٧٦) ويتضح هذا من قول التـــهانوى : '' إن هـــذه العلوم فى العربية لم تؤخذ عن العرب قاطبة ، بل عن العظماء البلغاء منـــهم ، مـــن الذين لم يخالطوا غيرهم ، كهُذيل و كنانة و بعض تميم . أما الذين صاحبوا العجم فى الأطراف فلم تعتبر لغاتهم و أحوالهم فى أحوال هذه العلوم '' . (٧٧)

تأثر التهانونى بالتصانيف السابقة عليه

تأثر التهانوى بالعديد من التصانيف السابقة عليه ، و نقل عنها نقلا مباشـــرا سواء كان ذلك فى تقسيمات العلوم أو تعريفاتها ، فقد نقل عن طاشكبرى زادة ما ذكره فى الرءوس الثمانية من عمليتى التقسيم و التكثير ، و هما طرفا التصنيف اللتان أشار إليهما طاشكبرى فى تعريفه لعلم تقسيم العلوم . كما نقل عن ابن الأكفانى الكثير مـــن تقاسيم العلوم نقل عنه فقرات ، بعضها يضمنها ابن الاكفانى فلسفته فى تقسيم العلوم ، مثل ما نقله عن تقسيم فروع العلم الطبيعى . وما نقله عن تقسيم العلوم المتفرعة عـــن علم الهندسة . كما نقل الكثير من تعريفات العلوم بنفسها مثل : تعريف علم الطـــب أو تعريف علم أحكام النجوم ، و غيرها من العلوم . كما نقل عن السكاكى تقسيمه للعلوم العربية ، و ما ذكره من تعريفاتها . و قد أشار إلى ذلك فى بداية حديثه عن العلـــوم العربية . (٧٨) كما نقل عن ابن خلدون ماذكره من العلوم العربية ، من أنها لم تؤخذ عن العرب قاطبة ، بل عن الفصحاء البلغاء منهم . (٧٩) كما نقل عـــن الشـــروانى تعريفاته الحكمة العلمية . كما نقل عن ابن سينا تقسيمه لعلوم الحكمة النظرية بأقسامها الأصلية الثلاثة ، و هو يشير صراحة إلى أقسام الحكمة النظرية عند ابن ســـينا مـــع أقسام المنطق ، فيقول : '' اعلم أن أقسام الحكمة النظرية أصولا وفروعا ، مع أقســام المنطق على ما يفهم من رسالة تقسيم الحكمة للشيخ الرئيس أربعة وأربعون علمــا ، و بدون المنطق خمسة وثلاثون علما '' . (٨٠)

بين تصنيف التهانوى وتصنيف أرسطو

نجد من خلال استعراض خطة تقسيم التهانوى للعلوم أنه انطلاقه من مفـــهوم عربى إسلامى ، حيث يبدأ تصنيفه بالعلوم العربية و الإسلامية ، ولكنه اتبع التقســـيم الأرسطى الأولى لعلوم الحكمة إلى : علوم حكمة عملية ، وعلوم حكمة نظرية . ثـــم تناول كلا منهما بالتقسيم إلى ثلاثة علوم أصلية ، و لكن عرضه للعلوم جاء من مفهوم

إسلامی عربی ، كما أن تقسيمه للعلوم الأصلية للحكمة النظرية قد اختلف عما وجد عند أرسطو من زيادة فی أعداد الفروع لم توجد عنده .

المنهج المتبع فی تقسيم العلوم عند التهانوی

يسير التهانوی فی عرض علومه متدرجا من العلم العام إلى العلم الجزئی مستخدما بذلك المنهج الاستنباطی الذی ينتقل من الكل إلى الجزء ، و قد اتضح هذا المنهج فی التقسيم السابع للعلوم (العلوم الجزئية و غير الجزئية) ، و هو التقسيم الذی سار عليه ، حيث يری أن العلم الجزئی هو أخص من موضع علم آخر وهو العلم العام الذی يندرج تحته ، و الذی يسمی بالعلم الأقدم ، أی أن العلم العام أقدم للعقل من العلم الخاص ، حيث إن إدراك الأعم يسبق إدراك الأخص .

مستوی المعالجة فی تصنيف التهانوی

ورد تصنيف التهانوی فی مقدمة كتابه " كشاف اصطلاحات الفنون " ، حيث قسم العلوم إلى ثلاث مجموعات رئيسية ، ثم فرع من كل منها عددا من العلوم أطلق عليها الأصول ، و بعضها الفروع . و يعرض الجدول التالی أعداد العلوم المفرعة علی كل صف :

تصنيف التهانوى	الصف الاول	الصف الثانى	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس	إجمالى
من كتاب	العلوم العربيـة	٩	٥			
" كشاف	العلوم الشرعية	٨				
اصطلاحات	العلوم الحقيقية	المنطق	٩			
الفنون "		الحكمة العملية	٣			
		الحكمة النظرية	العلم الإلهى	٥	٣	
			العلم الرياضى	علم العدد	٢	
				علم الهندسة	١٠	
				علم الهيئة	٥	
				علم الموسيقى		
			العلم الطبيعى	١٢		
الإجمالى	٣=٣	٢٠	٢٠	٢١	١٩	٨٠=

جدول (١٥) يوضح توزيع تفريعات العلوم على الصفوف

من استقراء الجدوال السابق يتضح أن عدد العلوم المفرعة تصل إلى ثمانين علما موزعة على الصفوف المختلفة ، فيصل عددها على الصف الثانى إلى عشرين علما ، و على الصف الثالث إلى عشرين علما ، و على الصف الرابع إلى واحد وعشرين علما ، و على الصف الخامس إلى تسعة عشر علما . و يطلق على هذه العلوم أحيانا الأصول ، و مرة الفروع ، و أحيانا يعطى لها أى تسمية ، أو يطلق عليها أنواعا ، كما فى العلوم الشرعية ، و فى العلوم العربية يذكر أن منها أصولا ومنها فروعا ، فيطلق الأصول على علوم الصرف و علم المعانى و علم البيان و علم القافية ، و من الفروع علم الخط و علم التواريخ ، وغيرها . و فى العلم الإلهى يعدد له خمسة أصول تقف على الصف الرابع ، و فرعين يقفان على الصف الخامس ، ثم العلم الرياضى الذى يذكر من أصوله أربعة ، و هى : علم العدد والهندسة والهيئة والموسيقى ، ثم يفرع من كل منها عددا من الفروع تقف على الصف الخامس

ويلاحظ امتداد تفريعات العلوم الحقيقية إلى الصف الخامس ، بينما تقف تفريعات العلوم العربية الشرعية إلى الصف الثانى ، و يرجع ذلك إلى عدم اهتمامه بتوضيح أصول العلوم الشرعية و العربية وفروعها ، بالإضافة إلى النمو السريع للعلوم الحقيقية ، و هذا ما نجده فى تصانيف العصر الحديث ؛ حيث يلاحظ التفريع الدائم نتيجة للنمو المستمر للعلوم البحتة و التطبيقية ، التى يقابلها عند التهانوى العلوم الحقيقية .

الاتساق و التماسك

يلاحظ الاضطراب فى تصنيف التهانوى مما أدى إلى عدم وجود الاتساق أو التماسك فى خطته ، فنجده يقفز من علم إلى علم آخر ليعرض فروعه ، ثم يعود إلى العلم الأول ليعرض تفريعاته ، كما حدث بالنسبة للعلم الرياضى و العلم الطبيعى ، حيث عرض للعلم الرياضى ثم الطبيعى و أعطى تفريعات العلم الطبيعى ، ثم استعرض تفريعات العلم الرياضى ، ثم عاد و استكمل بعدها بقية فروع العلم الطبيعى. كما نراه يعرض لعلوم الحكمة و يعددها بثلاثة ، و هى : الحكمة العملية والحكمة النظرية و الحكمة الطبيعية ، ثم يعود فيذكر الحكمة الطبيعية كفرع من فروع الحكمة النظرية ، و هنا نلاحظ عدم الا تساق ، فنراه يذكرها من فروع الحكمة النظرية . و كذلك عرضه للعلم فى مكانين مختلفين ، و هذا نوع من التكرار ، و هو مانجده فى علم السلوك الذى يشير إلى تسميته أيضا بعلم الأخلاق ضمن فروع العلوم الشرعية ، ثم يعود فيذكره مرة أخرى ضمن فروع الحكمة العملية . كذلك يعيد ذكر علمى الطب و النجوم فى فروع العلم الطبيعى ، ثم يعود فيذكرهما مرة أخرى بعد عرض فروع العلم الرياضى ، و بعد عرض فروع العلم الطبيعى يذكر علم السماء و العالم على أنه من أصول العلم الطبيعى ، و هو بذلك يذكر الأصل بعد الفرع ، و هذا لايدل على أى تماسك فى خطته التصنيفية . كما نلاحظ عدم التوازن فى تفريعات العلوم لديه ؛ فبينما تصل فروع العلوم الحقيقية إلى الصف الخامس تقف فروع العلوم العربية و الشرعية إلى الصف الثانى . كما لا نجد توازنا فى أقسام العلوم الحقيقية و

لا فى فروع أقسامها ، فبينما تصل فروع الحكمة النظرية إلى ثلاثة و أربعين علمـــا ، يصل عدد الفروع من الحكمة العملية إلى ثلاثة فروع فقط على الصف الثالث .

هذا و يعد تصنيف التهانوى من التصانيف التى ظهرت فى عصر اضمحـــلال الحضارة الإسلامية ، و الانتقال إلى عصر النهضة الأوروبية لينتقل مشعل الحضـــارة و التقدم من العالم الإسلامى فى الشرق إلى الحضارة الأوربية فـــى الغـــرب ، التـــى تأثرت فيما أبدعته من علوم ، و من ضمنها علم التصنيف ، بالعلوم العربيـــة و مـــا أبدعه العقل العربى ، و هذا موضوع دراسة الفصل التاسع من هذا البحث .

هوامش الفصل السابع

١ــ شعبان عبد العزيز خليفة و وليد محمد العوزة . مفتاح السعادة و مصباح السيادة فى موضوعات العلوم لطاشكبرى زادة ، دراسة بيوجرافية بيبليوجرافية بيبليومترية وكشافات . ــ مج ١ : الدراسة و التصنيف . ــ القاهرة . ــ دار العربى ، ١٩٩٣م. ــ ص ص ١٩ــ٢٨ .

٢ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ص ١٩ــ٢٨ .

٣ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ص ٣٣ــ٣٤ .

٤ــ محمد عبد اللطيف هريدى . الأدب التركى الإسلامى . ــ الرياض . ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧هــ . ــ ص ص ٧٤ــ٧٩ . (سلسلة أدب الشعوب : ١)

٥ــ طاشكبرى زادة : عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصلح الدين مصطفى بن خليل ، الشهير بطاشكبرى زادة . و قد اتخذ شهرته نسبة إلى قرية (طاش كبرى) القريبة من قسطمونى فى الأناضول بآسيا الصغرى . وكلمة (زادة) هى كلمة النسبة التركية ، بمعنى ابن أو من . و قد ولد طاشكبرى زادة فى الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٩١٠هجرية الموافق ١٤٩٥ميلادية فى عهد يزيد الثانى . و قد بدأ حياته الدراسية بحفظ القرآن الكريم ، و لما ختم القرآن انتقلت الأسرة كلها إلى مدينة (بروسة) . كما تولى القضاء ما لا يقل عن العامين فى مدينة بروسة عام ٩٥٢هجرية ، ثم عاد إلى التدريس مرة أخرى ، و النسخ بإحدى المدارس الثمانى . و فى عام ٩٥٨هجرية عين فى وظيفة القضاء بمدينة القسطنطينية . و استمر عمله قاضيا إلى أن أصيب بالرمد ، و كف بصره عام ٩٦١هجرية ، فتفرغ ما بقى من حياته لإملاء بعض مؤلفاته إلى أن انتقل إلى جوار ربه عام ٩٦٨هــ ــ ١٥٦١م ، و قد ترك عددا كبيرا من المؤلفات تربو على الثلاثين فى التفسير و أصول الدين و أصول الفقه و علوم اللغة العربية : انظر ــ شعبان عبد العزيز خليفة و وليد محمد العوزة . مرجع سابق . ــ ص ص ٧٤ــ٧٩ . و قد أورد المرجع السابق ثبتا بمؤلفات طاشكبرى زادة . ــ ص ص ١٣ــ١٤ .

٦ــ شعبان عبد العزيز خليفه . التصنيف العشرى القياسى بالمكتبات المدرسية و العامــة . ــ ص ٩٢ .

٧ــ طاشكبرى زادة . مفتاح السعادة و مصباح السيادة . ــ ج١ ص ٧٣ .

٨ــ شعبان خليفة و وليد العوزة . مرجع سابق . ــ ج١ ص ٣٥ .

٩ــ طاشكبرى زادة . ــ ج١ ص ٣١١ .

١٠ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣١٢ .

١١ــ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ــ ص ١٦٩ .

١٢ــ انظر كل من : ابن الأكفــــانى . مصــدر ســابق . ــ ص ص ١٥٢ــ١٥٣ . و طاشكبرى زادة . مصدر سابق . ــ ج ٢ ص ٥ .

١٣ــ شعبان عبد العزيز خليفة . التصنيف العشرى القياسى للمكتبات . ــ ص ٩٣ .

١٤ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ٩٣ .

١٥ــ نفس المرجع السابق . ــ ص ٩٣ .

١٦ــ طاشكبرى زادة . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٧٤ .

١٧ــ طاشكبرى زادة . مصدر سابق . ــ ج١ ص ١٣٠ .

١٨ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٩٣ .

١٩ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٩٤ .

٢٠ــ نفس المصدر السابق . ــ ج٢ ص ٤٠١ .

٢١ــ نفس المصدر السابق . ــ ج٢ ص ٤٤٢ .

٢٢ــ نفس المصدر السابق . ــ ج٢ ص ٥٧٣ .

٢٣ــ نفس المصدر السابق . ــ ج٢ ص ٢٩٦ .

٢٤ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٩٣ .

٢٥ــ شعبان خليفة . التصنيف العشرى القياسى للمكتبات . ــ ص ص ٧٧ــ٧٨ .

٢٦ــ طاشكبرى زادة . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٩٣ .

٢٧ ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٥٥ .

٢٨ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٧٧ .

٢٩ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٣٢ .

٣٠ـ نفس المصدر السابق . ـ ج٢ ص ٥٩١ .
٣١ـ نفس المصدر السابق . ـ ج٢ ص ٥٩٧ .
٣٢ـ نفس المصدر السابق . ـ ج١ ص ٣٥٩ .
٣٣ـ نفس المصدر السابق . ـ ج١ ص ٣٨١ .
٣٤ـ نفس المصدر السابق . ـ ج١ ص ٢٩٥ .
٣٥ـ نفس المصدر السابق . ـ ج١ ص ١٣١ .
٣٦ـ نفس المصدر السابق . ـ ج١ ص ٣٥٤ .
٣٧ـ نفس المصدر السابق . ـ ج١ ص ٩٨ ، ج٢ ص ٥ .
٣٨ـ نفس المصدر السابق . ـ ج٢ ص ٥٩١ .
٣٩ـ نفس المصدر السابق . ـ ج١ ص ٣٥٥ .
٤٠ـ نفس المصدر السابق . ـ ج٢ ص ٣٧٠ .
٤١ـ حاجى خليفة ، مصدر سابق . ـ ج١ ع١٤،١٨ .
٤٢ـ شعبان خليفة و وليد العوزة . مرجع سابق . ـ ص ٣١ .
٤٣ـ نفس المرجع السابق . ـ ص ص ٣٧ـ٣٩ .
٤٤ـ ابن الأكفانى . مصدر سابق . ـ ص ص ٩٧ـ١٠٥ .
٤٥ـ نفس المصدر السابق . ـ ص ١٠٦ .
٤٦ـ الفارابى . إحصاء العلوم . ـ ص ص ٤٣ـ٤٤ .
٤٧ـ طاشكبرى زادة . مصدر سابق . ـ ج١ ص ٣١٨ .
٤٨ـ شعبان خبيفة و وليد العوزة . الفهرست لابن النديم . ـ ج١ ص ١٥٧ .
٤٩ـ طاشكبرى زادة . مصدر سابق . ـ ج١ ص ٣٢٤ .
٥٠ـ نفس المصدر السابق . ـ ج١ ص ١٣٠ .
٥١ـ نفس المصدر السابق . ـ ج١ ص ٣٣٢ .
٥٢ـ السيوطى . الإتقان فى علوم القرآن . ـ بيروت . ـ عالم الكتب ، د . ت . ـ ج١ ص ١٢٣ .
٥٣ـ السيوطى . إتمام الدراية لقراء النقاية . ـ ص ص ٢٢ـ٥٣ .
٥٤ـ حاجى خليفة . مصدر سابق . ـ ج١ ع ١٨ .

٥٥ــ الغزالى ــ إحياء علوم الدين . ــ القاهرة . ــ المكتبة التجارية الكبرى ، د . ت . ــ ج١ ص ص ٥ــ٥٨ .

٥٦ــ حاجى خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ١٧ .

٥٧ــ حسن صديق خان . أبجد العلوم . ــ الهند ، ١٢٩٦هــ .

٥٨ــ عبد الوهاب أبو النور و كامل كامل بكرى . مقدمة كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة . ــ ج١ ص ٦٦ .

٥٩ــ قام عديد من الباحثين بمعالجة كشف الظنون على اعتباره عملا تصنيفيا ، و منهم الدكتور أحمد عبد الحليم عطية الذى رأى أن العمل ينتمى إلى نوع التصنيفات القيمية التى ترتب العلوم حسب شرف العلم معتمدا على ما يذكره حاجى خليفة فى الفصل الرابع : (فى تقسيم العلوم بتقسيمات معتبرة و بيان أقسامها إجمالا) . و الحقيقة أن حاجى خليفة يستعرض فى هذا الفصل طرق تقسيم العلوم عند عدد من المصنفين ، و منهم العلامة الحفيد ، و ما ذكره الشروانى فى الفوائد الخاقانية ، و طريقة طاشكبرى زادة فى تقسيم العلوم ، و فى الباب الخامس يتحدث عن مراتب العلم و شرفه ، و يقسمه إلى عدد من (الإعلام) ، و فى الإعلام الرابع الذى يعتمد عليه الدكتور أحمد عبد الحليم عطية يلخص تقريبا ما يتبع فى ترتيب العلوم حسب الشرف ، و لكنه لا يقدم أية خطة تصنيفية لتصور تقسيم العلوم ؛ أى يستعرض نموذجا لترتيب المعرفةكما فعل التهانوى فى مقدمة كتابه '' كشاف اصطلاحات الفنون '' ، و مما يؤكد ذلك أن ترتيب المفردات فى متابه جاء ترتيبا ألفبائيا واحدا ؛ أى فى نسق هجائى أدمج فيه العناوين و رءوس الموضوعات لا وفقا لخطة تصنيفية تسير حسب شرف العلم ، بدليل أن أول العلوم التى يذكرها فى كتابه : علم الأبعاد و الأجرام ، و بعده علم الآثار ، و هذا بعيد تماما عما يقدمه من شرف العلم الذى يذكره فى الإعلام الرابع ، حيث يقول : '' الوسيلة مقدمة على المقصد ، و المباحث اللفظية مقدمة على المباحث المعنوية '' : من حاجى خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٢٣ . فهو كما عرضنا لا يبدأ بالمباحث اللفظية و لا يبدأ بالوسائل ؛ لأن علم الأبعاد و الأجرام لا يعد علما آليا ، أو من العلوم الوسائل ، و إنما من المقاصد ، و من هنا لا نستطيع أن نقول إن عما حاجى خليفة عمل تصنيفى ، أو أنه قدم تصورا لترتيب العلوم حسب

الشرف و سار عليه في ترتيب مادة كتابه كما يذهب إلى ذلك الدكتور أحمد عبد الحليم . و قد حصر محمد حسني كاظم خفاجي كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون ضمن القائمة التي أعدها بالأعمال التصنيفية ، و التي نشرها في مقالته ن كما عالج الكتاب على أنه واحد من التصانيف البيبليوجرافية في مقالة : '' تصنيف العلوم عند العرب '' ، حيث اعتبر الطريقة المعجمية التي اتبعها حاجي خليفة في ترتيب مفردات كتابه نوعا من أنواع التصنيف ارتآها حاجي خليفة تخلصا من الطريقة التصنيفية التي اتبعها غيره من المصنفين ليسهل على القارئ معرفة مكان العلم في سلسلة الهيكل التصنيفي : من مقالة '' تصنيف العلوم عند العرب '' . ــ ص ٥٢ .

٦٠ــ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ع ٦٣٥ــ٦٧٦ .

٦١ــ الشرواني : هو المولى محمد أمين بن صدر الدين الشرواني . توفي سنة ١٠٣٦هجرية . و قد عاش في خدمة السلطان أحمد العثماني ، و قد دفعه ولاؤه لهذا السلطان إلى تأليف كتابه هذا و إهدائه إليه .

٦٢ــ الشرواني . مصدر سابق . ــ ص ١٦ .

٦٣ــ محمد بن عمر الجركسي القارمي البلسي . مصدر سابق . ــ ص ص ٢٤ــ٢٧ .

٦٤ــ الشرواني . مصدر سابق . ــ ص ١٢٥ .

٦٥ــ شعبان خليفة و وليد العوزة . مرجع سابق . ــ ج١ ص ٣١.

٦٦ــ الشرواني . مصدر سابق . ــ ص ١٦٤ .

٦٧ــ نفس المصدر السابق . ــ ص ١٣١ .

٦٨ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٣٨٩ .

٦٩ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ٤٠٨ .

٧٠ــ الشرواني . مصدر سابق . ــ ص ٨٩ .

٧١ــ حاجي خليفة . مصدر سابق . ــ ج١ ع ٢١ .

٧٢ــ التهانوي . مصدر سابق . ــ ج١ ص ص ٥ــ٦ .

٧٣ــ التهانوي : هو محمد أعلى بن شيخ علي بن قاضي محمد حامد بن مولانا أتقى العلماء محمد صابر القاروقي السني الحنفي التهانوي نسبة الى تهانة موطنه في الهند، أما الفاروقي نسبة الى الفاروق عمر ابن الخطاب ، وإليه رضى الله عنه تنسب دويلة

الفاروقين فى خنديش ، وقد استقلت عن دلهى عقب وفاة فيرور تغلق فى أواخر القرن الثامن الهجري وعمرت إلى أوئل القرن الحادى عشر . ويعد التهانوى من أهل القرن الثانى عشر الهجرى فى عصر قربت فيه إمبراطورية المغول من الأفول . وقد نشـــأ التهانوى فى بيت علم ، فقد تتلمذ على يد والده فى العلوم العربية و الشـــرعية ، أمـــا العلوم العقلية و الطبيعية فقد طالع مختصراتها الموجودة عنده واقتبس منها ــ علـــى حد قوله – المصطلحات فى أثناء مطالعته لها : انظر المصدر السابق . ــ ج١ .

٧٤ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص و .

٧٥ــ عبد الوهاب أبو النور . الإطار العام للخطة و نظرية المسلمين فى تنظيم المعرفة . ــ ص ٩٦ .

٧٦ــ أحمد عبد الحليم عطية . دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب . ــ ص ١٤٣ .

٧٧ــ التهانوى . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٤٤ .

٧٨ــ نفس المصدر السابق . ــ ج١ ص ١٨ .

٧٩ــ ابن خلدون . مصدر سابق . ــ ص ٣٨٠ .

٨٠ــ التهانوى . مصدر سابق . ــ ج١ ص ٥٦ .

